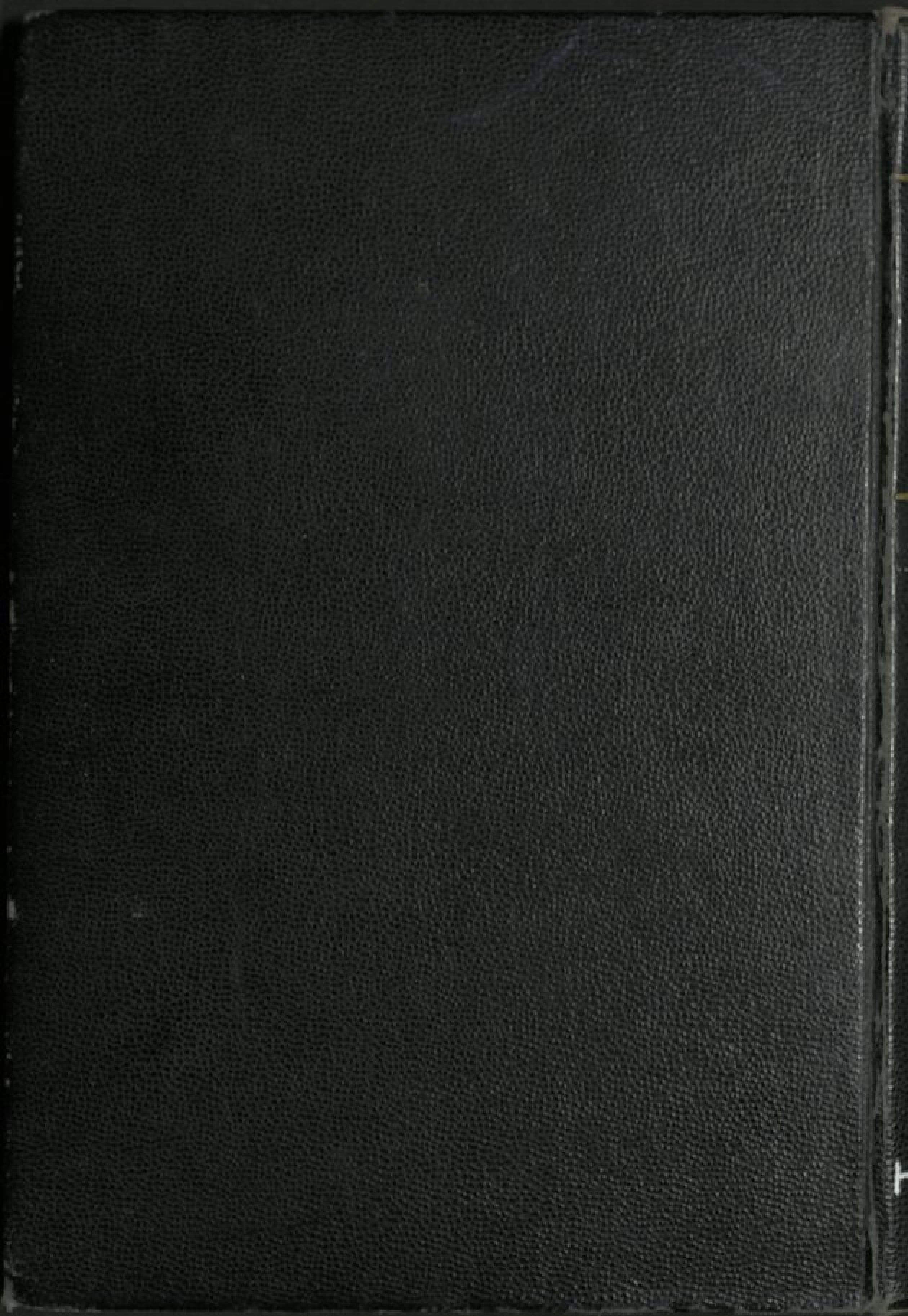
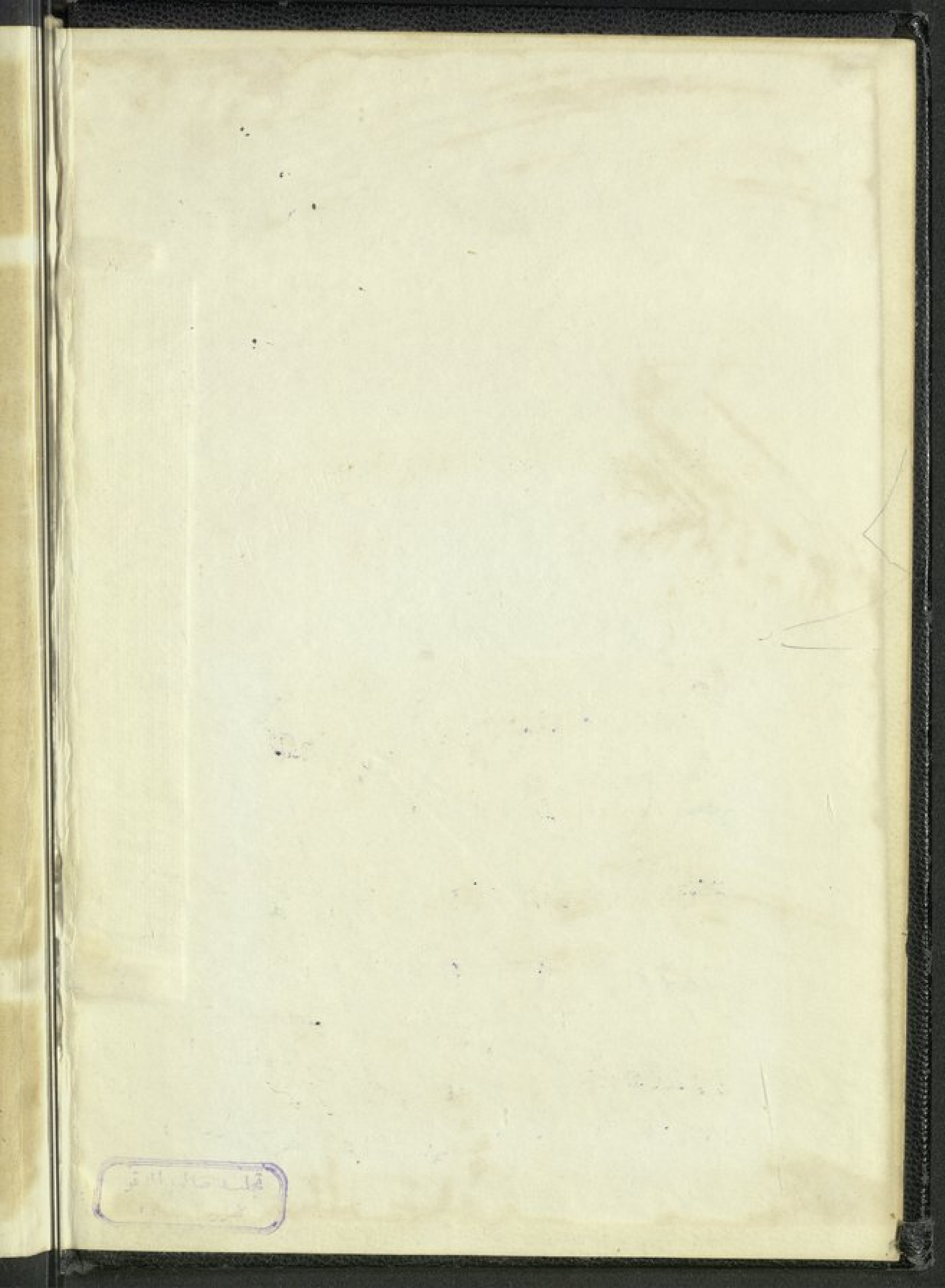
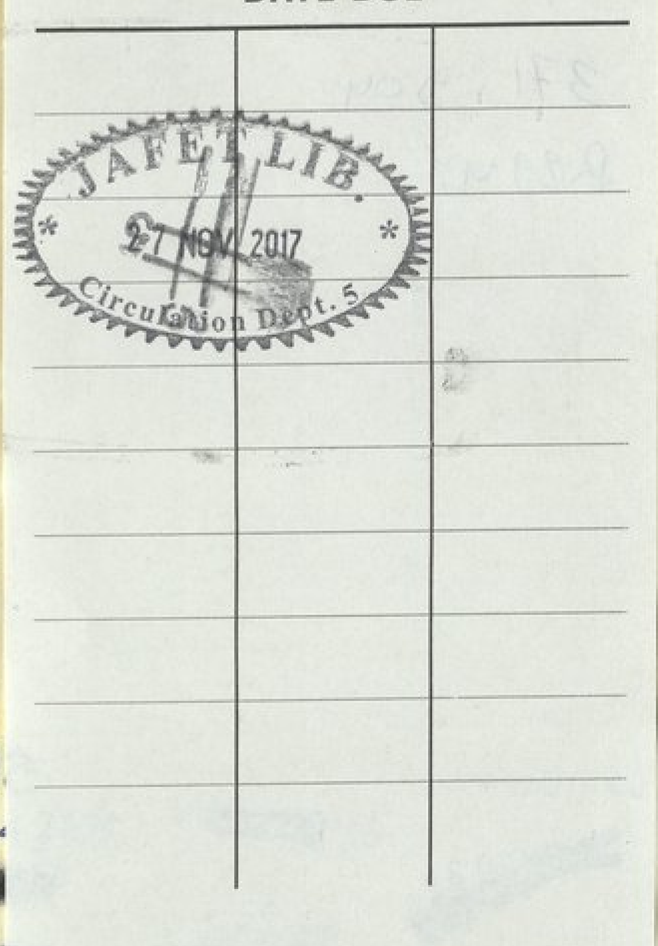
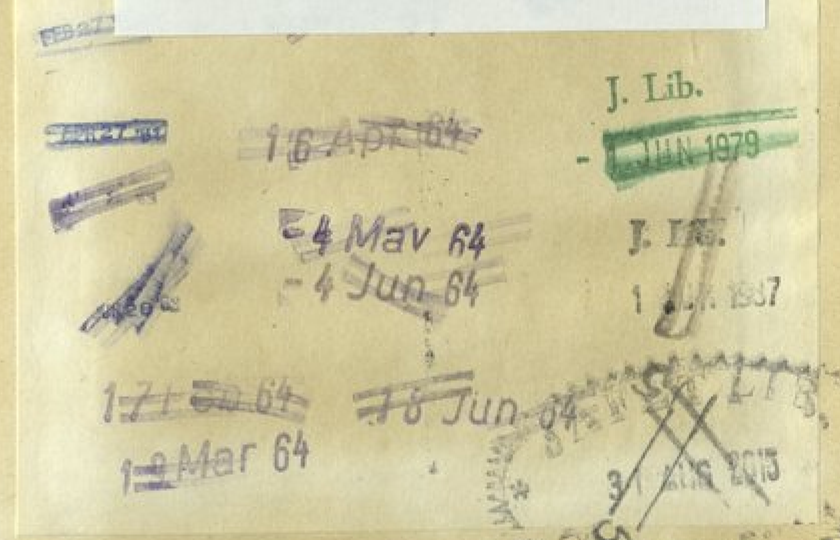
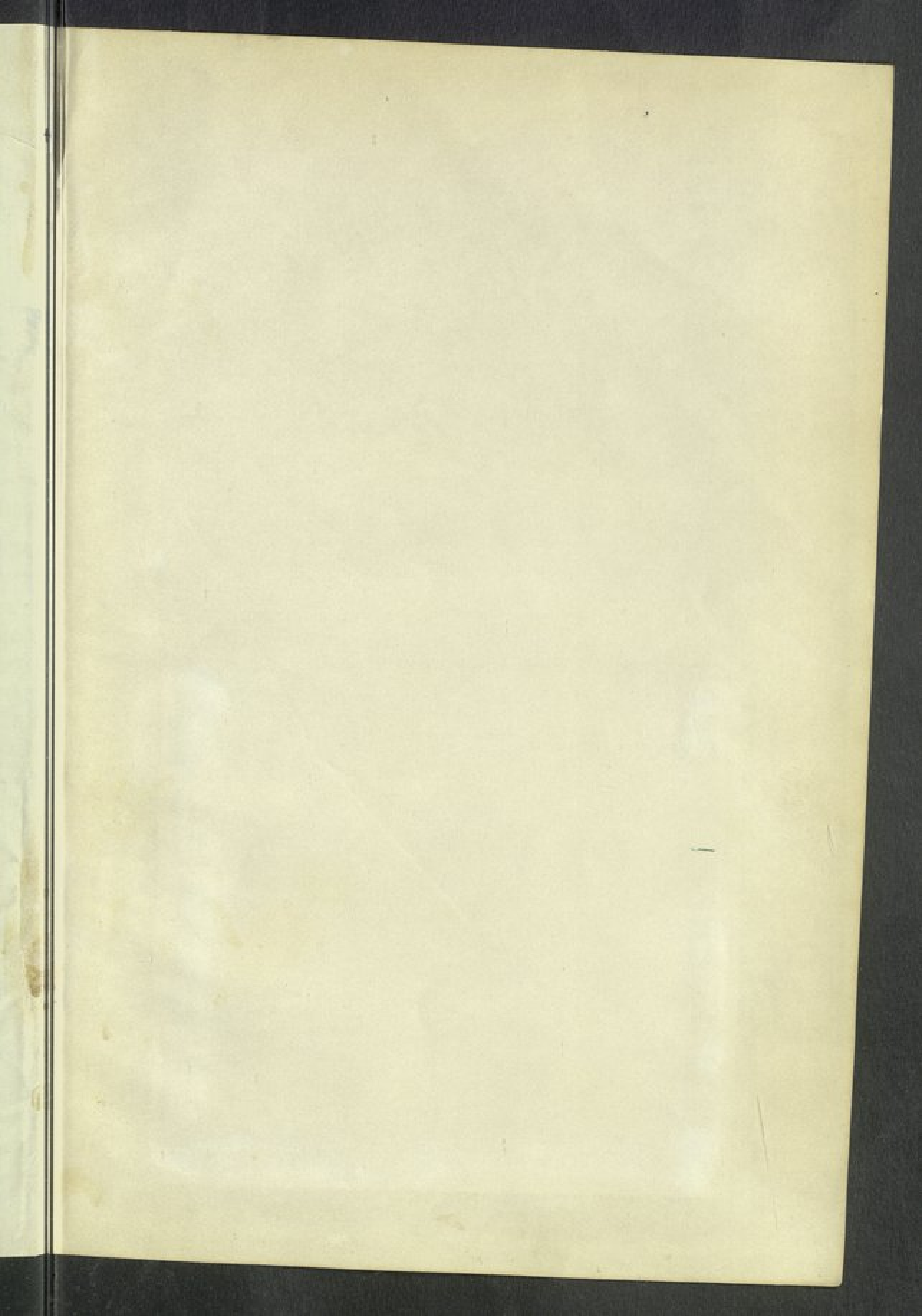





DATE DUE
JAFET LIB.
27 NOV 2017
Circulation Dept. 5

J. Lib.
4 May 64
4 Jun 64
Mar 64





تأليف

السيد احمد الهاشمى بك

مدير مدارس فؤاد الأول — وولى العهد بشبرا بمصر

الطبعة الحادية عشرة المعدلة مطولة منقحة وفيها زيادة تطبيقات كثيرة

سنة ١٣٧٣ هـ — سنة ١٩٥٤ م

مطبعة حجازى

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن خص سيد الرسل بكمال الفصاحة بين البدو والحضر وأنطقه بجوامع الكلم فأعجز بلغاء ربيعة ومضر، وأنزل عليه الكتاب المفحم بتحديه مصاقع بلغاء الأعراب، وآتاه بحكمته أسرار البلاغة وفصل الخطاب، ومنحه الأسلوب الحكيم (١) فى جوامع كلمه، وخص « السعادة الأبدية » لمقتفى آثاره وحكمه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه « جواهر البلاغة » الذين نظموا لآلىء البديع فى عقود الإيجاز والإطناب، ففهمنا بعد اللكن « بجواهر الإعراب » ونطقنا « بميزان الذهب » وطرزنا سطور الطروس « بجواهر الأدب » فصارت « المفرد العلم » فى باب النسب (وبعد) فإن العلوم أرفع المطالب، وأنفع المآرب، وعلم البلاغة من بينها أجلها شأناً وأبينها تبياناً، إذ هو الكفيل بإيضاح حقائق التنزيل؛ وإفصاح دقائق التأويل، وإظهار « دلائل الإعجاز » ورفع معالم الإيجاز، ولاشتغالى بتدريس البيان بالمدارس الثانوية، كانت البواعث داعية إلى تأليف كتاب « **جواهر البلاغة** » جامعاً للمهمات من القواعد والتطبيقات — وأسأل المولى جل شأنه أن ينفع بهذا الكتاب، وهو الموفق للحق والصواب.

المؤلف

السيد أحمد الهاشمى

---

(١) الأسلوب الحكيم والسعادة الأبدية. وجواهر البلاغة. وجواهر الاعراب وجواهر الأدب، وميزان الذهب. والمفرد العلم - الواردة فى هذه الخطبة أسماء بعض كتب مطبوعة لمؤلف هذا الكتاب. وغيرها من القواعد الأساسية للغة العربية. ومختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية. والسحر الحلال فى الحكم والأمثال.

تمهيد

لمّا وُضِع « علمُ الصَّرف » للنَّظر فى أبنية الألفاظ .

ووُضع علمُ النَّحْو للنَّظر فى إعراب ما تركَّب منها .

وُضعَ « البيان [1] » للنَّظر فى أمر هذا التركيب ، وهو ثلاثة علوم :

(العــلم الأول) ما يُحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى الذى يُريده المتكلِّم لإيصالِه إلى ذهن السّامع ، ويُسمّى « علم المعانى »

(العلم الثانى) ما يُحترز به عن التَّعقيد المعنوى — أى عن أن يكونَ الكلامُ غير واضح الدّلالة على المعنى المُراد ، ويُسمّى « علم البيان »

(العلم الثالث) ما يُراد به تحسين الكلام ، ويُسمّى « علم البديع » فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يُعرف التَّحسين الذّاتى ، وبه يعرف التَّحسين العرضى .

والكلام باعتباره « المعانى والبيان » يقال إنه :

« فصيحٌ » من حيثُ اللفظ ـ لأن النَّظر فى الفصاحة إلى مُجرَّد اللفظ دون المعنى .

« وبليغٌ » من حيثُ اللفظ والمعنى جميعاً ـ لأن البلاغة يُنظر فيها إلى الجانبين [2] .

---

(١) علم البيان فى اصطلاح المتقدمين من أئمة البلاغة يطلق على فنونها الثلاثة من باب تسمية الكل باسم البعض — وخصه المتأخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة ، والتشبيه، والكناية — والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبين ماق نفس المتكلم من المقاصد ، وتوصل الاثر الذى يريده إلى نفس السامع .

(٢) وبيان ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهى مقصورة على اللفظ لأن الآلة

وأما باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح ولا بليغ ، لأن البديع أمرٌ خارجي يُراد به تحسين الكلام لا غيرُ .

إذا تقرَّر ذلك ، وجب على طالب البيان أن يعرف قبلَ الشُّروع فيه معرفةَ معنى « الفصاحة والبلاغة » لأنَّهما محورهُ ، وإليهما مرجع أبحاثه .

فهما الغاية التي يَقفُ عندها المتكلِّم والكاتب ، والضَّالةُ التي يَنشدانها وما عقد أئمّةُ البيان الفصولَ . ولا بوَّبوا الأبوابَ ، إلاَّ بُغية أن يوقفوا المُسترشد على تحقيقات ، وملاحظات ، وضوابط ، إذا رُوعيتْ في خطابه . أو كتابه . بلغت الحدّ المطلوبَ من سهولة الفهم ، وإيجاد الأثر المقصود في نفس السَّامع ، واتَّصفت من ثمَّ بصفة الفصاحة(١) والبلاغة

ـــــــــــــــ

= تتعلق باللفظ دون المعنى ـ فإذن هي كال لفظي توصف به الكلمة والكلام . والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى في القلب فكأنها مقصورة على المعنى . ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ . والبلاغة تتناول المعنى . أن الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا ، إذ هو مقيم الحروف وليس لها قصد إلى المعنى الذي يؤديه ـ وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحا بليغا إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج ، ولا متكلف وخم ، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف .

واعلم أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين ، وإنما كان ظاهراً بينا لأنه مألوف الاستعمال وإنما كان مألوف الاستعمال بين النابهين من الكتاب والشعراء لمكان حسنه . وحسنه مدرك بالسمع . والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ لأنه صوت يتألف من مخارج الحروف ـ فما استلذه السمع منه فهو الحسن . وما كرهه فهو القبيح ـ والحسن هو الموصوف بالفصاحة ـ والقبيح غير موصوف بالفصاحة ، لأنه ضدها لمكان قبحه .

(١) يرى الإمام عبد القاهر الجرجاني وجمع من المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ـ ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات ، وإنما يوصف بها الكلام بعد تحري معاني النحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التي يصاغ لها

وقال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين ـ الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى =

مُقَدِّمَة (١)

(فى معرفة الفصاحة والبلاغة)

الفصاحة

الفصاحة : تُطلق فى اللغة على معان كثيرة — منها البيانُ والظُّهور قال الله تعالى « وأخى هارونُ هو أفصح منى لساناً » أى أبينُ مِنّى منْطقاً وأظهر منِّى قوْلاً .

ويُقال : أفصح الصَّبيُّ فى منطقه . إذا بان وظهر كلامه

وقالت العرب : أفصح الصُّبح . إذا أضاء ، و فَصح أيضاً .

= معنى واحد : وإن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منهما إنما هو الابانة عن المعنى والاظهار له . وقال الرازى فى نهاية الايجاز ـ وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة . وقال الجوهرى فى كتاب الصحاح ـ الفصاحة هى البلاغة .

(١) مقدمة مشتقة من قدم اللازم، وهذه مقدمة كتاب لأنها ألفاظ تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه ـ بخلاف مقدمة العلم فهى معان يتوقف المشروع عليها ـ كبيان حد العلم المشروع فيه ، وموضوعه ، وغايته .

واعلم أن علوم البلاغة أجل العلوم الأدبية قدراً ، وأرسخها أصلا، وأبسقها فرعا وأحلاها جنى . وأعذبها ورداً . لأنها العلوم التى تستولى على استخراج درر البيان من معادنها، وتريك محاسن النكت فى مكامنها .(ولولاها لم ترلسانا يحوك الوشى ،ويلفظ الدر ، ينفث السحر . ويريك بدائع الزهر ، وينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر) فهى الغاية التى تنتهى إليها أفكار النظار ، واللالىء التى تتطلبها غاصة البحار لهذا كانت منزلتها تلو العلم بتوحيد الله تعالى .

وأفصح الأعجمىُّ : إذا أبان بعدَ أن لم يكن يُفصِح ويُبين .

وفصح اللسان . إذا عبّر عمّا فى نفسه . وأظهره على وجـه الصّواب دون الخطأ

والفصاحة : فى اصطلاح أهل المعانى ، عبارة عن الألفاظ البيّنةِ الظّاهرة ، المُتبادرةِ إلى الفهم ، والمأنوسة الاستعمال بين الـكتاب والشّعراء لمكان حُسنها .

وهى تقع وصفاً للـكلمة ؛ والـكلام ، والمتكلّم ؛ حسبما يعتبر الـكاتب اللّفظةَ وحدَها . أو مسبوكةً مع أخواتِها .

فصاحة الـكلمة

١ — خلوصها من تنافر الحروف : لتـكون رقيقة عَذْبة . تخِفّ على اللسان ؛ ولا تَثْقل على السّمع ، فلفظ « أسد » أخفّ من لفظ « فَدَوْكَسٍ »

٢ — خلوصها من الغرابةِ ، وتـكون مألوفة الاستعمال .

٣ — خلوصها من مُخالفةِ القِياس الصّرفى ، حتى لا تـكون شاذة .

٤ — خلوصها من الـكراهةِ فى السّمع[1] .

---

(١) ففصاحة الكلمة تـكونها من حروف متآلفة يسهل على اللسان نطقها من غير عناء ، مع وضوح معناها . وكثرة تداولها بين المتـكلمين وموافقتها للقواعد الصرفية ومرجع ذلك الذوق السليم، والإلمام بمتن اللغة ، وقواعد الصرفـ وبذلك تسلم مادتها وصيغتها . ومعناها من الخلل ـ واعـلم أنه ليس تنافر الحروف يكون موجبه دائما قرب مخارج الحروف . إذ قربها لا يوجبه دائما ـ كما أن تباعدها لا يوجب خفتها .

فها هى كلمة « بفمى » حسنة ، وحروفها من مخرج واحد وهو الشفة ، وكلمة (ملع) متنافرة ثقيلة ، وحروفها متباعدة المخارج ، وأيضا ليس موجب التنافر طول الـكلمة وكثرة حروفها .

أمّا «تنافُر الحروف» ؛ فهو وصفٌ فى الكلمة يُوجِبُ ثِقلها على السّمع ، وصعوبةَ أدائها باللسان : بسبب كون حروف الكلمة مُتقاربة المخارج — وهو نوعان :

(١) شديدٌ فى الثّقل — كالظّشّ (للموضع الخشن) ونحو : هُعْخُع « لنبت ترعاه الإبل » من قول أعرابي

* تركتُ ناقتى ترْعَى الهُعْخُعْ *

(٢) وخفيف فى الثّقل — كالنقْنقة « لصوت الضّفادع » والنقّاخ « للماء العذب الصّافى » ونحـو : مُسْتَشْزِرات « بمعنى مرتفعات » من قول امرىء القيس : يصف شَعر ابنة عمّه

غدَائرهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلى العلاَ تَضِلُّ العُقاصَ فى مُثَنًّى ومُرْسَل[١]

ولا ضابطَ لمعرفة الثّقل والصعوبة سِوى الذّوق السّليم ، والحِسّ الصّادق النّاجمين عن النظر فى كلام البُلغاء ومُمارسةِ أساليبهم[٢]

---

(١) « الغدائر » الضفائر ، والضمير يرجع إلى (فرع) فى البيت قبـله (والاستشزار) الارتفاع (والعقاص) جمع عقيصة وهى الخصلة من الشعر (والمثنى) الشعر المفتول (والمرسل) ضده ـ أى ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع ، وبعضه مثنى ، وبعضه مرسل ، وبعضه معقوص : أى ملوى

(٢) الألفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام ـ قسمان حسنان ، وقسم قبيح ، فالقسمان الحسنان : أحدهما ما تداول استعماله السلف والخلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشى . والآخر ما تداول استعماله السلف دون الخلف ، ويختلف فى استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله ـ وهذا هو الذى يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشيا وهو عندنا وحشى .

ولا يسبق وهمك إلى قول قصراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا ـ فهذا دليل على أنه حسن ، بل ينبغى أن تعلم أن الذى نستحسنه نحن فى زماننا هذا ، هو الذى كان عند العرب مستحسنا .والذى نستقبحه هو الذى كان

وأمّا غَرابة الاستعمال ، فهى كونُ الكلمة غيرَ ظاهرةِ المعنى ، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفصحاء ، لأنّ المعوّلَ عليه فى ذلك استعمالهم

والغرابة قسمان :

القسم الأول : ما يُوجب حيرة السّامع فى فَهْم المعنى المقصود من الكلمة : لتردّدها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة .

وذلك فى الألفاظ المُشتركة «كمُسرّج» من قول رُؤْبَة بن العَجاج :

وَمُقْلةً وَحاجِباً مُزَجَّجا وفاحماً ومَرْسِناً مُسَرَّجا(١)

= عندهم مستقبحا ـ والاستعمال ليس بدليل على الحسن . فاننا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن ، وإنما نستعمله لضرورة ، فليس استعمال الحسن بممكن فى كل الأحوال ـ واعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لأنه شىء ليس للتقليد فيه مجال، وإنما هو شىء له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه ـ ألا ترى أن لفظة (المزنة) مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم ، لا يختلف أحد فى حسنها ـ وكذلك لفظ (البعاق) فانها قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم ، فاذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إياها مخرجا لها عن القبح ، ولا يلتفت إذن إلى استعمالهم إياها بل يعاب مستعملها ويغلظ له النكير حيث استعملها ـ فلا تظن أن الوحشى من الألفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وإنما هو الغريب الذى يقل استعماله ، فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة ، وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة ، وذلك فى اللفظ عيبان كونه غريب الاستعمال وكونه ثقيلا على السمع كريها على الذوق . وليس وراءه فى القبح درجة أخرى، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شىء من معرفة هذا الفن أصلا .

انتهى عن المثل السائر ـ بتصرف .

(١) « مزججا » مدققاً مطولا (فاحما) شعراً أسود كالفحمة (مرسنا) بكسر الميم وفتح السين كمنبر ـ أو بفتح الميم وكسر السين كمجلس ـ ومعناه أنفاذا لمعان كالسراج أو ذا صقالة واحد يداب كالسيف السريجى أى المنسوب إلى سريج وهو قين حداد تنسب إليه السيوف فى الدقة والاستواء .

فلا يُعلم ما أراد بقوله « مُسرَّجا » حتَّى اختلفَ أئمة اللُّغة فى تخريجه .
فقال « ابن دُريد » يريد أنّ أنفه فى الاستواء والدِّقة كالسّيف السَّريجى
وقال « ابنُ سِيدَه » يُريد أنه فى البريق واللّمعان كالسّراج (١)
فلهذا يحتار السَّامعُ فى فهم المعنى المقصود لتردّد الكلمة بين معنيين
بدون « قرينة » تُعيّن المقصود منهما .

فلأجل هذا التَّردد ، ولأجل أنّ مادة (فعّل) تدلّ على مجرّد نسبة شىء
لشىء ، لا على النِّسبة التَّشبيهية : كانت الكلمة غير ظاهرة الدلالة على المعنى .
فصارت غريبة .

وأما مع القرينة فلا غرابة — كلفظة « عزّر » فى قوله تعالى
(فالذين آمنوا وعزّروه ونصروه) فانّها مشتركة بين التَّعظيم والإهانة .
ولكن ذكر النَّصر قرينة على إرادة التعظيم .

القسم الثانى : ما يُعاب استعماله لاحتياج إلى تتبُّع اللغات
وكثرة البحث والتفتيش فى « المعاجم قواميس متن اللغة المطولة »
« ١ » فمنه ما يُعثر فيها على تفسيرٍ بعْدَ كدٍّ . وبحثٍ — نحو : تكأكأتم
« بمعنى اجتمعتم » من قول عيسى بن عمرو النَّحوى :

---

(١) أى ولفظة مسرج غير ظاهرة الدلالة على ما ذكر ، لأن فعل إنما يدل على مجرد النسبة . وهى لا تدل على التشبيه ، فأخذه منها بعيد ـ لهذا أدخل الحيرة على السامع فى فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة ـ ومثله قول الشاعر :

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل

فلا يعلم ماذا أراد الشاعر بقوله فعلت ما لم أفعل ـ أكان يبكى إذا رحلوا ـ أم كان يهيم على وجهه من الغم الذى لحقه ـ أم يتبعهم إذا ساروا ـ أم يمنعهم من المضى على عزمة الرحيل .

مَا لَكُمْ تَكَأْكَأْتُمْ(١) عَلَيَّ، كَتَكَأْكُئِكُمْ عَلَى ذِي جِنَّةٍ(٢)

إِفْرَنْقِعُوا عَنِّي(٣) — ونحو (مُشْمَخِرٍّ) فى قول . بِشْرِ بن عَوانة . يصفُ الأسد :

فَخَرَّ مُدَرَّجاً بِدَمٍ كأنى — هَدَمْتُ به بِنَاءً مُشْمَخِرًّا

«ب» ومنه ما لم يُعثر على تفسيره نحو (جَحْلَنْجَع) من قول أبي الهَمَيْسَع

«مِنْ طَمحةٍ صَبِيرُها جَحْلَنْجَعُ(٤) لم يحضها الجدول بالتَّنَوُّعِ»

وأمَّا (مُخالفة القياس) فهو كون الكلمة شاذّةً غيرَ جارية على القانون الصَّرفى المُسْتنبَط من كلامِ العرب ؛ بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العُرف العربى الصحيح(٥) مثل (الأَجْلَلِ) فى قول أبي النَّجْم :

أَلْحمدُ لله العَليِّ الأَجْلَلِ — الواحدِ الفَرْدِ القَديمِ الأَوَّلِ

فانَّ القياس (الأَجلّ) بالادغام ، ولا مُسَوِّغ لفكّه

---

(١) اجتمعتم (٢) جنون (٣) انصرفوا — وقال ذلك حين سقط عن دابته فاجتمع الناس حوله

(٤) الطمحة النظرة . والصبير السحاب المتراكم — وقبله

إن تمنعى صوبك صوب المدمع — يجرى على الخد كضئب الثعثع

الضئب الحب والثعثع اللؤلؤ — قال صاحب القاموس ذكروا جحلنجع ولم يفسروه . وقالوا أكان أبو الهميسع من أعراب مدين . وكنا لا نكاد نفهم كلامه اه

(٥) ما استثناه الصرفيون من قواعدهم المجمع عليها وإن خالف للقياس (فصيح) فمثل (آل وماء) أصلهما أهل وموه — أبدلت الهاء فيهما همزة . وابدال الهمزة من الهاء وإن كان على خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع — ومثل (أبى يأبى) بفتح الباء فى المضارع والقياس ، كسرها فيه لأن فعل بفتح العين لا يأتى مضارعه على يفعل بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل ونفع ، فمجيء المضارع بالفتح على خلاف القياس . إلا أن الفتح ثبت عن الواضع — ومثل (عور يعور) أى فالقياس فيهما عار يعار بقلب الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فتصحيح الواو خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع .

وكقطع همزة وصل « إثنين » فى قول جميل :

أَلا لا أرى اثنين أحسن شِيمةً على حَدثان الدَّهر منّى ومن جمل (١)

ويُستثنَى من ذلك ما ثبت استعماله لَدى العرب مخالفاً للقياس ولكنه فصيح .

لهذا لم يَخرُج عن الفصاحة لفظتا (المشرق والمغرِب) بكسر الراء ، والقياس فتحها فيهما ، وكذا لفظتا (المُدهُن والمنْخُل) والقياس فيهما مِفْعَل بكسر الميم وفتح العين ـ وكذا نحو قولهم (عَوِر) والقياس عار : لتحرّك الواو وانفتاح ما قبلها .

وأمّا (الكراهة فى السّمع) فهو كون الكلمة وحشيّة ، تأنفها الطّباع وتمجّها الأسماع ، وتنبُو عنه ، كما يَنْبُو عن سماع الأصوات المُنكرة (كالجرشّى — للنفس) فى قول أبى الطّيب المُتنبّى يمدح سيف الدّولة

مباركُ الإسْم أغرُّ اللّقبْ كريمُ الجِرشّى شريفُ النَّسَبْ

ومُلخّص القول ـ أن فصاحة الكلمة تكون بسلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة . ومن مخالفة القياس . ومن الابتذال . والضّعف

فاذا لصق بالكلمة عيب من هذه العيوب السابقة وَجب نبذها واطرحها

تطبيق (١)

ما الذى أخلْ بفصاحة الكلمات فيما يأتى ؟ ؟

قال يحيى بن يعمر : لرجل خاكمتهُ امرأته اليه « أئِنْ سألتك ثمن شكْرِها وشبرِك ، أخذتَ تطلُّها و تُضْهلها (٢)

---

(١) الشيمة الخلق ، والحدثان نوائب الدهر وجمل فرسه (٢) الشكر الرضاع والشبر النكاح وتطلها تسعى فى بطلان حقها وتضهلها تعطيها الشىء القليل

وقال بعض أمراء العرب ، وقد اعتلت أمه ، فكتب رقاعاً وطرحها فى المسجد الجامع بمدينة السلام : صين امرؤ ورعا ، دعا لامرأة أنقحلة(١) مقسئنة(٢) قد منيت بأكل الطرموق(٣) فأصابها من أجله الاستمصال(٤) بأن يمن الله عليها بالأطرغشاش(٥) والابرغشاش

أسمع جعجعة(٦) — ولا أرى طحناً — الإسفنط(٧) — حرام — وهذا الخنشليل(٨) صقيل ، والفدوكس مفترس(٩)

يوم عصبصب ، وهلوف ، ملا السجسج طلا(١٠)

أمنا أن تصرع عن سماح ... وللآمال فى يدك اصطراع(١١)

وقال الفرزدق

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم ... خضع الرقاب نواكس الأبصار(١٢)

وقال أبو تمام

---

(١) يابسة (٢) مسنة عجوز (٣) ابتليت بأكل الطين (٤) الاسهال (٥) البرء — وكذا معنى ما بعده (٦) جعجعة غير فصيحة لتنافر حروفها ، وهو مثل يضرب لمن يقول ولا يفعل (٧) الاسفنط الخمر (٨) الخنشليل السيف (٩) الفدوكس الأسد ، فكل من هذه الألفاظ الثلاثة وحشية غير مألوفة (١٠) شديد البرد فيهما — والسجسج الأرض التى ليست بسهلة ولا صلبة (١١) أراد : أنهم أمنوا أن يغلبه غالب يصرعه عن السماح ويمنعه منه وأما قوله (وللآمال فى يدك اصطراع) فمعناه تنافس وتغالب وازدحام فى يده — يريد كثرة نواله وكرمه . واستعماله للفظة الاصطراع بهذا المعنى بعيد . (١٢) فقد جمع (ناكس) على (فواعل) شذوذا وهذا لا يطرد إلا فى وصف لمؤنث عاقل لا لمذكر كما هنا إلا فى موضعين (فوارس وهوالك) والناكس : مطأطىء الرأس .

قد قلت لمَّا اطلخمَّ الأمرُ وانبعثتْ عشواءُ تاليةً غُبساً دهاريسا[١]

وقال شمر

وأحمق ممَّنْ يكرعُ الماءَ قال لى دعِ الخمرَ واشربْ من نُقاخٍ مُبرَّدِ[٢]

يظلُّ بموْماةٍ ويُمسى بغــيرها جحيشًا ويعروْرى ظهورَ المسالكِ[٣]

فلا يُبرَمُ الأمرُ الذى هوَ حاللٌ ولا يُحللُ الأمرُ الذى هو يُبرمُ[٤]

مُقابِلٌ فى ذُرا الأذْوَاء منصبهُ عَيصًا فعيصاً وقدْموساً فقدْموساً

وقال أبو تمام

نِعمَ متاعُ الدُّنيا حَباكَ بهِ أروَعُ لاَ جيدرٌ ولاَ جِبْسُ

وقال امرؤُ القيس

رُبَّ جفْنةٍ[٥] مُثْعنجرةٍ ، وطَعْنةٍ مُسْحنفِرة ، وخُطبةٍ مُستحضرة

---

(١) قال صاحب المثل السائر ـ أن لفظ (اطلخم) من الألفاظ المنكرة التى جمعت الوصفين القبيحين فى أنها غريبة ، وأنها غليظة فى السمع كريهة على الذوق ، وكذلك لفظة (دهاريس) واطلخم : أى اشتد وعظم . والعشواء الليلة المظلمة ، والغبسة جمع أغبس وغبساً : وهى الشديد الظلام مثلها ـ والدهاريس جمع دهريس وهى الدواهى .

(٢) الماء العذب الصافى (٣) الموماة المفازة الواسعة ، ويقال للمستبد برأيه جحيش ، ويقال اعرورى الفرس ركبها عريانا ـ وان لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة ـ ويالله العجب ـ أليس أنها بمعنى فريد ، وفريد لفظة حسنة رائقة ولو وضعت فى هذا البيت موضع جحيش لما اختل شىء من وزنه . فتأبط شراً لأنه ملوم من وجهين فى هذا الموضع . أحدهما أنه استعمل القبيح . والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه .

(٤) العيب فى هذا البيت من حيث فك الادغام فى (حالل ويحلل) بلامسوغ وهو شاذ ومخالف للقياس الصرفى ومخالف للكلام العربى الصحيح (٥) يريد بقوله جفنة

وقصيدة مُحبَّرةٍ ، تبقى غداً بأنقرةَ ـ أكلت العرينَ ، وشربتُ الصُّمادح (١)

إني إذا أنشدتُ لأحبنطى (٢) نزل بزيدٍ داهيةٌ خنفقيقٌ (٣) وحلَّ به عنقفير .

لم يجد منها مخلصاً . رأيت ماء نقاخاً (٤) ينباعُ (٥) من سفح جبل شامخ .

إخالُ إنك مصوُون (٦) ـ البُعاق (٧) ملأ الجرْدَحل .

فانْ يكُ بعضُ الناس سيفاً لدولة ... فنى النَّاس بُوقاتٌ لها وطبُولُ (٨)

نقىٌّ تقىٌّ لم يُكثّر غنيمة ... بنكْهةِ ذى القُرْبى ولا بحقلَّد

إنَّ بنيَّ للئامٌ زهدَهْ ... مالى فى صدُورهم من موْدَده (٩)

رَمتنى مىٌّ بالهوى رَمْى ممضغٍ ... من الوحش لَوْطٌ لم تعقْه الأوالس (١٠)

بعينين نجلاوين لم يجر فيهما ... ضمانٌ وجيدٍ حلى الدرّ شامس (١١)

عِلمى إلى علمك كالقرارة فى المُثْمنجَر (١٢)

انّ بعضاً من القريض هُراءٌ ... ليس شيئاً وبعضه إحكام

صحفة كبيرة ملأى أشبع عشرة ، والمثعنجرة السائلة ، والمسحنفرة الماضية بسرعة ، وطعنة متسعة ببلد أنقرة . وهوكلام امرىء القيس لما قصد ملك الروم ليستنجده على قتلة أبيه ، فهوته بنت الملك وبلغ ذلك القيصر فوعده أن يتبعه بالجنود إذا بلغ الشأم، أو يأمر من بالشأم من جنوده بنجدته ـ فلما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه فعلم بالهلاك ـ فقال رب الخ .

(١) يريد اللحم والماء الخالص (٢) احبنطى انتفخ بطنه (٣) دهياء
(٤) عذبا (٥) يتبع ويسيل (٦) مصوون . شاذة وليست فصيحة لمخالفتها للقياس الصرفى (٧) البعاق مطر السحاب ، والجردحل الوادى ـ وليستا فصيحتين لغرابتهما
(٨) بوقات مزامير ـ والقياس فى جمعه أبواق (٩) القياس مودة بالادغام
(١٠) لوط لازق والاوالس النياق (١١) ضرب من القلائد (١٢) المثعنجر لفظة متنافرة ـ والمعنى إن علمى مقيس إلى علمك كالغدير الصغير موضوعا فى جانب البحر .

فيه ما يجلب البَراعة والفه ... م وفيه ما يجلب البرسام[١]

ومن الناس مَن تجوزُ عليهم ... شُعراء كأنها الخاز بازُ[٢]

تمرين (١)

(١) فرِّق بين التَّنافر فى الكلمة ، وفى الكلام ، واذكر السبب .

(٢) أذكر مثالا للتعقيد اللفظى ، وبين سبب هذا التعقيد ، ثم أزِلْه .

(٣) قد يلازِمُ تنافر الحروف الغرابة ، وقد تنفرد الغرابة عن التنافر . وضح ذلك بأمثلة مُبتكرة .

(٤) كل كلام بليغ يكون فصيحاً ولا عكس. اشرح هذه العبارة واستشهد عليها بما يحضرك

تمرين (ب)

مَيِّز الكلام الفصيح من غير الفصيح فى كل ما يأتى ، وبيِّن السبب : —

(١) كُلَّما قَرُبَتْ النفسُ من المال شبراً ، بَعُدَتْ عن الفضيلة مِيلا .

(٢) شكت امرأةٌ صَمْعَمَةُ الرأس[٣] ، مُتعشكلة الشَّعر ، دَرْدَبيسا حلَّتْ بها .

(٣) نَمْ وإنْ لم أنَمْ كَرَاىَ كَرَاكا ... شاهدى الدمعُ ، إنَّ ذاك كذا كا

(١) القريض الشعر ، والهراء الكلام الفاسد الذى لانظام له، وأحكام جمع حكم ، والمراد الحكمة ، والبرسام بفتح الباء وكسرها التهاب الصدر .

(٢) الخازباز صوت الذباب ـ وتجوز : تروح وتقبل .

الرأس الصمعمعة : الصغيرة

(٤) فأصبحتْ بعد خطِّ بهجتها كأن قفراً رسـومها قلما[١]

(٥) وازورَّ مَنْ كانَ لهُ زائراً وعافَ عافى العُرْفِ عرفانَه[٢]

(٦) وأكرمُ من غمامٍ عند محلٍ فتًى يُحيِي بمدْحته الكراما[٣]

(٧) أشكوكَ كُوكاً كى ينفكَ عن كتفى ولا يُنيخ على الركَّاب كلكلَه[٤]

(٨) سأل كوفىٌّ خياطاً عن فرس ومُهر فقدَهما فقال :

« ياذا النِّصاح — وذاتِ السَّمِّ الطاعن بها فى غير وغى لغير عِداً : هل رأيت الخيفانة القبَّاء ، يتبعها الحاسنُ المُرْهف[٥] ؟

(٩) كتب أحدهم لصديقه يقول :

« يا أحبَّ صواحبى وأعْزَزَهم علىَّ ، يؤلمنى أنْ أُصبح مَقصوياً عنك هذا الإقصاء ، وأنت منِّى بمنزلة الروح من الجسد » .

تمرين

(١) أىّ أجزاء هذين البيتين غير فصيح :

(ا) أصبحتُ كالثوب اللّبيس قد أخلقت جدَّاته منه فعاد مُذالا[٦]

(ب) رمتنى مىٌّ بالهوى رمىَ مُمضغ من الوحش لوط لم تعقه الأوالس[٧]

---

(١) الرسوم : آثار الديار .

(٢) أزور . أعرض . وعاف : كره . وعافى العرف : طالب المعروف

(٣) للمغفور له أحمد شوقى . والمحل : الجدب

(٤) أناخ بكلكله : هبط بمقدم صدره . وينسب البيت للمرحوم الشيخ حمزه فتح الله

(٥) النصاح : الخيط . وذات السم الابرة . والخيفانة : الفرس الطويلة : والقباء الدقيقة الخصر الضامرة . والحاسن : الجميل . والمرهف : المستريح

(٦) لابن الرومى — واللبيس : الملبوس والأخلاق : البلى . والجدة : صفة الثوب الجديد : والمذال : الممتهن .

(٧) اللوط : الخفيف السريع — والأوالس : النوق السريعة .

تطبيق

ما الذى أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يلى ؟؟

يانفسُ صبراً كل حيّ لاقِ — وكل إثنين إلى افتراق

أبْعِدْ بَعِدْتَ بياضاً لا بياض لهُ — لأنت أسودُ فى عينى من الظُّلَم (١)

لا نَسبَ اليومَ وَلاَ خُلَّة — إتَّسعَ الفتقُ على الرّاقع (٢)

فأيقنتُ أنّى عند ذلك ثائرٌ — غداتئذٍ أو هالكٌ فى الهوالك (٣)

مهلاً أعاذِلَ قد جرَّبتِ من خُلقى — أنّى أجودُ لأقوامٍ وان ضننُوا

تشكو الوَجى من أظْلَلٍ وأظلَل — من طول إملالٍ وظهرٍ مُمْلِلِ (٤)

---

(١) الظلم : الليالى الثلاث آخر الشهر . ولا بياض له ـ لاحسن له ـ قاله المتنبى يخاطب الشيب ، وخالف القياس فى الاسود لأنه لايبنى اسم تفضيل من نحو سود وحمر.

(٢) الخلة الصداقة : والفتق الشق . والراقع مصلح الفتق ـ وقد خالف القياس فى اتسع : حيث قطع همزة الوصل

(٣) هوالك فواعل ـ لا يطرد فى وصف العاقل كما هنا

(٤) الوجى الحفا : والأظلل باطن خف البعير ـ وخالف القياس بفك الادغام

تنبيهات : الأول من عيوب فصاحة اللفظة المفردة كونها مبتذلة ـ أى عامية ساقطة للفالق والشنطار ونحوهما : والابتذال ضربان

ا ـ ما استعملته العامة ولم تغيره عن وضعه ، فسخف وانحطت رتبته ، وأصبح استعماله لدى الخاصة معيباً ، كلفظة البرسام فى قول المتنبى

إن بعضاً من القريض هراء — ليس شيئاً وبعضه إحكام

فيه ما يجلب البراعة والفهـــم — وفيه ما يجلب البرســـام

وكلفظه الخازباز فى قوله :

ومن الناس من تجوز عليهم — شعراء كأنها الخازباز

ب ـ ما استعملته العامه دالا على غير ماوضع له ، وليس بمستقبح ولا مكروه. كقول المتلمس :

(١) وقال ابن جحدر :

حلَفتُ بما أرقلَتْ حوله همرجلة خلقها شيظَمُ[١]
وما شبرقت من تنوفيةٍ بها من وحى الجنّ زيزيزم

(٢) وقال ذو الرُّمة :

حتى إذا الهيقُ أمسى شام أفرخه وهن لا مؤيس نأياً ولا كثب[٢]

وقال أبو نواس :

يامن جفانى وملّا نسيتَ أهلا وسهلا

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

وكقول أبي نواس .

اختصم الجود والجمال فيك فصارا إلى جدال
فقال هذا يمينه لى للعرف والبذل والنوال
وقال هذاك وجهه لى للظرف والحسن والكمال
فافترقا فيك عن تراض كلاهما صادق المقال

فوصف فى الأول : البعير بالصيعرية ، وهى مختصة بالنوق ، وفى الثانى : الوجه بالظرف وهو فى اللغة مختص بالنطق للفالق والشنطار ـ ونحوهما

(الثانى) لا تستعمل الألفاظ المبهمة إذا كان غرضك التعيين وإحضار صورة الشىء ، أو المعنى المراد فى الذهن

(الثالث) لاتستعمل اللفظ المشترك إلا مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة

(١) الإرقال . الاسراع :الهمرجلة . الناقةالسريعة: الشيظم . الطويل الجسيم من الابل والخيل ، شبرقت ـ قطعت ـ التنوفية والتنوفة المفازة : الوحى الصوت الخفى ـ زيزيزم : حكاية أصوات الجن

(٢) الهيق : الظليم (ذكر النعام) شام البرق نظر إليه أين يقصد . وأين يمطر واستعمل هنا للنظر إلى الأفرخ . النأى . البعد

تدريب (١)

ما الذى أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يلى ؟

(١) قال النابغة الذبيانى

أو دُمْيَةٍ فى مَرْمَرٍ مَرْفوعة بُنِيَتْ بآجُرٍّ يُشادُ بقَرْمَدِ (١)

(٢) وقال أبو تمام

لك هضْبَةُ الحِلْمِ التى لو وَازَنَتْ أَجَأً إذا ثقُلَتْ وكان خفيفاً

وحَلاوةُ الشِّيَم التى لو مازَجَتْ خُلُقَ الزَّمانِ الْفَدْمِ عادَ ظَرِيفا (٢)

(٣) وقال المتنبىء

يُوَسِّطه المفاوزَ كلَّ يوم طِلابُ الطَّالبين لا الانْتِظار

تدريب (٢)

ما الذى أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يأتى ؟

(١) لم يَلْقَهَا إلا بشكَّة باسلٍ يخشى الحوادِثَ حازم مُسْتَعْدِد (٣)

(٢) وأصبح مبيَضَّ الضَّرِيب كأنه على سَرَوات البيْتِ قُطْنٌ مُنْدَفِ (٤)

---

(١) الدمية . الصورة المنقوشة المزينة فيها حمرة كالدم . تضرب مثلا فى الحسن المرمر . الرخام . الآجر مايبنى به ـ القرمد . بفتح القاف ما يطلى به للزينة . وقيل حجارة لها خروق يوقد عليها فتنضج ويبنى بها . وقيل الخزف المطبوخ

(٢) الهضبة . الرابية . أجأ . جبل . الفدم ـ الغليظ ـ الجافى ـ وصف الشيم بالحلاوة وهى خاصة بالعينين ـ ووصف خلق الزمان بالظرف وهو خاص بالنطق

(٣) الشكة . الخصلة . الباسل . الشجاع

(٤) قائلة الفرزدق . الضريب الشبيه والمثيل . سروات البيت . أعاليه . مندف مندوف : من قولهم ندف القطن ضربه بالمندف

(٣) فأيقنتُ أنّى عند ذلك ثائرٌ ... غداتئذٍ أو هالكٌ فى الهوالك [1]

(٤) وملمومةٍ سيفيّةٍ ربعيّةٍ ... يصيح الحصا فيها صياحَ اللّقالقِ [2]

(٥) وألقى بصحراء الغَبيط بَعاعَهُ ... نُزولَ اليمانى ذو العِياب المُحمّل [3]

(٦) ليس التعللُ بالآمالِ من أربى
ولا القُنُوع بضَنْكِ العَيْشِ من شِيَمى [4]

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام : سلامته بعد فصاحة مُفرداته مِمّا يُبْهِمُ معناه ويحول دون المراد منه [5] ـ وتتحقّق فصاحته بخُلوّه من ستة عيوب

---

(١) الثائر الذى لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره

(٢) قائله المتنبي : ملمومة . كتيبة مجتمعة . سيفية . نسبة لسيف الدولة . ربعية نسبة إلى ربيعة : قبيلته . اللقالق جمع لقلقة وهى صوت اللقلاق (طائرا) أو هى كل صوت فى اضطراب وحركة

(٣) قائله امرؤ القيس . الغبيط . الأرض المطمئنة ، وقيل الواسعة المستوية برفع طرفاها ، البعاع . ثقل السحاب من المطر : يقال بع السحاب يبع بعا وبعاعا . إذا ألح بمكان ، وألقى عليه باعه أى ثقله العياب جمع عيبة وهى مايجعل فيه الثياب . يقال جعل الرجل خير متاعه فى عيبته . والمحمل يروى بكسر الميم على جعل اليمانى رجلا ـ وبفتحها على جعله جملا ـ والمعنى أن هذا المطر نزل بهذا المكان ولم يبرح كما نزل الرجل فى ذلك الموضع ، وضمير ألقى يرجع إلى السحاب فيما قبله

(٤) القنوع . المسئلة . يقال قنع قنوعا . إذا سأل ـ والمراد القناعة

(٥) المراد بفصاحة الكلام تكونه من كلمات فصيحة يسهل على اللسان النطق بها لتآلفها ، ويسهل على العقل فهمها لترتيب ألفاظها وفق ترتيب المعانى ومرجع ذلك الذوق السليم والالمام بقواعد النحو ، بحيث يكون واضح المعنى . سهل اللفظ . حسن السبك ـ ولذلك يجب أن تكون كل لفظة من ألفاظه واضحة الدلالة على المقصود منها ، جارية على القياس الصرفى ، عذبة سلسلة ، كما يكون تركيب

(١) تنافرُ الكلمات مجتمعة (٢) ضعف التأليف (٣) التّعقيد اللفظى (٤) التّعقيد المعنوى (٥) كثرة التكرار [١] (٦) تتابُع الإضافات

الأوّل — « تنافرُ الكلمات مُجتمعة » أن تكون الكلمات ثقيلة على السمع من تركيبها مع بعضها عَسِرة النّطق بها مُجتمعةً على اللّسان (وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً)

والتّنافر يَحصُلُ : إمّا بتجاوُر كلمات متقاربة الحروف

وإمّا بتكرير كلمة واحدة

(ا) ومنه شديد الثِّقل : كالشطر الثانى فى قوله

وَقَبْرُ حرْبٍ بمكان قفْرُ وَليس قُرْبَ حَرْبٍ قبرُ [٢]

= الكلمات جاريا على القواعد النحوية ، خاليا عن تنافر الكلمات مع بعضها ، ومن التعقيد فرجع الفصاحة سواء فى اللفظة المفردة . أو فى الجمل المركبة إلى أمرين (مراعاة القواعد — والذوق السليم) وتختلف فصاحة الكلام أحيانا باختلاف التعبير عما يدور بالنفس من المعانى اختلافا ظاهرا . فتجد فى عبارات الأدباء من الحسن والجودة مالا تجد فى تعبير غيرهم ، مع اتحاد المعنى الذى يعبر عنه ويختلف الأدباء أنفسهم فى أساليبهم : فقد يعلو بعضهم فى أسلوبه . فتراه يسيل رقة وعذوبة . ويصل إلى القلوب فيبلغ منها مايشاء أن يبلغ . وذلك نوع من البيان يكاد يكون سحرا ، وقد يكون دون هذه المنزلة قليلا أو كثيرا — وهو مع ذلك من فصيح القول وحسن البيان

١ — (كثرة التكرار : وتتابع الاضافات) أقول الحق — أن هذين العيبين قد احترز عنهما بالتنافر

على أن بعضهم أجازهما لوقوعهما فى القرآن كما فى قوله تعالى «ونفس وماسواها» الآيات — وفى قوله تعالى « ذكر رحمت ربك عبده زكريا »

(٢) حرب بن أمية : قتله قائل هذا البيت ، وهو هاتف من الجن صاح عليه (وقفر) خال من الماء والكلا ، وقبر اسم ليس مؤخر ، وقرب خبرها مقدم — قيل إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متوالية ألا ويغلط المنشد فيه ، لأن نفس اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها ، يحدثان ثقلا ظاهراً ، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهة ولا ثقيلة .

(ب) ومنه خفيف الثقل كالشطر الأول فى قول أبى تمام

كريمٌ متى أمْدَحهُ أمْدحهُ والورَى معى : وإذا ما لُمتُهُ لُمتُه وحدِى[١]

الثانى — «ضعف التأليف» أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتُهر من قوانين النحو المعتبرة عند جُمهور العلماء — كوصل الضميرين ، وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف — مع أنه يجب الفصل فى تلك الحالة — كقول المتنبى

خلَتِ البلادُ من الغزالةِ ليْلَها فأعاضَهاكَ اللهُ كى لا تحزنا

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظا ورُتبة وحُكما فى غير أبوابه[٢] نحو

ولو أنّ مجداً أخلدَ الدهرَ واحداً من الناس أبقى مجدُه الدهرَ (مُطعِما)[٣]

---

(١) أى هو كريم ، وإذا مدحته وافقنى الناس على مدحه ، ويمدحونه معى لاسداء إحسانه إليهم كاسدائه إلى ، وإذا لمته لا يوافقنى أحد على لومه ، لعدم وجود المقتضى للوم فيه — وآثر لمته على هجوته مع أنه مقابل المدح إشارة إلى أنه لا يستحق الهجو ولو فرط منه شىء فانما يلام عليه فقط . والثقل فى قوله « أمدحه » لما بين الحاء والهاء من التنافر ، للجمع بينهما : وهما من حروف الحلق — كما ذكره الصاحب اسماعيل بن عباد

(٢) المجموعة فى قول بعضهم :

ومرجع الضمير قد تأخرا لفظا ورتبة وهذا حصرا

فى باب نعم وتنازع العمل ومضمر الشأن ورب والبدل

ومبتـدأ مفسر بالخبر وباب فاعل بخلف فاخبر

واعلم أن ضعف التأليف ناشىء من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولى النظر — أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل ورفع المفعول ففاسد غير معتبر ، والكلام فى (تركيب له صحة واعتبار)

(٣) فان الضمير فى (مجده) راجع إلى (مطعما) وهو متأخر فى اللفظ كما يرى) وفى الرتبة لأنه مفعول به ، فالبيت غير فصيح لمخالفته قواعد النحو ومطعم أحد رؤساء المشركين ، وكان يدافع عن النبى صلى الله عليه وسلم .

ومعنى البيت أنه لو كان مجد الانسان سببا لخلوده فى هذه الدنيا لكان (مطعم ابن عدى) أولى الناس بالخلود لأنه حاز من المجد مالم يحزه غيره — على بدصاحب الشريعة

الثالث — « التّعقيد اللفظى » هو كون الكلام خَفِيّ الدّلالة على المعنى المراد به — بحيث تكون الألفاظ غير مُرتَّبةٍ على وِفق ترتيب المعانى

(وينشأ ذلك التّعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبى بين الكلمات التى يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض) [1] وهو مذموم : لأنه يُوجب اختلال المعنى واضطرابه ، من وضع ألفاظه فى غير المواضع اللائقة بها — كقول المتنبى

جفَخَتْ وهُمْ لا يَجفَخُونَ بِهابِهمْ شِيَمٌ على الحسب الأغرّ دلائل [2]

أصله ـ جفخت (افتخرت) بهم شِيَم دلائل على الحسَبِ الأغر وهم لا يجفخون بها .

الرابع — « التّعقيد المعنوى » كون التركيب خفِىّ الدّلالة على المعنى المراد [3] — بحيث لا يُفهم معناه إلاّ بعد عناء وتفكير طويل

وذلك لخلل فى انتقال الذهن من المعنى الأصلى إلى المعنى المقصود بسبب إيراد اللّوازم البعيدة ، المفتقرة إلى وسائط كثيرة ، مع عدم ظهور القرائن الدّالة

---

(١) وذلك كالفصل باجنبى بين الموصوف والصفة ، وبين البدل والمبدل منه وبين المبتدأ والخبر ، وبين المستثنى والمستثنى منه ، ما يسبب ارتباكا واضطرابا شديدا

(٢) فلفظة جفخت مرة الطعم ، وإذا مرت على السمع اقشعر منها : ولو استعمل (المتنبى) عوضا عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت ، وحظى فى استعماله بالأحسن

(٣) بحيث يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات فى غير معانيها الحقيقية ، فيسىء اختيار الكلمات للمعنى الذى يريده ، فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع نحو : نشر الملك ألسنته فى المدينة ، يريد جواسيسه الصواب نشر عيونه

على المقصود « بأن يكون فهمُ المعنى الثانى من الأول بعيداً عن الفهم عُرفا[١] »

كما فى قول عبّاس بن الأحنف

سأطْلبُ بُعْدَ الدّار عنكم لِتقرُبوا وتسكُبُ عيناى الدُّموعَ لِتجمُدَا[٢]

جعلَ سكبَ الدموع كناية عمّا يلزم فى فراق الأحبّة من الحزن والكمد: فأحسن وأصابَ فى ذلك ، ولكنّه أخطأ فى جعل جمود العينِ كنايةً عمّا يوجبه التّلاقى من الفرح والسُّرُور بقُرب أحبّته ، وهو خفىٌّ وبعيدٌ — [٣] إذ لم يُعرفْ فى كلام العرب عند الدُّعاء لشخص بالسُّرُور (أن يقال له جَمُدت عينك) أولا زالت عينك جامدةً . بل المعروف عندهم أنّ جمود

---

(١) فالمناط فى الصعوبة عدم الجريان على مايتعاطاه أهل الذوق السليم ، لا كثرة الوسائط الحسية ، فانها قد تكثر من غير صعوبة ، كما فى قولهم : فلان كثير الرماد كناية عن المضياف — فان الوسائط كثيرة فيه ولكن لا تعقيد

(٢) تسكب بالرفع عطف على أطلب ، وبالنصب عطف على بعد : من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل . والمراد طلب استمرار السكب : لا أصله لئلا يلزم تحصيل الحاصل

(٣) ووجه الخفاء والبعد : أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها ، والانتقال منه إلى حصول السرور بعيد ، لأنه يحتاج إلى وسائط بأن ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها ، حال إرادة البكاء ، ومنه إلى انتفاء الدمع مطلقا ، ومنه إلى انتفاء الحزن ونحوه ، فان ذلك هو السبب غالبا فى الدمع ، ومن انتفاء الحزن ونحوه إلى السرور — ولا يخفى أن الشاعر قد طوى وحذف جميع هذه الوسائط فأورث بطء الانتقال من المعنى الأصلى الحقيقى إلى المعنى المراد — وخالف حينئذ أسلوب البلغاء . فنشأ من ذلك التعقيد المعنوى . واعلم أن الشاعر أراد أن يرضى بالبعد والفراق ، ويعود نفسه على مقاساة الأحزان والأشواق . ويتحمل من أجلها حزنا يفيض من عينيه الدموع . ليتوصل بذلك إلى وصل يدوم . ومسرة لا تزول — على حد قول الشاعر

ولطالما اخترت الفراق مغالطا واحتلت فى استثمار غرس ودادى

ورغبت عن ذكر الوصال لأنها تبنى الأمور على خلاف مرادى

العين إنما يكْنى به عن عدم البكاء حالة الحزن ، كما فى قول الخنْسَاء

أعينىَّ جُودا ولاَ تَجْمُدَا ألا تبكيانِ لصخْرِ النَّدى

وكما فى قول أبى عطاء يرثى ابن هُبيرة

ألا إنَّ عَيْناً لم تَجد يَوْمَ وَاسِطٍ عليكَ بجارِى دمعِها لجمودُ (١)

وهكذا كل الكنايات التى تستعملها العرب الأغراض ويغيّرها المتكلمُ ، ويريد بها أغراضاً أخرى تعتبر خروجاً عن سُنن العرب فى استعمالاتهم — ويُعدّ ذلك تعقيداً فى المعنى : حيث لا يكون المراد بها واضحاً

الخامس ـ « كثرة التّكرار »(٢) كون اللفظ الواحد إسماً : ـ كان أو فعلاً ـ أن حرفاً

وسواء أكان الاسم : ظاهراً ـ أو ضميراً ، تعدّد مرّة بعد أخرى ، بغير فائدة ـ كقوله

إنّى وأسطارٍ سُطِرنَ سَطْراً لقَائلٌ يانصر نصرُ نصراً

وكقول المتنبى

أقِلْ أنِلْ أقطعْ احملْ علِّ سل عِدِ زِدْ هشّ بشّ تفضّلْ أدْنِ سُرّ صِل

وكقول أبى تمام فى المديح

كأنه فى اجتماع الرُّوحِ فيه لهُ فى كلّ جارحةٍ من جسمهِ رُوحُ

السادس — « تتابعُ الإضافات » كون الاسم مضافا إضافةً مُتداخلة غالباً ، كقول ابن بابك

---

(١) أى لبخيلة بالدموع

(٢) المراد بالكثرة ههنا ما فوق الوحدة — فذكر الشىء ثانيا تكرار . وذكره ثالثا كثرة ، وإنما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة — وإلا لقبح التوكيد اللفظى .

حمامةَ جرعا حَوْمةِ الجَنْدَلِ اسجعى   فأنتِ بمرْأى مِن سُعادَ ومَسْمعِ(١)

وملخص القول : إنَّ فصاحة الكلام تكون بخلوِّه من تنافر كلماته ومن ضعف تأليفه ، وتعقيد معناه ، ومن وضع ألفاظه فى غير المواضع اللائقة بها

تطبيق

بيِّن العيوب التى أخلَّتْ بفصاحة الكلام فيما يأتى ؟

لكَ الخيرُ غيرى رامَ من غيرِكَ الغنى   وغيرى بغير اللَّاذقيَّة لاحق

وأزْوَرَّ مَنْ كان له زائراً   وعافَ عافى العُرف عِرْفانه(٢)

أنَّى يكونُ أبا البرايا آدمٌ   وأبوكَ والثَّقلانِ أنتَ محمدُ(٣)

ومن جاهل بى وهوَ يجهلُ جهله   ويجهل عِلمى أنه بىَ جاهل

(١) ففيه إضافة حمامة إلى جرعا وهو تأنيث الأجرع وهو المكان ذو الحجارة السود ، أو مكان الرمل الذى لا ينبت شيئا « وجرعا » مضاف إلى « حومة » وهى معظم الشىء « وحومة » مضاف إلى « الجندل » بسكون النون وهو الحجر ، والمراد به هنا مكان الحجارة ، فهو بمعنى الجندل بفتح النون وكسر الدال — وقوله « فأنت بمرأى من سعاد ومسمع » أى أنت بحيث تراك سعاد وتسمع كلامك — يقول : اسجعى يا حمامة أرض قفرة سبخة ، فان سعاد تَراك وتسمعك

(٢) العيب فى تنافر الكلمات — والمعنى انحرف عنه من كان يزوره ، وكره طالب الاحسان معرفته

(٣) يريد كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان أى الأنس والجن — يعنى أنه قد جمع ما فى الخليقة من الفضل والكمال — وقد فصل بين المبتدأ والخبر وهما أبوك محمد . وقدم الخبر على المبتدأ تقديما قد يدعو إلى اللبس فى قوله « والثقلان وأنت » ، على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف وهذر

وقلقلت بالهمِّ الذى قلقلَ الحشا قلاقلَ همّ كلُّهنَّ قلاقلُ

وَما مِثله فى النّاس إلا مُملَّكاً أبو أمّهِ حىّ أبوه يقاربهُ(١)

إلى ملكٍ ما أمّه من مُحَارِب أبوه ولا كانت كُلَيبٌ تُصاهِرهُ(٢)

ليس إلاكَ ياعلىُّ هُمامٌ سَيْفه دُونَ عِرْضِه مسْلولُ(٣)

كسَا حِلمهُ ذا الحلمِ أثوابَ سُودَدٍ ورقّى نداهُ ذا النّدَى فى ذُرا المجد(٤)

من يهتدِى فى الفعل ما لا يهتدى فى القول حتّى يَفعل الشّعراءُ(٥)

جزَى بنوه أبا الغَيْلانَ عن كِبرٍ وحُسْنِ فعلٍ كما يُجزَى سِنمّارُ(٦)

---

(١) يريد الفرزدق مدح ابراهيم بن اسماعيل خال هشام بن عبد الملك — وما مثله فى الناس حى، أحد، يقاربه، يشابهه، إلا مملكا، أبو أمه أبوه — فقدم المستثنى على المستثنى منه — وفصل بين مثل وحى وهما بدل ومبدل منه وبين أبو أمه وأبوه وهما مبتدأ وخبر — وبين حى ويقاربه وهما نعت ومنعوت، ولا يفصل بين كل منهما بأجنبى. والمعنى: وليس مثل ابراهيم فى الناس أحد يشبهه فى الفضائل إلا ابن أخته هشام — فضمير أمه عائد على المملك، وضمير أبوه عائد على ابراهيم الخال

(٢) يريد إلى ملك أبوه ليست أمه من محارب — أى ما أمه منهم

(٣) فيه ضعف تأليف حيث وضع الضمير المتصل بعد إلا — وحقه وضع المنفصل (إياك)

(٤) أى من كان ديدنه الحلم والكرم حاز السيادة والرفعة — فالضمير فى حلمه لذا الحلم المذكور بعد — فهو المتأخر لفظا ومعنى وحكما — وكذا الضمير فى نداه لذا الندى

(٥) أى يهتدى فى الفعل ما لا يهتدى به الشعراء فى القول حتى يفعل

(٦) العيب فيه من جهة أن ضمير بنوه عائد على أبا الغيلان وهو متأخر لفظا ورتبة، لانه مفعول ورتبته التأخر عن الفاعل: وسنمار رجل رومى بنى قصر الخورنق بظهر الكوفة للنعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة، فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخر ميتا لئلا يبنى لغيره مثله

وما من فتى كُنَّا من النَّاس واحداً به نبتغى منهم عَديلاً نُبادِلُه[1]

لمَا رأى طالبوه مُصعباً ذُعِرُوا وكاد لوساعدَ المقدورُ ينتصرُ

نشر الملكُ ألسنته فى المدينة . مُريداً جواسيسَه .

أى - والصَّواب « نشر الملك عيونه[2]

لو كنت كنت كتمت السّر كنت كما كنّا وكنتَ ولكنْ ذاكَ لم يكن

ألا ليْتَ شِعْرِى هل يلومنَّ قومُه زُهيراً على ماجرّ من كلِّ جانب

دانٍ بعيدٍ مُحبّ مبغض بهجٍ أغرّ حلو مُمِرٍ ليّن شَرِس[3]

* لأنت أسودُ فى عينى من الظُّلَم[4] *

تُسعِدُنِى فى غمْرَةٍ بعدَ غمرةٍ سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ[5]

وليست خراسانُ التى كان خالدٌ بها أسد إذ كان سيفاً أميرها[6]

والشَّمسُ طالعة ليستْ بكاسفةٍ تبكى عليك نُجومَ الليل والقمرا[7]

أرضٌ لها شَرَفٌ سواها مِثْلها لو كان مِثلك فى سِواها يوجدُ

---

(١) أى وما من فتى من الناس كنا نبتغى واحداً منهم عدبلا نبادله به

(٢) لأن الذى يتوصل به الى الاخبار عادة إنما هو العيون — لا الألسنة

(٣) فيه توالى الصفات . وذلك مما يحدث فى الكلام ثقلا : وهذا مما يؤخذ على (المتنبى)

(٤) والقياس أشد سواداً لانه لا يبنى أفعل التفضيل من الافعال الدالة على الالوان

(٥) معنى البيت : وتسعدنى بالفوز بالغنائم والنجاة فى شدة بعد شدة فرس سبوح أى حسنة العدو لا تتعب راكبها ، فكأنما تسبح على الماء

(٦) خالد — وأسد : علمان — والتعقيد فيه نشأ من تقديم أسد الذى هو جزء مما أضيف إليه إذ

(٧) أى والشمس ليست بكاسفة نجوم الليل وهى تبكى عليك ، والقمر يبكى عليك أيضا — ففيه تعقيد نشأ من الفصل بين الفصة التى هى كاسفة ، ومفعولها الذى هو نجوم بجملة « تبكى عليك »

والمجدُ لا يَرْضى بأنْ ترضى بأن يرْضى المعاشر منك إلاَّ بالرِّضا

فى رفع عَرْش الشرْ ع مثلك يَشرعُ

ومن لم يذُدْ عن حوْضه بسلاحه يُهدَّمْ ومن لم يَظْلِم الناس يُظْلِم (١)

مُتَحيِّرين فبَاهِتٌ متعَجِّبٌ ممَّا يرَى أو ناظِرٌ متأمِّلُ (٢)

فأصبحتْ بعد خطَّ بهجتها كأنَّ قفراً رسومها قلما (٣)

وما أرْضى لمُقلته بحِلم إذا انتبهتْ توهمَّه ابتشاكا (٤)

فصاحة المتكلم

فصاحة المُتَكلِّم : عبارةٌ عن المَلَكة (٥) التى يقْتدِر بها صاحبها على التعْبير عن المقصُود بكلام فصيح فى أىِّ غرضٍ كان

---

(١) فيه تعقيد معنوى . حيث كنّى بالظلم عن المحافظة على الحقوق — وهو بعيد

(٢) باهت بمعنى مدهوش لغة رديئة واللفظ العربى المستعمل بهت الرجل فهو مبهوت

(٣) أى فأصبحت بعد بهجتها قفرا ، كأن قلما خط رسومها

(٤) المقلة العين ، والحلم الرؤيا التى يراها النائم ، والابتشاك الكذب . قال الصاحب لم يسمع الابتشاك فى شعر قديم ولا محدث

(٥) أى كيفية وصفة من العلم راسخه وثابتة فى نفس صاحبها يكون قادراً بها على أن يعبر عن كل ما قصده من أى نوع من المعانى كالمدح والذم والرثاء وغير ذلك بكلام فصيح . فاذاً المدار على الاقتدار المذكور سواء وجد التعبير أو لم يوجد وأن من قدر على تأليف كلام فصيح فى نوع واحد من تلك المعانى لم يكن فصيحاً — وأنه لا يكون فصيحاً إلا إذا كان ذا صفة من العلم راسخة فيه وهى المسماة «بالملكة» يقتدر بها على أن يعبر عن أى معنى قصده بكلام فصيح أى خال عن الخلل فى مادته «وذلك بعدم تنافر كلماته» ، وعن الخلل فى تأليفه «وذلك بعدم ضعف تأليفه» ، وعن الخلل فى دلالته على المعنى التركيبى «وذلك بعدم التعقيد اللفظى والمعنوى» ، فان كان شاعراً اتسع أمامه ميدان القول فى جميع فنون الشعر — من نسيب وتشبيب ومديح وهجاء ووصف ورثاء وعتاب واعتذار وأشباه ذلك — وإن كان ناثراً حاك الرسائل المحلاة ، والخطب الممتعة الموشاة ، فى الوعظ . والارشاد . والحفل . والأعياد

فيكون قادراً بصفة الفصاحة الثابتة فى نفسه على صياغة الكلام متمكناً من التصرف فى ضُروبه . بصيراً بالخوض فى جهاته ومناحيه

أسئلة على الفصاحه يطلب أجوبتها

ما هى الفصاحة لغة واصطلاحا ؟ ما الذى يوصف بالفصاحة

ما الذى يخرج الكلمة عن كونها فصيحة ؟

ما هى فصاحة المفرد ؟ ما هو تنافر الحروف ، وإلى كم ينقسم ؟ . . .

ماهى الغرابة وماموجبها ؟ ماهى مخالفة القياس ؟ ماهى الكراهة فى السمع ؟ ماهى فصاحة الكلام ـ وبم تتحقق ؟ ما هو تنافر الكلمات . وما موجبه وإلى كم يتنوع ، ما هو ضعف التأليف ؟ ماهو التعقيد ؟ وإلى كم ينقسم ؟ ما هى كثرة التكرار ؟ ما هو تتابع الاضافات ؟ ماهى فصاحة المتكلم ؟

البلاغه

البلاغة فى اللُّغة (الوُصول والانتهاء) يقال بلغ فلان مراده ـ إذا وصل إليه ، وبلغ الركب المدينة ـ إذا انتهى إليها[1] ومبلَغ الشىء منتهاه

---

(١) البلاغة هى تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة : لها فى النفس أثر خلاب ، مع ملاءمة كل كلام للوطن الذى يقال فيه ، والاشخاص الذين يخاطبون والبلاغة مأخوذة من قولهم. بلغت الغاية اذا انتهيت اليها ، وبلغتها غيرى ـ والمبالغة فى الشىء الانتهاء إلى غايته ـ فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه . وسميت البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها ، فتنتهى بك إلى ما فوقها ـ وهى البلاغ أيضاً ويقال : الدنيا بلاغ، لأنها تؤديك إلى الآخرة والبلاغ أيضاً التبليغ ـ ومنه : هذا بلاغ للناس ـ أى تبليغ ـ ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً ، كما يقال نبل الرجل نبالة إذا صار نبيلا ـ قال أعرابى : البلاغة التقرب من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل على كثير ـ وقال عبد الحميد بن يحيى ـ البلاغة تقريب المعنى فى الأفهام

وبلغ الرجل بلاغة — فهو بليغ : إذا أحسن التعبير عما فى نفسه

وتقع البلاغة فى الاصطلاح : وصفاً للكلام ، والمتكلم فقط

ولا توصف « الكلمة » بالبلاغة ، لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه ، ولعدم السماع بذلك

بلاغة الكلام

البلاغة فى الكلام : مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب[1] — مع فصاحة

= من أقرب وجوه الكلام — وقال ابن المعتز البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام — وقال العتابى : البلاغة مد الكلام بمعانيه إذا قصر . وحسن التأليف إذا طال — وقال عبد الله بن المقفع : البلاغة لمعان تجرى فى وجوه كثيرة — فمنها ما يكون فى الاشارة . ومنها ما يكون فى الحديث . ومنها ما يكون فى الاستماع . ومنها ما يكون فى الاحتجاج . ومنها ما يكون شعراً . ومنها ما يكون ابتداء . ومنها ما يكون جوابا . ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رسائل . فعامة هذه الأبواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى أبلغ — والايجاز هو البلاغة . فالسكوت يسمى بلاغاً مجازاً — وهى فى حالة لا ينجع فيها القول ، ولا ينفع فيها إقامة الحجج إما عند جاهل لا يفهم الخطاب أو عند وضيع لا يرهب الجواب ، أو ظالم سليط يحكم بالهوى ، ولا يرتدع بكلمة التقوى وإذا كان الكلام يعرى من الخير ، أو يجلب الشر فالسكوت اولى . وقال الرشيد : البلاغة التباعد من الاطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى قال أحد الأدباء : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه .

[1] مقتضى الحال — هو ما يدعو اليه الأمر الواقع . أى ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص . ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين ، واعتبار طبقاتهم فى البلاغة ، وقوتهم فى البيان والمنطق — فللسوقة كلام لا يصلح غيره فى موضعه ، والغرض الذى يبنى له ، ولسراة القوم والأمراء فن آخر لا يسد مسده سواه — من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة ، بقدر تفاوت الاعتبارات والمقتضيات . وبقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام فى الحسن والقبح ، ويرتقى =

ألفاظه « مفردها ومركبها »

والكلام البليغ : هو الذى يُصوِّره المتكلِّم بصورة تناسبُ أحوال المخاطبين

وحال الخطاب « ويسمى بالمقام » هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يُوردَ عبارتَه على صورة مخصوصة دون أخرى

والمُقتضَى ـ « ويسمَّى الاعتبار المُناسب » هو الصُّورة المخصوصة التى تُورَدُ عليها العبارة

مثلاً ـ المدح ـ حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب

وذكاء المخاطب ـ حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز

فكلٌّ من المدح والذَّكاء « حال ومقام »

وكلٌّ من الإطناب والإيجاز « مقتضَى »

وإيراد الكلام على صورة الإطناب (١) أو الإيجاز « مُطابقة للمقتضَى »

صعداً إلى حيث تنقطع الاطماع ، وتخور القوى، ويعجز الانس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وتلك مرتبة الإعجاز التى تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة : وقد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل فى أرقى العصور فصاحة ، وأجلها بلاغة . ولكنه سد السبل أمام العرب عندما صاح عليهم صيحة الحق ، فوجفت قلوبهم ،وخرست شقاشقهم ، مع طول التحدى وشد النكير (وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا)

(١) فان اختلاف هذه الظروف يقتضى هيئة خصوصية من التعبير — ولكل مقام مقال ، فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال: وهو الأمر الذى يدعوه إلى أن يورد كلامه على صورة خاصة تشا كل غرضه ، وتلك الصورة الخاصة التى يورد عليها تسمى المقتضى — أو الاعتبار المناسب ، فمثلا الوعيد والزجر والتهديد مقام يقتضى كون الكلام المورد فيه فخما جزلا . والبشارة بالوعد ، واستجلاب المودة، مقام يتطلب رقيق الكلام ولطيفه : والوعظ مقام يوجب البسط والاطناب . وكون المخاطب عاميا سوقيا . أو أميراً شريفا . يوجب الاتيان بما يناسب بيانه عقله .

وليست البلاغة[1] إذاً مُنحصرة فى إيجاد معان جليلة ، ولا فى اختيار ألفاظ واضحة جزيلة . بل هى تتناول مع هـذين الأمرين أمراً ثالثاً (هو إيجاد أساليب مُناسبة للتأليف بين تلك المعانى والألفاظ) مما يُكسبها قوّة وجمالا

وملخص القول ـ أنّ الأمر الذى يَحمل المُتكلّم على إيراد كلامه فى صورة دون أخرى : يُسمى «حالا» وإلقاء الكلام على هذه الصُّورة التى اقتضاها الحال يُسمى «مُقتضَى» والبلاغة هى مُطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال.

بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلّم : هى مَلكة فى النّفس[2] يقتَدِرُ بها صاحبها على تأليف كلام بليغ : مطابق لمقتضَى الحال . مع فصاحته فى أىّ معنى قَصَدَه

---

(١) لأن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع ، فتمكنه فى نفسه كتمكنه فى نفسك ، مع صورة مقبولة ، ومعرض حسن ـ وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا فى البلاغة ، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ، ومعرضه خلقا ، لم يسم بليغاً وإن كان مفهوم المعنى ، مكشوف المغزى

فعناصر البلاغة إذاً (لفظ ومعنى، وتأليف للألفاظ) ، يمنحها قوة وتأثيراً وحسنا، ثم دقة فى اختيار الكلمات والأساليب ، على حسب مواطن الكلام ومواقعه، وموضوعاته وحال السامعين والنزعة النفسية التى تتملكهم وتسيطر على نفوسهم ـ فرب كلمة حسنت فى موطن ، ثم كانت مستكرهة فى غيره ـ ورب كلام كان فى نفسه حسنا خلابا ، حتى إذا جاء فى غير مكانه ، وسقط فى غير مسقطه ، خرج عن حد البلاغة ، وكان غرضا لسهام الناقدين .

(٢) أى أن الهيئة والصفة الراسخة الثابتة فى نفس المتكلم يمكنه بواسطتها ان يعبر عن المعانى التى يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغة ، أى مطابقة لحال الخطاب ، فلو لم يكن ذا ملكة يقتدر بها على التصرف فى أغراض الكلام وفنونه بقول رائع، وبيان بديع بالغاً من مخاطبه كل ما يريد ، لم يكن بليغاً ـ وإذاً لا بد للبليغ : أولا من التفكير فى المعانى التى تجيش فى نفسه ، وهذه يجب أن تكون صادقة ذات

وتلك غاية لن يَصِل اليها إلاّ من أحاط بأساليب العرب خُبرا وعرف سُنن تخاطُبهم فى مُنافراتهم ، ومفاخراتهم ، ومديحهم ، وهجائهم وَشكرهم ، واعتذارهم ، لِيَلبس لكلّ حالة لُبوسها « ولكلّ مقام مَقال »

أقوال ذوى النبوغ والعبقرية فى البلاغة

(١) قال قُدامَة : البلاغة ثلاثة مذاهب :

المُساواةُ : وهى مُطابقة اللفظ المعنى ، لا زائداً ولا ناقصاً .

والإشارة : وهى أن يكون اللفظ كاللّمحة الدّالة .

والتّذييلُ : وهو إعادة الألفاظ المُترادفة على المعنى الواحد ، ليظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه[1]

= قيمة ، وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر وذوق تنسيق المعانى وحسن ترتيبها ، فاذا تم له ذلك عمد إلى الألفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة ، فألف بينها تأليفاً يكسبها جمالا وقوة .

فالبلاغة ليست فى اللفظ وحده ، وليست فى المعنى وحده ، ولكنها أثر لازم لسلامة تألف هذين وحسن انسجامهما . وقد علم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لأنها مأخوذة فى تعريف البلاغة — وأن البلاغة يتوقف حصولها على أمرين — الأول : الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المقصود ، والثانى : تمييز الكلام الفصيح من غيره — لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلو وتسفل فى الكلام بنسبة ما تراعى فيه مقتضيات الحال — وعلى مقدار جودة ما يستعمل فيه من الأساليب فى التعبير والصور البيانية والمحسنات البديعية . وأعلى تلك الدرجات ما يقرب من حد الاعجاز ، وأسفلها ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء باصوات الحيوانات العجم .

وان كان صحيح الاعراب : وبين هذين الطرفين مراتب عديدة

(١) نهاية الأرب جزء ٧ ص — ٨

(٢) وقيل لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال : أن يكون اللفظ محيطاً بمعناك ، كاشفاً عن مغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، ويكون سالماً من التكلف ، بعيداً من سوء الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأمل[1]

(٣) ومما قيل فى وصف البلاغة : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يُسابِقَ معناه لفظَهُ ، ولفظُه معناه ، فلا يكون لفظُه إلى سمعك أسبقَ من معناه إلى قلبك[2]

(٤) وسأل معاوية صُحاراً العبْدِىّ : ما البلاغة ؟ قال : أن تُجيب فلا تبْطِىء . وتُصِيبَ فلا تُخْطِىء[3]

(٥) وقال الفضل : قلت لأعرابى ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ فى غير عجْز ، والإطناب فى غير خطَلٍ[4]

(٦) وسُئل ابن المُقفّع . ما البلاغة ؟ فقال : البلاغة اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجرى فى وجوه كثيرة : فمنها ما يكون فى السكوت ، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون فى الاشارة ، ومنها ما يكون فى الحديث ، ومنها ما يكون فى الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعْراً ، ومنها ما يكون سَجْعاً وخُطباً ، ومنها ما يكون رَسائلَ . فعامّةُ ما يكون من هذه الأبواب — الْوَحْىُ فيها ، والاشارة إلى المعنى ، والإيجاز ، هو البلاغة .

---

(١) نهاية الأرب جزء ٧ ص ٦
(٢) من كتاب البيان والتبيين للجاحظ جزء ١ — صحيفة ٩١
(٣) نهاية الأرب جزء ٧ ص ٨
(٤) البيان والتبيين للجاحظ جزء ١ ص ٩١

فأمّا الخُطَبُ بين السِّماطَيْنِ ، وفى إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ ، فالإكثار فى غير خَطَلٍ ، والإطالةُ فى غير إملالٍ . وليَكُن فى صَدْرِ كلامك دليلٌ على حاجتك . فقيل له : فإن مَلّ المُستمعُ الاطالَة التى ذَكَرْتَ أنّها حقُّ ذلك الموقف ؟ قال : إذا أعطيْتَ كلَّ مقام حَقّهُ ، وقُمْتَ بالذى يَجِبُ من سياسة ذلك المقام ، وأرضَيْتَ مَنْ يَعْرِفَ حقوق الكلام — فلا تَهْتَمّ لِمَا فاتك من رضا الحاسد والعدوّ ، فإنه لا يُرْضِيهما شىء . وأما الجاهلُ فَلَسْتَ منه ، وليس منك . وقد كان يقال : (رِضاء الناس شىء لا يُنَال[(١)])

(٧) ولابْنِ المُعْتَزّ : أبلغُ الكلامِ : ما حَسُنَ إيجازُهُ ، وقَلَّ مَجازُهُ ، وكَثُرَ إعْجازُهُ ، وتناسَبَتْ صُدُورُه وأعْجازُهُ[(٢)] .

(٨) وسمع خالدُ بنُ صفْوان رجلاً يتكلّم ، ويكثِرُ الكلام

فقال : اعلم (رحمك الله) أن البلاغة ليست بخفّةِ اللّسان ، وكثرة الهَذَيان ، ولكنها بإصابة المعنى ، والقصدِ إلى الحُجّة[(٣)]

(٩) ولبِشْرِ بن المُعْتَمِر : فيما يجب أن يكون عليه الخطيب والكاتب رسالة من أنفس الرسائل الأدبية البليغة ، جمعت حدود البلاغة وصوّرتها أحْسَنَ تصوير ، وسنذكر مع شىء من الإيجاز ما يتصل منها بموضوعنا — قال :

خُذْ من نفسك ساعةَ نشاطكَ ، وفراغ بالكَ ، وإجابتها إيّاك ، فانّ قليلَ تلك الساعة أكْرَمُ جَوْهراً ، وأشرفُ حسباً ، وأحْسَنُ فى الأسماع ،

---

(١) البيان والتبيين جزء ١ ص ٩١ ، ٩٢

(٢) نهاية الأرب جزء ٧ ص ١١

(٣) مختار العقد الفريد ص ٩٨

وأحلى فى الصُّدُور ، وأسلمُ من فاحش الخطأ ، وأجْلَبُ لكل عَيْنٍ وغُرَّةٍ من لفظٍ شريف ، ومَعْنًى بديع .

واعلم أن ذلك أجْدَى عليك : مما يعطيك يَوْمُكَ الأطْوَلُ بالكَدِّ والمُطاوَلَة والمجاهَدَة ، وبالتكلُّفِ والمعاوِدة .

وإيَّاكَ والتَّوعُّرَ فانَّ التوعُّرَ يُسْلِمُكَ إلى التَّعقيد ، والتعقيد هو الذى يَستَهلك معانيكَ ويَشِين ألفاظك ، ومن أراد معنى كريماً فَلْيَلْتَمِسْ له لفظاً كريماً ، فإن حقَّ المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقِّهما أن تصونهما عما يفسدهما ويُهَجِّنُهُمَا . . . . . .

وكن فى ثلاث منازل : فان أولى الثلاث أن يكون لفظكَ رشيقاً عذباً وفَخْماً سهلاً ويكونَ معناك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً .

إمَّا عند الخاصة : إن كنت للخاصة قَصَدْتَ ، وإمَّا عند العامة : إن كنت للعامة أردْتَ . والمعنى ليس يَشْرُفُ بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يَتَّضعُ بأن يكون من معانى العامة . وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظُ العامّى والخاصى . فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ، ولطف مَداخلك ، واقتدارك على نفسك . على أن تُفْهِم العامة معانى الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسِعَةَ التى لا تَلْطُفُ عن الدَّهْماء ، ولا تَجْفُو عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام .

فان كانت المَنْزلة الأولى لا تُواتيك ولا تَعْتَرِيك ، وَلا تسنح لك عند أوّل نظرك ، وفى أوّل تكلّفك ، وتجد اللفظةَ لم تقع موقِعها ، ولم تصل إلى

قرارها وإلى حقِّها : من أماكنها المقسومة لها ، والقافيةَ لم تَحُلَّ فى مركزها وفى نصابها ، ولم تصل بشكلها ، وكانت قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها ، فلا تُكْرِهها على اغتصاب الأماكن ، والنزول فى غير أوطانها ، فانك إذا لم تتعاط قَرضَ الشعر الموزون ، ولم تتكلّف اختيار الكلام المنثور ، لم يَعِبكَ بتركِ ذلك أحد . وإن أنت تتكلّفته ، ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ، ولا مُحكِماً لسانك . بصيراً بما عليك أو مالكَ ـ عابك من أنت أقلُّ عيباً منه ، ورأى من هو دونكَ أنه فوقك

فإن ابتُليتَ بأن تتكلفَ القول ، وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة ، وتعصّى عليك بعد إجالة الفكرة ـ فلا تَعجَلْ ولا تَضجَرْ ودَعْه بياضَ يومك ، أو سوادَ ليلك ، وعاوِدْه عند نشاطك وفراغ بالك ، فإنك لا تَعدَمُ الاجابة والمُواتاة ، إن كانت هناك طبيعة ، أو جَريت من الصناعة على عرق .

فإن تَمنَّع عليك بعد ذلك من غير حادث شُغْلٍ عَرَض ، ومن غير طول إهمال ـ فالمنزلة الثالثة أن تتحوّل من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفّها عليك . . . ، لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرَّغْبَة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرَّهْبة ؛ كما تَجُود به مع المحبّة والشّهوة . فهكذا هذا .

وينبغى للمتكلم : أن يعرف أقدار المعانى ؛ ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسّم أقدار الكلام على أقدار المعانى ، ويقسّم أقدار المعانى على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .

وبعدُ ، فأنت ترى فيما قالوه : أن حدّ البلاغة — هو أن تجعل لكل مقام مقالا ، فتوجز : حيث يحسن الإيجاز ، وتطنب : حيث يجمل الإطناب ، وتؤكد : فى موضع التوكيد ، وتقدم أو تؤخر : إذا رأيت ذلك أنْسَبَ لقولك وأوفى بغرضك ، وتخاطب الذكى بغير ماتخاطب به الغبى ، وتجعل لكل حال ما يناسبها من القول ، فى عبارة فصيحة ، ومعنى مختار .

ومن هنا عرّفَ العلماء « البلاغة » بأنها : مطابقة الكلام لمقتضَى الحال مع فصاحة عباراته .

واعلم : أنّ الفرق بين الفصاحة والبلاغة : أن الفصاحةَ مقصورةٌ على وصف الألفاظ ، والبلاغةَ لاتكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعانى ؛ وأن الفصاحةَ تكون وصفاً للكلمة والكلام ، والبلاغةَ لا تكون وصفاً للكلمة ، بل تكون للكلام ؛ وأن فصاحة الكلام شرط فى بلاغته ؛

فكل كلام بليغ : فصيحٌ ، وليس كل فصيح بليغاً ، كالذى يقع فيه الإسهاب حين يجب الإيجاز .

تمرين

بيِّن الحال ومقتضاه فيما يلى

(١) هَناء محا ذاك العزاء المُقدّما فما عبس المحزونُ حتى تبسّما[١]

(٢) تقول للرّاضى عن إثارة الحروب (إن الحرب مُتْلِفَةٌ للعباد ، ذهّابةٌ[٢] بالطّارف والتّلاد)

---

(١) الحال هنا هو تعجيل المسرة — والمقتضى هو تقديم الكلمة الدالة على السرور — وهى « كلمة هناء »

(٢) الحال هنا هو إنكار الضرر من الحرب — والمقتضى هو توكيد الكلام

(٣) يقول الناس إذا رأوْا لِصاً أو حريقاً (لِصٌّ — حريقٌ)[١]

(٤) قال تعالى (وَأَنَّا لا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيد[٢] بِمَنْ فِى الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً)[٣]

(٥) يقول راثى البرامكة .

أُصِبْتُ بسادةٍ كانوا عيوناً بهم نُسْقَى إذا انقطَع الغمامُ

ملاحظات

(١) التَّنافر — يُعرف (بِالذَّوق) السَّليم ، والحِسِّ الصَّادق[٤]

---

(١) الحال هنا هو ضيق المقام — والمقتضى هو الاختصار بحذف المسند إليه والتقدير . هذا لص . هذا حريق

(٢) الحال فى (أشر أريد) هو عدم نسبة الشر إلى الله تعالى . والمقتضى هو حذف الفاعل ، إذ الأصل . أشر أراده الله بمن فى الأرض ؟

والحال فى (أم أراد بهم ربهم رشداً) هو نسبة الخير إلى الله تعالى ، والمقتضى بقاء الفاعل من غير حذف ، أى فعل الارادة جاء مع الشر على صورة المبنى للمجهول، ومع الرشد على صورة المبنى للعلوم ، والحال الداعية إلى بناء الأول للمجهول (التأدب) فى جانب الله تعالى بعدم نسبة الشر إليه صراحة ، وإن كان الخير والشر مما قدره الله تعالى وأراده ،

(٣) الحال هنا هو الخوف من (الرشيد) ناكب البرامكة ، والمقتضى حذف الفاعل من أصبت .

(٤) الذوق : فى اللغة الحاسة يدرك بها طعم المأكل — وفى الاصطلاح — قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية ، وتحصل بالمثابرة على الدرس ، وممارسة كلام أئمة الكتاب ، وتكراره على السمع ، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه — وأيضا تحصل بتنزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاق فان ذلك من أقوى أسباب سلامة الذوق .

واعلم أن (الذوق السليم) هو العمدة فى معرفة حسن الكلمات وتميز ما فيها من =

(٢) مخالفة القياس : تُعرف (بعلم الصَّرف)

(٣) ضعف التَّأليف والتَّعقيد اللَّفظى : يُعرفان (بعلم النحو)

(٤) الغرَابة : تُعرف بكثرة (الاطِّلاع) على كلام العرب ، والإحاطة بالمفردات المأنوسة

(٥) التَّعقيد المعنوى : يُعرف (بعلم البيان)

(٦) الأحوال ، ومقتضياتها : تُعرف (بعلم المعانى)

(٧) خُلوُّ الكلام من أوجه التَّحسين التى تكسوه رِقه ولَطافةً بَعْدَ رِعَايَةِ مُطابقته : يعرف (بعلم البديع)

فاذاً وجب عَلى طالب البلاغةِ : معرفة اللغة . والصَّرف . والنَّحو . والمعانى والبيان . والبديع — مع كونه سليمَ الذَّوق ، كثير الاطِّلاع على كلام العرب ، وصاحبَ خبرة وافرة بكُتُب الأدب ، ودِرَايةٍ تامَّة بعاداتهم وأحوالهم ، واستظهارٍ للجيِّد الفاخرِ مِن نَثرهم ونظمهم ، وعلم كامل بالنَّابغين من شعراء ، وخطباء ، وكُتَّاب — ممَّن لهم الأثر البيِّن فى اللُّغة والفضلُ الأكبرُ على اللسان العربى المبين .

أسباب و نتائج

يحسُن أيضاً بطالب البلاغة أن يَعْرِف شيئاً عن (الأسلوب) الذى هو

= وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه ، لأن الألفاظ أصوات ، فالذى يطرب لصوت البلبل ، وينفر من صوت البوم والغربان ، ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة متنافرة الحروف — ألا ترى أن كلمتى (المزنة والديمة — للسحابة الممطرة) كلتاهما سهلة عذبة يسكن إليهما السمع ، بخلاف كلمة (البعاق) التى فى معناهما فانها قبيحة تصك الأذن وأمثال ذلك كثير فى مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك — وقد سبق شرح ذلك .

المعنى المَصُوغ في ألفاظ مؤلَّفة على صورة تكون أقربَ لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعلَ في نفوس سامعيه

وأنواع الأساليب ثلاثة :

(١) « الأسلوب العلمي » وهو أهدأ الأساليب ، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السَّليم، والفكرِ المُستقيم، وأبعدُها على الخيال الشِّعْرِي . لأنه يخاطب العقل، ويُناجي الفكر، ويَشرحُ الحقائق العلميَّة التي لا تخلو من غموض وخفاء، وأظهرُ ميزات هذا الأسلوب « الوُضُوح » . ولا بدَّ أن يبدوَ فيه أثر القوة والجمال ؛ وقوَّته في سطوع بيانه ، ورصانةِ حُجَجه ، وجَماله في سُهُولةِ عباراته، وسلامة الذوق في اختيار كلماته ، وحسن تقريره المعنى في الأفهام، من أقرب وجوه الكلام .

فيجب أن يعْنَى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها الخالية من الاشتراك، وأن تُؤلَّف هذه الألفاظ في سُهولة وجلاء ، حتى تكون ثوْباً شفَافاً للمعنى المقصود، وحتى لا تصبح مثَاراً للظنون ، ومجالا للتَّوجيه والتأويل .

ويحسنُ التنحِّي عن المجاز ، ومُحسِّنات البديع في هذا الأسلوب ، إلاَّ ما يجيء من ذلك عفواً، من غير أن يَمَسَّ أصلا من أصوله أو ميزَةً من ميزاته

أمَّا التَّشبيه الذي يُقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام، وتوضيحها بذكر مماثلها ، فهو في هذا الأسلوب مقبول

(٢) « الأسلوب الأدبي » والجمال أبرزُ صفاته، وأظهر مُميِّزاته ومَنْشأ جماله، لما فيه من خيال رائع . وتصوير دقيق، وتلمّس لوجوه الشَّبه البعيدة بين الأشياء . وإلباس المعنويِّ ثوبَ المحسوس ، وإظهار المحسوس في صورة المعنويِّ

هذا - ومن السَّهل عليك : أن تعرف أنَّ الشِّعر والنثر الفنِّىَّ هما موطنا هذا الأسلوب ، ففيهما يزدهر ، وفيهما يبلغ قنَّة الفنِّ والجمال

(٣) « الأسلوب الخطابى » هنا تبرز قوَّة المعانى والألفاظ ، وقوة الحجَّة والبرهان ، وقوة العقل الخصيب ، وهنا يتحدَّث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم ، واستنهاض هممهم ، ولجمال هذا الأسلوب ووضوحه ، شأنٌ كبير فى تأثيره ، ووصوله إلى قرارة النفوس ، وممَّا يزيد فى تأثير هذا الأسلوب ، منزلة الخطيب فى نفوس سامعيه ، وقوة عارضته ، وسطوع حجَّته ، ونبرات صوته ، وحسن إلقائه ، ومحكم إشاراته

ومن أظهر مميزات هذا الأسلوب « التكرار » ، واستعمال المترادفات وضرب الأمثال ، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرَّنين

ويحسن فيه أن تتعاقب ضروب التَّعبير — من إخبار ، إلى استفهام ، إلى تعجُّب ، إلى استنكار ، وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية ، ثم واضحةً قويةً

ويظنّ النَّاشئون فى صناعة الأدب أنه كلَّما كثُر المجاز وكثرت التَّشبيهات . والأخيلة . فى هذا الأسلوب — زاد حسنه

وهذا خطأ بيِّن ، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأسلوب أكثر من التَّكلُّف ، ولا يفسده شرٌّ من تعمُّد الصِّناعة

علم المعانى

إنَّ الكلام البليغ : هو الذى يُصَوِّره المتكلم بصورة تناسب أحوالَ المخاطبين ، وإذاً لابُدّ لطالب البلاغة أن يدرس هذه الأحوال ، وَيعْرِف ما يجب أن يُصَوِّر به كلامه فى كل حالة ، فيجعل لكل مقام مقالا

وقد اتفق رجال البيان على تسمية العلم الذى تُعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يُطابقُ اقتضاء الحال : باسم « علم المعانى[1] »

---

(١) قال بعض العلماء — المعانى المتصورة فى عقول الناس المتصلة بخواطرهم ، خفية بعيدة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه ، ولا مراد شريكه ولا المعاون له على أمره . إلا بالتعابير التى تقربها من الفهم ، وتجعل الخفى منها ظاهرا والبعيد قريبا ، فهى تخلص الملتبس ، وتحل المنعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقا والمجهول معروفا ، والوحشى مألوفا ، وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة يكون ظهور المعنى ، والعاقل يكسو المعانى فى قلبه ، ثم يبديها بألفاظ عرائس فى أحسن زينة . فينال المجد والفخار ، ويلحظ بعين العظمة والاعتبار . والجاهل يستعجل فى إظهار المعانى قبل العناية بتزيين معارضها ، واستكمال محاسنها ، فيكون بالذم موصوفا . وبالنقص معروفا ، ويسقط من أعين السامعين . ولا يدرج فى سلك العارفين .

واعلم أن الأصل فى اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه ؛ ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كما جاء فى القرآن « وثيابك فطهر » فان الظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس . وهذا لا بد له من دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ .

واعلم أيضاً أنه يجب صناعة على معانى المعانى أن يرجح المعانى بحيث يرجح بين حقيقة ومجاز — أو بين حقيقتين ، أو مجازين

تعريف علم المعانى . وموضوعه . وواضعه

(١) علم المعانى أصولٌ وقواعِد يُعرف بها أحوال الكلام العربى التى يكون بها مُطابقاً لمُقْتضَى الحال[١] بحيث يكون وِفقَ الغرَضِ الذى سِيقَ له .

فذكاء المُخاطب : حال تقتضِى إيجاز القول ، فاذا أوْجزتَ فى خطابه وكان كلامك مطابقا لمقتضى الحال ، وغباوته حال تقتضى الإطناب والإطالة — فاذا جاء كلامك فى مخاطبته مُطنباً : فهو مطابق لمُقْتَضى الحال ، ويكون كلامك فى الحالين بليغا ، ولو أنك عكستَ لانْتفتْ من كلامك صفة البلاغة .

(٢) وَموضوعه — اللَّفْظُ العربى ، من حيثُ إفادتُه المعانى الثَّوانى[٢] التى هى الأغراضُ المقصودةُ لِلمتكلم ، من جعل الكلامِ مشتملا على تلك اللَّطائف والخصوصيَّات ، التى بها يُطابِقُ مُقتضَى الحال

(١) الحال هو الأمر الداعى المتكلم إلى إيراد خصوصية فى الكلام ، وتلك الخصوصية هى مقتضى الحال — مثلا إن كان بينك وبين مخاطبك عهد بشىء . فالعهد حال يقتضى إيراد الكلام معرفا ، والتعريف هو مقتضى الحال ، فالحال هو ما بعد لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية كقولك فى الذكر : لكون ذكره الأصل وفى الحذف : حذف للاستغناء عنه — وهلم جرا

(٢) أى والمعانى الأول — مايفهم من اللفظ بحسب التركيب . وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتنكير : قال بعض أهل المعانى الكلام الذى يوصف بالبلاغة ، هو الذى يدل بلفظه على معناه اللغوى . أو العرفى أو الشرعى — ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المعنى المقصود الذى يريد المتكلم إثباته أو نفيه — فهناك ألفاظ ومعان أول — ومعان ثوان — فالمعانى الاول هى مدلولات التركيب ، والالفاظ التى تسمى فى علم النحو أصل المعنى — والمعانى الثوانى الاغراض التى يساق لها الكلام ولذا قيل (مقتضى الحال) هو المعنى الثانى كرد الانكار ودفع الشك — مثلا إذا قلنا إن زيداً قائم . فالمعنى الأول هو القيام المؤكد . والمعنى الثانى هورد الانكار . ودفع

(٣) وفائدته : (ا) معرفة إعجاز القرآن الكريم ، من جهة ماخصه الله به من جودة السبك ، وحسن الوصف ، وبراعة التراكيب ، و لطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سهولة التركيب ، وجزالة كلماته ، وعذوبة ألفاظه وسلامتها — إلى غير ذلك من محاسنه التى أقعدت العربَ عن مناهضته ، وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته

(ب) والوقوفُ على أسرار البلاغة والفصاحة : فى منثور كلام العرب ومنظومه ، كى تحتذىَ حذوه ، وتَنسُجَ على منواله ، وتفرقَ بين جيِّد الكلام ورديئه

(٤) وواضعه ـ الشيخ (عبد القادر الجرجانى) المتوفى سنة ٤٧١ ﻫ[1]

(٥) واستمداده — من الكتاب الشريف ، والحديث النبوى وكلام العرب

= الشك بالتوكيد ـ وهلم جرا ـ والذى يدل على المعانى خمسة اشياء : اللفظ والاشارة والكتابة ، والعقد ، والحال

(١) اعلم أنه لما احتدم الجدل صدر الدولة العباسية ، إبان زهو اللغة وعزها فى بيان وجوه إعجاز القرآن . وتعددت نزعات العلماء فى ذلك .

ولما قامت سوق نافقة للمناظرة بين أئمة اللغة والنحو . انصار الشعر القديم الذين جنحوا إلى المحافظة على أساليب العرب ، ورأوا الخير كله فى الوقوف عند أوضاعهم .

وبين الأدباء . والشعراء أنصار الشعر الحديث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم وآمنوا بان للحضارة التى غذوا بلبانها آثاراً ، غدوا معها فى حل من كل قديم ولما شجر الخلاف بين أساطين الأدب فى بيان جيد الكلام ورديئه

دعت هذه البواعث ولفتت أنظار العلماء إلى وضع قواعد وضوابط يتحاكم إليها الباحثون . وتكون دستوراً للناظرين فى آداب العرب (المنثور منها والمنظوم)

لا نعلم أحداً سبق أبا عبيدة بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ ﻫ تلميذ الخليل بن أحمد فى تدوين كتاب فى علم البيان يسمى (مجاز القرآن) كما لا نعرف بالضبط أول من =

واعلم أنَّ المعَانى جمعُ معنًى ؛ وهو فى اللغة المقصود

وفى اصطلاح البيانيِّين — هو التَّعبير باللَّفْظِ عمَّا يَتصوَّره الذّهن ، أوهو الصورة الذّهْنِيَّة : من حيثُ تُقصدُ مِن اللَّفْظ

واعلم أنَّ لكل جملة رُكنين

مسنداً — ويسمى محكوما به — أو مُخبراً به

ومسنداً إليه ، ويُسمى محكوما عليه — أو مُخبرا عنه

وأمَّا النِّسبة التى بينهما فتُدْعَى « إسناداً »

وما زاد على المسند والمسند إليه من مفول . وحال . وتمييز . ونحوها ـ

= ألف فى علم المعانى — وإنما أثر فيه نبذ عن بعض البلغا. كالجاحظ فى كتابه « إعجاز القرآن »

وابن قتيبة فى كتابه « الشعر والشعراء » — والمبرد فى كتابه « الكامل »

ولكن نعلم أن أول من ألف فى البديع (الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسى) المتوفى سنة ٢٩٦ ﻫ .

وما زالت هذه العلوم تسير فى طريق النمو ، حتى نزل فى الميدان الامام (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى) المتوفى سنة ٤٧١ ﻫ فشمر عن ساعد الجد ، فدون كتابيه — أسرار البلاغة — ودلائل الاعجاز — وقرن فيهما بين العلم والعمل ، ثم جاء إثر عبد القاهر — (جار الله الزمخشرى) ، فكشف فى تفسيره « الكشاف » عن وجوه إعجاز القرآن ، وأسرار بلاغته ، وأوضح ما فيه من الخصائص والمزايا ، وقد أبان خلالها كثيرا من قواعد هذه الفنون — ثم نهض بعده (أبو يعقوب يوسف السكاكى) المتوفى سنة ٦٢٦ ﻫ فجمع فى القسم الثالث من كتابه « المفتاح » مالا مزيد عليه . وجاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون ويضعون مؤلفاتهم حسب ما تسمح به مناهج التعليم للمتعلمين فى كل قطر من الأقطار حتى غدت أشبه بالمعميات والألغاز

فهو قيد زائد على تكوينها ـ إلاّ صلةَ الموصول ، والمضاف إليه[١]

« والإسناد » انضمام كلمة[٢] « المُسند » إلى أُخرى[٣] « المُسند إليه » على وَجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى : ثبوتاً — أو نفياً

نحو : الله واحدٌ لاشريك له

ومواضع المسند ثمانية :

(١) خبر المبتدأ ـ نحو « قادرٌ » من قولك ـ اللهُ قادرٌ

(٢) والفعل التام ـ نحو « حضر » من قولك ـ حضر الأمير

(٣) واسم الفعل ـ نحو « هيهات ـ وَوَىْ ـ وآمينَ »

(٤) والمبتدأ الوصف المُستغنِي عن الخبر بمرفوعه ـ نحو « عارف » من قولك أعارفٌ أخوك قدرَ الإنصاف

---

(١) اعلم أن الجمل ليست فى مستوى واحد عند أهل المعانى ، بل منها جمل رئيسية وجمل غير رئيسية . والأولى هى المستقلة التى لم تكن قيداً فى غيرها ، والثانية ما كانت قيدا إعرابيا فى غيرها ، وليست مستقلة بنفسها

والقيود هى : أدوات الشرط . والنفى . والتوابع . والمفاعيل . والحال والتمييز وكان وأخواتها . وإن وأخواتها . وظن واخواتها — كما سيأتى

(٢) أى ـ ومايجرى مجراها

(٣) أى ـ ومايجرى مجراها — كما سيأتى

(تنبيه) الإسناد : مطلقا قسمان حقيقة عقلية ، ومجاز عقلى — فالحقيقة العقلية هى إسناد الفعل أو مافى معناه إلى ماوضع له عند المتكلم فى الظاهر من حاله نحو : تجرى الأمور بما لايشتهى البشر . وأنبت الله النبات . والمجاز العقلى (ويسمى إسنادا مجازيا . ومجازاً حكمياً . ومجازا فى الاسناد) هو إسناد الفعل أو مافى معناه إلى غير ماوضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الاسناد إلى ماهوله نحو — تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن — وله علاقات شتى فيلائم الفاعل لوقوعه منه نحو سيل مفعم =

(٥) وأخبار النَّواسخ « كان ونَظَائرُها ـ وإن ونظائرُها »

(٦) والمفعول الثانى ـ لظنّ وأخواتها

(٧) والمفعول الثالث ـ لأرَى وأخواتها .

(٨) والمصدر النّائب عن فعل الأمر ـ نحو « سعياً فى الخير » ومواضع المسند إليه ستة :

= بفتح العين أى مملوء — فاسناد مفعم وهو مبنى للمفعول إلى ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلى ملابسته الفاعلية — ويلائم المفعول به لوقوعه عليه نحو عيشة راضية : فاسناد راضية وهو مبنى للفاعل إلى ضمير العيشة وهى مفعول به (مجاز عقلى) ملابسته المفعولية — ويلائم الزمان والمكان لوقوعه فيهما نحو صام نهار . وسال الميزاب . ونهار صائم . ونهر جار ، ويلائم المصدر نحو جد جده . ويلائم السبب نحو بنى الأمير المدينة — وكما يقع المجاز العقلى فى الاسناد يقع فى النسبة الاضافية : كمكر الليل . وجرى الانهار : وشقاق بينهما

وغراب البين (على زعم العرب) وفى النسبة الايقاعية : نحو (وأطيعوا أمرى ولا تطيعوا أمر المسرفين) ، وأجريت النهر — وكما يكون فى الاثبات يكون فى النفى نحو قوله تعالى فما ربحت تجارتهم ، وما نام ليلى — على معنى خسرت تجارتهم ، وسهر ليلى قصداً إلى إثبات النفى ، لا نفى الاثبات — ويكون أيضاً فى الانشاء كما سبقت الاشارة إليه نحو قوله تعالى أصلاتك تأمرك ونحو ياهامان ابن لى صرحا ، وليصم نهارك . وليجد جدك ، وليت النهر جار — وما أشبه ذلك

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيتهما أربعة — لأنهما إما حقيقتان لغويتان نحو أنبت الربيع البقل — أو مجازان لغويان نحو أحيا الأرض شباب الزمان ، إذ المراد باحياء الارض تهييج القوى النامية فيها ، وإحداث نضارتها بأنواع الرياحين ، والاحياء فى الحقيقة اعطاء الحياة ، وهى صفة تقتضى الحس والحركة وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية ، وهو فى الحقيقة عبارة عن كون الحيوان فى زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أى قوية مشتعلة — أو المسند حقيقة لغوية والمسند إليه مجازى لغوى : نحو أنبت البقل شباب الزمان — أو المسند إليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوى نحو أحيى الارض الربيع : ووقوع المجاز العقلى فى القرآن كثير : نحو

(١) الفاعلُ « للفعل التّام أو شبهه » نحو « فؤاد - وأبوه » من قولك حضر فؤادٌ العالمُ أبوه .

(٢) وأسماء النّواسخ : كان وأخواتها ، وإنّ وَأخواتها - نحو « المطرُ » من قولك - كان المطرَ غزيراً ، ونحو : إنّ المطر غزير .

(٣) وَالمبتدأ الذى له خبر - نحو « العلم » من قولك : العلم نافع .

(٤) والمفعول الأول - لظنّ وأخواتها

(٥) والمفعول الثانى - لأرَى وأخواتها .

ماتقدم ، ونحو وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وينزع عنهما لباسهما . وأخرجت الأرض أثقالها ، فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا

ولا بد له من قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلى لأن الفهم لولا القرينة يتبادر إلى الحقيقة - والقرينة إما لفظية وإما معنوية فاللفظية كقولك هزم الأمير الجند وهو فى قصره ، والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند إليه المذكور معه عقلا بمعنى أنه لو خلى العقل و نفسه عدذلك القيام محالا كقولك محبتك جاءت بى إليك . لاستحالة قيام المجىء بالمحبة عقلا ، وكاستحالة ماذكر عادة نحو هزم الأمير الجند لاستحالة قيام هزيمة الجند بالامير وحده عادة ، وإن أمكن عقلا ، وكأن يصدر من الموحد : نحو

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشى

فأن صدور ذلك من الموحد قرينة معنوية على إن إسناد أشاب وأفنى إلى كر الغداة ومر العشى مجاز ، ثم هذا غير داخل فى الاستحالة إذ قد ذهب إليه كثير من المبطلين ولا يجب أن يكون فى المجاز العقلى للفعل فاعل يعرف الاسناد اليه حقيقة . بل تارة يكون له فاعل ، يعرف إسناده اليه حقيقة كما تقدم ، وتارة لا - نحو قوله .

يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظراً

فان اسناد الزيادة للوجه مجاز عقلى وليس لها أى الزيادة فاعل يكون الاسناد اليه معروفا حقيقة ، ومثله سرتنى رؤيتك وأقدمنى بلدك حق لى عليك ، فهذه الأمثلة ونحوها من المجاز العقلى الذى لافاعل له يعرف الاسناد اليه حقيقة . كما قال الشيخ (عبدالقاهر) - وقيل لا بد له من فاعل يعرف الاسناد اليه حقيقة ، ومعرفته إما ظاهرة نحو (فما ربحت تجارتهم) أى فما ربحوا فى تجارتهم - وإما خفية كهذه الأمثلة والفاعل

(٦) ونائب الفاعل — كقوله تعالى (وَوُضِعَ الكتابُ)

ثم إن المسند والمسند إليه يتنوّعان إلى أربعة أقسام :

(١) إمّا أن يكونا كلمتين حقيقة — كما ترى فى الأمثلة السالفة .

(٢) وإمّا أن يكونا كلمتين حُكماً — نحو « لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ يَنجو قائلها من النّار » أى « توحيدُ الإلٰهِ نجاةٌ من النّار » .

(٣) وإما أن يكونَ المسند إليه كلمة حكما ، والمسند كلمة حقيقة نحو « تسمعُ بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ مِنْ أنْ ترَاهُ » أى « سماعك بالمعيدى خير من رؤيته »

(٤) وإمّا بالعكس - نحو « الأمير قرُبَ قدُومه »[1] أى الأمير « قريب قدومه »

ويُسَمَّى المُسند — والمسند إليه : رُكنى الجملة .

وكل ماعداهما يُعتبر قيداً زائداً عليها - كما سبق الكلام عليه .

وينحصر (علم المعانى) فى ثمانية أبواب - وخاتمة .

= الله تعالى ، هذا — وقد أنكر (السكاكى) المجاز العقلى ذاهبا إلى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة فى سلك الاستعارة بالكناية فنحو أنبت الربيع البقل بجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقى بواسطة المبالغة فى التشبيه ، ويجعل نسبة الانبات اليه قرينة الاستعارة وسيأتى مذهبه ، ان شاء الله تعالى فى فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية .

(تنبيه) ذكر بعض المؤلفين (مبحث المجاز العقلى والحقيقة العقلية) فى أحوال الاسناد من علم المعانى .

وبعضهم ذكرهما فى فن البيان عند تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز ولكل وجهة

(١) فى الأول يؤول — سماعك بالمعيدى خير — وفى الثانى — الأمير قريب قدومه ، وفى نحو . لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار — عدم شريك للمولى نجاة من النار

الباب الأول

فى تقسيم الكلام الى خبر وانشاء

« وفى هذا الباب ثلاثة مباحث »

المبحث الاول في حقيقة الخبر

الخبرُ : كلامٌ يحتملُ الصِّدْقَ والكذب لذاته[1] .

وان شئت فقل « الخبرُ هو ما يتحقق مدلولهُ فى الخارج بدون النُّطق به » نحو : العلم نافعٌ ، فقد أثبتنا صفة النَّفع للعلم ، وتلكَ الصِّفة ثابتة له (سواء تلفّظت بالجملة السابقة أمْ لم تتلفّظ) لأنّ نفعَ العلم أمرٌ حاصل فى الحقيقة والواقع ، وإنما أنت تحكى ما اتَّفق عليه الناس قاطبة ، وقضتْ به الشَّرائعُ ، وهدتْ إليه العقولُ ، بدون نظر إلى إثبات جديد .

والمراد : بصدق الخبر مُطابقته للواقع ونفس الأمر

والمراد بكذبه عدم مطابقته له

فجملة : العلم نافع ـ ان كانت نِسبته الكلاميَّة (وهى ثبوت النَّفع

---

(١) أى بقطع النظر عن خصوص المخبر . أو خصوص الخبر ـ وإنما ينظر فى احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله : وذلك لتدخل الأخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى ، وأخبار رسله . والبديهيات المألوفة ـ نحو السماء فوقنا ـ والنظريات المتعين صدقها . ولاتحتمل شكا كاثبات العلم والقدرة للمولى سبحانه وتعالى ـ ولتدخل الأخبار الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين فى دعوى النبوة .

للعلم) المفهومة من تلك الجملة مُطابقةً للنسبة الخارجيّة – أى موافقة لِما فى الخارج والواقع « فصدقٌ » وإلاّ « فكذب » نحو « الجهل نافع » فنسبته الكلامية ليست مُطابقة ومُوافقة للنّسبه الخارجيّة (١)

المقاصد والاغراض التى من أجلها يلقى الخبر

الأصل فى الخبر أن يُلقى لأحد غرضين :

(ا) إمّا إفادة المُخاطب الحُكم الذى تَضمَّنته الجملة ، اذا كان جاهلا له ، ويُسمَّى هذا النوع « فائدة الخبر » نحو « الدِّينُ المعامَلَةُ »

(ب) وإمّا إفادة المُخاطب أنّ المتكلمَ عالمٌ أيضاً بأنه يَعلم الخبر كما تقولُ : لتلميذ أخفى عليك نجاحه فى الامتحان — وعلمتَه من طريق آخر : أنتَ نجحت فى الامتحان ، ويسمى هذا النوع

« لازمَ الفائدة » لأنه يَلزمُ فى كلّ خبر أن يكون المُخبر به عنده علمٌ أو ظنٌّ به .

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السّابقين الى أغراض أخرى تُستفادُ بالقرائن ، ومن سياق الكلام : أهمُّها

---

(١) فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتا ونفيا صدق — وعدم المطابقة كذب — فالنسبة التى دل عليها الخبر وفهمت منه تسمى كلامية . والنسبة التى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية — فحينئذ هناك نسبتان نسبة تفهم من الخبر . ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية — ونسبة أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى النسبة الخارجية .

فما وافق الواقع فهو صدق ، وما خالف الواقع فهو كذب .

(١) الاسترحامُ والاستعطافُ ، نحو ـ إنّي فقير إلى عفو ربي [١]

(٢) وتحريكُ الهمّة إلى ما يلزمْ تحصيلهُ ، نحو : ليس سوَاءٌ عالمٌ وجهُولُ .

(٣) وإظْهار الضّعف والخُشوع . نحو « ربِّ إنى وَهَنَ العظمُ منِّى »

(٤) وإظهار التحسُّر على شيء محبوب نحو « ربِّ إنى وَضَعتها أُنْثَى »

(٥) وإظهار الفرَح بمقبل ـ والشّماتة بمُدْبر ، نحو « جاء الحق وزهق الباطل »

(٦) والتّوبيخ كقولكَ للعاثِر : « الشّمس طالعةٌ »

(٧) والتّذكير بما بين المراتب من التّفاوت ـ نحو : « لا يستوى كسلان ونشيط » .

(٨) والتّحذير ـ نحو « أبغضُ الحلال إلى اللهِ الطلاقُ »

(٩) والفخر نحو : إن اللهَ اصطفانى من قُريش .

(١٠) والمدح كقوله :

فانك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وقد يجيء لأغراض أخرى ـ والمرجع فى معرفة ذلك إلى الذوق والعقل السليم .

---

(١) فليس الغرض هنا إفادة الحكم . ولا لازم الفائدة ، لأن الله تعالى عليم ولكنه طلب عفو ربه . ولهذا ترى فى الكلام العربى أخباراً كثيرة لا يقصد بها إفادة المخاطب الحكم . ولا أن المتكلم عالم به ، فتكون قد خرجت عن معناها الأصلى السالف ذكره إلى أغراض أخرى .

تمرين

عيِّن الأغراض المستفادة من الخبر في الأمثلة الآتية :

(١) قال تعالى : « لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

(٢) وقال تعالى : « عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ! وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى ، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى » .

(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « عَدْلُ سَاعَةٍ فِي حُكُومَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً .

(٤) وقال : إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَهُ اللهُ فِي حُكْمِهِ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ الجَوْرَ فِي عَدْلِهِ .

(٥) ومن خطبة له عليه الصلاة والسلام بمكة حين دعاقومه إلى الإسلام : إِنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، واللهِ لو كَذَبْتُ النَّاسَ ما كَذَبْتُكُم ولو غَرَرْتُ الناسَ ما غَرَرْتُكُم ، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقًا ، وإلى النَّاس كافَّةً .

(٦) وقال الشريف الرضى :

جار الزمانُ فلا جوادٌ يُرْتَجى للنائبات ولا صديقٌ يُشْفِقُ

وإذا الحليم رمى بسرٍّ صديقِه عَمْداً فأَوْلى بالوداد الأحمقُ

(٧) وقال المعرى :

عرفتُ سجايا الدهر ، أمّا شرورُهُ فنقدٌ ، وَأمّا خيره فَوُعُودُ

(٨) وقال :

رأيت سكوتى مَتْجراً فلزمْتُهُ إذا لم يُفِدْ ربحاً فلستُ بخاسرِ

(٩) وقال أيضاً :

أرى وَلَدَ الفتى عِبئاً عليه لقد سعد الذى أمسى عقيما

فإما أن يربِّيهُ عدوّاً وإما أن يُخلِّفَهُ يتيما

(١٠) قال ابن حيُّوس مادحاً :

بَنِى صالحٍ أقْصَدْتُمُ من رميتُمُ وأحييتُمْ من أمَّ معروفكم قصداً

وَذَلَّلْتُمُ صَعْبَ الزمان لأهلِهِ فَذَلَّ وقد كان الجماحَ له وكْدا

مَنَاقِب لو أنّ الليالى توشّحت بأذيالها لا بيضَّ منهن ما اسودا

(١١) وقال أبو فِراس .

صبرت على اللأْوَاء صَبْرَ ابنِ حُرَّةٍ كثيرِ العِدا فيها قليلِ المُساعِدِ

مَنَعْتُ حِمَى قومى وسُدْتُ عشيرتى وقَلَّدْتُ أهلى غُرَّ هذى القلائدِ

المبحث الثانى

فى كيفية إلقاء المُتكلّم الخبر للمُخاطب

حيث كان الغرضُ من الكلام الإفصاحَ والإظهارَ ، يجب أن يكون المُتكلم مع المخاطب كالطّبيب مع المريض ، يشخّص حالتَه ، ويعطيه ما يناسبها .

فحقّ الكلام : أن يكون بقدر الحاجة ، لا زائداً عنها ، لِئلاّ يكون عبثاً ، ولا ناقصاً عنها ، لِئلاّ يُخِلّ بالغرض ، وهو (الإفصاح والبيان)[١]

لهذا — تختلف صُور الخبر فى أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذى يَعتريه ثلاث أحوال :

أولا — أن يكون المخاطب خالىَ الذّهن من الخبر . غير مُتردِّد فيه . ولا منكر له — وفى هذه الحال لا يؤكد له الكلام ، لعدم الحاجة إلى التوكيد

نحو قوله تعالى — المال والبنونَ زينة الحياة الدُّنيا .

ويُسمّى هذا الضرب من الخبر (ابتدائياً) ويُستعمل هذا الضّرب حين يكون المخاطب خالى الذهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمُصادفته إيّاه خالياً[٢]

---

(١) كتب معاوية إلى أحد عماله . فقال : لا ينبغى لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة ، لا نلين جميعا ، فيمرح الناس فى المعصية ولا نشتد جميعا ، فنحمل الناس على المهالك ، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة .

وكتب أبو العباس السفاح فقال : لأعملن اللين حتى لا ينفع إلا الشدة ولأكرمن الخاصة ما أمنتهم على العامة ، ولأغمدن سيفى حتى يسله الحق ، ولأعطين حتى لا أرى للعطية موضعا .

(٢) عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

ثانياً — أن يكون المُخَاطب مُتردّداً فى الخبر ، طالباً الوصول لمعرفته ، والوقوف على حقيقته فيُستحسنُ تأكيدُ[1] الكلام المُلْقَى إليه تقوية للحُكم ، ليتمكّنَ من نفسه ، ويَطرحَ الخِلاف وراء ظهره ، نحو — إن الأميرَ مُنتصرٌ .

ويُسمَّى هذا الضَّرب من الخبر (طَلبياً) ويُؤتى بالخبر من هذا الضَّرب حين يكون المخاطب شاكّاً فى مدلول الخبر ، طالباً التثبُّت من صدقه

ثالثاً — أن يكونَ المخاطب مُنكراً للخبر الذى يُراد إلقاؤه إليه ، مُعتقداً خلافه ، فيجب تأكيدُ الكلام له بمُؤكّد . أو مؤكّدَين

أوْ أكثرَ ، على حسب حاله من الانكار ، قوةً — وضعفاً

نحو : إنّ أخاكَ قادمٌ — أو إنه لقادم — أو والله إنه لقادم

أو لعمرى : إنّ الحقَّ يَعلو ولا يُعلَى عليه

ويُسمَّى هذا الضَّرب من الخبر (إنكارِياً) ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب مُنكِراً

واعلم أنه كما يكون التأكيد فى الاثبات ، يكون فى النّفى أيضاً : نحو : ما المُقتَصد بمُفتقر ، ونحو : واللهِ ما المُستشير بنادم

---

(١) المراد بالتأكيد فى هذا الباب تأكيد الحكم ، لا تأكيد المسند إليه ولا تأكيد المسند .

واعلم أن الخطاب بالجلة الاسمية وحدها آكد من الخطاب بالجلة الفعلية — فإذا أريد مجرد الاخبار أتى بالفعلية — واما ان أريد التأكيد فبالاسمية وحدها — أو بها مع إن — أو بهما وباللام ، أو بالثلاثة والقسم . واعلم أن لام الابتداء هى الداخلة على المبتدأ . واللاحقة للخبر — كما ان السين وسوف لا تفيدان التوكيد إلا إذا كانت للوعد أو الوعيد .

تنبيهات

الأول : لتوكيد الخبر أدوات كثيرة ، وأشهرها إنّ ، وأنّ ، ولامُ الابتداء ، وأحرفُ التنبيه ، والقسمُ ، ونونا التوكيد ، والحروف الزائدة (كتفعّل واستفعل) والتكرارُ ، وقد ، وأمّا الشّرطيّة ، وإنّما ، وإسمية الجملة ، وضميرُ الفصل ، وتقديم الفاعل المعنوى .

الثانى : يُسمّى إخراجُ الكلام على الأضرُب الثّلاثة السّابقة إخراجاً على مُقتضى ظاهر الحال (١) .

وقد تقتضى الأحوالُ العدُولَ عن مُقتضى الظّاهر ويُورَد الكلامُ على خلافه لاعتباراتٍ يلحظها المُتكلِّم (وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة)

(١) منها : تنزيلُ العالِم بفائدة الخبر ، أو لازمها ، أو بهما معاً ـ منزلةَ الجاهل بذلك ، لعدم جَريهِ على مُوجبِ علمه . فيُلقى إليه الخبْرُ كما يُلقَى إلى الجاهل به ، كقولك : لمن يَعلم وجوبَ الصّلاة ، وهو لا يُصلّى « الصّلاةُ واجبةٌ » توبيخاً له على عدم عمله بمقتضَى علمه ، وكقولك ، لمن يُؤْذِى أباه ـ هذا أبوك .

---

(١) اعلم أن (الحال) هو الأمر الداعى إلى إيراد الكلام مكيفا بكيفية ما سواء أكان ذلك الأمر الداعى ثابتا فى الواقع ، أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كتنزيل المخاطب غير السائل منزلة السائل

(وظاهر الحال) هو الأمر الداعى إلى إيراد الكلام مكيفا بكيفية مخصوصة بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعى ثابتا فى الواقع فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال ، وليس كل كيفية اقتضاها الحال اقتضاها ظاهره

(٢) ومنها تنزيل خالى الذّهن منزلة السّائل المتردّد ، إذا تقدّم فى الكلام ما يُشير إلى حُكم الخبر كقوله تعالى « وما أُبرِّىء نفسى إنّ النفس لأمّارة بالسّوء » فدخول إنّ مؤكِّد لمضمون ما تقدّمه ، لإشعاره بالتّردّد فيما تضمّنه مدخولها ـ وكقوله تعـــالى « ولاَ تخاطِبْنى فى الذين ظلمُوا إنّهم مُغْرَقون » .

لمّا أمر المولى « نوحاً » أوّلاً بصنْع الفُلك ، ونهاه ثانيا عن مُخاطبته بالشّفاعة فيهم ، صار مع كونه غيرَ سائل فى مَقام السّائل المُتردّد (١) .

هل حكَم الله عليهم بالاغراق ؟؟ فأجيبَ بقوله « إنّهم مغرقون »

(٣) ومنها : تنزيل غيرِ المُنكر منزلة المُنكر : إذا ظهر عليه شىء من أمارات الإنكار ؛ كقول حَجَل بن نَضْلَة القَيسى « من أولاد عمّ شَقيق »

جاءَ شَقِيقٌ عارضاً رُمحَهُ إنّ بَنى عمّكَ فيهم رِماحُ

---

(١) أى فصار الكلام مظنة للتردد والطلب وإن لم يتردد المخاطب ، ولم يطلب بالفعل ، وذلك لأنه تكاد نفس الذكى إذا قدم لها مايشير إلى جنس الخبر أن تتردد فى شخص الخبر ، وتطلبه من حيث أنها تعلم أن الجنس لا يوجد إلا فى فرد من أفراده فيكون ناظراً إليه بخصوصه كأنه متردد فيه كنظر السائل ـ فقوله ـ ولا تخاطبنى يشير إلى جنس الخبر وأنه عذاب ـ وقوله إنهم مغرقون ـ يشير إلى خصوص الخبر الذى أشير إليه ضمنا فى قوله ولا تخاطبنى ـ وكقول الشاعر :

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجانى عتاب

فالأصل ـ أن يورد الخبر هنا خاليا من التوكيد، لأن المخاطب خالى الذهن من الحكم ، ولكن لما تقدم فى الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متشوقا لمعرفته فنزل منزلة السائل المتردد الطالب ، واستحسن إلقاء الكلام إليه مؤكداً جريا على خلاف مقتضى الظاهر

(فشقيقٌ) رَجلٌ لا يُنكر رماحَ بَنِي عمِّه ، ولكنْ مجيئه على صورة المعجب بشجاعته ، واضعاً رُمحَه على فخذيه بالعرض وهو راكب أو حاملا له عرضاً على كتفه فى جهة العدوُّ بدون اكتراثه به ، بمنزلة انكاره أنَّ لِبنِى عمّه رماحاً ، ولن يجِد منهم مُقاوِماً له كأنّهم كلّهم فى نظره عُزْلٌ ، ليس مع أحد منهم رُمحٌ .

فأُكّد له الكلامُ استهزاء به ، خُوطبَ خِطاب التفاتٍ بعد غيبةٍ تهكّما به ، ورمياً له بالنَّزَق وخُرق الرَّأى

(٤) ومنها تنزيل المُتردِّد[1] منزلة الخالى ، كقولك للمُتردِّد فى قدوم مسافر مع شهرته (قدم الأمير)

(٥) ومنها تنزيل المُتردِّد منزلة المُنكر ، كقولك للسّائل المستبعد لحصول الفرج (إنّ الفرج لقريبٌ) .

(٦) ومنها تنزيل المُنكر منزلة الخالى ، إذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأمّلها لارْتدع وزال إنكاره ، كقوله تعالى (وإلهكم إله واحد)

وكقولك لمن يُنْكر مَنفعة الطبِّ (الطِّبّ نافعٌ)

(٧) ومنها تنزيل المُنكر منزلة المُتردِّد ، كقولك لمن يُنكر (شرف الأدب) إنكاراً ضعيفاً « إنّ الجاه بالمال : إنّما يصحبك ما صحبك المال

---

(١) وفائدة التنزيل وجوب زيادة التأكيد قوة وضعفا ، لأنه نزل المتردد منزلة المنكر ، فيعطى حكمه حينئذ وهكذا تفهم فى عكسه وهو تنزيل المنكر منزلة المتردد فى استحسان التوكيد له . وأعلم انه إذا التبس اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر باخراجه على مقتضى الظاهر يحتاج إلى قرينة تعين المقصود أو ترجحه ـ فان لم توجد قرينة صح حمل الكلام على كل من الأمرين ـ وذلك كجعل السائل كالخالى ، وجعل المتردد كالمنكر ، فان وجدت قرينة عمل بها ، والاصح الحكم بأحدهما .

وأمَّا الجاه بالأدب فأنه غير زائل عنك »

الرابع : قد يؤكَّد الخبر لشرف الحكم وتقويته ، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار ، كقولك فى افتتاح كلام (إنَّ أفضل ما نطق به اللسان كذا)[1] .

تدريب

بيِّن أغراض الخبر والمقاصد منه فيما يأتى :

(١) قَومِى هُمُو قتلوا أُمَيْمَ أخِى فإذا رَمَيْتُ يُصيبُنِى سَهمِى[2]

---

(١) من مزايا اللغة العربية دقة التصرف فى التعبير ، واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض ، فمن العيب الفاضح عند ذوى المعرفة بها (الاطناب) إذا لم تكن هناك حاجة إليه ، والايجاز والاختصار ، حيث تطلب الزيادة ، وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بله العامة ، فقد أشكل أمرها على بعض ذوى الفطنة من نابتة القرن الثالث : إبان زهو اللغة ونضرة شبابها ، يرشدك إلى ذلك ماوراه الثقاة من أن المتفلسف الكندى : ركب إلى أبى العباس المبرد وقال له : إنى لأجد فى كلام العرب حشوا ، فقال أبو العباس فى أى موضع وجدت ذلك ، فقال أجد العرب يقولون عبدالله قائم . ثم يقولون : إن عبدالله قائم ، ثم يقولون ، إن عبدالله لقائم ، فالالفاظ متكررة ، والمعنى واحد ، فقال أبو العباس بل المعانى مختلفة لاختلاف الالفاظ ، فالأول اخبار عن قيامه ، والثانى جواب عن سؤال سائل ، والثالث جواب عن انكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعانى . فما أحار المتفلسف جوابا

ومن هذا : تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة . لا أزيد وإلا كان عبثاً — ولا أنقص ولا أخل بالغرض — وهو الافصاح والبيان

(٢) أظهار الحسرة على موت أخيه بيد من قرابته

(٢) قد كنتَ عُدَّتِي التي أسطو بها ... ويدى إذا اشتدّ الزمان وساعدى[١]

(٣) أبا المسك أرجو منك نصراً على العِدى ... وآمل عزاً يخضب البيض بالدّم[٢]

(٤) كفى بجسمى نحولا أنَّنى رجل ... لولا مُخاطبتى إياكَ لم ترنى[٣]

(٥) وأنت الذى ربّيت ذا الملك مرضعا ... وليسَ له أمٌّ سواكَ ولا أب[٤]

(٦) ذهب الذين يُعاش فى أكنافهم ... وبقيتُ فى خلفٍ كجلد الأجرب[٥]

ان كان لا يرجوك إلاَّ محسن ... فبمَنْ يلوذ ويستجير المُجرم

أدعوك ربِّ كما أمرت تضرُّعا ... فإذا رَدَدْتَ يدى فمن ذا يرحم

ظمئتُ وفى فمى الأدبُ المُصفَّى ... وضعتُ وفى يدى الكنزُ الثمينُ

نموذج فى بيان مقاصد وأغراض الأخبار

كانَ مُعاوِيَةُ رَضِىَ اللهُ عَنه حسَنَ السِّياسَةِ والتَّدْبيرِ يحلُم فى مواضع الحِلْمِ ، ويَشْتَدُّ فى مَواضع الشِّدَّة[٦]

لقدْ أدبْتَ بَنِيك باللِّين والرِّفق ، لا بالقسْوَةِ والعِقاب[٧].

---

(١) إظهار الضعف لكونه أصبح بلا معين .

(٢) الاسترحام بطلب المساعدة وشد الأزر

(٣) إظهار الضعف بأن نحوله صيره إلى ما وصف

(٤) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بقصته وسابق أعماله . فالغرض لازم الفائدة

(٥) التحسر لفقد ذوى المروءة والمصير إلى لئام لاخير فيهم

(٦) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام

(٧) « إفادة المخاطب أن المتكلم عالم فى حاله فى تهذيب بنيه

وَلَمَّا دعوتُ الصَّبر بعدكَ والأسى　　أجاب الأسى طوعا ولم يجب الصَّبرُ

فإن يَنقطعْ منكَ الرجاء فإنّه　　سَيبقى عليكَ الحُزنُ ما بَقِيَ الدَّهرُ

(٣) توُفّيَ عُمرُ بنُ الخطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنةَ ثلاثٍ وعِشْرين مِنَ الهِجْرة .

(٤) قال أبو فراس الحَمْدانيُّ :

وَمكارِمِى عَدَدُ النجومِ وَمَنْزِلى　　مأْوى الكرامِ ومَنْزِلُ الأَضياف

(٥) وقال أبو الطيب :

وَمَا كُلُّ هاوٍ لِلْجَميلِ بِفاعِلٍ　　وَلا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

(٦) وقال أيضاً يرثي أُختَ سَيفِ الدَّولة :

غَدَرْتَ يا مَوْتُ كَمْ أَفْنيتَ مِنْ عَدَدٍ

بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسكتَّ من لَجَبِ

(٧) وقال أبو العتاهية يرثي وَلَده علياً :

بَكَيْتُكَ يا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْني　　فَمَا أَغْنَى البُكاءُ عَلَيْكَ شَيا

وَكانَتْ في حَياتِكَ لِي عِظاتٌ　　وأَنتَ اليومَ أَوْعَظُ مِنكَ حَيّاً

(٨) إنّ الثَّمانينَ وبُلِّغْتَها　　قدأحوجتْ سمعي إلى تَرْجمانِ

---

(٣) « إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام

(٤) « اظهار الفخر ، فان أبا فراس إنما يريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله

(٥) « إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام فان أبا الطيب يريد أن يبين لسامعيه ماراه فى بعض الناس من التقصير فى أعمال الخير

(٦) الغرض اظهار الأسى والحزن

(٧) « اظهار الحزن والتحسر على فقد ولده

(٨) « اظهار الضعف والعجز

(٩) قال أبو العلاء المعرّى :

وَلى مَنْطق لَمْ يَرْضَ لى كُنْهَ مَنْزِلى عَلى أنَّنِي بَيْنَ السِّماكَين نازِلُ

(١٠) قال إبراهيم بنُ المهْدِيِّ يخاطب المأمون :

أتيتُ جُرما شَنيعاً وأنتَ لِلعفو أهْل

فإن عفوْتَ فمَنٌّ وإنَّ قتَلتَ فعَدْلُ

تطبيق (١)

أحص المؤكدات فى العبارات التالية ، وبيِّن ضروب الخبر الثلاثة

(١) ألاَ فى سبيل المجد ما أنا فاعلٌ عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ

(٢) وأنَّ امرأً قد سار خمسين حِجَّةً إلى مَنْهلٍ من وِرْده لَقريب

(٣) ليس الصَّديق بمن يعيرك ظاهراً مُتبسِّماً عن باطن مُتجهِّم

(٤) قال تعالى : لئِنْ أنْجيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِين

(٥) قال تعالى: وَجَعَلْنَا نَوْمَكم سُباتاً وَجَعَلنا اللَّيْلَ لِباساً وَجعلنا النَّهارَ مَعَاشاً

---

(٩) الغرض والافتخار بالعقل واللسان

(١٠) الغرض الاسترحام والاستعطاف

الرقم	المؤكدات	ضرب الخبر
١	ألا (أداة استفتاح وتنبيه)	طلبى
٢	إن ـ قد ـ اللام فى (لقريب)	إنكارى لزيادة المؤكدات على واحد
٣	الباء الزائدة فى (بمن)	طلبى
٤	لام القسم ـ لام التوكيد ـ نون التوكيد	إنكارى
٥	تكرار جعلنا	طلبى

(٦) أمّا الفِراق فانّه ما أعهَـدُ هو توْءمى ، لو أنّ بيداً يُولد
(٧) وإنّ الذى بَينِي وبين بنى أبى وبين بَنِي عمّى لَمختلفٌ جِداً
(٨) إنّا إليكم مُرسلون
(٩) وإنّى لصبّار على ما ينُوبُني وحسبك أنّ الله أثنى على الصبر
(١٠) وإنّى لقوّال الذى البثّ مرحبا وأهلا إذا ما جاء من غير مرصد
وإنى لحلوٌ تَعتريني مَرارةٌ وإنى لترّاك لِمَا لم أعوّد
(١١) ولقد نصحتك إن قبلتَ نَصيحتى والنّصح أغلى ما يُباع ويُوهب

الرقم	المؤكدات	ضرب
٦	أما ـ إن ـ أن	طلبى لأن كل مؤكد فى جملة
٧	أن ـ لام الابتداء	إنكارى لزيادة المؤكدات على واحد

(٨) لما روى القرآن قصة رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فانكروا رسالتهم قال لهم الرسل إنا « إليكم مرسلون » فالقوا إليهم الكلام مؤكداً بمؤكدين — فكذبوا فقالوا لهم « إنا إليكم لمرسلون » مؤكدين لهم القول بمؤكد ثالث ـ فجحدوا ـ فقالوا لهم « ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون » فزادوا مؤكداً رابعاً وهو القسم

الرقم	الجملة	المؤكدات		ضروب الخبر
٩	وإنى لصبار	إن ولام الابتداء		إنكارى
١٠	وإنى لقوال	إن	«	«
	وإنى لحلو	«	«	«
	وإنى لتراك	«	«	«
١١	ولقد نصحتك	القسم وقد		«
	والنصح أغلى	الجملة الاسمية		ابتدائى

(٤) إنَّ الغنيَّ من الرجال مُكرَّمٌ   وتراه يُرجى ما لديه ويرغبُ
(٥) فما الحداثة عن حلمٍ بمانعةٍ   قد يوجد الحِلم في الشُّبان والشِّيب

تمرين

اذكر أضرب الخبر وأدوات التوكيد

(١) قال تعالى . « وفي السَّماء رِزْقُكم وما تُوعَدون ، فوربِّ السَّماء والأرْضِ إنَّه لَحقٌّ مِثْلَ ما أنكم تنطقون » .

(٢) وقال تعالى : « يأيُّها النَّاسُ إنَّا خلقناكُمْ مِنْ ذكرٍ وأنثى ، وجَعَلْناكُمْ شُعوباً وقبائِلَ لِتعارفُوا ، إنَّ أكْرمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبِيرٌ » .

(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « شرُّ النَّاسِ الذين يُكْرَمون إتقاءَ ألسِنَتِهِمْ »

(٤) وقال علي كرَّم الله وجهه : ما رَسْتُ كلَّ شيء فغَلَبْتُه ، وما رسني الفقرُ فغَلَبني ، إنْ سَتَرْتُه أهلكني ، وإنْ أذعْتُهُ فَضَحني » .

(٥) وقال النبي عليه السلام يصف الأنصار : « إنَّكم لتقِلُّون عِنْدَ الطَّمع ، وتكْثُرُون عِنْدَ الفزَعِ » .

(٦) وقال بشَّار بن بُرد :

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٤	ان الغني	إن — والجملة الاسمية	طلبي
	وتراه يرجى		ابتدائي
٥	فما الحداثة الخ	الباء الزائدة « بمانعة »	طلبي
	قد يوجد الحلم	قد	طلبي

خَلِيلَىَّ إنَّ المالَ ليس بنافع   إذا لم يَنَلْ منه أخٌ وصديق

(٧) وقال أبو العتاهية :

قد يُدْرِكُ الراقد الهادى برَقْدَته   وقد يخيبُ أخو الرَّوحاتِ والدُّلَجِ(١)

(٨) وقال :

إن البخيل وَإن أفاد غنًى   لَتُرَى عليه مَخايلُ الفقْر

مافاتنى خيرامرىءٍ وَضَعَتْ   عنى يداهُ مَثُوبَةَ الشكر

(٩) وقال آخر :

وما لُبُّ اللّبيبِ بغيرِ حَظٍّ   بأغنى فى المعيشة من فَتيل

(١٠) وقال آخر

وَلَلحِلْمُ خيرٌ فاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً   من الجهل إلا أن تُشَمِّسَ من ظُلم

(١١) وقال حسان بن ثابت :

أصون عِرْضى بمالى لا أدَنِّسُهُ   لا باركَ اللهُ بعد العِرْضِ فى المالِ

أحتالُ للمالِ إن أودَى فأكسِبُهُ   ولستُ للعرض إن أوْدَى بمحتالِ

(١٢) وقال الشاعر :

ولم أرَ كالمعروف : أمَّا مَذاقُهُ   فحلو ، وأما وجهُهُ فجميلُ

(١٣) وقال صرّدُر :

تَذِلُّ الرجالُ لأطماعها   كذُلِّ العبيد لأربابها

وأعْلَمُ أن ثياب العفا   ف أجملُ زِيٍّ لمُجتابِها(٢)

---

(١) الدلج . الظلام   (٢) لابسها

(١٤) وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما يدْرِى أمرؤ كيف يَتَّقِى ... إذا هو لم يجْعَلْ لهُ اللهُ واقِياً

(١٥) وقال سعيد بن حميد فى العتاب :

أَقْلِلْ عتابكَ فالبقاءُ قليلُ ... والدهر يَعْدِل تارةً ويميلُ

ولعل أحداثَ المنيةِ والرَّدَى ... يوماً ستَصْدَعُ بيننا وتحُولُ

فَلَئِنْ سَبقْتُ لتبكِيَنَّ بحسرةٍ ... وَلَيَكْثُرَنَّ علىَّ منك عويلُ

ولئن سَبقتَ ـ ولاسَبَقتَ ـ ليمضِينْ ... من لا يشاكِلُهُ لَدىَّ خليلُ

وليذْهبنَّ بهاء كلِّ مُروءةٍ ... ولَيُفقَدَنَّ جمالُها المأهول

(١٦) إنَّ الحياة لثوْبٌ سوْف نخلعهُ ... وكل ثوبٍ إذا ما رثَّ ينخلع

(١٧) ثُمَّ إنكم بعد ذلك لميتون

تطبيق

أذكر أضْرُبَ الخبر وبيِّن المؤكدات فيما يأتى :

(١) وعاد فى طلب المترُوك تاركهُ ... إنَّا لنَغْفُلُ والأيام فى الطَّلب

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١٦	ان الحياة لثوب	أن ولام الابتداء	إنكارى
	وكل ثوب الخ		ابتدائى
١٧	غفلتهم عن الموت تعد من أمارات الانكار		إنكارى
			ابتدائى
١	وعاد فى طلب المتروك		
	إنا لنغفل	إن ولام الابتداء	إنكارى

(٢) وجعلنا نومكم سُباتاً . وجعلنا الليلَ لِباساً . وجعلنا النهار معاشاً

(٣) أما دون مصر للغنى مُتطلّب   بلى — إنّ أسباب الغنى لكثيرُ

(٤) فيومٌ لنا ويومٌ علينا   ويومٌ نُساء ويومٌ نُسرّ

(٥) إنّ من البيان لسحراً وإنّ من الشعر لحكمةً .

(٦) قد يُدْرِكُ الشرفَ الفتى ورِداؤه خلقٌ

المبحث الثالث

فى تقسيم الخبر إلى جملة فعلية وجملة اسمية

« ا » الجملة الفعلية : ما تركبت من فعل وفاعل ، أومن فعل ونائب فاعل : وهى — موضوعة لأفادة التجدّد والحدوثِ فى زمن مُعيَّنٍ مع الاختصار (١) نحو: يعيش البخيل عيشة الفقراء ، ويُحاسِب فى الآخرة حسابَ الأغنياء .

ونحو : أشرقتِ الشمسُ وقد   ولى الظلامُ هاربا

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٢	وجعلنا نومكم الخ	تكرير جعل	طلبى
٣	أما دون مصر	حرف التنبيه (أما)	طلبى
	إن أسباب الغنى لكثير	إن ولام الابتداء	انكارى
٤	يوم لنا ويوم علينا	التكرير	طلبى
٥	إن من البيان لسحرا	إن ولام الابتداء	انكارى
	إن من الشعر لحكمة	إن ولام الابتداء	انكارى
٦	قد يدرك	.	طلبى

(١) وذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينة بخلاف الاسم : فانه يدل على الزمن بقرينة ذكر لفظة : الآن — أوأمس — أوغداً ولما كان الزمان الذى هو أحد مدلولى الفعل غير قار بالذات . أى لاتجتمع أجزاؤه فى الوجود كان الفعل مع افادته التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة مفيداً للتجدد ايضا .

فلا يستفاد من ذلك إلاّ ثبوتُ الاشراق للشّمس ، وذهاب الظلام فى الزّمان الماضى .

وقد تفيد الجمله الفعلية الاستمرار التجدّدى شيئاً فشيئا بحسب المقام ، وبمعونة القرائن ، لا بحسب الوضع (١) ـ بشرط أن يكون الفعلُ مضارعا . نحو قول المتُنبى .

تدَبَّر شرقَ الأرض والغرب كفّهُ وليسَ لها يوما عن المجد شاغلُ

فقرينة المدح تدلّ على أن تدبير الممالك ديدنُه ، وشأنُه المستمرّ الذى لايَحيد عنه . ويتجدّد آنا ـ فآنًا .

«ب» والجملة الأسمية : هى ما تركّبت من مبتدأ وخبر ، وهى تفيد بأصل وضعها ثبوت شىء لشىء (٢) ليس غيرُ ـ بدون نظر إلى تجدّد ولااستمرار ـ نحو الأرض متحركة ـ فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للارض ، بدون نظر إلى تجدُّد ذلك ولا حدُوثه .

وقد تخرج الجملة الإسمية عن هذا الأصل ، وتُفيد الدوّام والاستمرار بحسب القرائن : إذا لم يكن فى خبرها فِعلٌ مضارع: وذلك بأن يكونَ الحديث فى مقام المدح ، أو فى معرض الذّم كقوله تعالى (وإنَّكَ لَعلَى خُلُقٍ عظيم) ،

---

(١) وذلك نظير الاستمرار الثبوتى فى الجملة الأسمية نحو (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) أى لو استمر على إطاعتكم وقتا فوقتاً لحصل لكم عنت ومشقة .

(٢) فالجملة الاسمية موضوعة لمجرد ثبوت المسند للسند إليه

قال الشيخ عبدالقاهر : موضوع الاسم على أن يثبت به الشىء للشىء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيئا فشيئا : فلا تعرض فى نحو : زيد منطلق ـ لأكثر من إثبات الانطلاق له فعلا ـ كما فى زيد طويل وعمرو قصير ـ أى أن ثبوت الطول والقصر هو بأصل الوضع ، وأما استفادة الدوام فمن الملازمة فى هذين الوصفين ، وحينئذ فالتمثيل للنفى .

فسياق الكلام فى معرض المدح دالّ على إرادة الاستمرار مع الثبوت ـ ومنه قول النّضر بن جُؤْبة يتمدّح بالغنى والكرم :

لا يألف الدِّرهمُ المضرُوب صرّتنا   لكن يمرّ عليها « وهو مُنطلقُ »

يُريدُ أنّ دَراهمه لاثباتَ لها فى الصُّرّة ولا بقاء ، فهى دائما تنطلق منها ، وتمرق مُروق السِّهام من قِسِيّها ، لِتُوَزّعَ على المُعوزينَ وأرباب الحاجات .

وأعلم أنّ الجُملة الإسمية لا تُفيد الثُّبوت بأصلَ وضعها ، ولا الاستمرار بالقرائن ، إلاّ إذا كان خبرها مفرداً نحو . الوطنُ عزيزٌ

أو كان خبرها جملة إسمية نحو : الوطن هو سعادتى

أما إذا كان خبرها فعلا فانّها تكون كالجملة الفعلية فى إفادة التّجدّد والحدوث فى زمن مخصوص ، نحو : الوطن يسعد بأبنائه ـ ونحو :

تَعيبُ الغانياتُ علىّ شيبى   ومن لى أن أُمتّعَ بالمشِيب

وكقول الآخر :

نروح ونغـــدو لحاجاتنا   وحاجة من عاش لا تنقضى

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم المعانى ؟ ما هو الاسناد ؟ ما هى مواضع المسند والمسند إليه ؟ ما المراد بصدق الخبر وكذبه ؟ . ما الفرق بين النسبة الكلامية والنسبة الخارجية ؟ . ما هو الأصل فى إلقاء الخبر ؟ . ما هى الأغراض الأخرى التى يلقى إليها الخبر ؟ . ما هى أضرب الخبر ؟ ما هى أدوات التوكيد ؟ لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر ؟ . إلى كم ينقسم الخبر ؟ . لأى شىء وضعت الجملة الأسمية والفعلية ؟ هل تفيد الجملة الفعلية والأسمية غير ما وضعتا لأجله ؟

تدريب

بيِّن فائدة التَّعبير بالجملة الأسمية أو الفعلية فى التَّراكيب الآتية :

(١) قال تعالى « يَمحُو اللهُ مَا يَشاء ويثبتُ وَعندهُ أُمُّ الكتَابِ »

(٢) نَروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

(٣) وعلى إثْرِهِم تَساقَطُ نفسى حَسَراتٍ وَذِكرُهُم لى سِقامُ

(٤) يأتى على الناس زمان لا يُبالى المرء ما أُخذ منه ـ أمن الحلال أم من الحرام

(٥) أوكلما وَردتْ عُكاظ قبيلةٌ بَعثُوا إلىَّ عَريفَهم يتوسَّم

الرقم	الجملة	نوعها	ما تفيده	الايضاح
(١)	يمحو الله	مضارعية	الاستمرار التجددى	محو بعض الخلائق وإفنائها وإثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد
	وعنده أم الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب: اللوح المحفوظ والقرينة الاسناد إلى الله
(٢)	نروح. ونغدو	مضارعية	الاستمرار التجددى	والقرينة قوله وحاجة من عاش
(٣)	تساقط	مضارعية	الاستمرار التجددى	
	وذكرهم لى سقام	اسمية	الاستمرار والدوام	القرينة حالية وهى الحزن والأسى
(٤)	يأتى	مضارعية	التجدد	

(٥) يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ورئيسها ليتفرس فى وجوه القوم مرة بعد أخرى ، لعله يهتدى إلى معرفتى ، لأخذ بثأرها منى . وتنكل بى لأنى طالما أوقعت بها ، وأذقتها صنوف المذلة والهوان

وعكاظ : سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتناقر ليلا ، ولتصريف المتاجر نهارا .

الباب الثانى

فى حقيقة الانشاء وتقسيمه

الإنشاء لغةً : الإيجاد ، واصطلاحاً : كلامٌ لا يَحتملُ صدقاً ولا كذباً لذاته[1] ، نحو اغفرْ — وارحمْ ، فلا يُنْسبُ إلى قائله صِدق — أو كذب

وإن شئت فقـل فى تعريف الإنشاء « هو ما لايحصل مضمونه ولا يتحقق إلاّ إذا تلفظتَ به » فطلبُ الفعل فى « أفْعَلْ » وطلب الكف فى « لا تَفْعَلْ » وطلب المحبوب فى « التّمنّى » وطلب الفهم فى « الاستفهام » وطلب الاقبال فى » النّداء » كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصّيَغ المتلفّظ بها .

وينقسم الإنشاء إلى نوعين : إنشاء طلبى — وإنشاء غير طلبى

« فالانشاء غير الطّلبى » ما لا يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب — ويكون : بِصيغ المدح ، والذّم ، وصيغ العقود ، والقسم ، والتّعجُّب، والرّجاء ، ويكون برُبَّ ولعلَّ ، وكم الخبرية .

(١) أما المدح والذم فيكونان : بنعم وبئس — وما جرى مجراهما نحو حبّذا — ولا حبّذا ؛ والأفعال المحوّلة إلى فَعُل نحو طاب علىٌّ نفساً وخبث بكر أصلا :

---

(١) أى : بقطع النظر عما يستلزمه الانشاء ، فان اغفر — يستلزم خبرا وهو أنا طالب المغفرة منك — وكذا لا تكسل — يستلزم خبرا ، وهو أنا طالب عدم كسلك — لكن كل هذا ليس لذاته .

(٢) وأما العقود : فتكون بالماضى كثيراً ، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ — وأعتقتُ — وبغيره قليلا — نحو أنا بائع . وَعبدى حرٌ لوجه الله تعالى .

(٣) وَأما القسم — فيكون : بالواو — والباء — والتاء — وبغيرها نحو : لعمرك ما فعلت كذا

(٤) وأما التعجب . فيكون قياساً بصيغتَيْنِ ، ما أفعَله — وأفْعِلْ به وسماعاً بغيرهما ، نحو : لله دَرُّه عالما — كيف تكفرون بالله وَكنتم أمواتاً فأحياكم .

(٥) وأما الرَّجاء : فيكون : بعسى - وحرى - واخْلَوْلَقْ ، نحو : عسى الله أن يأتي بالفتح

واعلم أنّ الانشاء غير الطلبى لاتبحث عنه علماء البلاغة ، لأن أكثر صِيغه فى الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء

وإنما المبحوث عنه فى علم المعانى هو (الإنشاء الطّلبى) لِمَا يَمتاز به من لَطائفَ بلاغيَّة

« فالإنشاء الطَّلبى » هو الذى يَسْتَدْعِى مَطلوباً[1] غير

---

(١) اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنيا) وإن كان متوقعا فاما حصول صورة أمر فى الذهن فهو (الاستفهام) وإما حصوله فى الخارج فان كان ذلك الأمر انتفاء فعل — فهو (النهى) وإن كان ثبوته : فاما بأحد حروف (النداء) فهو النداء — وإما بغيرها فهو (الأمر)

وبهذا تعلم أن الطلب هنا منحصر فى هذه الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية .

حاصل [١] فى اعتقاد المتكلم وقت الطلب .

وأنواعه خمسة ، الأمر ، والنهى والاستفهام ، والتمنى ، والنداء [٢]

وفى هذا الباب خمسة مباحث

المبحث الاول فى الامر

الأمر : هو طلب حصول الفعل من المُخاطب : على وجه الاستعلاء [٣]

---

(١) أى لأنه لايليق طلب الحاصل ، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقة ، ويتولد من تلك الصيغ ماينا سب المقام ، كطلب دوام الايمان والتقوى فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله) — وهلم جرا

(٢) ويكون الانشاء الطلبى أيضا ، بالعرض والتحضيض ، ولكن لم يتعرض لها البيانيون لأنهما مولدان على الأصح من الاستفهام والتمنى — فالأول من الهمزة مع لاالنافية فى «ألا» والثانى من هل ولوللتمنى مع لاوما الزائدتين فى «هلا وألا» بقلب الهاء همزة

وكذا : لولا ولوما — واعلم أن الانشاء الطلبى نوعان — الأول مايدل على معنى الطلب بلفظه ويكون بالخمسه المذكورة ، والثانى مايدل على الطلب بغير لفظه كالدعاء

(٣) بأن يعد الآمر نفسه عاليا لمن هو أقل منه شأنا ، سواء أكان عاليا فى الواقع أولا . ولهذا نسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عاليا . واشتراط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه الأكثر من الماتريدية — والامام الرازى — والآمدى من الأشعرية — وابو الحسن من المعتزلة . وذهب الأشعرى إلى أنه لا يشترط هذا — وبه قال كثير من الشافعية — والأشبه أن الصدور من المستعلى يفيد إيجابا فى الأمر ، وتحريما فى النهى — واعلم أن الأمر للطلب مطلقا — والفور والتراخى من القرائن — ولا يوجب الاستمرار والتكرار فى الأصح . وقيل ظاهره الفور كالنداء والاستفهام إلا بقرينة — وهو ما اختاره السكاكى — واعلم ايضا أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى ، ودعاء مع الأعلى ، والتماسا مع النظير

مع الالزام — وله أربع صيغ

(١) فعل الأمر — كقوله تعالى « يا يحيى خُذِ الكتاب بِقوةٍ »

(٢) والمضارع المجزوم بلام الأمر ـ كقوله تعالى « لِيُنفِقْ ذو سَعَةٍ من سَعَتِهِ »

(٣) وإسم فعل الأمر ـ نحو « عليكم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتَدَيتم »

(٤) وَالمصدر النَّائب على فعل الأمر ـ نحو سَعياً في سبيل الخير

وقد تخرجُ صيغ الأمر عن معناها الأصلي وهو « الإيجاب والالزام » إلى معانٍ أخرى : تُستفادُ من سياق الكلام ، وقرائن الأحوال .

(١) كالدّعاء في قوله تعالى « رَبِّ أَوْزِعْني أن أشكُرَ نِعمَتَك »

(٢) والالتماس كقولك لمن يُساويك ـ أعطني القلَم أيُّها الأخ

(٣) والارشاد ـ كقوله تعالى « إذا تدايَنتم بدَينٍ إلى أجلٍ مُسمًّى فاكتُبُوهُ ، وليكتُبْ بينكم كاتبٌ بالعدل »

(٤) وَالتَّهديد ـ كقوله تعالى « اعملوا ما شِئتُمْ ، إنَّهُ بما تعملُونَ بَصيرٌ »

(٥) والتَّعجيز ـ كقوله تعالى « فأتوا بِسُورَةٍ من مِثْلِهِ »

(٦) والاباحة ـ كقوله تعالى « وكلُوا واشرَبُوا حَتى يَتَبَيَّنَ لكُمْ الخَيْطُ الأبيَضُ من الخيط الأسوَد من الفَجر »

ونحو : اجلس كما تشاء

(٧) والتسوية ـ نحو قوله تعالى « إصبرُوا أو لاَ تصبرُوا »

(٨) والإكرام ـ كقوله تعالى « ادخُلوهَا بِسلاَمٍ آمنِين »

(٩) والإمتنان ـ كقوله تعالى « فكلُوا مِمَّا رزقكُم الله »

(١٠) والإهانة ـ كقوله تعالى « كُونُوا حِجارةً أوْ حديداً »

(١١) والدَّوام ـ كقوله تعالى « إهْدِنا الصِّراطَ المُستقِيم »

(١٢) والتَّمنى ـ كقول امرىء القيس

ألاَ أيُّها اللَّيل الطَّويل ألاَ انْجلِي ... بصُبْحٍ وما الاصباح مِنكَ بأمْثلِ

(١٣) والاعتبار ـ كقوله تعالى « أُنظرُوا إلى ثَمرِهِ إذا أثْمرَ »

(١٤) والاذن ـ كقولك : لمن طرقَ الباب « أُدْخل »

(١٥) والتكوين ـ كقوله تعالى « كُنْ فيكونُ »

(١٦) والتخيير ـ نحو : تزوَّجْ هنداً أو أُختها .

(١٧) والتأديب ـ نحو : كل مِمَّا يليك .

(١٨) والتَّعجُّب ـ كقوله تعالى « أُنظرْ كيفَ ضربُوا لكَ الأمْثال »

تمرين

بيِّن ما يُراد من صيغ الأمر فى التراكيب الآتية

فصبراً فى مجال الموتِ صبْراً ... فمــا نيلُ الخلود بمُستطاعِ

فغضَّ الطَّرفَ إنك من نُميْر ... فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فياموتُ زر إنَّ الحياة ذميمةٌ ... ويانفسُ جِدِّى إنَّ دهرك هازل

(١) خُذِ العَفْوَ ، وأْمُرْ بِالعُرْفِ ، وأعرِضْ عَنِ الجاهِلِين

(٢) أسيئِي بنا أو أحْسِني لا مَلُومَةٌ لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

(٣) يا لَيلُ طُلْ يا نَوْمُ زُلْ يا صُبحُ قِفْ لا تَطْلعِ

(٤) عِشْ ما بَدَا لكَ سالِماً في ظِلِّ شاهِقَةِ القصُور

(٥) وأسِرُّوا قَولَكُمْ أو اجْهَرُوا بِهِ إنَّهُ عَليمٌ بذاتِ الصُّدُور

(٦) ترفَّقْ أيُّها المولى عليهم فإنَّ الرِّفق بالجاني عتابُ

(٧) أرى العنقاء تَكْبُرُ أن تصادا فعانِدْ مَنْ تُطيق له عِنادا

(٨) خليليَّ هُبَّا طالما قد رقدْتما أجدَّ كما لا تقضيان كرا كما

(٩) أريني جواداً مات هُزْلاً لعلّني أرى ما ترينَ أو بخيلاً مُخَلَّدَا

(١٠) قال تعالى « قُلْ هاتُوا بُرهانَكم إنْ كُنتُمْ صادقين »

(١١) قدْ رشَّحُوك لأمرٍ إنْ فطنْتَ لهُ فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

(١٢) ربِّ اشْرَحْ لي صدْري ويسِّر لي أمري

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
(١)	خذ العفو	الارشاد	(٧)	عاند	الاهانة
(٢)	اسيئي بنا	التسوية	(٨)	هبا	الالتماس
(٣)	طل - زل	التمني	(٩)	أريني جوادا	التعجيز
(٤)	عش سالما	الدعاء	(١٠)	هاتوا برهانكم	»
(٥)	أسروا قولكم	التسوية	(١١)	فاربأ بنفسك	الارشاد
(٦)	ترفق	الدعاء	(١٢)	اشرح لي صدري	الدعاء

(١٣) ليسَ هذا بعشِّكِ فادْرُجي .

(١٤) اعملْ لدُنْياكَ كأنكَ تعيشُ أبداً . واعمل لآخِرَتِكَ كأنكَ تموتُ غداً

(١٥) فمَنْ شاءَ فليبخَلْ ومن شاءَ فليجُدْ كفاني نداكم عن جميع المطالب

يارِبُّ لا تَسلبني حبَّها أبداً ويرحمُ اللهُ عبداً قال آمينا

(١٦) أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

أرُوني بخيلا طال عُمْراً ببُخلِهِ وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

وحسنُ ظنِّك بالأيام مُعجزةٌ فظُنَّ شرّاً وكُنْ منها على حذر

نموذج

بيِّنْ نوعَ الإنشاء وصيغته فى الأمثلة الآتية

(١) يأيُّها المُتحلى غيرَ شيمتهِ ومِنْ شمائلهِ التبديلُ والملَقُ

إرْجِعْ إلى خُلقِكَ المعرُوف دِيْدَنه إنَّ التَّخلُّقَ يأتى دُونَهُ الخُلُق

(٢) يا أبنتي إنْ أرَدْتِ آيةَ حُسنٍ وجمالاً يزينُ جسماً وعقلا

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
(١٣)	أدرجى	الاهانة	(٢٥)	فليبخل	التخيير
(١٤)	اعمل لدنياك	الارشاد	(١٦)	جئنى	التعجيز

رقم المثال	صيغة الانشاء	نوعه	طريقته
١	يأيها المتحلي غير شيمته الخ	طلبى	النداء
	ارجع إلى خلقك المعروف	طلبى	الأمر
٢	يا ابنتى ان اردت آية حسن	«	النداء
	فانبذى غاد التبرج	«	الأمر

فانبُذِي عَادَةَ التَّبَرُّجِ نَبْذاً … فَجَمالُ النُّفُوسِ أَسْمَى وَأَعْلَى

يَصْنَعُ الصَّانِعُون وَرْداً وَلَكِنْ … وَرْدَةُ الرَّوْضِ لاَ تضَارَعُ شَكْلاً

(٣) يَالَيْتَ مَنْ يَمْنَعُ المعْرُوف يَمْنَعُهُ … حَتَّى يَذُوقَ رِجالٌ غِبَّ مَا صَنَعُوا

(٤) لَعَمْرُكَ مَابالْعَقْلِ يُكْتَسَبُ الغِنى … ولا باكْتِسَابِ المال يكْتَسَبُ الْعَقْلُ

أسئلة على الانشاء يطلب أجوبتها

ما هو الانشاء لغة واصطلاحاً ؟ . إلى كم ينقسم الانشاء ؟ .ما هو الانشاء الغير الطلبي؟ . كم أقسام الانشاء الطلبي ؟ ماهو الأمر ؟ . كم صيغة للأمر ؟ ما هى المعانى التى تخرج إليها صيغ الأمر عن أصل معناها .

المبحث الثانى

فى النهى

النَّهى — هو طلب الكفِّ عن الشيء على وجه الاستعلاء (١) مع

رقم المثال	صيغة الانشاء	نوعه	طريقته
٣	ياليت من يمنع المعروف	طلبى	التمنى
٤	لعمرك مابالعقل يكتسب الغنى	غير طلبى	القسم

(١) إعلم : أن النهى طلب الكف عن الشيء ، ممن هو أقل شأناً من المتكلم ، وهو حقيقة فى التحريم : كما عليه الجمهور — فمتى وردت صيغة النهى أفادت الحظر والتحريم على الفور

واعلم أن النهى كالأمر — فيكون استعلاء مع الأدنى، ودعاء مع الأعلى، والتماساً مع النظير

الإلزام ، وله صيغةٌ واحدةٌ ، وهى المضارع المقرون بلا الناهية : كقوله تعالى « ولا تُفسِدُوا فى الأرض بعد إصْلاحها ولا تجسَّسُوا ولا يغتَبْ بعْضُكُم بعضاً »

وقد تخرج هذه الصِّيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أُخر، تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال

(١) كالدُّعاء ـ نحو قوله تعالى « رَبّنا لا تواخذْنا إنْ نسينا أوْ أخْطأْنا »

(٢) والالتماس ـ كقولك لمنْ يُساويك ـ أيُّها الأخ لاتتوانَ

(٣) والارشاد ـ كقوله تعالى « لاَ تسْألوا عَنْ أشْيَاء أنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكم »

والدوام ـ كقوله تعالى « وَلاَ تحْسَبَنَّ الله غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمون »

(٥) وَبيان العاقبة ـ نحو قوله تعالى «وَلاَ تحسْبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أمْواتاً بَلْ أحياء »

(٦) والتيئيس ـ نحو قوله تعالى « لا تَعْتَذِرُوا قدْ كفرْتُم بعْدَ إيمَانكم »

(٧) والتَّمنِّى ـ نحو يا ليلة الأنس لا تنقضي

وكقوله ـ يا ليلُ طُلْ يانومُ زُل   يا صبحُ قِفْ لا تطلُع

(٨) والتهديد ـ كقولك لخادمك ـ لا تطع أمرى

(٩) والكراهة — نحو لا تلتفتْ وأنتَ فى الصَّلاةِ

(١٠) والتوبيخ — نحو لا تنْهَ عن خُلُقٍ وتأتىَ مِثلَه

(١١) والائتناس — نحو « لا تحزَنْ إنّ اللهَ معَنا »

(١٢) والتحقير — كقوله :

لا تَطلُبِ المجدَ إنّ المجْدَ سُلَّمُهُ صَعبٌ ، وعِشْ مُستريحاً ناعم البال

وكقوله :

دَعِ المكارِمَ لا ترحل لبُغيتِها واقعُدْ فإنك أنتَ الطَّاعِمُ الكاسى

تطبيق

أذكر ما يُراد من صيغ النهى الآتية :

(١) ولاتَلبِسُوا الحقَّ بالْباطِلِ وتكتمُوا الحقَّ وأنْتُمْ تعلمُونَ

(٢) فلا تُلزِ مِنّ الناس غيرَ طباعِهم فتتعبَ من طول العتاب ويتعبوا

ولا تَغتَرِرْ منهم بحسن بشاشة فأكثرُ إيماضِ البوارق خُلَّبُ

(٣) فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذا إرْبَةٍ حَرْبَ أخي التَّجْرِبَةِ العاقِلِ

(٤) لا تعتَذِرُوا اليومَ .

الغرض	الغرض
(١) التوبيخ على خلطهم الحق بالباطل	(٣) الارشاد والنصح
(٢) الارشاد إلى حسن الخلق	(٤) التوبيخ والتقريع

(٥) لا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنتَ آكلُه لنْ تَبْلغ المجدَ حتى تلعق الصبرا

(٦) لا تَحْتَجِب عن العيُون أيُّها القمَر

(٧) لا تَعْرِضَنَّ لجعْفرٍ مُتَشبِّهاً بِنَدَى يدَيْهِ فلسْتَ مِنْ أنْدادِه

(٨) لاَ تيأَسُوا أن تَسْترِدُّوا مجدَكم فلَرُبَّ مَغلوبٍ هَوَى ثُمَّ ارْتَقَى

ولا تجلس إلى أهل الدَّنايا فإنَّ خلائق السُّفهاء تُعدِي

المبحث الثالث

فى الاستفهام

الاستفهام: هو طلب العِلم بشىء لم يكن معلوماً من قبل

وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية ـ وهى:

الهمزة: وهَل. ومَا. ومَتَى. وأيَّان. وكيفَ. وأينَ. وأنَّى. وكمْ. وأىّ

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

(ا) ما يُطلَبُ به التَّصوُّر تارة. والتصديق تارة أخرى. وهو — الهمزة

(ب) وما يُطلَبُ به التَّصديق فقط. وهو ـ هل

(ج) وما يُطلَبُ به التَّصوُّر فقط. وهو بقيَّة ألفاظ الاستفهام الآتية:

الغرض	الغرض
(٥) التوبيخ والتعنيف	(٧) التوبيخ والتأنيب
(٦) التمنى	(٨) استنهاض الهمة بالنصح

١ ــ الهمزة

يُطلبُ بالهمزة أحد أمرين : تصوُّرٌ . أو تصديقٌ .

(١) فالتَّصوُر : هو إدراك المفرد[1] نحو أعليٌّ مسافرٌ أم سعيدٌ تعتقدُ أنّ السّفر حصل من أحدهما ، ولكن تطلبُ تعيينه .

ولذا يُجَاب فيه بالتّعيين ، فيقال سعيد مثلاً .

وحكم الهمزة التى لِطَلَب التّصوُر ، أن يليها المسئول عنه بها ، سواء — أكان :

(١) مُسنداً إليه — نحو . أأنتَ فعلتَ هذا أم يوسف

(٢) أم مُسنداً ـ نحو : أراغبٌ أنت عن الأمر أم راغبٌ فيه .

(٣) أم مفعولا — نحو : إيايَ تقصد أم سعيداً

---

(١) أى إدراك عدم وقوع النسبة وذلك كادراك الموضوع وحده ــ أو المحمول وحده ــ أو هما معا ـ أو ذات النسبة التى هى مورد الايجاب والسلب فالاستفهام عن التصور يكون عند التردد فى تعيين أحد الشيئين ـ أى يتردد المتكلم فى تعيين أحد أمرين ، تذكر بينهما أم المتصلة المعادلة ـ وقد تحذف هى وما بعدها اكتفاء بما قبلها ـ ولا يلى الهمزة غير المستفهم عنه .

والمفرد كما يكون إسما يكون فعلا : نحو أأنتهى عند هذا الحد أم تمادى .
والاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها وحينئذ للهمزة استعمالان ـ فتارة يطلب بها معرفة مفرد ، وتارة يطلب بها معرفة نسبة ، وتسمى معرفة المفرد تصوراً ، ومعرفة النسبة تصديقا ـ واعلم أن كل همزة استفهام تستعمل فى معناها أو فى غيره إن وليها الفعل كان هو المقصود بمعناها وإن وليها الاسم كان هو المراد المقصود ، فان قلت أسافر الأمير ؟ كان الشك فى السفر ، وإذا قلت أسعد سافر ؟ كان السفر مفروضا . والمستفهم عنه ذات المسافر

(٤) أم حالا ـ نحو : أراكباً حضرتَ أم ماشياً

(٥) أم ظرفا ـ نحو : أيومَ الخميس قدمتَ أم يوم الجمعة

ويُذكر المسئول عنه فى التَّصور بعد الهمزة : ويكون له مُعادِلٌ يُذكر بعدَ أمْ غالباً : وتُسمى مُتَّصلة

وقد يُستغنى عن ذكر المُعادل : نحو : أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتِنا ياإبراهيم

(ب) وَالتَّصديق « هو إدراك وُقوع نسبة تامّة بين المسند والمسند اليه — أو عدَم وُقوعها » (١) بحيث يكون المتكلم خاليَ الذهن ممَّا استفهم عنه فى جُملته مُصدِّقاً للجواب — إثباتاً « بِنَعَمْ » — أو نفياً « بلا »

وهمزة الاستفهام تدلّ على التصديق إذا أُريد بها النِّسبة

ويكثر التَّصديق فى الجُمل الفعلية ـ كقولك : أحضرَ الأمير (٢)

تستفهم عن ثبوت النِّسبة ونفيها ـ وفى هـذه الحالة يجابُ بلفظة : نعم ـ أو ـ لا

ويَقلّ التصديق فى الجمل الاسميَّة ـ نحو : أعليٌّ مسافر

ويمتنعُ أن يذكر مع همزة التَّصديق مُعادلٌ ـ كما مُثِّل

---

(١) أى ادراك موافقتها لما فى الواقع أو عدم موافقتها له ـ واعلم أن إدراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها كما يسمى تصديقا ، يسمى : حكما ، أو إسناداً ، أو إيقاعاوانتزاعا ، أو إيجابا وسلبا .

(٢) أى فقد تصورت الحضور والأمير والنسبة بينهما ـ وسألت عن وقوع النسبة بينهما ، هـل هو محقق خارجا أولا ـ فاذا قيل حضر . حصل التصـديق ، وكذا يقال فيما بعده . فالمسئول عنه فى التصديق نسبة يتردد الذهن فى ثبوتها . ونفيها كما سبق توضيحه .

فإن جاءت « أم » بعدها قُدّرت مُنقطعةً(١) وتكون بمعنى (بل)

ولستُ أُبالي بعدَ فقدِيَ مالكا   أموتِيَ ناءٍ أم هُوَ الآن واقعُ

ونحو :

هل يَسمعنّ النضر إن ناديته   أم كيف يَسمع ميتٌ لا ينطق

٢ — هل

يطلب بها التّصديق فقط — أى معرفة وقوع النسبه . أو عدم وقوعها لا غير — نحو هل حافظَ المصريّون على مجد أسلافهم

وَلأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معا المعادل بعد أم المتصلة - فلذا

(ا) امتنع - هل سعد قام أم سعيد : لأنّ وقوع المفرد وهو سعيد بعد « أم » الواقعة فى حيز الاستفهام دليل على أنّ أم مُتّصلة

وهى لطلب تعيين أحد الأمرين — ولابُدَّ حينئذ أن يُعلَم بها أوّلا أصل الحكم

(وهل) لا يناسبها ذلك — لأنها لطلب الحكم فقط ، فالحكم فيها غير معلوم ، وإلاّ لم يُستفهم عنه بها ، وحينئذ يؤدّى الجمع بين

---

(١) أى : ولا بد من وقوع الجملة بعد أم المنقطعة . فان وقع بعدها مفرد قدر بجملة نحو أحضر الأمير أم جيشه - أى بل حضر جيشه .

واعلم أنه تلخص مما تقدم أن همزة التصور إن جاء بعدها « أم » تكون متصلة .

وأن همزة التصديق أو هل : إن جاء بعدهما « أم » قدرت منقطعة وتكون بمعنى بل .

(هل ـ وأم) إلى التناقض

لأنّ (هل) تفيد أن السائل جاهل بالحكم لأنها لطلبه

« وأم » المتصلة : تفيد أنّ السائل عالم به ، وإنما يطلب تعيين أحد الأمرين ـ فإن جاءت أمْ كذلك ، كانت منقطعة بمعنى بل التى تفيد الاضراب نحو . هلْ جاء صديقك أم عدوّك

(ب) وقبحَ استعمالُ « هل » فى تركيبٍ هو مَظِنَّة للعلم بحصول أصل النِّسبة ، وهو ما يتقدّمُ فيه المعمولُ على الفعل ، نحو هل خليلا أكرمت فتقديم المعمولِ على الفعلِ يقتضى غالباً حصولَ العلم للمتكلم

وتكون هلْ لطلب حصول الحاصلِ وهو عبثٌ

تذبيهات

الأوّل ـ هلْ ـ كالسّين وسوْف تخلّص المضارعَ للاستقبال

فلا يُقال : هلْ تصدُق ؟ جواباً لمن قال أُحِبك الآن ، بَلْ تقول له ، أتصدُقُ ؟ ولأجل اختصاصها بالتصديق ، وتخليصها المضارع للاستقبال قوِىَ اتّصالُها بالفعل لفظاً أو تقديراً نحو هل يجىء علىٌّ ـ أو هل علىٌّ يجىء ؟

فإن عُدِل عن الفعلِ الى الاسم لإبراز ما يحصل فى صُورة الحاصل دلالةً على كمال العِناية بحصوله كان هـذا العدُول أبلغَ فى إفادة المقصود كقوله تعالى « فَهلْ أنْتُم شاكِرُون » فهذا التّركيب أدلّ على طلبِ الشكر من قولك ، هل تشكرون ـ وذلك لأنّ الفعلَ لازمٌ بعد هل والعُـدول عنه يدُلّ على قوّة الدّاعى لذلك لِما ذكر

الثانى ـ هل نوعان : بسيطة ـ ومُركبة

(ا) فالبسيطة هى التى يُستفهمُ بها عن وجود شىء فى نفسه ، أو عـدم وجوده ، نحو هل العَنقاء[1] موجودة ـ ونحو : هل الخلّ الوفىّ موجود

(ب) والمُركبة ـ هى التى يُستفهمُ بها عن وُجود شىءٍ لشىءٍ وعدم وجوده له ـ نحو هل المرّيخ مسكونٌ ؟ ـ هل النّبات حسّاس ؟

الثالث (هل) لا تدخل على :

(١) المنفى[2]	فلا يقال هل لم يفهم علىّ
(٢) ولا على المضارع الذى هو للحال	« « « تحتقر علياً وهو شجاع
(٣) ولا على إنّ	« « « انّ الأمير مسافر
(٤) ولا على الشّرط	« « « إذا زرتُك تكرمنى
(٥) ولا على حرف العطف[3]	« « « فيتقدّم أو هل ثُمّ يتقدم
(٦) ولا على اسم بعده	« « « بشراً منّا واحداً تتّبعه

بخلاف الهمزة فانها تدخل على جميع ما ذكر

---

(١) حكى الزمخشرى فى (ربيع الأبرار) أن العنقاء كانت طائراً وكان فيها من كل شىء من الألوان وكانت فى زمن أصحاب الرس تأتى إلى أطفالهم وصغارهم فتخطفهم وتغرب بهم نحو الجبل فتأكلهم ، فشكوا ذلك إلى نبيهم (صالح) عليه السلام فدعا الله عليها فأهلكها وقطع عقبها ونسلها فسميت (عنقاء مغرب) لذلك

(٢) أى لأن هل فى الأصل بمعنى قد ، وهى لا تدخل على المنفى ، فلا يقال قد لا يقوم خليل ـــ فحينئذ هى مخصوصة بدخولها على النسب المثبتة ، سواء أكانت جملا فعلية أو اسمية ـــ واعلم أن عدم دخولها على المنفى لا ينافى أنها لطلب التصديق مطلقا سواء فى الايجابى والسلبى

(٣) أى لا تقع هل قبل الحرف العاطف بل تقع بعده دائما

واعلم : أنَّ الهمزة — وهل — يُسأل بهما عمَّا بعدهما — لأنهما حرفان ليس لهما معنى مُستقِلٌ .

الرابع — بقيّة أدوات الاستفهام موضوعة (للتصوّر) فقط — فيُسْأل بها عن معناها ـ وهى :

مَا ، وَمَتَى ، وأيَّان ، وكيفَ ، وأينَ ، وأنّى ، وكَمْ ، وأىّ

ولهذا يكون الجوابُ معها بتعيين المسئول عنه .

ما ـ ومن

ما — موضوعةٌ للاستفهام عن أفراد غير العُقلاء ـ ويُطْلَبُ بها :

(ا) إيضاحُ الاسم : نحو ما العَسْجَدُ ؟ فيقال فى الجواب إنه ذهبٌ

(ب) أو يُطلبُ بها بيان حقيقة المُسمَّى : نحو : ما الشمس ؟

فيجاب بأنه كوكبٌ نهارىّ

(ج) أو يُطلبُ بها بيان الصفة نحو : ما خليلٌ ؟ ـ وجوابه طويل أو قصير : مثلا

وتقع هل البسيطة فى التّرتيب العقلى [1] بين « ما » التى لشرح الاسم ، و « ما » التى للحقيقة .

فمن يَجهلُ معنى البشر مثلا يَسأل أولاً « بما » عن شرحه : فيجاب بانسان ، ثم « بهل » البسيطة عن وجوده ، فيجاب بنعم

ثم « بما » عن حقيقته ، فيجاب بحيوان ناطق .

---

(١) الترتيب العقلى : هو أن يكون المتأخر متوقفا على المتقدم ، من غير أن يكون المتقدم علة له ـ وذلك كتقدم المفرد على المركب

ومَن ـ موضوعة للاستفهام ـ ويطلبُ بها تعيين أفراد العقلاء ـ نحو : مَنْ فتحَ مصرَ ؟ ونحو : من شيّدَ الهرم الأكبر ! ونحو : مَنْ شَيّـد القناطر الخيريّة ؟

متى وإيان

متَى : موضوعة للاستفهام ، ويطلبُ بها تعيينُ الزّمان ، سواء أكان ماضيا أو مستقبلا ـ نحو متى تولّى الخلافة عُمَرُ ؟ ومتَى نحظَى بالحرّيّة

وأيّان ـ موضوعة للاستفهام ، ويطلبُ بها تعيينُ الزّمان المستقبل خاصة وتكون فى موضع (التّهويل والتّفخيم) دون غيره كقوله تعالى (يسأل أيّانَ يومُ القيامة[١])

كيف ـ وأين ـ وأنى ـ وكم وأى

كيف : موضوعة للاستفهام ـ ويطلب بها تعيينُ الحالُ : كقوله تعالى « فكَيْفَ إذَا جِئْنَا مِنْ كلِّ أمّةٍ بشهيدٍ » . وكقوله :

وكيف أخافُ الفقرَ أوأُحرَمُ الغنَى ورأىُ أميرِ المُؤمنين جميل

وأين : موضوعة للاستفهام ويطلبُ بها تعيينُ المكان نحو : أينَ شُرَكاؤُكم .

وأنى : موضوعة للاستفهام ـ وتأتى لمعان كثيرة

(١) فتكون بمعنى كيف ـ كقوله تعالى « أنّى يحيِي هـذِه اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا » .

---

(١) أى فقد استعملت أيا مع يوم القيامة للتهويل والتفخيم بشأنه ـ وجواب هذا السؤال (يومهم على النار يفتنون)

٢ ـ وتكون بمعنى مِنْ أين ـ كقوله تعالى « يا مريمُ أنّى لكِ هذا »

٣ ـ وتكون بمعنى متى ـ كقولك ـ زُرني أنّى شئتَ

وكم ـ موضوعة للاستفهام : ويُطلب بها تعيين عددٍ مُبهمٍ كقوله تعالى « كم لبثْتُمْ » .

وأيّ ـ موضوعة للاستفهام . ويطلب بها تمييزُ أحد المُتشاركين فى أمرٍ يَعُمُّهما : كقوله تعالى « أيُّ الفريقَين خيرٌ مقاما » ويُسأل بها عن الزمان والمكان ، والحال ، والعدد ، والعاقل ، وغيره ـ على حسب ماتُضاف إليه « أى »

ولذا تأخذ « أى » معناها ممّا تُضاف إليه .

فان اضيفت إلى ما تفيده « ما » أخذت حكمها .

وإن أضيفت إلى ما تفيده « متى ـ أو كيف » أو غيرهما من الأدوات السابقة أخذت معناها .

وقد تخرُج ألفاظُ الاستفهام عن معناها الأصلى (وهو طلب العلم بمجهول فيستفهم بها عن الشىء مع (العلم به) — لأغراض أخرى : تفهم من سِياق الكلام ودلالته — وَمن أهمّ ذلك .

(١) الأمر — كقوله تعالى « فهَلْ أنْتمْ مُنْتهون » أى انتهوا

(٢) والنّهى — كقوله تعالى « أتخْشَوْنَهُمْ (١) فاللهُ أنْ تخْشَوْهُ »

(٣) والتّسوية — كقوله تعالى « سَواءٌ عَليْهِمْ أأنْذرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنذِرْهُم لا يُؤْمنُون »

(٤) والنفى — كقوله تعالى « هلْ جزاءُ الإحْسان إلاّ الإحْسان)(٢) .

---

(١) أى : لاتخشوهم فالله أحق تخشوه

(٢) أى ما جزاء الاحسان إلا الاحسان

(٥) والإنكار — [1] كقوله تعالى (أغيرَ اللهِ تدعُون)

(٦) والتَّشويق — كقوله تعالى « هَلْ أدُلُّكم على تِجارةٍ تُنْجيكمْ مِنْ عَذابٍ أليم » .

(٧) والاستئناس — كقوله تعالى « وما تِلْكَ بيَمينِكَ يا مُوسَى »

(٨) والتَّقرير [2] — كقوله تعالى « ألَمْ نَشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ »

(٩) والتَّهويل — كقوله تعالى (الْحَاقَّةُ ما الْحَاقَّةُ وما أدْراكَ ما الْحَاقَّةُ)

(١٠) والاستبعاد — كقوله تعالى « أنَّى لَهمْ الذِّكْرَى وَقَدْ جاءَهُمْ رسولٌ مبين) — ونحو : قول الشاعر

مَن لى بإنسانٍ إذا أغضبته وجَهلت كان الحلْمُ رَدَّ جوابه

(١١) والتَّعظيم - كقوله تعالى « مَنْ ذا الذّي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بإذْنِهِ »

---

(١) اعلم أن الانكار إذا وقع فى الاثبات يجعله نفيا — كقوله تعالى : أفى الله شك ؟ أى لاشك فيه . وإذا وقع فى النفى يجعله إثباتا ، نحو : قوله تعالى ألم يجدك يتيما أى : قد وجدناك . وبيان ذلك : أن إنكار الاثبات والنفى نفى لها . ونفى الاثبات نفى — ونفى النفى إثبات . ثم الانكار قد يكون للتكذيب ، نحو أيحسب الانسان أن يترك سدى — وقد يكون للتوبيخ واللوم على ماوقع

نحو : أتعبدون ماتنحتون

وهذه الآية من كلام ابراهيم عليه السلام لقومه ، حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة .

(٢) ويكون غالبا بالهمزة يليها المقرر به ، كقولك (أفعلت هذا) — إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وكقولك أأنت فعلت هذا — إذا أردت أن تقرره بانه الفاعل ، وكقولك أخليلا ضربت — إذا أردت أن تقرره بان مضروبه خليل

ويكون التقرير أحيانا بغير الهمزة نحو : لمن هذا الكتاب ، وكم لى عليك ؟؟

(١٢) والتحقير ـ نحو : أهذا الذى مدحته كثيراً ؟؟

(١٣) والتعجب ـ كقوله تعالى ـ (ما لِهَذَا الرَّسول يأكُل الطَّعامَ ويمشى فى الأسْوَاق) ـ وكقول الشاعر :

خليليَّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلى

(١٤) والتهكم ـ نحو : أعقلك يُسوِّغُ لك أن تفعل كذا

(١٥) والوعيد ـ نحو : (ألم تَرَ كيفَ فعل ربّك بعادٍ)

(١٦) والاستبطاء ـ كقوله (مَتَى نَصرُ اللهِ) ونحو : كم دعوتك

(١٧) والتنبيه على الخطأ ـ كقوله تعالى (أتَسْتَبْدِلُونَ الذى هُوَ أدْنَى بالذى هُوَ خيرٌ)

(١٨) والتنبيه على الباطل ـ كقوله تعالى (أفأنْتَ تسمِع الصُّمَّ أوْ تَهْدِى العُمى)

(١٩) والتحسّرُ ـ كقول شمس الدين الكوفى

ما للمنازل أصبحتْ لا أهلُها أهلى . ولا جيرانُها جيرانِى

(٢٠) والتنبيه على ضلال الطّريق ـ كقوله تعالى (فأيْنَ تَذْهَبُونَ) والتكثير ـ كقول أبى العلاء المعرّى

صاح ـ هذه قبورُنا تملأ الرّحبَ فأينَ القبُورُ من عَهد عَاد ؟؟

واعلم أن كل ما وضع من الأخبار فى صورة الاستفهام فى الأمثلة السابقة والآتية تجدّدت له مزية بلاغية ، زادت المعنى روعة وجمالا

إذا عرفت هذا ـ فاعرف أيضاً أنه يستعمل كل من (الأمر . والنهى . والاستفهام) فى أغراض أخرى ، يُرجع فى إدراكها إلى الذوق الأدبى ، ولا

يكون استعمالها فى غير ما وضعت له ؛ إلا لطريقة أدبية ، تجعل لهذا الاستعمال مزية ، يترقى بها الكلام فى درجات البلاغة ؟؟

تطبيق

ماذا يراد بالاستفهام فيما يلى ؟؟

(١) ألستُم خيرَ مَن رَكب المطايا وأندَى العالمينَ بُطون راحِ

(٢) أنلهُو وأيّامنا تذهبُ ونلعبُ والموتُ لا يلعبُ

(٣) متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرُكَ يَهدمُ

(٤) فعلامَ يلتمس العدوُ مَساءتى من بعد ما عرفَ الخلائقُ شانى

(٥) وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرم الغنى ورأىُ أمير المؤمنين جميل

(٦) وهل نافعى أن تُرْفعَ الحُجبُ بيننا ودُون الذى أمّلتُ منكَ حِجاب

(٧) أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

---

(١) التقرير : لان المقام للمدح ، وذلك أبلغ فيه ، ولو أن جريراً قال فى مدحه ، أنتم خير من ركب المطايا ، لكان قوله (خبراً) يحتمل الصدق والكذب ولكنه إذ وضعه فى صورة الاستفهام لم يجعله خبراً يشك فيه . بل جعله حقيقة لايجهلها أحد . ولاينكرها إذا سئل عنها .

(٢) النهى عن اللعب — ويصح أن يكون للتهكم

(٣) الانكار — وبيان أن ذلك لن يكون

(٤) التعجب من عمل لايجديه نفعا

(٥) النفى — وذلك أوقع فى المدح

(٦) — وبيان أن ذلك ليس بمفيد

(٧) التعظيم — وإكبار شأنه

(٨) ومَن مثلُ كافور إذا الخيل أحجمت — وكان قليلا مَن يقول لها أقدمى

(٩) أفى الحق أن يُعطى ثلاثون شاعرا — ويُحرمَ مادون الرّضا شاعرٌ مثلى

(١٠) أعندى وقد مارستُ كلَّ خفيةٍ — يُصَدَّق واش أو يُخَيَّب سائل

(١١) فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى — أطنينُ أجنحةِ الذُّباب يضيرُ

(١٢) ومن ذا الذى يُدْلى بعذر وحجّةٍ — وسيف المنايا بين عينيه مُصلتُ

(١٣) إذا محاسنىَ اللاتى أتيته بها — عُدّت ذنوبا فقل لى كيف أعتذر؟

(١٤) إلامَ وفيمَ تنقلنا ركابٌ — ونأمل أن يكون لنا أوان

فهل لى أن أراك قُبَيْلَ موتى — ولو فى النوم يا بنت الكرام

أسئلة على الاستفهام يطلب أجوبتها

ما هو الاستفهام ؟ . ما هى أدواته ؟ . ما الذى يُطلب بالهمزة ؟ . ما هو التصوُّر ؟ . ما هو التصديق ؟ . ما الفرق بين همزة التصور ؟ وهمزة التصديق ـ وهل ؟ . ماذا يطلب بكم ؟ . ما الذى يطلب بايان ؟ . ما الذى ما الذى يطلب بمن ؟ . ما الذى يطلب بما ؟ . ما الذى يطلب بمتى ؟ . ما الذى يطلب بكيف ؟ . ما الذى يطلب بكم ؟ . ماالذى يطلب بأيان ؟ . ما الذى يطلب بأنّى ؟ ما الذى يطلب بأىّ ؟

---

(٨) النهى — والتنويه بشجاعته
(٩) الانكار — وبيان أن ذلك لاينبغى أن يكون
(١٠) الانكار — وبيان أن ذلك لاينبغى أن يكون
(١١) التهكم والتحقير
(١٢) التعظيم — وتهويل شأن ذلك الموقف
(١٣) النفى
(١٤) الاستبطاء

ماهى المعانى التى تخرج إليها أدوات الاستفهام عن معانيها الأصلية

تمرين

ما هى المعانى التى استعمل فيها الاستفهام فى الأمثلة الآتية :

قال تعالى :

(١) « قُلْ هلْ يَسْتوِى الأَعمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُماتُ وَالنُّورُ » .

(٢) « هل مِنْ خالقٍ غيْرُ اللهِ يرْزُقُكُم » .

(٣) أَفبِالْباطِلِ يُؤْمِنُون ، وَبِنِعْمةِ اللهِ هُمْ يكْفُرُون » .

(٤) « أَلا تُقاتِلُونَ قوْماً نكثُوا أَيْمَانَهُمْ ، وَهمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ ، وَهُمْ بدءُوكُمْ أَوَّلَ مرَّةٍ . أَتخشوْنَهم فَاللهُ أَحقُّ أَنْ تخْشوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين » .

(٥) أفتطْمعونَ أَنْ يُؤْمِنوا لكُمْ وَقدْ كانَ فرِيقٌ مِنْهُمْ يسْمعونَ كَلامَ اللهِ ، ثُمَّ يُحرِّفُونَهُ منْ بعْدِ ما عقلوه وهُمْ يعْلمون » .

(٦) « أفغيْرَ دِينِ اللهِ يبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّموَاتِ والأرْضِ طوْعاً وَكرهاً وَإِليْهِ يُرْجعُونَ » .

(٧) « إِنَّ الَّذِينَ كفرُوا سَواءٌ عليْهِمْ أَأَنْذرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ » .

(٨) « أَفأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بالبنِينَ ، واتخذَ مِنَ الملائكةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لتقولُونَ قوْلاً عظِيماً » .

(٩) « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وأنفقوا مما رزقهم الله ، وكان الله بهم عليما »

(١٠) « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم »

(١١) « أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ، أمن يمشى سويا على صراط مستقيم »

(١٢) « ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى »

(١٣) قال أبو نواس :

أنا فى ذمة الخصيب مقيم حيث لا تهتدى صروف الزمان
كيف أخشى على غول الليالى ومكانى من الخصيب مكانى

(١٤) وقال أبو تمام يمدح عبد الله بن طاهر :

يقول فى قومس قومى وقد أخذت منا السرى وخطى المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ، ولكن مطلع الجود

(١٥) وقال يفخر بقومه :

مضوا : وكأن المكرمات لديهم لكثرة ما أوصوا بهن شرائع
فأى يد فى المحل مدت فلم تكن لها راحة من جودهم وأصابع

(١٦) وقال رجل من الخوارج كان الحجاج قد عفا عنه :

أأقاتل الحجاج عن سلطانه بيد تقر بأنها مولاته

(١٧) وقال أبو تمام :

أإلى بنى عبد الكريم تشاوست عيناك (ويحك) خلف من تتفوق

ما أُنشِئَت للمكرمات سحابةٌ إلا ومن أيديهم تَتَدفَّقُ

(١٨) وقال المرحوم أحمد شوقى :

إلامَ الخُلْفُ بينكم إلاما وهذى الضجة الكبرى علاما
وفيم يكيدُ بعضكم لبعض وتُبْدُون العداوةَ والخِصاما

(١٩) وقال ابن الرومى :

ما كان فى فضلاءِ النَّاس لى أملٌ فكيف أمَّلْتُ خيراً فى المجانين

(٢٠) وقال العباس بن الأحنف :

قلبى إلى ماضرَّنى داعِى يُكثِرُ أسقامى وأوجاعى
كيف احتراسى من عَدُوِّى إذا كان عَدُوِّى بين أضلاعِى

(٢١) وقال زُفر بن الحارث :

أيذهب يومٌ واحدٌ إن أسأته بصالح أيامى وحُسْنِ بلائيا

(٢٢) وقال زياد الأعجم :

فمَنْ أنتمُ إنَّا نسينا من َأنتم وَرِيحكُم من أىِّ رِيح الأعاصر

(٢٣) وقال إبراهيم الموصلىّ :

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقْصِرِى فليس إلى ما تأمرينَ سبيلُ
وكيف أخافُ الفقر أو أحرمُ الغنى ورأىُ أمير المؤمنين جميلُ

(٢٤) وقال جميل بن معمر :

ألا ليتَ شعرى هل أُبِيتَنَّ ليلةً بوادى القُرَى إنى إذاً لسعيد
وهل أَلْقيَنْ سُعْدَى من الدهر مرة وما رَثَّ من حَبْلِ الصفاء جديدُ

(٢٥) وقال شمس الدين الكوفى :

مالى وللأيام شَدَّتَ خطبُها شملِى وخلاَّنى بلا خلاَّنِ

تمرين

وضح الأغراض التى خرج إليها — الأمر — والنهى — والاستفهام فى الأمثلة الآتية :

(١) قال أبو الطيب يعاتب رجلاً ظن أنه هجاه ، وكان غيره هو الذى هجاه :

أتنكرُ يابن إسحقٍ إخائى ... وتحسَبُ ماء غيرى من إنائى
أأنطقُ فيك هُجْراً بَعْدَ علمى ... بأنك خَيْرُ مِنْ تَحْتَ السماء
وهبنى قلت هذا الصبحُ ليلٌ ... أَيَعْمى العالمُونَ عن الضياء

(٢) وقال يخاطب سيف الدولة :

أجزْنى إذا أُنشدتَ شعراً فإنما ... بشعرى أتاكَ المادحون مُرَدَّداَ
وَدعْ كلَّ صوتٍ غيرَ صوتى فإننى ... أنا الصائحُ المحكىُّ والآخَرُ الصَّدَى

(٣) وقال :

عِشْ عزيزاً أَوْ مُتْ وأنت كريم ... بين طَعْنِ القنا وَخَفْقِ البنُودِ
واطلب العزَّ فى لظَى وذَرِ الذُّ ... لَّ ولو كان فى جنان الخلود

(٤) وقال :

لِمَنْ تَطْلُبُ الدنيا إذا لم تُرِدْ بها ... سرورَ مُحِبٍّ أَوْ إساءَةَ مُجْرِم

(٥) وقال أبو فراس :

بمن يثقُ الإنسانُ فيما ينوبُهُ ... وَمِنْ أَيْنَ للحر الكريم صِحابُه
وقد صار هذا الناسُ إلا أقَلَّهُم ... ذئاباً عَلَى أجسادهنَّ ثيابُه

(٦) وقال أبو العتاهية فى عبد الله بن معن بن زائدة :

فصُغْ ما كنتَ حَلَّيْتَ ... به سيفكَ خَلْخَالاَ

وما تَصْنَعُ بالسيف إذا لم تكُ قتّالا

(٧) ولابن رشيق :

أيها الليل طُلْ بغير جُناحِ ليس للعين راحةٌ فى الصَّباحِ
كيف لا أُبغضُ الصباحَ وفيه بَانَ عنّى نورُ الوجوه المِلاحِ

(٨) وقال كثير :

أسيئى بنا أو أحسنى لا مَلُومَةً لَدَينا ولا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ
فلا يَبْعَدَنْ وَصلٌ لعزّةَ أصبحت بعاقبة أسْبابُهُ قد تَوَلَّتِ

(٩) وقال البحترى :

إسْلَمْ أبا الصَّقْرِ للمعروف تصنَعُهُ والمجدِ تبنيه فى ذُهْلِ بْنِ شَيْبانِ

(١٠) وقال الفرزدق :

أترجو رَبيعٌ أن يجىء صغارُها بخيرٍ وقد أعيا ربيعاً كبارُها

(١١) وقال جرير

قل للجبان إذا تأخر سَرْجُهُ هل أنت من شَرَكِ المنية ناجى

(١٢) وقال المعرّى :

إفهم عن الأيام فهى نواطقٌ ما زال يَضرِبُ صَرْفُها الأمثالا
لم يمضِ فى دنياكَ أمرٌ مُعجِبٌ إلّا أرَتْكَ لِما مضى تمثالا

(١٣) وقال :

ما افتخارُ الفتى بثوب جديد وهو من تحته بعِرْضٍ لبيسِ
والفتى ليس باللُّجيْنِ وبالتِّبر ولكن بعِزّةٍ فى النفوسِ

(١٤) وقال المرحوم إسماعيل صبرى باشا يرثى طفلا صغيراً :

يامالىء العين نوراً والفؤادِ هوًى والبيتِ أُنساً ، تمهّل أيها القمر
لا تُخلِ أُفقَكَ يخلُفكَ الظلامُ به والزم مكانَكَ لا يحلُلْ به الكَدَرُ

المبحث الرابع

فى التّمنّى

التّمنّى — هو طَلبُ الشّىء المحبوب الذى لا يُرْجى ، ولا يُتوقّع حصوله

« ١ » إمّا لكونه مستحيلا — كقوله

الا ليتَ الشّبابَ يعودُ يوماً   فأخبرَه بما فعلَ المشيبُ

(٢) وإمّا لكونه ممكناً غير مطموعٍ فى نيله — كقوله تعالى (ياليْتَ لنا مِثْلَ ما أوتى قارُون)

وإذا كان الأمرُ المحبوبُ ممّا يُرْجى حصولُه كان طلبة ترجّياً

ويُعبّرُ فيه « بعسى ، ولعلّ » كقوله تعالى « لعلّ اللهَ يُحْدِثُ بعْدَ ذلكَ أمْراً » و « عسى اللهُ أنْ يأْتِىَ بالفَتْحِ »

وقد تُستعمل فى الترجّى « ليت » لغرض بلاغىٍ (١)

وللتّمنّى أربعُ أدوات — واحدةٌ أصليةٌ — وهى « ليْتَ »

وثلاثٌ غيرُ أصليّةٍ نائبةٌ عنها — ويُتمنّى بها لغرضٍ بلاغىٍّ : وهى

(١) هل — (٢) كقوله تعالى « فهَلْ لنَا من شُفعاء فيَشْفَعُوا لنا » (٣)

---

(١) الغرض هو إبراز المرجو فى صورة المستحيل مبالغة فى بعد نيله — نحو

فياليت ما بينى وبين أحبتى   من البعد ما بينى وبين المصائب

وقد تستعمل أيضا للتندم نحو « ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا »

(٢) اعلم أن سبب العدول عن (ليت) إلى « هل » إبراز المتمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن الذى لايجزم بانتفائه ، وهو المستفهم عنه

(٣) لما كان عدم الشفعاء معلوما لهم امتنع حقيقة الاستفهام ، وتولد منه التمنى المناسب للمقام

(٢) ولو [١] — كقوله تعالى « فَلَوْ أن لنا كَرَّةً فنكون مِنَ المؤمنين »

(٣) ولعلّ [٢] — كقوله

أسربَ القَطا هلْ مَنْ يُعيرُ جناحهُ ؟ لعلّى إلى مَنْ قد هَوِيتُ أطيرُ

ولأجل استعمال هذه الأدوات فى التَّمَنّى يُنصبُ المضارع الواقع فى جوابها

تمـــرين

بيِّن المعانى المُستفادةَ من صِيغ التّمنّى فيما يأتى

قال تعالى : فهَل إلى خُروجٍ مِن سَبيل

علَّ الليالى الّتى أضْنَت بفُرْقتنا جِسمى سَتجْمَعُنى يوماً وتجمعه

لو يأتينا فيُحدِّثنا — لعلّى أحجُّ فأزورَكَ — يا ليتنى اتّخذتُ مع الرسول سبيلا — هل إلى مردٍّ من سبيل — ياليت لنا مثل ما أُوتى قارون لعلّى أبلغُ الأسباب — لو تتلو الآيات فتشقّ سمعى —

كلّ من فى الكون يشكو دَهرَهُ ليتَ شعرى هذه الدنيا لِمَن ؟؟

---

(١) وسبب العدول إلى « لو » الدلالة على عزة متمناه وندرته ، حيث أبرزه فى صورة الذى لا يوجد ، لأن « لو » تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط

(٢) وذلك لبعد المرجو ، فكأنه مما لا يرجى حصوله ، واعلم أن « هلا وألا ولوما ، ولولا » — مأخوذة من « هل ولو » بزيادة (ما) و (لا) عليهما — وأصل « ألا — هلا » قلبت الهاء همزة ليتعين معنى التمنى ، ويزول احتمال الاستفهام والشرط ، فيتولد من التمنى معنى التنديم فى الماضى نحو : هلا قمت ، ومعنى التحضيض فى المستقبل نحو هلا تقف

ولا يتمنى : بهل — ولو — ولعل : إلا فى المقطوع بعدم وقوعه لئلا تحمل على معانيها الأصلية

فليتَ اللّيلَ فيه كان شهراً ومرَّ نهارُهُ مرَّ السّحابِ
فليتَ هوى الأحِبةِ كان عدْلاً فحمَّلَ كلَّ قلبٍ ما أطاقا

المبحث الخامس

فى النِّداء

النّداء - هو طلبُ المتكلم إقبالَ المخاطَبِ عليه بحرف نائب مناب «أنادِي» المنقُول من الخبر إلى الإنشاء وأدواته ثمانية

الهمزة. وأيْ ويا. وآ. وآيْ. وأيَا. وهيَا. ووا[1]

وهى فى كيفيَّة الاستعمال نوعان

(١) الهمزة - وأيْ: لنداء القريب

(٢) وباقى الأدوات لنداء البعيد

وقد يُنزَّلُ البعيدُ منزله القريب - فينادَى بالهمزة - وأيْ. إشارةً إلى أنه لشدَّة استحضاره فى ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه. لا يغيبُ عن القلب، وكأنه ماثِلٌ أمامَ العين - كقول الشاعر

أسُكانَ نَعمان الأراكِ تيقّنُوا بأنكم فى ربع قلبي سُكّانُ

وقد يُنزَّلُ القريب منزلة البعيد - فينادَى بغير «الهمزة. وأيْ»

«ا» إشارةً إلى علُوِّ مرتبته. فيُجعلُ بُعدُ المنزلة كأنه بُعْدٌ فى المكان. كقوله «أيا مولاى» وأنتَ معه للدّلالةِ على أن المُنادَى عظيمُ القدر، رفيعُ الشأن.

«ب» أو إشارة إلى انحطاط منزلتهِ ودرجتِه - كقولك «أيا هذا» لِمن هو معك

---

(١) اعلم أن لفظ الجلالة يختص نداؤه — (بيا)

« ج » أو إشارة إلى أنّ السّامعَ لغفلته وشرود ذهنه كأنّه غيرُ حاضر كقولك للساهي ـ أيا فلانُ ـ وكقول البارودي

يأيُّها السّادرُ المُزْوَرُّ من صلفٍ   مهلاً ، فإنك بالأيّام منْخَدِعُ (١)

وقد تخرج ألفاظ النّداء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى ، تفهم من السّياق بمعونة القرائن ـ ومن أهمّ ذلك

(١) الإغراء — نحو قولك لمن أقبل يتظلّم : يا مظلومُ

(٢) والاستغاثة — نحو يَالله للمؤْمنين

(٣) والنُّدبة — نحو قول الشاعر

فواعجباً كم يدّعى الفضلَ ناقصٌ   ووَاأسفاً كم يظهِر النّقصَ فاضلُ

(٤) والتّعجب — كقول الشاعر

يالكِ من قُبّرَة بِمَعْمرِ   خلا لكِ الجوُّ فبيضى واصفرى

(٥) والزجر — كقول الشاعر

أفُؤادي متى المتابُ ألمَّا   تصحُ والشّيبُ فوقَ رأسى ألمّا

(٦) والتحسّر والتوجُّع — كقوله تعالى « يا لَيْتني كُنْتُ تُراباً »

وكقول الشاعر :

أيا قبرَ معْنَ كيفَ واريْتَ جودَهُ   وقد كانَ منهُ البرُّ والبحر مُترعَا

(٧) والتذكر كقوله :

أيا منزِلَىْ سَلمى سلامٌ عليكما   هل الأزمُن اللاّتى مَضيْن رواجع

(٨) والتّحيُّر والتّضجُّر — نحو قول الشاعر

أيا منازلَ سلمى أينَ سَلماكِ   منْ أجل هذا بكيناها بكيناكِ

---

(١) السادر الذاهب عن الشيء ترفعا عنه ، والذى لا يبالى ولا يهتم بما صنع المزور . المنحرف . والصلف الكبر .

ويكثر هذا فى نداء الأطلال والمطايا : ونحوها

والاختصاص[١] — هو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لأجل بيانه . نحو قوله تعالى « رَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهلَ الْبيتِ إنهُ حَمِيدٌ مَجِيد . ونحو : نحن العُلماء ورثةُ الأنبياء :

« ا » إمَّا للتَّفاخُر ـ نحو : أنا أُكْرِمُ الضَّيفَ أيُّها الرَّجُلُ

«ب» وإما للتَّواضُع ـ نحو : أنا الفقيرُ المسكينُ أيُّها الرَّجلُ

ونحو : اللَّهُم اغفر لنا أيَّتُها العصابة[٢]

تمرين

بين المعانى الحقيقيَّة المستفادة من صِيغ النِّداء ـ والمعانى المجازية المستفادة من القرائن :

صاحِ شمِّرْ ولا تزلْ ذاكِرَ المو … تِ فنسيانُهُ ضَلالٌ مُبين

يا لقَوْمى ويا لأمثال قَوْمى … لأُناسٍ عُتُوُّهُمْ فى ازْدِيادِ

يَا للرِّجالِ ذوِى الألباب من نفرٍ … لا يبرَحُ السَّفهُ المرْدِى لهم دِينَا

أيها القلبُ قد قضَيت مَراماً … فلِامَ الوَلوع بالشَّهَواتِ

أيا شجر الخابور مالَكَ مُورقاً … كأنكَ لم تجزَع على ابنِ طَريفِ

يا أيها الظالم فى فعله … الظُلم مَردُودٌ على من ظلَم

---

(١) بيان ذلك أن النداء تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك — فجرد عن طلب الاقبال ، واستعمل فى تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه منها .

(٢) أى : اللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائب ، فصورته صورة النداء وليس به — إذا لم يرد به إلا مادل عليه ضمير المتكلم السابق . ولذا لايجوز إظهار حرف النداء فيه

أريحانة العينين والأنف والحشا ألا ليت شعرى هل تغيرت من بعدى
يا ناقُ سِيرى عنقاً فسيحاً إلى سُليمان فتستريحا
حجبوه عن الرّياح لأنى قلتُ يا ريحُ بلّغيه السلاما
يا ليتنى كنتُ صبيًّا مُرضعاً تحملنى الذلفاء حولاً أكتعا
يا ليلة لستُ أنسى طيبها أبداً كأنّ كلّ سرور حاضرٌ فيها
يا ليلة كالمسك مَخبرُها وكذاك فى التشبيه منظرها
أحييتها والبدرُ يخدُمنى والشمس أنهاها وآمرُها
يا من تذكّرُنى شمائله ريح الشمال تنفّست سَحَرا
وإذا امتطى قلمٌ أنامله سحر العقول به وما سحرا
يا قلب ويحك ما سمعت لناصح لما ارتميتَ ولا اتّقيت ملاما
يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
يا رحمة الله حلّى فى منازلنا وجاورينا فدتكِ النفس من جار

تنبيهات

الأول ـ يُوضع الخبرُ موضعَ الإنشاء لأغراض كثيرة ـ أهمها

التفاؤل ـ نحو هداك اللهُ لصالح الأعمال

(كأنّ الهداية حصلت بالفعل) فأخبرَ عنها ـ ونحو : وفّقك الله

(٢) والاحتراز عن صورة الأمر تأدّباً واحتراماً ، نحو رحم الله فلاناً
ونحو : ينظر مولايَ فى امرى ويقضِى حاجتى

(٣) والتنبيه على تيسير المطلوب لقوة الأسباب
كقول الأمير لجنده « تأخذون بنواصيهم وتُنزلونهم من صياصيهم »

(٤) والمُبالغة فى الطّلب للتنبيه على سرعة الامتثال

نحو (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم)

لم يقل لا تسفكوا . قصداً للمبالغة فى النهى ، حتى كأنهم نُهوا فامتثلوا

ثم أخبر عنهم بالامتثال

(٥) إظهار الرغبة ـ نحو قولك فى غائب : رزقنى الله لقاءه

الثانى ـ يوضع الانشاء موضع الخبر لأغراض كثيرة

« ا » منها : إظهار العناية بالشىء : والاهتمام بشأنه ـ كقوله تعالى (قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد)

لم يقل : وإقامة وجوهكم ، إشعاراً بالعناية بأمر الصلاة لعظيم خطرها ، وجليل قدرها فى الدين

« ب » ومنها : التحاشى والاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق

كقوله تعالى (قال إنى أشهد الله ، واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه) لم يقل وأشهدكم تحاشياً وفراراً من مساواة شادتهم بشهادة الله تعالى

الثالث ـ الانشاء كالخبر فى كثير مما ذكر فيه ، ومما سيذكر فى الأبواب التالية ـ من الذكر والحذف وغيرهما إن شاء الله تعالى

الرابع ـ يستعمل كل من (الأمر والنهى والاستفهام) فى أغراض أخر يرجع فى إدراكها إلى الذوق الأدبى ، ولا يكون استعمالها فى غير ما وضعت له إلا لطريقة أدبية تجعل لهذا الاستعمال مزية يترقى بها الكلام فى درجات البلاغة ، كما سبق القول

تطبيق

بيِّن المعانى المستفادةَ من النِّداء ، وسبب استعمال أداةٍ دون غيرها فيما يلى :

(١) أيا منَازِلَ سَلمى أيْنَ سَلماكِ   مِنْ أجْلَ هذا بكيناهَا بكيناكِ[1]

(٢) صادحَ الشَّرق قدْ سكتَّ طَويلا   وعَزيزٌ علينا ألاَّ تقولا[2]

(٣) أياقبر معْنٍ كيف واريتَ جُوده   وَقد كان منه البَرُ والبحر مُترعا[3]

(٤) يادُرَّةً نُزِعَتْ من تاج وَالدها   فأصبحت حِلْيَةً فى تاج رِضوانِ

(٥) فيالأِمى دعنى أُغالى بقيمتى   فقيمةُ كلِّ النَّاس ما يحسنونه

رقم	الأداة	المعنى المستفاد	سبب إيثار الأداة
١	أيا	التضجر والتحير معا	تنزيل المنازل المخاطبة منزلة البعيد لعظم شأنها لديه
٢	يا الملحوظة	« « «	كون المنادى بعيد المرتبة حقيقة .
٣	أيا	التحسر	تنزيل المخاطب منزلة البعيد إشعاراً برفعة شأنه
٤	يا	«	تنزيل المنادى منزلة البعيد تنويها بعظم الأمر ورفعة القدر
٥	الطلب	الطلب	للاشارة إلى أن المخاطب منحط الدرجة

تطبيق آخر

وضح الاعتبار الدَّاعى لوضع كلٍّ من الخبر والانشاء موضع الآخر :

---

(١) يريد لعدم وجود سلمى بكيناها و [illegible] ازل ـ فواو العطف محذوفة

(٢) صدح الرجل رفع صوته بالغنا [illegible] أو [illegible] لوه .

(١) قال تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

(٢) وقال تعالى (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) وقال الشاعر

(٣) أتانى أبيتَ اللعنَ أنك لمتَني ❊ وتلك التى أهتمُّ منها وأنصبُ[1]

(٤) إذاً فعاقبنى ربى معاقبة ❊ قرّت بها عينُ من يأتيكَ بالحسد

تدريب

بيِّن فيما يلى الغرضَ من وضع الإنشاء موضعَ الخبر وبالعكس :

(١) كلُّ خليلٍ كنتُ خاللته ❊ لا ترك اللهُ له واضحه

(٢) قال الله تعالى (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا)

(٣) تقول لصديقك . رزقنى اللهُ لقاءك ـ ويقول الشاعر

(٤) ولائمة لامتك يافضلُ فى الندى ❊ فقلتُ لها هل أثّر اللومُ فى البحر

أتنهين فضلاً عن عطاياه للورى ❊ ومن ذا الذى ينهى الغمام عن القطر

تمرين

عيِّن الجمل الخبرية والإنشائية فيما يأتى : قال الله تعالى :

---

(١) أبيت اللعن . كانت تحية الملوك ، ومعناها أبيت أن تفعل شيئا تلعن به

اهتم أى اصير ذاهم . انسب اى اتعب .

الرقم	نوع الكلام	البيان	الاعتبار
١	الانشاء	إذ التقدير أحسنوا بالوالدين والمقام للاخبار	الاهتمام وإظهار العناية
٢	الخبر	إذ المعنى ليأمن من دخله	إظهار الحرص على وقوعه
٣	«	المقام للإنشاء إذ الغرض الدعاء له	التفاؤل بالدعاء
٤	«	المقام للطلب للطلب	لأظهار الحرص على وقوعه

(١) « آمنَ الرَّسولُ بما أُنْزِلَ إليْهِ من ربِّه ، والمؤمنون كُلٌّ آمن باللهِ وملائكته وكُتبه ورُسلهِ » .

(٢) « يمحقُ اللهُ الرِّبا ويُرْبي الصدقات ، واللهُ لا يحبُّ كل كفَّار أثيم » .

(٣) « يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا ، أطيعُوا الله وأطيعوا الرَّسولَ وأولى الأمرِ منكُمْ » .

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

(٤) اسْتعِينوا عَلَى قضاء حوائجِكُمْ بالكِتْمان فَإنَّ كلَّ ذى نعمة محْسُودٌ

(٥) ومن وصية عبد الملك بن مرْوَان لأولاده :

« يا بَنِيَّ ، كُفُّوا أذاكُمْ ، وابذُلوا معروفَكُمْ ، واعْفُوا إذا قدَرْتم ولا تبْخلُوا إذا سُئِلْتُمْ ، ولا تُلحِفُوا إذا سألْتُمْ ، فإن من ضَيَّقَ ضَيَّقَ اللهُ عَلَيْهِ وَمن أعطى أخلفَ اللهُ له »

(٦) وقال أبو العلاء المعرى :

لا تَحلِفَنَّ على صدْق ولا كَذب   فما يُفيدكَ إلا المأْثَمَ الحَلِفُ

(٧) وقال

لا تفْرحَنَّ بما بلغتَ من العلا   وإذا سَبقْتَ فعن قليل تُسْبَقُ

وَلْيحْذر الدَّعوى اللبيبُ فإنها   لِلْفضل مَهْلكَةٌ وخطبٌ مُوبِقُ

(٨) وقال أبو العتاهية :

بكيتُ على الشباب بدمْعِ عَيْنى   فلم يُغْنِ البكاءُ ولا النَّحيبُ

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يومًا   فأُخبِرهُ بما فعلَ المشيبُ

(٩) وقال :

يا صاحبَ الدنيـــا المحبَّ لها أنت الذى لا ينقضى تعبُهُ

(١٠) وقال :

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها إذا أطاعَ اللهَ مَنْ نالها
من لم يُؤاسِ الناسَ من فضلِها عرَّضَ للإدبارِ إقبالَها

(١١) وقال الشاعر :

أراك تُؤمِّلُ حُسْنَ الثناء ولم يرزقِ اللهُ ذاكَ البخيـــلا
وكيف يسودُ أخو فِطْنَةٍ يمَنُّ كثيراً وَيُعْطى قليـلا

(١٢) وقال سعيدُ بن حُمَيْد :

وأراك تَكْلَفُ بالعتاب وَوُدُّنا صافٍ عليه من الوفاء دليل
ولعل أيامَ الحياةِ قصيرة فعلام يكثر عَتْبُنا ويطولُ

أسئلة يطلب اجوبتها

(١) عرِّف التمنى ، واذكر ألفاظه

(٢) بيِّن الفرق بين التمنِّى والترجى . واذكر ألفاظ ثانيهما

(٣) بيِّن النِّداء ، واذكر أدواته : وقسِّمها من حيث الاستعمال

(٤) متى يُنزَّل القريب منزلة البعيد ، وبالعكس

(٥) بيِّن المعانى المجازية التى تُستفاد من ألفاظ النِّداء

(٦) بيِّن الأغراضَ الدَّاعية لايثار الخبر فى مقام الانشاء

(٧) لِمَ يُوضع الانشاء موضع الخبر ؟ ؟

تطبيق عام على الباب الثانى

أنا الذائد الحامى الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

الجملة الأولى — خبرية اسمية من الضرب الابتدائى . والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة - المسند إليه (أنا) . والمسند (الذائد) . والجملة الثانية خبرية فعلية من الضرب الثالث لما فيها من التوكيد بانما . والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة أيضا . المسند (يدافع) . والمسند إليه (أنا) .

وما ربك بظلام للعبيد — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث — والمراد بها التوبيخ — المسند اليه (رب) . والمسند (ظلام)

أنت خرجت عن حدك — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث — والمراد بها التوبيخ — المسند اليه (أنت) . والمسند جملة (خرجت)

رب إن قومى كذبون — جملة (رب) انشائية ندائية . والمراد بها الدعاء . المسند والمسند اليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفة وجملة : إن قومى كذبون . خبرية اسميه من الضرب الثالث . والمراد إظهار التحسر . المسند اليه (قومى) . والمسند جملة كذبون

زارنا الغيث — جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بها إظهار الفرح - المسند اليه : الغيث والمسند : زار . وأتى بها فعلية لافادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار .

ذهب عنا الحزن — جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بها إظهار الشماتة بمدبر - المسند (ذهب) . والمسند اليه (الحزن) - وأتى بها فعلية لأفادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار

قابلت الأمير — جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بها إظهار السرور . المسند قابل . والمسند اليه التاء

أنا ممتثل لأمرك — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى والمراد بها إظهار التواضع — المسند اليه أنا . والمسند ممتثل . وأتى بها اسمية لمجرد ثبوت المسند للمسند اليه .

إن الله لايظلم الناس شيئا — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث . والمراد بها التوبيخ للناس . المسند اليه لفظ الجلالة . والمسند جملة (لايظلم)

وأتى بالمسند جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد — والجملة الاسمية مفيدة للاستمرار الآن بقرينة الاسناد إلى الله تعالى

ما جاءنا من أحد — جملة خبرية فعلية من الضرب الثالث والمراد بها فائدة الخبر المسند جاء ، والمسند إليه أحد ، وأتى بها فعلية لما تقدم

أنت نجحت — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الاسناد . والمراد بها لازم الفائدة . المسند اليه أنت . والمسند جملة نجحت

حضر الأمير — جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بها أصل الفائدة ـ المسند حضر . المسند اليه الأمير

سيحرم المقصر — خبرية فعلية من الضرب الابتدائى ـ والمراد بها الذم . المسند سيحرم . والمسند اليه المقصر . وهى تفيد الاستمرار التجددى بقرينة الذم.

ما برح المقصر نادما — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى — والمراد بها الذم ، المسند إليه المقصر . والمسند نادما . وهى مفيدة للاستمرار بقرينة (ما برح) .

كلما جئتنى أكرمتك — جملة أكرمتك خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . وهى الجملة ، وما قبلها قيد لها ، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها ، المسند أكرم ، والمسند إليه التاء ، وهى مفيدة للاستمرار التجددى : بقرينة كلما .

ما مجتهد صاحباك — جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى ، ولا يقال اسمية لأن الاسم حل محل الفعل — ولذلك رفع ما بعده على أنه فاعله ، والمراد بها الاستمرار بقرينة الذم ، المسند مجتهد . والمسند إليه صاحباك ، وقس عليها .

نحو ما مبغوض أنت ، وما حسن فعل أعدائك . وأقائم أخواك ، وهل منصف أصحابك .

كلما ذاكر المجتهد استفاد — جملة استفاد : فعلية خبرية من الضرب الابتدائى المسند استفاد ، والمسند إليه هو ، وهى مفيدة للاستمرار التجددى بقرينة كلما .

الشمس طالعة — تقولها للعاثر — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى المسند إليه الشمس — والمسند طالعة . والمراد بها التوبيخ .

الكريم محبوب — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى ، المسند إليه الكريم والمسند محبوب ، والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح .

من يسافر ؟ — جملة انشائية استفهامية . المسند إليه من . والمسند جملة يسافر

التفتوا — جملة انشائية أمريه . المسند التفت . والمسند إليه الواو

لا تتركوا المذاكرة — جملة إنشائية نهيية . المسند تترك . والمسند إليه الواو

ليت البخيل يجود — جملة إنشائية تمنية اسمية المسند إليه البخيل . والمسند جملة يجود .

هل فهمتم — جملة انشائية استفهامية . المسند فهم والمسند إليه التاء .

يا تلاميذ — جملة انشائية ندائية . المسند والمسند إليه محذوفان تقديرهما : أدعو نابت عنهما (يا) .

قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء الهمزة الداخلة على لفظ (أغير) ليست للاستفهام الحقيق ، بل هى للانكار الذى لم يقع على أنه يبغى رباً ، ولكنه وقع على أن يكون المبغى ربا غير الله .

الباب الثالث

فى أحوال المُسند إليه

المُسْند إليه : هو المبتدأ الذى له خبر ، و الفاعل ، ونائبه ، وأسماء النّواسخ : وأحواله هى الذكر ، والحذف ، والتّعريف ، والتّنكير ، والتّقديم ، والتّأخير وغيرها . وفى هذا الباب عدة مباحث

المبحث الأول

فى ذكر المُسْند إليه

كلّ لفظٍ يدلّ على معنى فى الكلام خليقٌ طبعاً بالذكر ، لتأدية المعنى المُرادِ به ـ فلهذا يُذكر المُسندُ إليه وجوبا . حيث إنّ ذكرهُ هو الأصل ولا مُقتضِيَ للحذف ، لعدم قرينةٍ تدلّ عليه عند حذفه

وإلاّ كان الكلام معنًى مُبهماً ، لا يستبينُ المرادُ منه

وقد يترجّحُ الذكر مع وجود قرينة تمكّن من الحذف ، حين لا يكون منه مانع ـ فمن مُرجّحات الذّكرِ[1]

---

(١) بيان ذلك أنه إذا لم يوجد فى الكلام قرينة تدل على مايراد حذفه ، او وجدت قرينة ضعيفة غير مصحوبة بغرض آخر يدعو إلى الحذف ، فلابد من الذكر جريا على الأصل ، وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح (الذكر) مع وجود قرينة تمكن من (الحذف) وذلك لأغراض مختلفة ، ترجع إلى أساليب البلغاء. فتجدهم قد ذكروا أحياناً ما يجوز أن يستغنى عنه ، وحذفوا ما لا يوجد مانع من ذكره ، فرجحوا الذكر أحيانا والحذف أحيانا . لأسباب بلاغية اقتضت ذلك .

(١) زيادةُ التقرير والإيضاح للسّامع - كقوله تعالى (أُولئِكَ على هدًى مِنْ ربِّهم وَأُولئكَ هُمُ الْمفلِحُون)[١] - وكقول الشاعر

هو الشّمس فى العَلْيا هو الدّهر فى السّطا

هو البدرُ فى النّادي هو البحر فى النّدى

(٢) قلّة الثقة بالقرينة : لضعفها — أو ضعف فهم السّامع

نحو سعدٌ نِعمَ الزّعيمُ : تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد ، وطال عهد السامع به ، أو ذُكر معه كلام فى شأن غيره

(٣) الرّد على المُخاطب : نحو : الله واحدٌ ، ردًّا على من قال : الله ثالثُ ثلاثةٍ

(٤) التلذُّذ . نحو الله ربى، اللهُ حسبى .

(٥) التعريضُ بغباوة السّامع : نحو سعيدٌ قال كذا — فى جواب ماذا قال سعيد ؟

(٦) التّسجيل على السّامع ، [٢] حتّى لا يتأتّى له الإنكار — كما إذا قال الحاكم لشاهد - هل أقرّ زيد هذا بأنّ عليه كذا ؟ فيقول الشاهد نعمْ زيد هذا أقرّ بأنّ عليه كذا[٣] .

---

(١) الشاهد فى (أولئك هم المفلحون) حيث كرر اسم الاشارة المسند إليه للتقرير والايضاح تنبيها على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح أيضاً .

(٢) أى كتابة الحكم عليه بين يدى الحاكم .

(٣) فيذكر المسند إليه لئلا يجد المشهود عليه سبيلا للانكار بأن يقول للحاكم عند التسجيل ، إنما فهم الشاهد أنك أشرت إلى غيرى فأجاب : ولذلك لم أنكر ولم أطلب الاعذار فيه .

(٧) التَّعَجُّب — إذا كان الحكم غريباً — نحو : عليٌّ يُقاوم الأسدَ فى جواب من قال : هل عليٌّ يُقاوم الأسدَ ؟

(٨) التعظيم - نحو حضر سيفُ الدّوله . فى جواب من قال : هل حضر الأمير ؟

(٩) الإهانة - نحو السَّارق قادم . فى جواب من قال : هل حضر السَّارق ؟

المبحث الثانى

فى حذف المُسْنَد اليه

الحذف خلاف الأصل ويكون لمجرَّد الاختصار والاحترَازِ عن العبث بناء على وجود قرينة تدُلّ على المحذوف — وهو قسمان

« ا » قسمٌ يظهر فيه المحذوف عند الإعراب : كقولهم - أهلا وسهلا فإنَّ نصبَهما يَدُلّ على ناصب محذوف يُقدَّر بنحو : جئتَ أهلا ونزلت مكاناً سهلا - وليس هذا القسم من البلاغة فى شىء

«ب» وقسم لايظهر فيه المحذوفُ عند الاعراب - وإنّما تعلَمُ مكانه إذا أنتَ تصفَّحْتَ المعنى ووجدتَه لا يتِمّ إلا بمُراعاته . نحو يُعطى - ويمنع أى - يُعطِى من يَشاء ، ويَمْنعُ من يَشاء - ولكن لا سبيلَ إلى إظهار ذلك المحذوف ، ولو أنت أظهرْته زالت البهجة ، وضاع ذلك الرَّونق (١)

---

(١) وفى هذا القسم تظهر دقائق البلاغة ومكنون سرها وروائع أساليبها . ولهذا يقول الامام (عبدالقاهر الجرجانى) : فى باب الحذف : إنه باب دقيق المسلك . لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فانك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم =

وَمن دواعى الحذف : إذا دلّتْ عليه قرينة ، وتعلق بتركه غرض من الأغراض الآتية :

(١) ظهوره بدلالة القرائن عليه ـ نحو : فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقالَتْ عجوز عَقِيم « أى أنا عجوز »

(٢) إخفاء الأمر عن غير المُخاطب ـ نحو أقبلَ « تُريد عليـًا مثلا »

(٣) تيَسُّر الانـكار إن مَسَّت اليه الحاجة ـ نحو (لئيم خسيس) بعد ذكر شخص لا تذكر اسمه ليتأتَّى لك عند الحاجة أن تقول ما أردتُه ولا قصدتُه

(٤) الحَذر من فوات فرصة سانحة ـ كقول مُنبِّهِ الصّياد :

غزالٌ « أى هذا غزال »

(٥) اختبار تَنَبُّهِ السّامع له عند القرينة ـ أو مقدارَ تنبُّهِه ـ نحو نُورهُ مُستفادٌ من نور الشّمس ـ أوهو واسطة عقد الـكواكب « أى القمر » فى كلٍّ من المثالين

(٦) ضِيق المقام عن إطالة الـكلام بسبب تَضجُّر وتوجُّع ـ كقوله

قالَ لى كَيْفَ أنتَ قلْتُ عليلٌ ۞ سَهرٌ دائمٌ وحُزْنٌ طويلُ (١)

(٧) المحافظة على السَّجْع ـ نحو

ماتـكون بيانا إذا لم تبن ، وهذه جملةقد تنكرها حتى تخبر ، وتدفعها حتى تنظر والأصل فى جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون فى الـكلام ما يدل عليها ، وإلا كان الحذف تعمية وإلغازاً لايصار اليه بحال ـ ومن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ماكان فى الـكلام من البهجة والطلاوة ، وصار إلى شىء غث لا تناسب بينه وبين ماكان عليه أولا (والقرينة شرط فى صحة الحذف) إذا اقترن بها غرض من الأغراض المذكورة .

(١) أى لم يقل أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى

مَن طابَتْ سريرَتُهُ ، حُمِدَتْ سيرَتُهُ (١)

(٨) المُحافظة على قافية كقوله

وما المالُ والأَهْلُونَ إلَّا ودائعٌ ولاَبُدَّ يوماً أن تُردَّ الوَدائعُ (٢)

(٩) المُحافظة على وزن — كقوله

على أنَّنى راضٍ بأنْ أحملَ الهوَى وأخاصَ منه لاعَلَىَّ ولاَ لِيَا (٣)

(١٠) كون المسند إليه مُعيَّناً معلوماً «حقيقة» نحو : (عالمُ الغيبِ والشَّهادة) « أي — الله » — أو معلوماً « ادعاء » نحو وهَّابُ الألوف « أي فلان »

(١١) إتباع الاستعمال الوارد على تركه (٤) — نحو : رَمْيَةٌ من غير رام « أي هذه رمية » ونحو : نِعْمَ الزَّعيم سعدٌ : أي هو سعدٌ

(١٢) إشعار أنَّ فى تركه تطهيراً له عن لسانك ، أو تطهيراً للسانك عنه ، مثال الأول (مُقرِّرٌ للشَّرائع مُوَضِّحٌ للدَّلائل) تريد صاحب الشريعة ومثال الثانى (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ)

(١٣) تكثيرُ الفائدة — نحو : فصبرٌ جميل « أى فأمرى صَبرٌ جميل »

(١٤) تعينه بالعهدية — نحو : (واستَوَتْ على الجُودِىِّ (٥)) أى السَّفينة

---

(١) أى لم يقل حمد الناس سيرته للمحافظة على السجع المستلزم رفع الثانية

(٢) فلو قيل : أن يرد الناس الودائع : لاختلفت القافة لصيرورتها مرفوعة فى الأول منصوبة فى الثانى .

(٣) أى لا على شىء ، ولا لى شىء .

(٤) وكذا أيضاً الوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح نحو مررت بزيد الهمام — وعلى الذم نحو رأيت بكراً اللئيم — وعلى الترحم مثل : ترفق بخالد المسكين

(٥) قيل الجودى هو الذى وقفت عليه سفينة نوح — وهى معهودة فى الكلام السابق فى قوله واصنع الفلك بأعيننا الخ .

ونحو « حتى توارت بالحجاب » أى الشمس .

ومرجع ذلك إلى الذوق الأدبى : فهو الذى يُوحى إليك بما فى القول من بلاغة وحسن بيان .

تدريب

بيّن أسباب ذكر وحذف المسند إليه فى الأمثلة الآتية

وأنا لا ندرى أشرٌّ أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً

الرئيس كلمنى فى أمرك — والرئيس أمرنى بمقابلتك (١) — الأمير نشر المعارف ، وأمّن المخاوف (٢) . محتالٌ مراوغٌ (٣) . منضجةٌ للزرع . مصلحةٌ للهواء (٤) .

فعبّاسٌ يصدُّ الخطب عنّا وعبّاسٌ يجيرُ من استجارا

خلقَ فسوّى . مقرّرٌ للشرائع موضّحٌ للدلائل ، ولو شاء لهداكم أجمعين (٥) .

وإنى من القوم الذين همُ همُ إذ مات منهم سيّدٌ قام صاحبه

أنا مصدرُ الكلم البوادى بين المحاضر والنوادى

أنا فارسٌ أنا شاعرٌ فى كلّ ملحمة ونادى

(١) تخاطب غبياً .
(٢) جواباً لمن سأل ما فعل الأمير ؟ ؟
(٣) بعد ذكر إنسان
(٤) تعنى الشمس
(٥) أى لو شاء هدايتكم

إن حل فى رُوم ففيها قيْصَرٌ أو حلّ فى عُرْبٍ ففيها تُبَّعُ

تُسَائِلُنِى ما الحبُّ قلت عواطفٌ منوّعة الأجناس موطنها القلبُ

تطبيق

وضح دواعى الحذف فى التراكيب الآتية :

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مدحتُهم أُحكَّمُ فى أموالهم وأُقرّبُ

أَمَا والذى أبكى وأضحكَ والذى أمات وأحيا والذى أمرُه أمرُ

(١) لَسِنٌ إذَا صعِدَ المنابر أو نضا قلمًا شأى الخُطَبَاءَ والكُتّابا [1]

(٢) عليلُ الجسم ممتنعُ القيام شديدُ السُّكْر من غير المُدَامِ

(٣) أحجاجُ لا يفْلل سلاحكَ إنما الـ ـمنايا بكفّ الله حيثُ تراها [2]

(٤) حَرِيصٌ على الدنيا مضيعٌ لدينه وليس لما فى بَيته بمُضيع

(٥) وإنى رأيت البُخْل يُزْرِى بأهله فأكْرمْتُ نفسى أن يُقال بخيل

رقم	المحذوف	السبب
١	المسند اليه	ادعاء العلم به فى مقام المدح
٢	«	
٣	«	ضيق المقام من التوجع
	«	العلم به
٤	المسند اليه	ادعاء العلم به فى مقام الذم
٥	«	العلم به

(١) نضا بمعنى جرد ـ شأى . سبق

(٢) فلول السيف كسور فى حده

(٦) لو شئتَ لم تُفسد سماحة حاتمٍ كرماً ولم تهدم مآثر خالدِ

(٧) بَرْدُ حَشاىَ (١) إنِ استطعتَ بلفظةٍ

فلقد تضرُّ إذا تشاء وتنفعُ

(٨) نجومُ (٢) سماء كلما غارَ كوكبٌ

بدا كوكبٌ تأوى اليه الكواكب

وقد علِمَ القبائل من معدٍّ اذا قببٌ بأبطحها بنينا

بأنّا المطعمونَ اذا قدرنا وأنّا المهلكُونَ إذا ابتُلينا

وأنّا المانعونَ لما أردنَا وأنّا النازلون بحيثُ شِينا

وأنّا التاركون إذا سخطنا وأنّا الآخذُون إذا رضينا

أنا النبيُّ لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر — خلاّق لما يشاء — الحمد لله الحميدُ — لا تخاطب السّفيه اللئيم ، وأحسن إلى الفقير المسكين

حيُّوا العُروبةَ فى عُليا مراتبها وخيرِ فرسانها شيباً وشبّانَا

رقم	المحذوف	السبب
٦	المفعول	البيان بعد الابهام
٧	«	عدم تعلق الغرض به تنزيل المتعدى منزلة اللازم
٨	المسند اليه	ادعاء تعينه فى مقام المدح

(١) الحشا ، ما انطوت عليه الضلوع

(٢) أى هؤلاء نجوم

المبحث الثالث

فى تعريف المسند اليه

حقُّ المسند اليه : أن يكون معرفة ، لأنَّه المحكوم عليه الذى ينبغى أن يكون معلوماً . ليكونَ الحكم مُفيداً .

وتعريفه[1] إمّا : بالإضمار ، وإمّا بالعلَمِيَّة ، وإمّا بالإشارة ، وإمّا بالموصوليه ، وإمّا بأل ، وإمّا بالإضافة ، وإمّا بالنداء .

المبحث الرابع

فى تعريف المسند اليه بالإضمار

يُؤْتَى بالمسند اليه ضميرا — لأغراض :

(١) لكون الحديث فى مقام « التكلُّم » كقوله عليه الصلاة والسلام (أنا النبىّ لا كذب ، أنا ابنُ عبد المطَّلب)

---

(١) أعلم أن كلا من المعرفة والنكرة يدل على معين ، وإلا امتنع الفهم — إلا أن الفرق بينهما أن (النكرة) يفهم منها ذات المعين فقط . ولايفهم منها كونه معلوما للسامع وأن (المعرفة) يفهم منها ذات المعين ، ويفهم منها كونه معلوما للسامع لدلالة اللفظ على التعيين ، والتعيين فيها — إما بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينة خارجية كما فى العلم وأما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما فى الضمائر ، واما بقرينة إشارة حسية كما فى الاشارة . وأما بنسبة معهودة كما فى الأسماء الموصولة ، وأما بحرف وهو المعرف بال . والنداء . وأما باضافة معنوية وهو المضاف إلى واحد مما ذكر . ماعدا المنادى .

واعلم أنه قدم ذكر (الاضمار) لأنه أعرف المعارف — وأصل الخطاب أن يكون لمعين ، وقد يستعمل أحيانا دون أن يقصد به مخاطب معين كقول المتنبى

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

أخرج الكلام هنا فى صورة الخطاب ليفيد العموم

(٢) أو لكون الحديث فى مقام «الخطاب» كقول الشاعر :

وأنتَ الذى أخلَفتنى ما وعدتَنى   وأشمَتَّ بى مَن كان فيك يَلومُ

(٣) أو لكون الحديث فى مقام « الغيبة » لكون المسند إليه مذكورا ـ أو فى حكم المذكور لقرينة ـ نحو اللهُ تبارك وتعالى

ولا بدَّ من تقدّم ذكره .

« ا » إمّا لفظاً — كقوله تعالى « واصْبِرْ حتى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمين » .

«ب» وإمّا معنًى — نحو « وإنْ قِيل لكُمُ ارْجِعُوا فارْجِعُوا هُوَ أزكى لكُمْ » « أى » « الرجوع » .

ونحو « اعدلوا هو أقربُ للتقوى » — أى العدل :

« ج » أودلتْ عليه قرينة حال — كقوله تعالى « فَلَهُنَّ ثُلُثا ماتَرَكَ » وهُوَ « أى الميت » .

تنبيهات

الأوّل : ــ الأصل فى الخطاب أن يكون لمُشاهِدٍ مُعيّن .

نحو أنت استرققتنى بإحسانك

وقد يُخاطب :

« ا » غيرُ المشاهَد إذا كان مُستحضراً فى القلب نحو « لا إلهَ إلاّ أنتَ » — ونحو :

جودى بقربِك أبلُغْ كلَّ أمنيتى   أنتِ الحياة وأنتِ الكون أجمعُه

«ب» وغير المُعيّن : إذا قُصِدَ تعميمُ الخطاب لكلّ من يُمكن

خطابه على سبيل البدل ـ لا التناول دفعة واحدة ـ كقول المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته　　وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

الثانى : الأصل فى وضع الضمير عدم ذكره إلا بعد تقدم ما يفسره وقد يعدل عن هذا الأصل : فيقدم الضمير على مرجعه لأغراض كثيرة

« ا » منها تمكين مابعد الضمير فى نفس السامع لتشوقه إليه كقوله :

* هى النفس ما حملتها تتحمل *

فإنها لا تعمى الأبصار ـ ونعم رجلا على ـ فالفاعل ضمير يفسره التمييز ، ويطرد ذلك فى باب نعم و بئس ، وفى باب ضمير الشأن ـ نحو قوله تعالى : « هو الله أحد » .

« ب » ومنها ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور فى الذهن ، نحو : أقبل وعليه الهيبة والوقار . . ونحو قول الشاعر :

أبت الوصال مخافة الرقباء　　وأتتك تحت مدارع الظلماء

ويسمى هذا العدول بالإضمار فى مقام الإظهار .

الثالث : يوضع الظاهر (سواء أكان علما ، أو صفة ، أو اسم اشارة) موضع الضمير ، لأغراض كثيرة :

(١) منها إلقاء المهابة فى نفس السامع ـ كقول الخليفة : أمير المؤمنين يأمر بكذا .

(٢) وتمكين المعنى فى نفس المخاطب ـ نحو : الله ربى ولا أشرك بربى أحداً .

(٣) ومنها التلذذ كقول الشاعر :

سقى الله نجداً والسلام على نجد　　ويا حبذا نجد على القرب والبعد

(٤) ومنها الاستعطاف ـ نحو : اللّهم عبدك يَسألك المغفرة

(أى أنا أسألك) ويسمّى هذا العدول بالإظهار فى مقام الإضمار

المبحث الخامس

فى تعريف المسند اليه بالعلمية

يُؤتى بالمسند اليه علماً : لاحضار معناه فى ذهن السّامع ، إبتداء باسمه الخاص لِيمتاز عمّا عداه — كقوله تعالى « وإذْ يَرْفَعُ ابْراهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْت واسماعِيلُ » .

وقد يقصد به مع هذا أغراضٌ أخرى تُناسب المقام :

(١) كالمدح فى الألقاب التى تُشعِر بذلك — نحو : جاء نصر — وحضر صلاح الدين .

(٢) والذّم والإهانة — نحو : جاء صَخر — وذهب تأبّط شرّا

(٣) والتّفاؤل — نحو : جاء سُرور

(٤) والتّشاؤم — نحو : حربٌ فى البلد

(٥) والتبرّك — نحو . اللهُ أكرمنى . فى جواب : هل أكرمك الله ؟

(٦) والتّلذّذ — كقول الشاعر :

بالله يا ظَبيَاتِ القَاعِ قُلْنَ لنا   لَيلاىَ منكُنّ أم لَيلَى من البشرِ

(٧) والكناية عن معنى يَصْلح العلمُ لذلك المعنى : بحسب معناه الأصلى قبل العلميّة — نحو : أبو لهب فعل كذا . . كناية عن كونه جهنّمياً

لأن اللّهب الحقيقى هو لَهبُ جهنم — فيصحّ أن يُلاحظ فيه ذلك

المبحث السادس

فى تعريف المسند اليه بالاشارة

يُؤتى بالمسند اليه اسم إشارة : إذا تعيَّن طريقاً لإحضار المشار اليه فى ذهن السَّامع ، بأن يكون حاضراً محسوساً ، ولا يعرفُ المتكلم والسَّامع اسمه الخاص ، ولا مُعيَّناً آخر ، كقولك أتبيع لى هذا — مُشيراً إلى شىء لا تعرف له اسما — ولا وصفاً .

أمَّا إذا لم يتعيَّن طريقاً لذلك ، فيكون لأغراض أُخرى

« ا » بيان حاله فى القُرْب — نحو : هذه بضاعتنا

«ب» بيان حاله فى التَّوسط — نحو : ذاك ولدى

« ج » بيان حاله فى البُعد — نحو : ذلك يوم الوعيد

(١) تعظيم درجته بالقُرب ، نحو : (إنَّ هذَا القُرآنَ يَهدى لِلتى هِىَ أقوم) .

أو تعظيم درجته بالبُعد ، كقوله تعالى (ذَلكَ الْكِتابُ لارَيْبَ فِيه)

(٢) أو التَّحقير بالقرب — نحو : (هَلْ هذَا إلاَّ بشرٌ مِثلُكمْ) ؟

أو التَّحقير بالبُعد — كقوله تعالى « فَذَلِكَ الذِى يَدُعُّ اليَتِيم »

(٣) وإظهار الاستغراب — كقول الشاعر :

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيَتْ مَذاهبهُ ... وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مَرْزُوقا

هذا الذى تركَ الأوهام حائرةً ... وصيَّر العالِم النّحرير زنديقـا

(٤) وكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز — كقول الفرزدق :

هذا الذى تَعرفُ البطحاء وَطأته ... والبيتُ يعرفهُ والحِلُّ والحرَم

ونحو قوله : هذا أبو الصقر فرداً فى محاسنه

(٥) والتَّعريض بغباوة المخاطب ، حتى كأنه لايفهم غير المحسوس ، نحو :

أُولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

(٦) والتَّنبيه على أن المشار اليه المُعقَّب بأوصاف ، جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة — كقوله تعالى « أولئك على هدًى من ربهم وأولئك هم المفلحون »(١).

وكثيراً ما يُشار إلى القريب غير المُشاهَد باشارة البعيد ، تنزيلاً للبُعد عن العيان ، منزلة البعد عن المكان نحو : (ذَلِكَ تأويلُ ما لم تستطع عَلَيْهِ صَبْراً) .

المبحث السابع

فى تعريف المسند إليه بالموصولية

يُؤتى بالمسند إليه اسمَ موصول : إذا تعيَّن طريقاً لاحضار معناه كقولك ـ ألذى كان معنا أمس سافر ، إذا لم تكن تعرف اسمه

أمَّا إذا لم يتعيَّن طريقاً لذلك : فيكون لأغراض أخرى

(١) منها التَّشويق — وذلك فيما إذا كان مضمون الصلة حكماً غريباً — كقوله :

والذى حارت البريَّة فيـه حيوانٌ مستحدثٌ من جماد(٢)

---

(١) اى فالمشار إليه بأولئك . هم المتقون . وقد ذكرعقبه اوصاف هى الايمان بالغيب ، وإقامة الصلاة ومابعدهما — ثم اتى بالمسند اليه اسم إشارة وهو اولئك تنبيها على ان المشار إليهم جديرون واحقاء من اجل تلك الخصال ، بأن يفوزوا بالهداية عاجلا ، والفوز بالفلاح آجلا .

(٢) يعنى تحيرت البرية فى المعاد الجسمانى .

(٢) ومنها إخفاء الأمر عَنْ غير المخاطب ـ كقول الشاعر

وأخذتُ ما جاد الأميرُ به وقضيتُ حاجاتى كما أهوَى

(٣) ومنها التّنبيه على خطأ المخاطَب ، نحو : إنّ الذين تدعونَ مِنْ دون الله عبادٌ أمثالكم) ـ وكقول الشاعر :

إنّ الّذين تُرَونَهم إخوانَكم يَشفى غليلَ صُدورِهم أن تُصرَعوا[1]

(٤) ومنها التّنبيه على خطأ غير المُخاطب ـ كقوله :

إنّ التى زَعمتْ فؤادك ملّها خلقتْ هواك كما خلقتَ هوًى لها

(٥) ومنها تعظيم شأن المحكوم به — كقول الشاعر :

إنّ الذى سمك السّماء بنى لنا بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطولُ[2]

(٦) ومنها التّهويل : تعظيماً ـ أو تحقيراً ـ نحو : فغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ ما غَشِيَهُمْ[3]

ونحو : ـ مَنْ لم يَدْرِ حقيقة الحال قال ما قال

(٧) ومنها استهجان التّصريح بالاسم ـ نحو الذى رَبّانى أبى[4]

(٨) ومنها الإشارة إلى الوجه الذى يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب كقوله تعالى (الذين آمنوا وَعَمِلُوا الصّالحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم)

(٩) ومنها التّوْبيخ ـ نحو : الذى أحسن اليك قد أسأتَ اليه

(١٠) ومنها الاستغراق ـ نحو : الذين يأتونك أُكْرِمُهم

---

(١) أى من تظنون اخوتهم يحبون دماركم فأنتم مخطئون فى هذا الظن ـ ولا يفهم هذا المعنى (لو قيل إن قوم كذا يشفى الخ) .

(٢) أى إن من سمك السماء بنى لنا بيتا من العز والشرف ، هو أعز وأقوى من دعائم كل بيت .

(٣) أى غطاهم وسترهم من البحر موج عظيم ، لاتحيط العبارة بوصفه .

(٤) أى بأن كان اسمه قبيحاً كمن اسمه «برغوث . أو جحش . أوبطة . أوغيره»

(١١) ومنها الإبهام - نحو : لكلٍّ نفس ما قدّمت.

واعلم أنّ التّعريفَ بالموصوليّة مبحث دقيق المسلك ، غريب النّزعة يُوقفك على دقائق من البلاغة . تؤنسك إذا أنت نظرت اليها بثاقب فكرك ، وتُثلج صدرك إذا تأمّلتها بصادق رأيك ، فأسرارُ ولطائف التّعريف بالموصوليّة لا يمكن ضبطها ، واعتبر فى كل مقام ما تراه مناسباً

المبحث الثامن

فى تعريف المسند اليه بأل

يُؤتى بالمسند اليه مُعرّفاً (بأل العَهْديّة) أو (أل الجنسية) لِأغراض آتية

أل العهدية

أل العهدية - تدخل على المُسند اليه للإشارة إلى فرد مَعْهُود خارجاً بين المُتخاطبين - وعهده يكون :

« ا » إمّا بتقدّم ذكره « صريحاً » كقوله تعالى « كما أرسلْنا إلى فرْعَوْن رَسُولاً فعصى فرْعَوْنُ الرّسُولَ » - ويُسمّى عهداً صريحياً

« ب » وإمّا بتقدّم ذكره « تلويحاً » - كقوله تعالى « وَلَيْسَ الذّكر كالأُنثى » (فالذّكر) وإن لم يكن مسبوقاً صريحاً ، إلا أنه إشارة إلى «ما» فى الآية قبله (رَبِّ إني نذرْتُ لكَ « ما » فى بَطْنى مُحرّراً)[1]

(١) التحرير هو العتق لخدمة بيت المقدس . أى - وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لها ، فطلبها الذكر كان بطريق الكناية فى قولها «رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً» فان ذلك كان مقصوراً عندهم على الذكور فأل فى «الذكر» عائدة إلى مذكر بطريق الكناية ، وأل فى «الأنثى» عائدة إلى مذكور صريحاً فى قولها «رب إنى وضعتها أنثى» - فالعهد الخارجى ثلاثة أنواع - صريحى ، وكنائى ، وعلمى ،

فإنهم كانوا لا يُحررون لخدمة بيت المقدس إلا الذكور، وهو المعنىُّ «بما» ويُسمّى «كنائياً».

«ج» وإما بحضُوره بذاته ـ نحو: (أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) أو بمعرفة السامع له ـ نحو: هل انعقد المجلس ـ ويُسمّى (عهداً حضورياً)

أل الجنسية

أل الجنسيَّة: وتُسمّى (لامَ الحقيقة) تدخل على المسند اليه لأغراض أربعة

(١) للاشارة الى الحقيقة: من حيث هي ـ بقطع النَّظر عن عمومها وخصوصها، نحو: الإنسان حيوانٌ ناطق

وتُسمّى (لامَ الجنس) لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس، بقطع النظر عن الأفراد ـ نحو الذهب أثمن من الفضة.

(٢) أو للإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مُبهم، إذا قامت القرينة على ذلك. كقوله تعالى «وأَخافُ أَنْ يأكُلَهُ الذِّئبُ»

ومدخولها في المعنى (كالنكرة) فيُعامل مُعاملتها

وتُسمّى «لامَ العهد الذِّهني»

(٣) أو للإشارة إلى كلّ الأفراد التي يتناولها اللَّفظ بحسب اللغة

«ا» بمعونة قرينة «حالية» نحو: «عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَة» أي كل غائب وشاهد

«ب» أو بمعونة قرينة «لفظية» نحو: «إنَّ الانْسانَ لَفِي خُسْر» أي كلّ انسان ـ بدليل الاستثناء بعده

ويُسمّى «استغراقاً حقيقياً».

(٤) أوْ للاشارة إلى كلّ الأفراد مقيَّداً ـ نحو : جمع الأمير التُّجار وألقى عليهم نصائحه ـ أى جمع الأمير «تجّار مملكته» لا تجّار العالَم أجمع

ويسمّى « استغراقاً عرفياً »

تنبيهات

التنبيه الأول — علم مما تقدم أن أل التعريفية قسمان

القسم الأول — لام العهد الخارجى ، وتحته أنواع ثلاثة : صريحى — وكنائى وحضورى .

والقسم الثانى — لام الجنس : وتحته أنواع أربعة : لام الحقيقة من حيث هى — ولام الحقيقة فى ضمن فرد مبهم — ولام الاستغراق الحقيق — ولام الاستغراق العرفى .

التنبيه الثانى — (استغراق المفرد أشمل) من استغراق المثنى ، والجمع ، واسم الجمع .

لأن المفرد : يتناول كل واحد واحد من الأفراد . والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين . والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة — بدليل صحة (لا رجال فى الدار) إذا كان فيها رجل أو رجلان — بخلاف قولك (لا رجل) : فانه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجلان .

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها . وإنما تصح فى النكرة المنفية ، دون الجمع المعروف باللام — لأن المعرف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد نحو « الرجال قوامون على النساء » بل هو فى المفرد أقوى ، كما دل عليه الاستقراء وصرح به (أئمة اللغة وعلماء التفسير) فى كل ماوقع فى القرآن العزيز — نحو (أعلم غيب السموات والأرض) — (والله يحب المحسنين) — (وعلم آدم الأسماء كلها) — إلى غير ذلك من آى الذكر الحكيم — كما فى المطولات .

المبحث التاسع

فى تعريف المسند اليه بالإضافة

يُؤْتَى بالمسند اليه معرَّفاً بالاضافة إلى شىء من المعارف السّابقة لأغراض كثيرة .

(١) منها أنها أخصر طريق الى إحضاره فى ذهن السامع ـ نحو : جاء غلامى ـ فأنه أخصر من قولك : جاء الغلام الذى لى

(٢) ومنها تعذُّر التعدُّد : أو تعسُّره ـ نحو : أجمع أهل الحقّ على كذا ـ وأهلُ مصر كرامٌ

(٣) ومنها الخروجُ من تبِعة تقديم البعض على البعض ـ نحو : حضر أمراء الجند

(٤) ومنها التعظيم للمضاف نحو : كتاب السّلطان حضر

أو التعظيم للمضاف اليه ـ نحو : الأمير تلميذى ـ أو غيرهما : نحو : أخو الوزير عندى

(٥) ومنها التّحقير للمضاف ـ نحو : وَلَدُ اللّصّ قادم

أو التحقير للمضاف اليه ـ نحو : رفيق زيد لصٌّ ـ أو غيرهما ـ نحو : أخو اللص عند عمرو

(٦) ومنها الاختصار لضيق المقام : لفرط الضجر والسآمة ـ كقول جعفر بن علْبة « وهو فى السِّجْن بمكة »

التنبيه الثالث ـ قد يعرف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند اليه بالمسند المعرف وعكسه « حقيقة » نحو : هو الغفور الودود . ونحو ـ وتزودوا فان خير الزاد التقوى أو « ادعاء » للتنبيه على كال ذلك الجنس فى المسند إليه نحو : محمد العالم ـ أى الكامل فى العلم ـ أو كاله فى المسند ـ نحو الكرم التقوى (أى لا كرم إلا هى) .

هوايَ مع الرَّكب اليمانين مُصعِدٌ جَنيبٌ وجُثمانى بمكَّة مُوثق[١]

واعلم أنَّ هيئة التركيب الاضافى : موضوعة للاختصاص المصَحِّح لأن لأن يقال « المضاف للمضاف إليه . فاذا استعملت فى غير ذلك كانت مجازاً كما فى الاضافة لأدنى ملابسة ـ نحو : (مكرُ اللَّيل) ـ وكقوله :

إذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بسَحرةٍ «سُهيلٌ» أذاعت غزلَها فى القرائِب[٢]

المبحث العاشر

فى تعريف المُسند إليه بالنِّداء[٣]

يُؤتى بالمسند إليه مُعرفاً بالنداء : لأغراض كثيرة

(١) منها إذا لم يُعرف للمُخاطب عنوان خاصٌّ ـ نحو ـ يارجلُ

(٢) ومنها الإشارة إلى عِلَّة ما يُطلب منه ـ نحو : ياتلميذ أكتب الدَّرس

---

(١) أى ـ من أهواه وأحبه ذاهب مع ركبان الابل ، القاصدين إلى اليمن منضم إليهم ، مقود معهم ، وجسمى مقيد بمكة ، محبوس وممنوع عن السير معهم ـ فلفظ هواى أخصر من الذى أهواه ـ ونحوه

(٢) أضاف الكوكب إلى (الخرقاء) أى المرأة الحمقاء مع أنه ليس لها ، لانها لاتتذكر كسوتها إلا وقت طلوع (سهيل) سحراً فى الشتاء ـ وتفصيل ذلك أنه يقال إن المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها فى الصيف ، فاذا طلع سهيل وهو كوكب قريب من القطب الجنوبى ى السحر ، وذلك قرب الشتاء ، أحست بالبرد ، واحتاجت إلى الكسوة ، ففرقت غزلها أى قطنها أو كتانها الذى يصير غزلا فى أقاربها ، ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت ، فإضافة كوكب الخرقاء لأدنى ملابسة ـ وقد جعل الشاعر هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص .

(٣) اعلم أن أغلب البيانين لم يثبت (التعريف بالنداء) فى تعريف المسند إليه . وتحقيق ذلك يطلب من المطولات فى علوم البلاغة .

المبحث الحادى عشر

فى تنكير المسند إليه

يُؤْتى بالمسند إليه نكرة : لعدم علم المُتكلم بجهة من جهات التعريف. حقيقةً ـ أو ادّعاء ، كقولك ـ جاء هنا رجل يسأل عنك . إذا لم تَعرف ما يُعيِّنه من علَم أو صلة أو نحوهما ، وقد يكون لأغراض أخرى

(١) كالتّكثير[1] نحو وإنْ يُكذِّبُوكَ فقدْ كُذِّبتْ رُسُلٌ مِن قبلكَ (أى رُسُلٌ كثيرون) .

(٢) والتّقليل ـ نحو : لو كان لنا من الأمر شىء ، ونحو : ورضوان من الله أكبر .

(٣) والتّعظيم والتّحقير ـ كقول ابن أبى السّمط

لهُ حاجبٌ عنْ كل أمرٍ يَشينهُ ... وليس لهُ عنْ طالب العُرف حاجب

أى له مانع عظيم . وكثيرٌ عن كلّ عيب ـ وليس له مانع قليل ـ أو حقير عن طالب الإحسان[2] فيحتمل التّعظيم والتّكثير والتّقليل والتّحقير

(٤) وإخفاء الأمر ـ نحو : قال رجل إنك انحرفت عن الصّواب تخفى اسمه ، حتّى لا يلحقه أذًى .

---

(١) اعلم أن الفرق بين التعظيم والتكثير : أن التعظيم بحسب رفعة الشان وعلو الطبقة ـ وأن التكثير باعتبار الكميات والمقادير ـ تحقيقا كما فى قولك إن له لإبلا ، وإن له لغنما ـ أو تقديراً نحو : ورضوان من الله أكبر ـ أى قليل من الرضوان أكبر من كل شىء ـ ويلاحظ ذلك الفرق فى التحقير والتقليل أيضا .

(٢) ومنه قوله :

ولله عندى جانب لا أضيعه ... وللهو عندى والخلاعة جانب

ويحتمل التكثير والتقليل قوله تعالى (إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن)

(٥) وقصد الإفراد ـ نحو : وَيلٌ أهْوَنُ من وَيْلين

« أى ويل واحد أهون من ويلين »

(٦) وقصد النَّوعية ـ نحو : لِكلّ داء دَواء

(أى لكلّ نوع من الدّاء نوع من الدّواء)

المبحث الثانى عشر

فى تقديم المسند إليه(١)

مرتبة المُسند إليه : « التَّقديمُ » وذلك لأنّ مدلوله هو الذى يخطُر أولاً فى الذهن ، لأنه المحكوم عليه ، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً

---

(١) معلوم : أن الألفاظ قوالب المعانى . فيجب أن يكون ترتيبها الوضعى حسب ترتيبها الطبيعى . ومن البين أن (رتبة المسند اليه التقديم) لانه المحكوم عليه ، ورتبه المسند التأخير ، إذ هو المحكوم به ـ وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتى تالية لهما فى الرتبة ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات مايدعو إلى تقديمها ، وإن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن إذاً تغيير هذا الأصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذى يؤدى إليه ، ومترجما عما يريد .

ولا يخلو (التقديم) من أحوال أربع

الأول ـــ مايفيد زيادة فى المعنى مع تحسين فى اللفظ وذلك هو الغاية القصوى وإليه المرجع فى فنون البلاغة ـــ والكتاب الكريم هو العمدة فى هذا . انظر إلى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) تجد أن تقديم الجار فى هذا قد أفاد التخصيص وأن النظر لا يكون إلا لله ، مع جودة الصياغة وتناسق السجع .

الثانى ـــ مايفيد زيادة فى المعنى فقط نحو (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) فتقديم المفعول فى هذا لتخصيصه بالعبادة ، وأنه ينبغى ألا تكون لغيره ، ولو أخر ما أفاد الكلام ذلك .

فاستحقّ التقديم وضعاً ، ولتقديمه دواعٍ شتّى

(١) منها تعجيل المسَرّة ـ نحو العفوُ عنك صدر به الأمر

(٢) ومنها وتعجيلُ المساءة ـ نحو : القِصاصُ حكم به القاضى

(٣) ومنها التّشْويق إلى المتأخّر ـ إذا كان المُتقدِّمُ مُشعراً بغرابة كقول أبى العَلاء المعرّى

والذى حارت البَريّة فيه حيوانٌ مُستحْدثٌ من جماد[1]

(٤) ومنها التّلذّذ ـ نحو : ليلَى وصلت ـ وسَلْمَى هجرت

(٥) ومنها التّبرك ـ نحو : اسمُ الله اهتديتُ به

(٧) ومنها النّص على عُموم السلّب ـ أو النّصّ على سلْب العُموم

الثالث ـ ما يتكافأ فيه القديم والتأخير ، وليس لهذا الضرب شىء من الملاحة كقوله

وكانت يدى ملأى به ثم أصبحت بحمد إلهى ، وهى منه سليب

فتقديره : ثم أصبحت وهى منه سليب بحمد إلهى .

الرابع ـ ما يختل به المعنى ويضطرب ، وذلك هو التعقيد اللفظى ـ أو المعاظلة التى تقدمت ، كتقديم الصفة على الموصوف ، والصلة على الموصول ، أو نحو ذلك من الأنواع التى خرجت عن الفصاحة ـ ومنها قول الفرزدق .

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

فتقديره : إلى ملك أبوه ما أمه من محارب . أى ما أم أبيه منهم ، ولا شك ان هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى ، بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق ، حتى يفهم المراد منه .

(١) قيل (الحيوان) هو الانسان ـ و(الجماد) الذى خلق منه هو النطفة وحيرة البرية فيه هو الاختلاف فى إعادته للحشر ـ وهو يريد أن الخلائق تحيرت فى المعاد الجسمانى ، يدل لذلك قوله قبله .

بان أمر الآله واختلف النا س فداع إلى ضلال وهادى

« فعمومُ السّلب » : يكون بتقديم أداه العموم[١] ككُلّ — وجميع على أداة النفى — نحو : كل ظالم لا يُفلح ـ المعنى : لا يفلح أحد من الظَّلَمَة

ونحو : كل ذلك لم يكن : أى لم يقع هذا — ولا — ذاك

ونحو : كل تلميذ لم يُقَصّر فى واجبه — ويسمى شمول النفى —

واعلم : أن (عُموم السّلب) يكون النفى فيه لكل فرد

وتوضيح ذلك : أنك إذا بدأت بلفظة « كلّ » كنتَ قد سَلَّطت الكُلية على النفى ، وأعملتها فيه ـ وذلك يقضى ألاَّ يشذَّ عنه شىء

و (سلب العموم) يكون بتقديم أداة النفى على أداة العموم

نحو : لم يكن كلّ ذلك ، لم يقع المجموع ، فيحتمل ثبوت البعض ويحتمل نفى كل فرد لأنّ النّفى يوجّه الى الشمول خاصة ، دون أصل الفعل ويُسَمّى « نفى الشمول »

واعلم : أن (سلب العموم) يكون النّفى فيه للمجموع غالباً كقول المتنبّى

* ما كلُّ رأىِ الفتى يدعُو إلى رَشدِ

وقد جاء لعموم النفى قليلا : قوله تعالى (إنّ الله لا يحِبُّ كُلَّ مُختالٍ فَخُور) — ودليل ذلك : الذّوق والاستعمال

(٧) ومنها إفادة التّخصيص — قطعاً[٢] إذا كان المسند اليه مسبوقاً

---

(١) بشرط أن تكون أداة العموم غير معمولة للفعل الواقع بعدها كما مثل ـ فان كانت معمولة للفعل بعدها : سواء تقدمت لفظا أو تأخرت ، نحو : كل ذنب لم أصنع ـ ولم آخذ كل الدراهم ، أفاد الكلام سلب العموم ونفى الشمول غالباً .

(٢) وذلك يكون فى ثلاثة مواضع ==

بنفى ، والمسند فعلا ـ نحو : ما أنا قلت هذا ولا غيرى ـ أى : لم أقله : وهو مقول لغيرى

ولذا : لا يصح أن يقال : ما أنا قلت هذا ولا غيرى ، لأن مفهوم (ما أنا قلت) أنه مقول للغير ، ومنطوق (ولا غيرى) كونه غير مقول للغير (فيحصل التناقض سلباً وإيجاباً)

وإذا لم يسبق المسند اليه نفى ـ كان تقديمه محتملا[1] لتخصيص الحكم به أو تقويته ، إذا كان المسند فعلا[2] نحو : أنتَ لا تبخل

ونحو : هو يهب الألوف فإن فيه الإسناد مرتين . إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب : فى المثال الأول . وإسناد الجملة إلى ضمير الغائب : فى المثال الثانى

= الأول ـ أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة بعد نفى ، نحو : ما فؤاد فعل هذا .

الثانى ـ أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة بعد نفى ، نحو : ما أنا قلت ذلك

الثالث ـ أن يكون المسند إليه نكرة بعد نفى ، نحو : ما تلميذ حفظ الدرس

(١) وذلك فى ستة مواضع

الأول ـ أن يكون المسند إليه معرفة ظاهرة قبل نفى ، نحو فؤاد ما قال هذا

الثانى ـ أن يكون المسند إليه معرفه ظاهرة مثبتة ، نحو عباس أمر بهذا .

الثالث ـ أن يكون المسند إليـه معرفة مضمرة قبل نفى ، نحو أنا ما كتبت الدرس .

الرابع ـ أن يكون المسند إليه معرفة مضمرة مثبتة ، نحو أنا حفظت درسى

الخامس ـ أن يكون المسند إليه نكرة قبل نفى ، نحو رجل ما قال هذا .

السادس ـ أن يكون المسند إليه نكرة مثبتة ، نحو تلميذ حضر اليوم فى المدرسة . واعلم أن ما ذكرناه هو مذهب عبد القاهر الجرجانى وهو الحق ، وخالفه السكاكى .

(٢) فان قيل : لماذا اشترط أن يكون المسند فعلا ، وهل إذا كان المسند وصفا مشتملا على ضمير ، نحو : أنت بخيل ـ لم يكن كالفعل فى افادة التقوية .

أقول : لما كان ضمير الوصف لا يتغير : تكلما ، وخطابا ، وغيبة ، فهو شبيه بالجوامد وكانت تقويته قريبة من الفعل ، لا مثلها تماما .

(٨) ومنها كون المُتقدّم محطّ الإنكار والغرابة ـ كقوله

أَبَعْدَ المشيب المُنْقضى فى الذَّوائب تُحاوِلُ وصل الغانيات الكَواعِبِ

(٩) ومنها سُلوك سبيل الرُّقى ـ نحو : هذا الكلام صحيح ، فَصِيح ، بليغ ـ فاذَا قلت « فصيح » بليغ . لا يحتاج إلى ذكر صحيح . وإذا قلت « بليغ » لا يحتاج إلى ذكر فصيح :

(١٠) ومنها مُراعاة الترتيب الوُجودى ـ نحو (لا تأْخُذُه سِنَةٌ ولا نَوْمٌ)

تمرين

ما نوع المقدّم . وما فائدة التّقديم فى الأمثلة الآتية :

(١) قال الله تعالى : « لِلّهِ الأمرُ من قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ »

(٢) وقال تعالى : « مِمّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً »

(٣) وقال أبو فِراس :

إلى اللهِ أَشْكو أَننا بِمَنازِلٍ تَحَكَّمُ فى آسادِهِنَّ كِلاب

(٥) وقال ابن نباتة يخاطب الحسن بن محمد المهلّبى :

ولِى همةٌ لاَ تَطْلُبُ المَالَ لِلغِنَى وَلَكِنّها مِنْكَ المَوَدّةَ تَطْلُبُ

(٥) وقال أبو نواس :

إني انتَجَعْتُ العبّاسَ مُمْتَدِحاً وَسِيلَتي جُودُهُ وأَشْعَار

عَنْ خِبْرَةٍ جِئْتُ لا مُخَاطِرَة وبِالدّلالاتِ يَهْتَدِى السّارِى

(٦) وقال الأبيوردى :

وَمِنْ نَكَدِ الأيّام أَنْ يَبْلُغَ المُنى أَخُو اللُّؤْم فيها والكَرِيمُ يَخِيبُ

(٧) وقال أبو الطيب المتنبى يهجو كافوراً .

مِنْ أَيَّةِ الطُّرْقِ يأتى مِثْلَكَ الكَرَمُ   أَيْنَ المَحَاجِمِ يا كافُورُ وَالجِلَمُ

(٨) وقال المعرى :

أَعِنْدِى وقَدْ مَارَسْتُ كلَّ خَفِيَّةٍ   يُصَدَّقُ واشٍ أو يُخَيَّبُ سائلُ

(٩) وقال أيضاً :

إلى اللهِ أَشكو أننى كلَّ ليلةٍ   إذا نِمْتُ لمْ أَعْدَمْ خَواطِرَ أَوهامِ

فإنْ كانَ شرًّا فهو لا شكَّ واقعٌ   وإنْ كان خيراً فهْوَ أَضْغَاثُ أَحلامِ

(١٠) وقال أيضا :

وكالنَّارِ الحَياةُ فَمِنْ رَمَادٍ   أَواخِرُها وأَوَّلُها دُخَانُ

(١١) وقال بعض الشعراء فى الحث على المعروف :

يدُ المَعْرُوفِ غُنْمٌ حيثُ كانتْ   تَحَمَّلَها شَكُورٌ أو كَفُورُ

فَفِى شكرِ الشَّكورِ لها جَزاءٌ   وَعِندَ اللهِ ما جَحَدَ الكَفُورُ

(١٢) وقال الآخر :

أَنَلْهُو وأَيَّامُنا تَذْهَبُ   ونَلْعَبُ والدَّهْرُ لا يَلْعَبُ

(١٣) وقال محمد بن وهيب يمدح الخليفة المعتصم (وكنيته أبو إسحق) :

ثلاثَةٌ تُشرِقُ الدُّنيا بِبَهْجَتِهَا   شَمْسُ الضُّحَى وأبو إسحقَ والقَمَرُ

(١٤) وقال آخر :

ثلاثَةٌ يُجْهَلُ مِقْدارُهَا   الأَمْنُ والصِّحَّةُ والقُوتُ

فلا تَثِقْ بالمالِ من غيْرِها   لَوْ أَنَّهُ دُرٌّ وياقُوتُ

(١٥) وقال آخر يهجو بخيلا :

أَأَنْتَ تَجُودُ إنَّ الجودَ طَبْعٌ   وَمالَكَ مِنْهُ يا هذا نَصِيبُ

(١٦) وقال آخر يستنكر أن يشرب الخمر حين دُعى لشربها :

أَبَعْدَ سِتّينَ قَدْ نَاهَزْتُهَا حِجَجاً أُحَكِّمُ الرَّاحَ فِى عَقْلِى وَجُسْمَانِى

(١٧) وقال الآخر :

غَافِلٌ أَنتَ والليالى حبالَى بصنوفِ الرَّدَى تروحُ وَتغْدُو

(١٨) وقال ابن المعتز :

وَمن عجبِ الأيّام بغْىُ معاشرٍ غِضَابٍ على سَبْقِى إذا أنا جَارَيْتُ

يَغِيظهم فضلِى عليهم ونقصهم كأنّى قسَّمْتُ الحظوظَ فحابَيْتُ

المبحث الثالث عشر

فى تأخير المسند اليه

يؤخّر المسند اليه : إن اقتضى المقامُ تقديم المسند — كاسيجىء ولا نلتمس دواعىَ للتقديم والتأخير إلا اذا كان الاستعمال يبيح كليهما

تطبيق عام على أحوال المسند اليه وما قبله

أمير المؤمنين يأمرك بكذا ـ جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، المراد بالخبر بيان سبب داعى الامتثال . المسند إليه أمير المؤمنين . ذكر للتعظيم . وقدم لذلك والمسند جملة يأمر ، ذكر لأن الأصل فيه ذلك ، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد (والتعظيم وتقوية الحكم وكون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه واقتضاء المقام تقديم المسند اليه) « أحوال » والذكر والتقديم والتأخير «مقتضيات» ـ والإتيان بهذه الجملة على هذا الوجه « مطابقة لمقتضى الحال » .

أنت الذى أعاننى . وأنت الذى سرنى ـ ذكر (أنت) ثانياً لزيادة التقرير والإيضاح فزيادة التقرير والإيضاح « حال » ـ والتقرير «مقتضى» ـ والإتيان بالجملة على هذا الوجه « مطابقة لمقتضى الحال » .

سعيد يقتحم الأخطار « بعد مدحه » ذكر سعيد للتعظيم والتعجب ، فالتعظيم والتعجب حال ـ والذكر مقتضى ، والاتيان بالجملة على هذا الوجه : مطابقة لمقتضى الحال .

حضر الكريم سعد « بعد : أحضر سعد » ذكر الكريم لتعظيم سعد ومدحه .

فالتعظيم حال ، والذكر مقتضى والاتيان بالجملة على هذا الوجه : مطابقة لمقتضى الحال .

على كتب الدرس « جواب ـ ما الذى عمل على » ـ ذكر على للتعريض بغباوة السامع . وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلا ، فالتعريض والتقوية حالان والذكر والتقديم مقتضيان . والإتيان بالجملة على هذا الوجه : مطابقة لمقتضى الحالين .

محمود نعم التلميذ « بعد مدح كثير له » ـ ذكر محمود لقلة الثقة بالقرينة وقدم لتقوية الحكم .

ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ـ حذف المسند وهو (خلقنا) ـ للعلم به خلق الإنسان من عجل ـ حذف المسند إليه وهو الله تعالى للعلم به .

معطى الوسامات والرتب ـ حذف المسند اليه للتنبيه على تعيين المحذوف ادعا (كالسلطان مثلا) .

ألم يجدك يتيما فآوى ـ حذف مفعول آوى للمحافظة على الفاصلة .

صاحبك يدعو إلى وليمة العرس ـ حذف مفعول يدعو للتعميم باختصار

لا يعطى ولا يمنع إلا الله تعالى ـ حذف المفعولان لعدم تعلق الغرض بهما

أهين الأمير ـ حذف الفاعل للخوف عليه .

(لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده) : قدم نصف الثانى للمحافظة على الوزن

(ماكل ما يتمنى المرء يدركه) : قدمت أداة النفى على أداة العموم لإفادة سلب العموم ونفى الشمول .

جميع العقلاء لايسعون فى الشر ـ قدمت أداة العموم على أداة النفى لافادة عموم السلب وشمول النفى .

وعلى الله فليتوكل المؤمنون ـ قدم الجار والمجرور للتخصيص

ونحن التاركون لما سخطنا   ونحن الآخذون لما رضينا

الجملة الأولى خبرية اسمية ، من الضرب الابتدائى — والمراد بالخبر إظهار الفخر والشجاعة . المسند إليه نحن . ذكر لأن ذكره الأصل . وقدم للتعظيم ، وعرف بالاضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار . والمسند التاركون . ذكر وأخر لأن الأصل ذلك

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى   وأشمت بى من كان فيك يلوم

جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى . والمراد بالخبر التوبيخ . المسند إليه أنت . ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك . وعرف بالاضمار لكون المقام للخطاب مع الاختصار . والمسند لفظة الذى ، وقد ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك وعرف بالموصولية للتعليل

يعنى أن إخلاف وعدة كان سبب الشماتة واللوم . وأما جملة أشمت فمطوفة على جملة أخلفت ووصلت بها لما تقدم . وعرف المسند إليه وهو الفاعل فى يلوم بالاضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار .

أبو لهب فعل كذا — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الاسناد . والمراد بالخبر أصل الفائدة لمن يجهل ذلك . المسند إليه أبولهب . ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك . وعرف بالعلمية للكناية عن كونه جهنميا

أسئلة على أحوال المسند إليه يطلب أجوبتها

ما هو المسند إليه ؟ — ما هى أحواله ؟ — متى يجب ذكره ؟ ما هى الوجوه التى ترجح ذكره عند وجود القرينة ، متى يحذف ؟ ما الفرق بين المعرفة والنكرة ؟ . لمَ يُعرَّف المسند اليه بالاضمار ؟ — ما هو الأصل فى الخطاب ؟ — ما الأصل فى وضع الضمير ؟ — هل يقدم الضمير على مرجعه ؟ هل الظاهر يوضع موضع الضمير ؟ — لم يعرّف المسند إليه بالعلمية ؟ — لم يعرّف بالاشارة ؟ لم يُعرف بالموصولية ؟ — لم يعرَّف بأل . . ؟ إلى كم تنقسم أل ؟ — لم يعرّف بالاضافة ؟ — لم يعرّف بالنداء ؟ لأى شىء ينكر المسند إليه ؟ لم يقدَّم المسند إليه ؟ ما الفرق بين عموم السلب وسَلب العموم — لِم يؤخَّر المسند اليه ؟؟

الباب الرابع

في المسند وأحواله(١)

المُسند : هو . الخبر ، والفعل التام ؛ واسم الفعل ، والمبتدأ الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر وأخبار النّواسخ . والمصدر النّائب عن الفعل .

وأحواله : هى - الذكر ، والحذف ، والتّعريف ، والتّنكير ، والتّقديم والتأخير ، وغيرها - وفى هذا الباب ثلاثة مباحث

المبحث الأول

في ذكر المسند أو حذفه

يُذكر المُسند للأغراض التى سبقت فى ذكر المُسند اليه - وذلك

(١) ككون ذكره هو الأصل ، ولا مُقتَضِى للعُدول عنه

نحو العلم خيرٌ من المال

(٢) وكضعف التّعويل على دلالة القرينة — نحو حالى مستقيم ورزقى ميسور « إذ لو حُذف ميسور — لا يدلُّ عليه المذكور »

(٣) وكضعف تنبُّه السّامع ، نحو (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى السَّمَاءِ) (إذ لو حُذف (ثابت) رُبما لا يتنبّه السامع لضعف فهمه)

---

(١) وانما ذكر المسند بعد المسند اليه لأن المسند محكوم به — والمسند اليه محكوم عليه ، والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعا — فاستحق ذلك الترتيب وضعا

ومبحث الذكر : لم يتعرض له كثير كأبى هلال العسكرى . والامام عبدالقاهر ولعله يتعلق كثيرا بالنحو : لا بالبلاغة

(٤) وكالرّد على المخاطب ـ نحو (قلْ يُحْيِيها الذِى أنشأها أوّلَ مرّةٍ) جواباً لقوله تعالى (مَنْ يُحيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) ؟؟

(٥) وكإفادة أنه « فعل » فيفيد التّجدّد والحدوث، ومقيّداً بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار

أو كإفادة أنه « اسم » فيفيد الثبوت مطلقاً ، نحو يُخَادِعُونَ اللهَ وَهو خَادِعهم ،

فانّ (يخادعون) تُفيد التّجدُّد مرّة بعد أخرى، مُقيّداً بالزمان من غير افتقار إلى قرينة تدلّ عليه ـ كذكر (الآن ـ أو الغد)

وقوله (وهو خادعهم) ـ تفيد الثّبوت مطلقا من غير نظر إلى زمان

ويُحذف المسند : لأغراض كثيرة

(١) منها ـ إذا دلت عليه « قرينة » ، وتعلّق بتركه غرض ممّا مرّ فى حذف المسند اليه

والقرينة « ا » إمّا مذكورة ـ كقوله تعالى (ولَئِنْ سَأَلْتَهمْ مَنْ خَلَقَ السّموات وَالْأرضَ لَيقُولُنّ الله) أى : خَلَقَهنّ الله

« ب » وإمّا مُقدّرة ـ كقوله تعالى (يُسَبِّحُ لهُ فِيهَا بالغدُوِّ والآصالِ رِجالٌ) أى : يُسبحه رِجالٌ ـ كأنّه قيل : من يُسبّحُه ؟

(٢) ومنها الاحتراز عن العبث ـ نحو (إن الله برىءٌ من المُشركين ورَسوله ـ أى : ورسوله برىءٌ منهم أيضاً

فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة اليه

(٣) ومنها ضيق المقام عن إطالة الكلام : كقول الشاعر

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عنـدك راض والرَّأىُ مُختلِف

« أى : نحن بما عندنا راضُون ـ فحذف لضيق المقام »

(٤) ومنها اتِّباع ومجاراة ما جاء فى استعمالاتهم (الواردة عن العرب) نحو : (لولا أنتم لكنَّا مؤمنين)

« أى : لولا أنتم موجودون »

وقولهم فى المثل « رمية من غير رامٍ » (أى هذه رمية)

تمرين

عيِّن أسباب الحذف ونوع المحذوف فى الأمثلة الآتية :

(١) نحو : «ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»

(٢) وقال ﷺ علامة المؤمن ثلاث : إذا حدَّث صدق ، وإذا وعد وفى ، وإذا اؤتُمن لم يخُنْ

(٣) وقال : يقول ابن آدم . مالى مالى ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدَّقت فأبقيت

(٤) وقال : إنَّ أحبَّكم إلىَّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً ، الموطَّئون أكنافاً ، الذين يألفون ويُؤلفون

(٥) وقال أبو العتاهية :

جزى اللهُ عنِّى صالحاً بوفائه ... وأضعف أضعافاً له فى جزائه

صديقٌ إذا ما جئتُ أبغيه حاجةً ... رجعتُ بما أبغى ، ووجهى بمائه

(٦) وقال أبو نواس :

إذا لم تَزُرْ أرضَ الخصيب ركابُنا ... فأىَّ فتًى بعدَ الخصيبِ تزورُ

فتى يشترى حُسْنَ الثناء بماله ... ويعلَمُ أنَّ الدائراتِ تدورُ

فإنْ تُولِنى منك الجميلَ فأهلُهُ ... وإلا فإنى عاذرٌ وشكورُ

(٧) وقال البُحترى يمدح الفتحَ بن خاقان :

رزينٌ إذا ما القومُ خفَّتْ حلومُهم ... وقورٌ إذا ما حادثُ الدهرِ أجلبا

فتى لم يُضيِّع وَجهَ حَزمٍ ولم يَبِتْ ... يُلاحظُ أعجازَ الأمورِ تعقُّبا

(٨) وقال الشاعر :

مَنْ قاسَ جَدْوَاكَ يوماً ... بالسُّحْبِ أخطأ مَدْحكْ

السُّحْبُ تُعطِي وتبكِي ... وأنتَ تعطِي وتضحكْ

(٩) وقال المتنبي :

ولمَّا صارَ وُدُّ النَّاسِ خِبًّا ... جَزيْتُ على ابْتِسامٍ بابْتِسام

وَصِرْتُ أَشُكُّ فيمَنْ أصطفيه ... لِعِلْمي أنَّهُ بعْضُ الأنام

(١٠) وقال :

لَوْلاَ المشَقَّةُ سادَ الناسُ كلُّهمُ ... الجُودُ يُفقِرُ والإقْدامُ قتَّالُ

(١١) وقال أبو فراس :

لا تطْلُبنَّ دُنُوَّ دا ... رٍ منْ خليلٍ أو مُعاشِرْ

أبْقَى لأسبابِ المودَّ ... ةِ أن تزُورَ ولا تُعاشِرْ

تدريب

عيِّن أسباب الذكر فى الأمثلة الآتية :

(١) قال الله تعالى : « فوَيْلٌ للَّذينَ يكْتُبُونَ الكِتابَ بأيْديهِمْ ثُمَّ يَقُولونَ هذا منْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بهِ ثمناً قليلاً ، فوَيْلٌ لهُمْ ممَّا كَتَبَتْ أيْديهِمْ ، وَوَيْلٌ لهمْ ممَّا يَكْسِبُونَ » .

(٢) وقال مَرْوانُ بنُ أبي حفْصَةَ يمدح مَعْن بن زائدة :

بَنو مطَرٍ يومَ اللقاء كأنَّهمْ ... أُسودٌ لها فى بطن خفَّان أشْبُلُ

همُ يمنعون الجارَ حتى كأنما ... لِجارِهمُ بيْنَ السِّماكَين منْزِلُ

(٣) وقال السَّمَوْءلُ بن عاديا :

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ مِنَ اللؤْمِ عِرْضُهُ فَكلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جميل
وإن هو يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها فَلَيْسَ إلى حُسْنِ الثَّناء سبيل

(٤) وقال أبو العتاهية :

إذا أنتَ لَمْ تَشْرَبْ مِراراً على القَذَى ظَمِئْتَ وأىُّ الناس تصفو مشارِبُهْ

(٥) وقال الشاعر :

الجِدُّ يُدْنِى كلَّ أمرٍ شاسِعٍ والجِدُّ يَفْتَحُ كلَّ بابٍ مُغْلَقِ

تمرين

(١) قال الله تعالى :« وأنَّا لا ندْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فى الأرضِ أم أرادَ بِهِم رَبُّهُمْ رَشداً ».

(٢) وقال : « ألمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوَى ، ووجَدَكَ ضالاً فَهَدَى ، ووجَدَكَ عائِلاً فأغْنَى ».

(٣) وقال : « فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ».

(٩) وقال تعالى : « إنَّ اللهَ يأمُرُ بالْعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذِى القُرْبَى ويَنْهَى عَنِ الْفَحْشاءِ والْمُنْكَرِ والْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ ».

المبحث الثانى

في تعريف المسند : أو تنكيره

يُعَرَّفُ المسند

(١) لإفادة السامع حُكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله : بإحدى

طُرُق التعريف — نحو هذا الخطيب . وذاك نقيب الأشراف

(٢) ولافادة قصره على المسند اليه «حقيقة» نحو (سعد الزعيم) إذا لم يكن زعيم سواه — أو « ادعاء » مبالغة لكمال معناه فى المسند اليه ، نحو : (سعدٌ الوطنىُّ) أى الكامل الوطنية ، فيخرج الكلام فى صورة تُوهم أن الوطنية لم توجد إلا فيه ، لعدم الاعتداد بوطنية غيره

وذلك : إذا كان المسند (معرفاً بلام الجنس)(١)

ويُنكَّرُ المسند : لعدم الموجب لتعريفه ـ وذلك

(١) لقصد إرادة العهد ـ أو الحصر ـ نحو أنت أميرٌ ـ وهو وزير

(٢) ولاتباع المسند اليه فى التنكير ـ نحو : تلميذ واقفٌ بالباب

(٣) ولافادة التَّفخيم ـ نحو : (هُدًى لِلْمُتَّقِين)

(٤) ولقصد التَّحقير ـ نحو : ما خالد رجلا يذْكر

المبحث الثالث

فى تقديم المسند : أو تأخيره

يُقدَّمُ المسند : إذا وُجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملا نحو قام على. أو مِمَّا له الصدارة فى الكلام ، نحو : أين الطريق ؟

أو إذا أُريد به غرض من الأغراض الآتية :

(١) منها التَّخصيص بالمسند اليه ـ (نحو لله مُلْكُ السموات والأرض)

---

(١) على أن التعريف بلام الجنس لا يفيد أحيانا القصر — كقول الخنساء

إذا قبح البكاء على قتيل وجدت بكاءك الحسن الجميل

فالخنساء : لا تقصد قصر الجنس على بكاء قتيلها ، ولكنها تريد أن تثبت له ، وتخرجه من جنس بكاء غيره من القتلى فهو ليس من القصر فى شيء

(٢) ومنها التنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت — كقوله

له هِمَمٌ لا مُنتهى لِكبارها وَهِمَّته الصغرى أجلُّ من الدَّهر
لهُ راحةٌ لو أنَّ مِعشارَ جُودها على البَرِّ كان البَرُّ أَنْدَى من البحر

فلو قيل « همم له » لتُوهِّم ابتداء كون « له » صفة لما قبله

(٣) ومنها التَّشويق للمُتأخر ، إذا كان فى المتقدِّم ما يُشوِّق لذكره كتقديم المسند فى قوله تعالى (إنَّ فى خَلْقِ السمواتِ والأرْضِ واخْتِلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأُولِى الألْبابِ) — وكقوله

خيرُ الصَّنائع فى الأنام صنيعةٌ تنبُو بحاملها عن الإذلال

(٤) ومنها التفاؤل : كما تقول للمريض (فى عافية أنتَ) وكقوله

سَعِدَتْ بغُرَّة وجهك الأيامُ وَتَزَيَّنَتْ بلِقائك الأعْوامُ

(٥) ومنها — إفادة قصر المُسنَد إليه على المُسنَد ، نحو : لكُم (دِينُكُمْ وَلِىَ دِين) « أى — دِينكم مقصورٌ عليكم ، وَدِينى مقصور عَلىَّ »

(٦) ومنها — المَساءة نِكايةً بالمُخاطب : كقول المتنبى

ومِنْ نَكَدِ الدُّنيا على الحُرِّ أن يرى عدوًّا له ما مِن صَداقتِه بُدُّ

(٧) ومنها — تعجيل المسرَّة للمخاطب . أو التَّعجب . أو التَّعظيم . أو المدح . أو الذَّم . أو التَّرحم . أو الدُّعاء .

نحو : للهِ دَرُّك ، وعظيمٌ أنتَ يا أللهُ . ونِعْمَ الزعيم سعدٌ — وهلُمَّ جرًّا وبئس الرجل خليل ، وفقير أبوك ، ومُبارَكٌ وُصولك بالسَّلامة

ويُؤخر المُسْنَدُ لأنَّ تأخيره هو الأصل ، وتقديم المسند إليه أهمّ نحو : الوطن عزيز .

وينقسم المسند من حيث الأفراد وعدمه إلى قسمين — مفرد — وجملة

فالمسند (المفرد) قسمان : فعل — نحو قدم سعدٌ — واسم : نحو سعدٌ قادم والمسند (الجملة) ثلاثة أنواع :

(١) أن يكون سببيا نحو خليل أبوه مُنتصر ـ أو أبوه انتصر ـ أو انتصر أبوه .

(٢) وأن يُقصد تخصيص الحكم بالمسند إليه ـ نحو أنا سعيت فى حاجتك (أى السّاعى فيها أنا لا غيرى) .

(٣) وأن يُقصد تأكيد الحكم ـ نحو : سعد حضر

وذلك : لما فى الجملة : من تكرار الاسناد مرّتين

ويؤتى بالمسند : ظرفا للاختصار ـ نحو خليل عندك

وجاراً ومجروراً ـ نحو : محمود فى المدرسة

تمرين

بيِّن أسباب التقديم والتأخير فيما يأتى :

(١) ما كلّ ما فوق البسطية كافياً ۞ فإذا قنعت فبعض شىء كاف

(٢) وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كلّه ۞ ولكن شعرى فيه من نفسه شعر

(٣) إذا شئت يوما أن تسود عشيرة ۞ فبالحلم سُدْ لا بالتّسرع والشّتم

---

(١) قدم حرف النفى وهو « ما » على لفظ العموم وهو (كل) ليدل على عموم السلب — والمعنى لا يكفيك جميع ما على الأرض إذا كنت طامعا

(٢) إذا كان المسند فعلا منفياً ووسط المسند إليه بين الفعل وحرف النفى كما فى هذا المثال وهو (ما أنا قلت) دل ذلك على التخصيص . والمعنى لست القائل لذلك الشعر وحدى ، بل شاركنى فيه غيرى

ولذلك يعد من الخطأ الذى لا يستقيم معه معنى ، أن تقول ما أنا فعلت هذا ولا غيرى ، لأن معنى ما أنا فعلت — يفيد من نفسه نفى الفعل عنك وثبوته لغيرك ـ فقولك ولا غيرى ، يكون تناقضاً كما سبق بيانه

(٣) قدم الجار والمجرور فى قوله (بالحلم سد) ليدل على التخصيص — أى انك تسود بالحلم لا بغيره . وكذا إذا تقدم الظرف . وما أشبههما ، مما رتبته التأخير : كما سلف

(٤) ثلاثة تُشرِق الدنيا ببهجتها   شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

(٥) أفى الحق أن يُعطى ثلاثون شاعراً   ويُحرم مادون الرِّضا شاعرٌ مثلى

(٦) فكيف وكلٌّ ليس يعدو حِمامه   ومالامرىء عمّا قضى الله مرحل

(٧) وقال الله تعالى « بَلِ اللهَ فاعْبُدْ، وَكُنْ مِنَ الشاكرين »

(٨) بك اقتدتِ الأيام فى حسناتها   وشيمتها لولاك همٌّ وتكريبُ

تطبيق عام على أحوال المسند

لما صدأت مرآة الجنان . قصدت لجلائها بعض الجنان — الجملة الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهو (قصدت) . وهى خبرية فعلية من الضرب الابتدائى — والمراد بها أصل الفائدة المسند قصد . ذكر : لأن ذكره الأصل . وقدم لافادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار . والمسند إليه التاء — ذكر لأن الأصل فيه ذلك — وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند ، وعرف بالاضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار كأنه الكوثر الفياض — جملة خبرية اسمية من الضرب

---

(٤) قدم العدد وهو ثلاثة وأخر المعدود ليشوق إليه لأن الانسان إذا سمع العدد مجموعا يشتاق إلى تفصيل آحاده.

(٥) قدم الجار والمجرور بعد الاستفهام فى قوله أفى الحق أن يعطى — ليدل على أن ذلك المقدم هو محط الانكار . فتحليل المعنى : أنه لاينكر الاعطاء ، ولكنه ينكر أن يعد ذلك حقا وصوابا مع حرمانه هو

(٦) قدم أداة العموم على أداة السلب فى قوله (كل ليس يعدو) ليدل على عموم السلب — أى أن الناس واحداً واحداً يشملهم حكم الموت ولا مفر منه

(٧) قدم المفعول على الفعل فى قوله (الله فاعبد) ليدل على التخصيص أى أعبد الله ولا تعبد غيره

(٨) قدم الجار والمجرور على الفعل فى قوله (بك اقتدت) ليدل على التخصيص أى أن الاقتداء كان بك لا بغيرك.

الابتدائى — والمراد بها المدح ، فهى تفيد الاستمرار بقرينة المدح . المسند إليه الهاء . ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بالاضمار لكون المقام للغيبة مع لاختصار . والمسند الكوثر ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك — وعرف بأل للعهد الذهنى

كتاب فى صحائفه حكم — التنكير فى هذه الجملة للتعظيم

ما هذا الرجل انسانا — نكر المسند « انسانا » للتحقير

له همم لا منتهى لكبارها — المسند له — قدم لافادة أنه خبر من أول الأمر لانه لو تأخر لتوهم أنه صفة للمسند إليه لانه نكرة

ولم يكن له كفواً أحد . قدم المسند « كفواً » على المسند إليه « أحد » للمحافظة على الفاصلة — على رأى بعضهم والمنصوص عليه فى كتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة إلى نفى المثل

زهرة العلم أنضر من زهرة الروضة — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح . المسند إليه زهرة العلم . ذكر و دم لأن الأصل فيه ذلك . وعرف بالاضافة إلى العلم لتعظيمه . والمسند أنضر . ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ، ونكر لتعظيمه

غلامى سافر . أخى ذهبت جاريته . أنا أحب المطالعة — الحق ظهر . الغضب آخره ندم — أتى بالمسند فى هذه المثل جملة لتقوية الحكم لما فيها من تكرار الاسناد

أسئلة على أحوال المسند يطلب أجوبتها

ما هو المسند ؟ ـ ماهى أحواله ؟ ـ لأى شىء يذكر المسند ؟ ـ لأى شىء يحذف ؟ لِمَ يُقدّم ؟ ـ لِمَ يؤخر ؟ ـ لِمَ يُعرّف ؟ ـ لم ينكَّر ؟ لم يؤتى به جملة ؟

الباب الخامس

فى الاطلاق[1] والتقييد

إذا اقتُصِرَ فى الجملة على ذكر جُزْأيها «المسند اليه والمسند» فالحكم (مطلقٌ) وذلك : حِينَ لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه ليذهبَ السّامع فيه كلّ مذهبٍ ممكنٍ

وإذا زِيدَ عليهما شيء ممّا يتعلق بهما ـ أو بأحدهما . فالحكم (مُقيَّدٌ) وذلك : حيث يُراد زيادة الفائدة وتقويتها عند السامع ، لِما هو معروفٌ من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد ايضاحا وتخصيصا ، فتكون فائدته أتمّ وأكمل ، ولو حُذف القيد لكان الكلام كذباً — أو غيرَ مقصود نحو : قوله تعالى (وما خَلَقنا السّموَاتِ وَالأرضَ وما بَيْنَهُما لاعِبين)

فلو حُذف الحال وهو (لاعبين) لكان الكلام كذباً . بدليل المشاهدة والواقع

ونحو : قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء) إذ لو حُذف (يكاد) لفاتَ الغرض المقصود ، وهو إفادة المُقاربة

واعلم : أن معرفة خواصّ التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع ، وباهر الصنع ، ولطائف المزايا ، يسترعى لُبَّك ، إلى

---

(١) الاطلاق والتقييد : وصفان للحكم . فالاطلاق أن يقتصر فى الجملة على ذكر (المسند والمسند إليه) حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ، ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه — نحو : الوطن عزيز . والتقييد أن يزاد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما ، أو بأحدهما ، مما لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة ، أو كان الحكم كاذبا نحو : الولد النجيب يسر أهله

أنّ التّقييد بأحد الأنواع الآتية : يكون لزيادة الفائدة ، وتقويتها عند السامع

لِما هو معروف من أنّ الحكم كلّما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً .

والتقييد : يكون . بالتّوابع . وضمير الفصل والنّواسخ . وأدوات الشرط والنفى . والمفاعيل الخمسة . والحال . والتمييز — وفى هذا الباب جملة مباحث (١)

المبحث الاول

فى التّقييد بالنّعت

أما النّعت فيؤتى به للمقاصد والأغراض التى يدلّ عليها

(ا) منها — تخصيص المنعوت بصفة تميّزه إن كان نكرة — نحو : جاءنى رجل تاجر

(ب) ومنها — توضيح المنعوت إذا كان معرفة — لغرض

(١) الكشف عن حقيقته ، نحو : الجسم الطويل . العريض . يشغل حيّزاً من الفراغ

(٢) أو التأكيد — نحو : تلك عشرة كاملة ، وأمسِ الدّابرُ كان يوماً عظيما

(٣) أو المدح — نحو : حضر سعد المنصور

(٤) أو الذّم — نحو (وامْرأتُهُ حمّالةَ الحطَبِ)

(٥) أو الترحّم — نحو : قدِم زيد المسكينُ

---

(١) اعلم أن التقييد : يكون لتمام الفائدة . لما تقرر من أن الحكم كلما زاد قيده زاد خصوصية ، وكلما زاد خصوصية زادت فائدته . لافرق بين مسند إليه أو مسند أو غيرهما ، كما لا فرق بين تقييده بالتوابع — أو غيرها .

المبحث الثانى

فى التقييد بالتوكيد

أمّا التوكيد فيؤتى به للأغراض التى يدلّ عليها، فيكون

(١) لمجرّد التقرير، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السّامع نحو جاء الأميرُ الأميرُ :

(٢) وللتقرير مع دفع توهمٍ خلاف الظاهر — نحو جاءنى الأميرُ نفسه

(٣) وللتقرير مع دفع توهمٍ عدم الشّمول نحو (فَسَجَدَ الملائِكَةُ كُلُّهم أجمعُون)

(٤) ولإرادة انتقاش معناه فى ذهن السّامع نحو (اُسكُنْ أنتَ وزَوْجكَ الجنّة)

المبحث الثالث

فى التقييد بعطف البيان

أمّا عطف البيان : فيؤتى به للمقاصد والأغراض التى يدلّ عليها ـ فيكون

« ا » لمجرّد التوضيح للمتبوع باسم مختصّ به[1] نحو أقسم بالله أبو حفص عُمر

«ب» وللمدح : كقوله تعالى (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البيتَ الحَرامِ قياماً للنّاس) — فالبيتَ الحرامَ، عطف بيان: للمدح

المبحث الرابع

فى التقييد بعطف النّسق

أمّا عطف النّسق : فيؤتى به للأغراض الآتية :

(١) لتفصيل المسند إليه باختصار، نحو : جاء سعد وسعيد، فانه أخصر

---

(١) يكفى فى التوضيح : أن يوضح الثانى الأول، عند الاجتماع، وإن لم يكن أوضح منه عند الانفراد، نحو على زين العابدين، ونحو : عسجد ذهب

من : جاء سعد ، وجاء سعيد ، ولا يُعلم منه تفصيلُ المسندلأن الواوَلمطلق الجمع

(٢) ولِتفصيل المسند مع الاختصار أيضاً ، نحو — جاء نصرٌ فمنصورٌ(١) أو ثم منصور ، أو جاء الأميرُ حتى الجُند . لأنَّ هذه الأحرفَ الثلاثةَ مُشتركة فى تفصيل المسند — إلا أنَّ (الأولَ) يفيد الترتيبَ مع التّعقيب (والثانى) يفيد التَّرتيب مع التراخى — (والثالث) يفيد ترتيب أجزاء ما قبله ، ذاهباً من الأقوى إلى الأضعف ، أو بالعكس — نحو مات الناس حتّى الأنبياء ..

(٣) ولِردِّ السامع إلى الصواب مع الاختصار — نحو جاء نصر — لا منصور — أو : لكن منصور

(٤) ولِصَرف الحكم إلى آخرَ — نحو ما جاء منصور . بل نصر

(٥) وللشكِّ من المُتكلم ـ أو التّشكيك للسّامع ، أو للابهام .

---

(١) قد تجىء الفاء للتعقيب فى الذكر : دون الزمان — إما مع ترتيب ذكر الثانى على الأول : كما فى تفصيل الاجمال فى قوله تعالى : ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى — ونحو قوله تعالى : ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين

وإما بدون ترتيب : وذلك عند تكرير اللفظ الأول — نحو : بالله — فبالله

وقد تجىء ثم للتراخى فى الذكر : دون الزمان — إما مع الترتيب المذكور. نحو:

ان من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد قبل ذلك جده

ونحو : هو الكلب وابن الكلب جده ولا خير فى كلب تناسل من كلب

فان الغرض ترتيب درجات حال الممدوح فى البيت الأول . فابتدأ بسيادته ، ثم بسيادة أبيه . ثم بسيادة جده . وإما بدون ترتيب، نحو: وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين . ولا ستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى ، نحو: ثم أنشأناه خلقا آخر فنزلوا الترتيب فى هذه الأمور منزلة الترتيب الزمانى ، المستفاد منها بأصل الوضع . ولذا يكون استعمالها فى هذه الأمور مجازاً

نحو قوله تعالى : « وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ »

(٦) وللاباحه : أو التخيير ـ

مثال الأول : تعلم نحواً أو صرفاً . أو نحو : تعلّم إمّا صرفاً وإمّا نحواً ،
ومثال الثانى : تزوّجْ هنداً أو أختها أو نحو : تزوج إمّا هنداً وإمّا أختها

المبحث الخامس

فى التّقييد بالبدل

أمّا البدل : فيؤتى به للمقاصد والأغراض التى يدُلّ عليها

ويكون : لزيادة التقرير والإيضاح ، لأن البدل مقصودٌ بالحكم بعد إبهام

نحو حضر ابنى على فى (بدل الكلّ)

ونحو : سافر الجندُ أغلبُه فى (بدلِ البعض)

ونحو : نفعنى الأستاذ علمُه . (فى بدل الاشتمال)

ونحو : وجهك بدرٌ شمسٌ ـ فى (بدل الغلَط)[١]

وذلك : لإفادة المبالغة التى يقتضيها الحال .

المبحث السادس

فى التقييد بضمير الفصل

يؤتى بضمير الفصلِ : لأغراض كثيرة

(١) منها التّخصيص ، نحو « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هو يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِه »

(٢) ومنها تأكيد التّخصيص إذا كان فى التركيب مُخَصِّصٌ آخرُ

كقوله تعالى (إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم)

---

(١) لكن الحق الذى عليه الجمهور : أن بدل الغلط لا يقع فى كلام البلغاء.

(٣) ومنها - تمييز الخبر عن الصفة ، نحو : العالم هو العاملُ بعلمه .

المبحث السابع

فى التقييد بالنواسخ

التّقييد بها : يكون للأغراض التى تؤدّيها معانى ألفاظ النّواسخ كالاستمرار - أو حكاية الحال الماضية : فى « كان » (١)

وكالتوقيت بزمن مُعيّن : فى « ظلّ ، وبات ، وأصبح ، وأمسى ، وأضحى »

وكالتوقيت : بحالة مُعيّنة : فى « ما دام »

وكالمُقاربة : فى « كاد ، وكرب ، وأوشك »

وكالتأكيد : فى « إنّ وأنّ » - وكالتّشبيه : فى « كأنّ »

وكالاستدراك : فى « لكنّ » - وكالرّجاء : فى « لعلّ » -

وكالتّمنى : فى « ليت » - وكاليقين : فى « وجد ، وألفى ، ودرى ، وعلم »

وكالظنّ : فى خالَ ، وزعِم ، وحسِب ، وكالتحوّل فى اتّخذ ، وجعل . وصيّر

المبحث الثامن

فى التّقييد بالشّرط

التّقييد به . يكون للأغراض التي تؤدّيها معانى أدوات الشّرط : كالزمان فى « متى . وأيّان » والمكان : فى أين ، وأنّى ، وحيثما - والحال : فى « كيفما » واستيفاء ذلك : وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يُذكر فى علم النحو وإنما يفرّق هنا بين (إنْ وإذا ولو) لاختصاصها بمزايا تعدُّ من وجوه البلاغة

---

(١) فالجملة تنعقد من الاسم والخبر - أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر ويكون الناسخ قيداً - فاذا قلت . رأيت الله أكبر كل شىء . فمعناه (الله أكبر كل شىء على وجه العلم واليقين . وهكذا .

الفرق بين: ان - واذا - ولو

الأصل عدم جَزم وقَطع المتكلم بوقوع الشَّرط فى المستقبل مع « إن » ومِنْ ثَمَّ كَثُرَ أن تُستعمَلَ « إنْ » فى الأحوال التى يندُر وقوعها ووجب أنْ يتلوَها لفظ (المضاع) لاحتمال الشكّ فى وقوعه(١)

بخلاف « إذا » فتُستعمل بحسب أصلها فى كل ما يَقطعُ المتكلمُ بوقوعه فى المستقبل - ومن أجل هذا لا تُستعمل « إذا » إلاّ فى الأحوال الكثيرة الوقوع . ويتلوها « الماضى » لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً -

كقوله تعالى (فإذَا جاءَتْهمُ الحسَنةُ قالوا لَنا هذِهِ ، وإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ)

فلكونِ مجىء الحسنة منه تعالى مُحَقَّقاً - ذكرهو والماضى مع (إذا)

وإنّما كان ما ذُكر مُحققاً لأنَّ المرادَ بها مُطلقُ الحسنة الشامل لأنواع كثيرة - من خِصْب ، ورخاء ، وكثرة أولاد ، كما يفهم من التعريف بأل الجنسية فى لفظة « الحسنة »

ولكون مجىء السَّيِّئة نادراً ، ذُكرهو والمضارع مع (ان)

وإنَّما كان ما ذكر نادراً لأن المراد بها نوعٌ قليل : وهو جدبٌ وبلاءٌ كما يُفهم من التنكير فى « سيئة » على التقليل

ولو : للشرط فى الماضى مع الجزم والقطع بانتفائه ، فيلزم انتفاء الجزاء على أنَّ الجزاء كان يمكن أن يقع ، لو وُجد الشرط

---

(١) ولذا : لا يقال إن طلعت الشمس أزرك : لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه ، وإنما يقال إذا طلعت الشمس أزورك - قال أبو تمام

إن يكن فى الأرض شىء حسن   فهو فى دور بنى عبد الملك

ويجب كون جملتيها فعليَّتين ماضويتين ، نحو : لو أتقنتَ عملك لبلغت أملك

وتُسَمَّى « لو » حرفَ امتناعٍ لامتناعٍ — كقوله تعالى (لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتا) ونحو : (وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِين)

أى انتفت هدايته إيَّاكم ، بسبب انتفاء مشيئته لها

تنبيهات

الأول — عُلِم مما تقدم : أن المقصود بالذات من الجملة الشرطية هو الجواب : فاذا قلت إن اجتهد فريد كافأته ، كنت مخبراً بأنك ستكافئه ، ولكن فى حال حصول الاجتهاد ، لا فى عموم الأحوال (١)

ويتفرع على هذا : أنها تُعَدّ خبريَّة أو إنشائية باعتبار جوابها

الثانى — ما تقدَّم من الفرق بين « إنْ » و « إذا » هو مقتضى الظاهر وقد يخرجُ الكلامُ على خلافه ، فتستعملُ « إنْ » فى الشَّرط المقطوع بثبوته أو نفيه — لأغراض كثيرة

« ا » كالتَّجاهل — نحو قول المُعْتذر — إن كُنْتُ فعلت هذا فعن خطأ

« ب » وكتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل لمخالفته مقتضى علمه كقولك للمتكبِّر توبيخاً له — إنْ كنتَ من تراب فلا تفتخر

---

(١) قال السكاكى : قد يقيد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعى التقييد به ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية والانشائية — فالجزاء إن كان خبرا : فالجملة خبرية نحو إن جئتنى أكرمك أى أكرمك لمجيئك ، وإن كان إنشاء فالجملة إنشائية ، نحو إن جاءك خليل فأكرمه . أى أكرمه وقت مجيئه ، فالحكم عنده فى الجمل المصدرة بإن وأمثالها فى الجزاء ، وأما نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه ، وقد أخرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب

« ج » وكتغليب غير المتّصف بالشرط على المتّصف به : كما إذا كان السفرُ قطعيٌّ الحصول لسعيد ، غيرَ قطعيٍّ لخليل ، فتقول ان سافرتما كان كذا(١)

وقد تُستعمل « إذا » فى الشرط المشكوك فى ثبوته أو نفيه ، لأغراض

« ا » منها - الإشعار بأن الشك فى ذلك الشرط لاينبغى أن يكون مشكوكاً فيه . بل ينبغى أن يكون مجزوماً به - نحو إذا كَثُرَ المطر فى هذا العام أخصب الناس .

«ب» ومنها — تغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به — نحو إذا لم تسافرْ كان كذا — وهلم جرّا من عكس الأغراض التى سبقت

الثالث — لما كانت «إن» و «إذا» لتعليق الجزاء على حصول الشرط فى فى المستقبل وجب أن يكون شرط وجزاء كل منهما جملةً فعليةً استقبالية لفظاً ومعنى ، كقوله تعالى « وإنْ يَستغيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كالمُهْلِ »

ونحو : والنفس راغبة إذا رغّبتها وإذا تُرد إلى قليلٍ تقنَعِ

ولا يُعدلُ عَن استقبالية الجملة لفظاً ومعنى . إلى استقباليتها معنى فقط — إلاّ لدواعٍ غالباً .

---

(١) أي ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به ، فاستعملت (إن) فى المجزوم ، وهو من قطع له به بسبب تغليبه على من لم يقطع له به — وهذا السبب مساغ لذكر (إن) — واعلم أن التغليب (الذى هو أن يعطى أحد المصطحبين ، أو المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجرى فى أساليب كثيرة لنكات عديدة ، سمحت بها المطولات فى هذا المقام . واعلم أيضا : أن المقصود بالذات من جملتى الشرط والجواب : هو جملة الجواب فقط ، وأما جملة الشرط فهى قيد لها ، فاذا قلت إن زارنى سليم أكرمته فالمقصود أنك ستكرم سليما ، ولكن فى حال زيارته لك . فتعد الجملة اسمية أو فعلية أو خبرية . أو إنشائية : باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلا : فارجع إليه إن شئت.

« ا » منها — التفاؤل — نحو — إنْ عِشتُ فعلتُ الخير [١]

« ب » ومنها — تخيُّل إظهار غير الحاصل « وهو الاستقبال » فى صورة الحاصل « وهو الماضى » — نحو — إنْ متُّ كان ميراثى للفقراء

الرَّابع — عُلم مما تقدم من كون « لو » للشَّرط فى الماضى : لزومُ كون جملتى شرطها وجزائها فعليَّتين ما ضَوِيَّتين . وعدم ثبوتهما

وهذا هو مُقتضى الظاهر — وقد يخرج الكلام على خلافه

فتُستعمل « لو » فى المضارع لدواعٍ اقتضاها المقامُ — وذلك

« ا » كالاشارة إلى أن المضارعَ الذى دخلت عليه يقصد استمرارهُ فيما مضى : وقتاً بعد وقت ، وحصوله مرة بعد أخرى —

كقوله تعالى (لوْ يُطِيعكم فى كثيرٍ مِنَ الأمْرِ لعنتُّمْ) [٢]

« ب » وكتنزيل المضارع منزلة الماضى (لصدوره عمَّن المُستقبلُ عنده كالماضى فى تحقُّق الوقوعِ ، ولا تخلُّفَ فى أخباره : كقوله تعالى (وَلَو تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) [٣]

---

(١) وقد تستعمل «إن» فى غير الاستقبال لفظا ومعنى — وذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط الماضى حقيقة كقول أبى العلاء المعرى .

فياوطنى إن فاتنى بك سابق   من الدهر فلينعم بساكنك البال

وقد تستعمل « إذا » أيضا فى الماضى حقيقة نحو : حتى إذا ساوى بين الصدفين وللاستمرار نحو : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا

(٢) أى امتنع عنتكم ، أى وقوعكم فى جهد وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على اطاعتكم .

(٣) نزل وقوفهم على النار فى يوم القيامة منزلة الماضى : فاستعمل فيه « إذ » . ولفظ الماضى . وحينئذ فكان الظاهر أن يقال « ولو رأيت » بلفظ الماضى — لكن عدل عنه إلى المضارع تنزيلا للمستقبل الصادر عمن لاخلاف فى خبره . منزلة الماضى الذى علم وتحقق معناه — كأنه قيل : قد انقضى هذا الأمر وما رأيته — ولو رأيته لرأيت أمراً فظيعا .

المبحث التاسع

فى التقييد بالنفى

التقييد بالنفى : يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص ، مما تفيده أحرف النفى السبعة — وهى — لا . وما . ولات . وإنْ . ولنْ . ولم . ولمّا

(فلا) للنفى مطلقاً — و (ما . وإن . ولاتَ) لنفى الحال . إن دخلت على المضارع و (لن) لنفى الاستقبال و (لم — ولما) لنفى المُضىّ — الا أنه (بلمّا) يَنْسحبُ إلى ما بعد زمن التكلم ، ويختصّ بالمتوقَّع — وعلى هذا فلا يقال لمّا يقم خليلٌ ثم قام . ولا : لمّا يجتمع النقيضان — كما يقال لم يقم علىٌّ ثم قام ولم يجتمع الضّدان ، فلمّا فى النفى تقابل (قد) فى الاثبات . وحينئذ يكون منفيُّها قريباً من الحال — فلا يصحّ لمّا يجئْ خليل فى العام الماضى

المبحث العاشر

فى التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التقييدُ بها : يكون لبيان نوع الفعل ، أو ما قع عليه . أو فيه . أو لأجله أو بمقارنته . ويُقيَّد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عاملها . ويُقيَّد بالتمييز لبيان ما خفِىَ من ذات — أو نسبة . فتكون القيُودُ هى محطّ الفائدة

والكلام بدونها كاذبٌ — أو غيرُ مقصود بالذّات — كقوله تعالى (وَمَا خَلَقْنا السّمواتِ وَالْأرضَ وَمَا بيْنَهُما لاعبين)

وقد سبق القولُ فى أول الباب مفصلا ، فارجع إليه إنْ شئْتَ

تنبيهات

الأولُ — عُلِمَ مما تقدّم أن التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض التى سَبقت — وتقييدها إذا كانت (مذكورة)

أمَّا إذا كانت محذوفة فتُفيد أغراضاً أخرى

(١) منها ـ التَّعميم باختصار كقوله تعالى (واللهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلَامِ)

(أي جميعَ عباده) لأنَّ حذف المعمول يؤذن بالعموم[١]

(ولو ذُكر لفات غرض الاختصار المُناسب لمقتضى الحال)

(٢) ومنها ـ الاعتماد على تقدُّم ذكره ـ كقوله تعالى يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ

ويُثْبِتُ) ـ أي ويثبتُ ما يشاءُ

(٣) ومنها ـ طلب الاختصار نحو ـ (يَغْفِرُ لِمَنْ يشاءُ) أي يغفر الذنوب

(٤) ومنها ـ استهجان التصريح به نحو : (ما رأيتُ منه ولا رأى منّي)

أي العورة

(٥) ومنها ـ البيانُ بعد الابهام ـ كما في حذف مفعول فعل المشيئة[٢]

ونحوها[٣] إذا وقع ذلك الفعل شرطاً فإنّ الجواب يدل عليه ، ويبيِّنه بعد

إبهامه ، فيكون أوقع في النفس ، ويقدر المفعول مصدراً من فعل الجوابِ ،

نحو : (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ) ـ أي فمن شاء الإيمان

(٦) ومنها ـ المحافظة على سجع ـ أو : وزن

فالأول ـ كقوله تعالى (سَيذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى)

---

(١) أي ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبا كقوله

فلو شئت أن أبكى دما لبكيته   عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وأعددته ذخراً لكل ملمة   وسهم المنايا بالذخائر أولع

فان تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر في نفس السامع .

(٢) هذا التعميم وإن أمكن بذكر المفعول على صيغة العام ؛ لكن يفوت الاختصار المطلوب .

(٣) أي ما يرادفها في المعنى كالارادة والمحبة .

إذ لو قيل : يخشى الله — لم يكن على سنن رؤوس الآى السابقة

والثانى ـ كقوله المتنبى

بناها فأعلى . والقنا يقرع القنا ومَوجُ المنايا حولها مُتلاطِمُ

أى : فأعلاها

(٧) ومنها ـ تعيُّن المفعول ـ نحو رعت الماشية (أى نباتاً)

ومنها ـ تنزيل المُتعدِّى منزلة اللازم لعدم تعلق الغرض بالمعمول ، بل يُجعل المفعول منسياً ، بحيث لا يكون ملحوظاً مقدّراً

كما لا يلاحظ تعلق الفعل به أصلا ـ كقوله تعالى (هَلْ يَسْتَوِى الذِينَ يَعْلَمُونَ والذِينَ لاَ يَعْلَمون)[١]

الثانى ـ الأصل فى العامل أن يُقدَّم على المعمول

وقد يُعكس : فيقدَّم المعمول على العامل لأغراض شتَّى

(١) ومنها ـ التَّخْصيص ـ نحو إيَّاكَ نَعْبُدُ ، وإيَّاكَ نَستعين)[٢]

(٢) ومنها ـ ردُّ المخاطب إلى الصَّواب عند خطئه فى تعيين المفعول نحو : نصراً رأيت ـ رداً لمن اعتقد أنك رأيت غيره

(٣) ومنها ـ كون المتقدم[٣] محطّ الأنكار مع التَّعجب نحو : أبَعْدَ طول التَّجربة تنخدع بهذه الزَّخارف

---

(١) أى فالغرض مجرد إثبات العلم ونفيه ، بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص ـ والمعنى : لا يستوى من ثبتت له حقيقة العلم ، ومن لم تثبت له ، فلو قدر له مفعول ، وقيل : هل يستوى الذين يعلمون الدين . والذين لا يعلمونه ، لفات هذا الغرض .

(٢) وذلك لأن المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به ، لا مجرد الإخبار بأن العبادة له ، فاستفادة التخصيص من التقديم إنما هى بحسب المقام ، لا بأصل الوضع .

(٣) أى فيكون التقديم :للتبرك . والتلذذ وموافقة كلام السامع . والاهتمام

(٤) ومنها ـ رعاية موازاة رؤوس الآى نحو : (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الجحيم صَلُّوهُ) ـ وَهَلُمَّ جرَّا من بقية الأغراض التى سبقت

تطبيق عام على الاطلاق والتقييد

إذا كنت فى نعمة فارعها فان المعاصى تزيل النعم

جملة فارعها : انشائية أمرية . والأمر مستعمل فى أصل معناه ، المسند إليه أنت وهى مقيدة بالمفعول به لبيان ما وقع عليه الفعل ، ومقيدة بالشرط للتعليق : وكانت أداة الشرط (إذا) لتحقق الحصول «فان المعاصى تزيل النعم» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بالخبر التحذير من المعاصى

المسند إليه (المعاصى) والمسند جملة : تزيل . وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد . وقيد بالمفعول به «النعم» لبيان ماوقع عليه الفعل . والحكم مقيد بإن للتوكيد

إن اجتهد خليل أكرمته ـ الجلة «أكرمته» ، وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . المسند أكرم ، والمسند إليه التاء ، وهى مقيدة بالمفعول به لبيان ماوقع عليه الفعل ، وبالشرط للتعليق وكانت أداة الشرط «إن» لعدم الجزم بوقوع الفعل

وأصابت تلك الربى عين شمس أورثتها من لونها اصفرارا

كلما جال طرفها تترك النا س سكارى وما هم بسكارى

«وأصابت تلك الربى» جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بالخبر أصل الفائدة ـ المسند أصاب ذكر ـ لأن الأصل فيه ذلك . وقدم لإفادة الحدوث

= وضرورة الشعر . وغير ذلك ـ واعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات .

إما لأمر معنوى : نحو وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ـ فلو أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل . والمراد كونه من صلة فعله

وإما لأمر لفظى : نحو ولقد جاءهم من ربهم الهدى ـ فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل ، لأنها مبنية على الألف ـ وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض ـ إما لاصالته فى التقدم لفظا : نحو حسبت زيداً كريما فان زيداً وإن كان مفعولا فى الحال لكنه مبتدأ فى الأصل ـ أو معنى : نحو أعطى زيد عمراً درهما فان عمراً وإن كان مفعولا بالنسبة إلى زيد لكنه لا يخلو من معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم ، لأنه آخذه . والدرهم مأخوذ .

فى الزمن الماضى مع الاختصار . والمسند اليه عين شمس . وذكر لأن الأصل فيه ذلك وأخر: لاقتضاء المقام تقديم المسند. وخصص بالاضافة لتعينها طريقا لاحضار معناه فى ذهن السامع ، والمضاف إليه (شمس) قيد بالصفة « أورثتها من لونها » لأنها فى محل جر صفة شمس للتخصيص . وقيد الحكم بالمفعول به « تلك » لبيان ماوقع عليه الفعل ، وعرف المفعول به بالاشارة لبيان حاله فى البعد . وقيد المفعول بالبدل « الرنى » لتقرير حاله فى نفس السامع « تترك الناس سكارى » هى الجملة الرئيسيه ، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها ، وهى جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى ، والمراد بالخبر التفخيم . المسند اليه الناس ، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك . وعرف بأل للعهد الذهنى ، لأن المراد بالناس الذين نظروا اليها ، والمسند سكارى ، ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ، ونكر للتهويل ، والحكم مقيد « بتترك » لافادة التحويل ، وبالشرط للتعليق .كانت أداة الشرط « كلما » لافادة التكرار « وما هم بسكارى » جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث . والمراد بالخبر أصل الفائدة . والمسند اليه هم ، والمسند سكارى والحكم مقيد بما لنفى الحال .

لا تيأسن وكن بالصبر معتصما   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

« لا تيأسن » جملة انشائية نهيية . والمراد بالنهى الارشاد . المسند لا تيأس والمسند إليه أنت . و « كن بالصبر معتصما » أصلها : أنت معتصم بالصبر . وهى جملة انشائية أمرية ، والمراد بالأمر الارشاد أيضا ، المسند اليه الضمير المستتر فى كن والمسند معتصما ، والحكم مقيد « بالصبر » لبيان ماوقع عليه الفعل ، وبالأمر « كن » لافادة التوقيت بالاستقبال .

« لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا » أصلها لن تبلغ المجد حتى تعق الصبر - وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى ، والمراد بالخبر الحث على الصبر . المسند تبلغ ، والمسند إليه أنت ، والحكم مقيد بلن للنفى فى المستقبل . وبالجار والمجرور لبيان غاية الفعل .

عسى الكرب الذى أمسيت فيه   يكون وراءه فرج قريب

فى البيت جملة إنشائية . غير طلبية . وهى إسمية من الضرب الثالث ، لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الاسناد - المسند اليه « الكرب » ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرف بأل للعهد الذهنى ، وقيد بالنعت « الذى أمسيت فيه » لتوضيحه ، والمسند يكون الخ ، والحكم مقيد بعسى لافادة الرجاء - وأما جملة النعت « الذى

أمسيت فيه ، فهى جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى : المسند اليه فيها التاء - والمسند الجار والمجرور والحكم مقيد بأمسى لافادة المساء . وجملة الخبر (يكون وراءه فرج قريب) جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى . المسند إليه فيها «فرج» ذكر لأن الأصل فيه ذلك ، وأخر لضرورة النظم ، وقيد بالنعت «قريب» لافادة القرب ، والمسند وراءه - ذكر لأن الأصل فيه ذلك ، وقدم للضرورة ، والحكم مقيد بالناسخ «يكون» لافادة الاستقبال

يوشك من فر من منيته   فى بعض غراته يوافقها

أصل الجملة : يوشك من فر من منيته يوافقها فى بعض غراته - وهى جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بها التيئيس من الخلود فى هذه الدنيا ، المسند اليه «من» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك . وعرف بالموصولية لعدم العلم بما يخصه غير الصلة والمسند جملة يوافقها ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ، وأتى به جملة لتقوية الحكم وقيد بالجار والمجرور لبيان زمنه . والحكم مقيد بالناسخ «يوشك» لافادة المقاربة

إن الثمانين وبلغتها   قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

إن الثمانين قد أحوجت . جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث . والمراد بها اظهار الضعف - المسند إليه «الثمانين» ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك . وعرف بأل للعهد الذهنى . والمسند (قد أحوجت) ذكر وأخر لان لأصل فيه ذلك ، وأتى به جملة لتقوية الحكم - والحكم مقيد بإن . وقد للتوكيد ، وأما قوله وبلغتها فهى جملة معترضة للدعاء . وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . المسند إليه التاء ، والمسند بلغ والحكم مقيد بالمفعول به . لبيان ما وقع عليه الفعل .

أسئلة على الاطلاق والتقييد يطلب أجوبتها

ما هو الاطلاق ؟ ما هو التقييد ؟ متى يكون الاطلاق ؟ متى يكون التقييد ؟ لماذا يقيَّد بالنعت ؟ لماذا يقيد بالتوكيد ؟ . لماذا يقيد بعطف النسق ؟ لماذا يقيد بالبدل ؟ لماذا يقيد بالمفاعيل الخمسة ؟ لماذا يقيد بالحال ؟ لماذا يقيد بالتمييز ؟ لماذا يقيد بالنواسخ ؟ لماذا يقيد بضمير الفصل ؟ لماذا يقيد بالشرط ؟ ما الفرق بين إن - وإذا - ولو ؟ ما المقصود من الجملة الشرطية ؟ هل يمكن أن تستعمل (إن) فى مقام الجزْم بوقوع الشرط ؟ . هل يمكن أن تستعمل (إذا) فى مقام الشك ؟ هل يمكن أن تستعمل (لو) مع المضارع ؟ لماذا يقيد بالنفى .

الباب السادس

فى أحوال متعلّقات الفعل

مُتعلّقات الفعل كثيرة ـ منها :

المفعول ، والحال ، والظّرف ، والجار والمجرور ، وهذه (المتعلقات) أقل فى الأهمية من (رُكنى الجملة) ومع ذلك فقد تَتقدّمُ عليهما ـ أو على أحدهما :

فَيقدّم المفعول لأغراضٍ ـ أهمها :

(١) تخصيصه بالفعل (٢) مُوافقة المخاطب : أو تخطئته

(٣) الاهتمام بالفعل (٤) التّبرّك به (٥) التّلذّذ به

ويتقدّم كلٌّ من الحال ، والظّرف ، والجار والمجرور ، لأغراض كثيرة

١ ـ منها : تخصيصها بالفعل

٢ ـ ومنها : كونها موضع الإنكار

٣ ـ ومنها : مراعاة الفاصلة : أو الوزن

والأصل فى المفعول : أن يُؤخّر عن الفعل ، ولا يُقدّمُ عليه إلاّ لأغراضٍ كثيرة

١ ـ منها : التخصيص ـ نحو : « إيَّاكَ نَعْبُدُ » ردًّا على من قال : أعتقد غير ذلك

٢ ـ ومنها : رِعاية الفاصلة ـ نحو : « ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ »

٣ ـ ومنها : التّبرّك ـ نحو : قُرآناً كريماً تلوتُ

٤ ـ ومنها : التّلذّذ ـ نحو : الحبيبَ قابلتُ

والأصل فى العامل : أن يُقدَّمَ على المعمول ؛ كما أنَّ الأصل فى المعمول أن تُقدَّم عُمدتُه على فَضْلَتِهِ — فيحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل

أمَّا بين الفعل والمفعول ونحوه : كالظَّرف ، والجارّ والمجرور ، فيختلف التَّرتيب — للأسباب الآتية :

« ا » إمَّا لأمر معنوىّ — نحو : «وَجاءَ مِنْ أَقْصَى الْمدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى» (فلو أُخِّر المجرور لتُوُهِّم أنه من صلة الفاعل ، وهو خلاف الواقع لأنه صلة لفعله)

«ب» وإمَّا لأمر لفظى — نحو : « وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى » فلو قُدِّم الفاعل لاختلفَت الفواصلُ ، لأنها مبنية على الألف

« ج » وإمَّا للأهميَّة — نحو : قُتِلَ الخارجىُّ فلانٌ

وأمَّا تقديم الفضلات على بعض : فقد يكون

(١) للأصالة فى التقدُّم لفظاً — نحو : حسبتُ الهلال طالعاً . فانَّ الهلال ولو كان مفعولاً فى الحال ، لكنه مبتدأ فى الأصل

أو للأصالة فى التقدُّم معنى — وذلك كالمفعول الأول فى نحو : أعطى الأمير الوزير جائزة ، فإن الوزير : وإن كان مفعولا بالنسبة إلى الأمير ، لكنه فاعل فى المعنى بالنسبة إلى الجائزة[1]

(٢) أو لإخلال فى تأخيره — نحو : مررت راكباً بفلان — فلو أُخرت الحال لتوهِّم أنها حال من المجرور ، وهو خلاف الواقع ، فانها حال من الفاعل والأصل فى المفعول ذكره ؛ ولا يحذف إلا لأغراض تقدم ذكرها

---

(١) لأن الجائزة مأخوذة ، والآخذ لها الوزير الذى فيه معنى الفاعلية التى تستدعى حق التقدم .

تمرين

ابيان المتقدّم من ركني الجملة . ومتعلقات الفعل . وسبب تقدمه

١ ـ قال الله تعالى : فَلِلَّه الآخرة والأولى .

٢ ـ وكتب ابن المُعتز لأحد خلاَّنه : —

قلبي نجيّ ذِكْرِك ، ولسانى خادمُ شُكرك ،

٣ ـ وقال الله تعالى : الله يبسط الرّزق لِمَنْ يشاء ويقدِر .

٤ ـ كل حيّ وَإنْ أقامَ كنُوحٍ في أمانٍ من الرَّدى سوفَ يَفْنَى

٥ ـ أنَشاً يمزِّقُ أثوابي يُؤدِّبنى أبعدَ شيبي يَبْغى عندىَ الأدبا

٦ ـ مَنْهومان لايشبَعان : طالبُ علم ، وطالبُ مال .

٧ ـ عباسٌ مولاى أهدانى مظلّته يظلِّل الله عبّاساً ويرعاه

الجملة	نوع المتقدم	سبب تقدمه
١ ـ فلله الآخرة الأولى	خبر	تخصيص الخبر بالمبتدأ
٢ ـ قلبي . ولسانى	مبتدأ	أنه الأصل
٣ ـ الله يبسط الرزق	مبتدأ	تخصيصه الخبر
٤ ـ كل حي وان أقام	مبتدأ	إفادة التعميم
٥ ـ أبعدشيبي يبغى	ظرف	موضع الانكار
٦ ـ منهومان لا يشبعان	مبتدأ	التشويق إلى المبتدأ
٧ ـ عباس مولاى	مبتدأ	التعظيم

٨ ـ أنا أكرمتك ، وفي منزلى آويتُك

٩ ـ لك عندى وعِنْدَ صَحْبي أيادٍ سوف تبقى وكل شيء سَيَفنى

١٠ - ما كل ما يتمنَّى المرءُ يدركه   تأتى الرياح بما لا تشتهى السُّفنُ

وقال المرحوم حافظ إبراهيم بك فى وصف الشمس : -

١١ - إنما الشمسُ وما فى آيها   من معان لمعَتْ للعارفين
حكمةٌ بالغةٌ قد مثَّلَتْ   قُدْرَةَ الله لقـــومٍ غافلين

١٢ - فمثلَ عُلاك لم أرَ فى المعالى   ولا تاجاً كتاجك فى الجلال

تمرين آخر

١ - إشرح معنى التخصيص ، واذكر مواضعه فى باب التقديم .

٢ - أىّ أجزاء الجملة يفيد تقديمه أو التلذذ . أو التعظيم ؟

وَمتى يفيد ذلك ؟ .

٣ - ما هى متعلقات الفعل ؟ وما أسباب تقديمها عليه ؟

٤ - كيف تشوِّق لـكلٍّ من المبتدأ والخبر ؟ ومتى يفيد المبتدأ التعميم

الجملة	نوع المتقدم	سبب تقدمه
٨ - أنا أكرمتك	مبتدأ	تخصيصه بالخبر الفعلى
وفى منزلى آويتك	جار ومجرور	تخصيصه بالفعل
ومطمئنا قلت لك	حال	موضع العناية والاهتمام
نجاتك تحققت	مبتدأ	تعجيل المسرة
لك جرائم	الخبر	التنبيه على أنه خبر لاصفة
٩ - لك عندى	خبر	للتنبيه على أنه خبر لاصفة
كل شىء سيفنى	مبتدأ	أفادة التعميم
١٠ - ما كل ما يتمنى المرء يدركه	مبتدأ	نفى العموم
١١ - الشمس ومافى آيها . حكمة	مبدأ	التشويق للخبر
١٢ - مثل علاك لم أر	مفعول	تخصيص المفعول بالفعل

إذا قدمتَهُ ؟ . ومتى يدل على التخصيص بالخبر ؟

٥ ـ ميِّز المبتدأ الذى جَرى فى التقديم على أصله مِن الذى تقدم زائداً ؟؟

تدريب

العبارات الآتية تقدم فيها بعض أجزاء الكلام على بعض .

أذكر المتقدم ـ وبَيِّن نوعه فى كل عبارة :

١ ـ إثنان لاَ يستغنى عنهما إنسان : العلم والمال

٢ ـ قال صلى الله عليه وسلم : إخوانكم خولُكم ، جعلهم الله تحت أيديكم .

٣ ـ إليك على بعد المزارِ وصعبه نوازعُ شوقٍ ما تُرَدُّ عوَازبه

٤ ـ قال تعالى : فويلٌ لهم مما كتبتْ أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون

٥ ـ قبيحٌ أنْ يحتاجَ الحارسُ إلى مَنْ يحرُسه

٦ ـ وقال تعالى كانوا قليلاً من الليل ما يهْجَعُون ، وبالأسحار هم يستغفرون .

٧ ـ إلى الله كلُّ الأمرِ فى الخلق كلهم وليس إلى المخلوق شىء من الأمر

تمرين

عَيِّن المتقدم من ركنى الجملة أو من متعلقات الفعل ، وأذكر سبب تقدمه

١ ـ قال الله تعالى : وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

٢ ـ الدُّنيا دارُ عناء . ليس لأحد فيها البقاء . وغدا تسرُّ أو تُسَاء

٣ ـ ألقتْ مقاليدَها الدنيا إلى رجل ما زال وقْفاً عليه الجودُ والكرم

٤ ـ وقال الله تعالى : وله من فى السموات والأرض ؛ كلٌّ له قانتون

٥ ـ وقال الله تعالى : قالوا الآن جئت بالحق

٦ ـ بأىّ لفظٍ تقول الشعر زعنفةٌ   تجوزُ عندك لا عُرْبٌ ولا عجم

٧ ـ ولأحمد بن يوسف : بالأقلام تساسُ الأقاليم

٨ ـ أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة : من قال لا إله إلا الله بقلْبِه خالصاً

٩ ـ قال الله تعالى : إنّا نحنُ نُحيي ونُميت وإلينا المصير

١٠ ـ رأى الرسول رجلا نذر أن يمشى فقال : إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لَغنى

١١ ـ يساورُنى طولَ الدجى وأساورُه   مَلالٌ وطَرْفى ساهدُ الليل ساهرُه

اختبار للمذاكرة

كوّن أربع جمل تقدّم فى أولاها (الخبر) ليفيد التشويق إلى المبتدأ . وتقدّم (المبتدأ) فى الثانية لتعجيل المسرة . وتقدم فى الثالثة (الحال) لأنه موضع الانكار . وتقدم (الظرف) فى الرابعة لأنه موضع العناية

الباب السابع

فى تعريف القصر

القصر : لغـة الحبس — قال الله تعالى (حور مقصورات فى الخيام)
واصطلاحاً : هو تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص

والشىء الأول : هو المقصور ، والشىء الثانى : هو المقصور عليه

والطريق المخصوص لذلك التخصيص يكون بالطُّرُق والأدوات الآتية :

نحو : ما شوقى إلا شاعر ، فمعناه تخصيص (شوقى بالشعر) وقصره عليه ونفى صفة (الكتابة) عنه — (ردًّا على مَن ظنّ أنّه شاعر : وكاتب)

والذى دلّ على هذا التّخصيص هو النفى بكلمة (ما) المتقدمة ، والاستثناء بكلمة (إلاّ) التى قبل الخبر

فما قبل « إلاّ » وهو « شوقى » يُسمّى مقصوراً عليه ، وما بعدها وهو (شاعر) يسمّى مقصوراً — (وما ـ وإلاّ) طريق القصر وأدواته

ولوقلت (شوقى شاعرٌ) بدون (نفى واستثناء) ما فُهم هذا التّخصيص

ولهذا : يـكون لـكل قصر طرفان « مقصور ، ومقصور عليه » ويُعرَفُ « المقصور » بأنّه هو الذى يُؤلف مع « المقصور عليه » الجملة الأصليـة فى الـكلام ومن هـذا تعلم أن القصر : هو تخصيص الحكم بالمذكور فى الـكلام ونفيه عن سِواهُ بطريقٍ من الطرق الآتية

وفى هذا الباب أربعة مباحث

المبحث الأول

فى طُرُق القصر

للقصر طُرُق كثيرة ـ وأشهرها فى الاستعمال أربعة[1] وهى :

---

(١) ومن طرق القصر التى ليست مشهورة الاستعمال لفظ : وحده . أو : فقط . أو: لاغير . أو: ليس غير . أو: مادة الاختصاص ، أو: مادة القصر . أو: توسط ضمير الفصل . أو : تعريف المسند اليه . أو : تقديم المسند اليه على خبره الفعلى أحيانا . وغير ذلك وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية وقد أوصلها «جلال الدين السيوطى» فى كتابه «الاتقان فى علوم القرآن» إلى أربعة عشر طريقا

أهمها الطرق الأربعة المشهورة الاستعمال ـ وهى تختلف مع بعضها من أوجه كثيرة.

منها ـ أن «لا» العاطفة لا تجتمع مع النفى والاستثناء : لأن شرط المنفى بها ألا يكون منفيا صريحا قبلها بغيرها فلا تقول : ما على إلا مجتهد لا متكاسل ـ ولذا عيب على الحريرى قوله .

لعمرك ما الانسان إلا ابن يومه   على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وتجتمع «لا» مع «انما» أو «التقديم» نحو إنما أنا مصرى لاسورى ونحو المجتهد أكرمت لا المتكاسل ، لأن النفى فيهما غير مصرح به

ومنها ـ أن الأصل فى الحكم مع النفى والاستثناء أن يكون مجهولا منكرا للمخاطب «أى شأنه أن يجهله المخاطب وينكره» بخلاف «انما» لأن النفى مع الاستثناء لصراحته أقوى فى التأكيد من «انما» فينبغى أن يكون لشديد الانكار . ونحو: قولك «وقد رأيت شبحاً من بعد» ماهو إلا زيد : لمن اعتقد أنه غيره ، ونحو : «إن أنتم إلا بشر مثلنا» لما كانوا مصرين على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة فى البشر . رد المكذبون أصرارهم عليهم بقولهم ذلك .

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغى ، فيستعمل فيه النفى والاستثناء ، نحو «وما محمد إلا رسول» فقد قصر الله محمدا على صفة الرسالة ونفى عنه أن يظن فى أمره الخلود . فلا يموت أو يقتل

وهذا معلوم للصحابة ، لكن لاستعظامهم موته ، لشدة حرصهم على بقائه صلى الله عليه وسلم ، نزلوا منزلوا منزلة من لا يعلمه =

أولاً : يكون القصر (بالنفى والاستثناء)[1] ، نحو : ما شوقى إلا شاعر — أو : ما شاعر إلا شوقى

ثانياً : يكون القصر (بإنما) — نحو : « إنما يخشى الله من عباده العلماء »

وكقوله : إنما يشترى المحامد حرٌّ طابَ نفساً لهنَّ بالأثمانِ

ثالثا : يكون القصر بالعطف بلا — وبل — ولكن) — نحو : الأرض متحركة لا ثابتة . وكقول الشاعر :

عمرُ الفتى ذِكرُه لا طولُ مدته وموتُه خِزيه لا يومُه الدانى

وكقوله : ما نال فى دُنياه وانٍ بُغْيةً لكن أخو حزم يجدّ ويعمل

رابعاً : يكون القصر (بتقديم ما حقّه التأخير) نحو : إيّاكَ نعبدُ وإيّاكَ نستعين — (أى نخصك بالعبادة والاستعانة)

فالمقصور عليه « فى النفى والاستثناء » هو المذكور بعد أداة الاستثناء — نحو : وما توفيقى إلا بالله .

= وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم — نحو « إنما نحن مصلحون » لادعائهم أن كونهم مصلحين أمر ظاهر . ولهذا رد عليهم بقوله « ألا إنهم هم المفسدون » مؤكد بما ترى بالجملة — فالاستثناء لقوته يكون لرد شديد الانكار حقيقة — أو ادعاء . و « إنما » لضعفها تكون لرد الانكار فى الجملة حقيقة أو ادعاء — ويكون للقصر « بإنما » مزية على العطف لأنه يفهم منها الحكمان . أعنى الاثبات للذكور . والنفى عما عداه معاً ، بخلاف العطف لانه يفهم منه أولا الاثبات ، ثم النفى ، أو عكسه ، نحو إنما خليل فاهم — خليل فاهم لا حافظ — وأحسن مواقعها التعريض نحو « إنما يتذكر أولو الالباب »

واعلم أن « غير » كإلا فى إفادة القصرين ، وفى امتناع اجتماعه مع لا العاطفة ، فلا يقال : ما على غير شاعر لا منجم ، وما شاعر غير على لا نصر

(١) يكون النفى بغير « ما » كقوله تعالى « إن هذا إلا ملك كريم » كما يكون الاستثناء بغير « إلا » نحو : لم يبق سواك نلوذ به مما نخشاه من المحن

٢ ـ والمقصور عليه : مع (إنّما) هو المذكور بعدها ، ويكون مؤخراً في الجملة وجوباً ، نحو : إنما الدنيا غرُور

٣ ـ والمقصور عليه : مع (لا) العاطفة : هو المذكورُ قبلها والمُقابلُ لما بعدها . نحو : الفخر بالعلم لا بالمال

٤ ـ والمقصور عليه مع (بَلْ) و(لكنْ) العاطفتين : هو المذكور بعدهما نحو : ما الفَخر بالمال بَلْ بالعلم ـ ونحو : ما الفخر بالنَّسب لكن بالتقوى

٥ ـ والمقصور عليه : في (تقديم ما حقُّه التَّأخير) هو المذكور المتقدمُ نحو : على الله توكّلنا ـ وكقول المُتنبّي :

ومن البليّة عذل من لا يرعوى عن غيّهِ وخطاب من لا يفهم

ملاحظات

أوّلاً ـ يشترط في كلٍّ من « بل ـ ولكن » أن تُسبق بنفي ، أو : نهي وأن يكون المعطوف بهما مفرداً ، وألاّ تقترن (لكن) بالواو

ثانياً ـ يشترط في « لا » إفراد معطوفها ، وأن تُسْبق بإثبات ، وألاّ يكون ما بعدها داخلا في عموم ما قبلها

ثالثاً ـ يكون للقصر (بإنما) مزيّة على العطف لأنها تفيد الاثبات للشيء ، والنفي عن غيره دفعة واحدة ، بخلاف العطف ، فانه يفهم منه الاثبات أوّلا ، ثم النفي ثانياً ـ أو عكسه

رابعاً ـ التّقديم : يدُلّ على القصر بطريق الذّوق السليم ، والفكر الصَّائب ، بخلاف الثلاثة الباقية فتدل على القصر بالوضع اللّغوى (الأدوات)

خامساً - الأصل أن يتأخر المعمول على عامله إلا لضرورة

ومن يتتبع أساليب البلغاء فى تقديم ماحقه التأخير : يجد : أنهم يريدون بذلك : التخصيص .

المبحث الثانى

فى تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين

(١) قصر حقيق [1] - وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع ، بألا يتعداه إلى غيره أصلا - نحو لا إله إلا الله

تنبيهـــات

الاول — الاصل فى العطف أن ينص فيه على المثبت له الحكم ، والمنفى عنه إلا إذا خيف التطويل — وفى الثلاثة الباقية ينص على المثبت فقط

الثانى — النفى بلا العاطفة — لا يجتمع مع « النفى والاستثناء » فلا تقول ماحمد إلا ذكى لاغبى . لأن شرط جواز النفى « بلا » ألا يكون ماقبلها منفيا بغيرها

ويجتمع النفى بلا العاطفة مع كل من « انما - والتقديم » فتقول : إنما محمد ذكى لاغبى وبالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة

والاصل فى العطف « بلا » أن يتقدم عليه مثبت ، ويتأخر منفى بعده . وقد يترك ايضاحه اختصاراً ، مثل : على يجيد السباحة لاغير . أى لاالمصارعة - ولا الملاكمة ولا غير ذلك من الصفات

الثالث — الاصل فى « النفى والاستثناء » أن يجىء لأمر ينكره المخاطب - أو يشك فيه - أو لماهو منزل هذه المنزلة : ومن الاخير قوله تعالى : « وما أنت بمسمع من فى القبور ، إن أنت إلا نذير »

---

(١) ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيق « الادعائى » ويكون على سبيل المبالغة بفرض أن ماعدا المقصور عليه لا يعتد به

(ب) وقصر إضافى ـ وهو أن يختصّ المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شيء آخر مُعَيَّن ، لا لجميع ما عداه ، نحو : ما خليل إلا مسافر . فانك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشَخْص غيره ، كمحمود مثلا وليس قصدك أنه لا يوجد مُسافر سواه ، إذ الواقع يشهد ببطلانه

= الرابع — الاصل فى « إنما » أن تجىء لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب ، ولا ينكره ، وإنما يراد تنبيهه فقط . أو لما هو منزل هذه المنزله . فمن الاول قوله تعالى : « إنما يستجيب الذين يسمعون » وقوله تعالى « إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » ومن الثانى قوله تعالى حكاية عن اليهود « إنما نحن مصلحون » فهم قد ادعوا أن إصلاحهم أمر جلى لا شك فيه — وقال الشاعر :

أنا الذائد الحامى الذمار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

اسباب ونتائج

الغاية من القصر : تمكين الكلام وتقريره فى الذهن — كقول الشاعر

وما المرء إلا كالهلال وضوئه ... يوافى تمام الشهر ثم يغيب

ونحو : وما لامرىء طول الخلود وإنما ... يخلده طول الثناء فيخلد

وقد يراد بالقصر المبالغة فى المعنى كقول الشاعر :

وما المرء إلا الاصغران لسانه ... ومعقوله والجسم خلق مصور

وكقوله : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على

و « ذو الفقار » لقب سيف الامام على كرم الله وجهه ، وسيف العاص بن منبه

والقصر : قد ينحو فيه الاديب مناحى شتى ، كأن يتجه إلى القصر الاضافى ، رغبة فى المبالغة — كقوله :

وما الدنيا سوى حلم لذيذ ... تنبهه تباشير الصباح

وقد يكون من مرامى القصر التعريض - كقوله تعالى « إنما يتذكر أولو الالباب » إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ، ولكنها تعريض بالمشركين الذين فى حكم من لا عقل له

المبحث الثالث

فى تقسيم القصر باعتباره طرفيه

ينقسم القصر باعتبار طرفيه (المقصور والمقصور عليه)

سواء أكان القصر حقيقياً أم إضافياً إلى نوعين :

(١) قصر صفة على موصوف : هو أن تحبس الصفة على موصوفها وتختص به ، فلا يتصف بها غيره . وقد يتصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات .

مثاله من الحقيقى (لا رازق إلا الله)

ومثاله من الإضافى ، نحو : لا زعيم إلا سعد

(ب) قصر موصوف على صفة ، هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختص بها ، دون غيرها ، وقد يشاركه غيره فيها

مثاله من الحقيقى ، نحو : ما الله إلا خالق كل شىء[١]

ومثاله من الاضافى ، قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسولٌ[٢] قدخلت من

---

(١) قصر الموصوف على الصفة فى القصر الحقيقى . لايكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشىء ، حتى يمكن إثبات شىء منها ونفى ما عداها - ويكثر القصر الحقيقى فى قصر الصفة على الموصوف ، بخلاف القصر الاضافى الذى يأتى كثيرا فى كل من قصر الصفة على الموصوف ، وقصر الموصوف على الصفة - وأعلم أن المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية التى تدل على معنى قائم بشىء ، سواء أكان اللفظ الدال عليه جامداً أو مشتقاً ، فعلا أو غير فعل ، فالمراد بالصفة ما يحتاج إلى غيره ليقوم به كالفعل ونحوه وليس المراد بها (الصفة النحوية المسماة بالنعت)

(٢) فقد قصر الله محمداً على صفة الرسالة ، ونفى عنه أن يظن فى أمره الخلود . فلا يموت - أو يقتل

قبله الرسلُ ، أفإنْ ماتَ أوْ قُتلَ انقلبتم على أعقابكمْ ، ومَنْ ينقلبْ على عَقِبَيْهِ فلن يَضُرَّ اللهَ شيئا .

المبحث الرابع

فى تقسيم القصر الإضافى

ينقسم القصر الإضافىُّ بنوعيه السّابقين(١) على حسب حال المخاطب إلى ثلاثة أنواع :

(ا) قصر إفراد - إذا اعتقد المخاطب الشَّركةَ ، نحو إنّما اللهُ إلهٌ واحدٌ ردًّا على مَن اعتقد أنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ .

(ب) قصر قَلْب — إذا اعتقد المخاطب عكسَ الحكم الذى تُثبتهُ نحو : ما سافر إلا على « ردًّا على من اعتقد أن المسافرَ خليل لا علىٌّ »

فقد قلبتَ وعكست عليه اعتقادَه

(ج) قصر تعيين — إذا كان المخاطب يتردّد فى الحكم : كما إذا كان متردّدًا فى كون الأرض متحرّكةً أو ثابتـــة ، فتقول له : الأرض متحركة لا ثابتة « ردًّا على مَنْ شكَّ وتردَّدَ فى ذلك الحكم »

واعلم أنّ القصر بنوعيه يقع بين المبتدأ والخبر ، وبين الفعل والفاعل وبين الفاعل والمفعول ، وبين الحال وصاحبها — وغـير ذلك من المتعلقات ، ولا يَقعُ القصرُ مع المفعول معه

(١) بخلاف القصر الحقيقى بنوعيه ، إذ العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها إلا واحدة ، أو يتردد فى ذلك ، كيف وفى الصفات ما هى متقابلة فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفى عن الباقى : إفراداً - أو قلبا - أو تعييناً وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف ، كما فى المطول - وشراح التجريد

والقصر من ضروب الإيجاز الذى هو أعظم ركن من أركان البلاغة ؛ إذ أنّ جملة القصر فى مقام جملتين . فقولك (ما كامل إلا الله) تعادل قولك : الكمال لله . وليس كاملا غيره

وأيضاً : القصرُ يحدد المعانى تحديداً كاملا ، ويكثر ذلك فى المسائل العلمية : وما يماثلها

تطبيق (١)

وضّح فيما يلى نوع القصر وطريقه

(١) ما الدّهرُ عندك إلا روضةٌ أُنُفٌ ... يا من شمائلُهُ فى دهره زَهَرُ[(١)]

(٢) ليس عارٌ بأن يُقَالَ فقيرٌ ... إنما العار أن يُقال بخيلُ

(٣) وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هُمُوا ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا

(٤) فلمّا أبى إلا البكاء رَفَدْتُهُ ... بعينين كانا للدّمُوع على قدْرِ[(٢)]

(٥) مالنا فى مديحه غيرُ نظم ... للمساعى التى سعاها ووصفُ

رقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
١	ما الدهر ...	موصوف على صفة	إضافى	النفى والاستثناء
٢	انما العار ...	موصوف على صفة	»	إنما
٣	انما الأمم	موصوف على صفة	حقيقى ـ ادعائى	»
٤	فلما أبى ...	صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٥	مالنا ...	صفة على موصوف	»	»

(١) روضة أنف ، لم يرعها أحد

(٢) رفده أعانه . قدر . مصدر قدر على الشىء بمعنى اقتدر

(٦) بك اجتمع المُلك المُبَدَّدُ شَمْلُه ... وضُمَّتْ قواصٍ منه بعد قواصى[١]

(٧) سيذكرنى قومى إذا جَدَّ جِدُّهُم ... وفى الليلة الظلماء يُفتقَدُ البدر[٢]

(٨) ما افترقنا فى مديحه بل وَصَفْنا ... بعضَ أخلاقه وذلك يَكفى

وقال عليه الصلاة والسلام (ليس لك لك من مالِكَ إلاّ ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ ، أو تصدّقتَ فأبقيْتَ)

نمرة	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
٦	بك اجتمع	صفة على موصوف	إضافى	تقديم الجار والمجرور
٧	وفى الليلة . .	موصوف على صفة	«	« « «
٨	ما افترقنا .	« « «	«	بل

تطبيق (٢)

(١) قال الله تعالى (إنّما اللهُ إلهٌ وَاحِدٌ)

(٢) قال تعالى (إنْ حِسابُهم إلاّ على ربّى لو تَشعُرُونَ)

(٣) قال تعالى (لله ما فى السمواتِ وما فى الأرضِ)

نمرة	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصود	باعتبار المخاطب	طريقه
١	إنما الله	إضافى	موصوف على صفة	إفراد	إنما
٢	إن حسابهم	«	« «	«	النفى والاستثناء
٣	لله مافى السموات	حقيقى	صفة على موصوف		التقديم

(١) المبدد المفرق . القواصى جمع قاصية ، وهى الناحية البعيدة

(٢) جد فى أمره اجتهد . والجد « بكسر الجيم » الاجتهاد . وضده الهزل . يفتقد يطلب :

(٤) قال الله تعالى (إنْ أنتُمْ إلا تَكذِبُونَ)

(٥) فإن كان فى لبس الفتى شرفٌ له فما السَّيفُ إلا غِمْده والحمائلُ(١)

(٦) ليس اليتيمُ الذى قد مات والده بَل اليتيم يتيمُ العِلم والأدب

(٧) وماشاب رأسى من سنين تتابعتْ علىَّ ولكن شيَّبتنى الوقائع

(٨) إن الجديدين فى طول اختلافهما لا يَفسُدان ولكن يَفسُدُ الناسُ

(٩) لا يألفُ العِلمَ إلا ذكى — ولا يجفوه إلا غبى

(١٠) قد علمتْ سلمى وجاراتُها ما قطَّرَ الفارسَ إلا أنا

(١١) إنما الدنيا هبات وعوار مُسترَدَّه
شِدَّةٌ بعد رخاء ورخاء بعد شِدَّهْ

(١٢) على الله توكلنا — إنَّما الأعمال بالنيَّات ، وإنَّما لكل امرىء مانوى

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه	
٤	إن أنتم .	إضافى	موصوف على صفة	إفراد	النفى والاستثناء	
٥	فما السيف . . .	»	»	محتمل	»	»
٦	ليس اليتيم . . .	»	صفة على موصوف	»	العطف	ببل
٧	وما شاب . . .	»	»	»	»	بلكن
٨	لا يفسدان	»	»	»	»	»

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
٩	لا يألف العلم الا ذكى	قصر صفة على موصوف	حقيقى	النفى والاستثناء
١٠	ما قطر الفارس الا أنا	» » » »	»	»
١١	انما الدنيا هبات	قصر موصوف على صفة	إضافى	إنما
١٢	على الله توكلنا	قصر صفة على موصوف	»	التقديم

(١) جفن السيف غمده : والحمائل : جمع حمالة . علاقة السيف

(١) محاسنُ أوصاف المُغنّين جمّةٌ وما قصباتُ السبق إلا لمعْبَد

(٢) إلى الله أشكو أنّ فى النفس حاجةً تمرّ بها الأيام وهى كما هيا

(٣) عند الامتحان يُكرَمُ المرء أو يُهان

اختبار للذاكرة

(١) هات جملة تفيد نجاحَ سعد — وعدم نجاحَ سعيد — بواسطة إنما

(٢) رُدَّ بطريق القصر بإنما على من ظنّ أن المطر يكثر شتاء فى السودان

(٣) (ا) مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية ؟؟ فيكون القصر (قصر قلب)
(ب) من تُخاطب بالجملة الآتية ؟؟ فيكون القصر (قصر إفراد)
(ﺟ) من تُخاطب بالجملة الآتية ؟؟ فيكون القصر (قصر تعيين)

وهى (ما أدّيتُ الا الواجبَ علىّ)

(٤) غيِّر الجملة الآتيةَ بحيث تفيد القصر بالعطف

« بالاختراعات الحديثة ارتقت الأمم الغربيّة »

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
١	ما قصبات السبق الخ	قصر صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٢	الى الله أشكو	« « «	حقيقى	التقديم
٣	عند الامتحان يكرم الخ	قصر صفة على موصوف	إضافى	التقديم

(١) إنما نجح سعد لا سعيد

(٢) إنما يكثر المطر فى السودان ربيعاً لا شتاء.

(٣) (ا) إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت غير الواجب عليك
(ب) إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت الواجب وغيره
(ﺟ) إذا كان المخاطب مترددا فى تأدية الواجب وغيره

(٤) ارتقت الأمم الغربية بالاختراعات الحديثة لا بغيرها

تطبيق عملى

(١) لم يبقَ سواك نلوذ به ... مما نخشاه من المحن

(٢) إنما يشترى المحامدَ حرٌ ... طاب نفساً لهنّ بالأثمان

(٣) إنما الدُنيا متاعٌ زائل ... فاقتصِدْ فيه وَخذ منه ودعْ

(٤) عُمْرُ الفتى ذكرُهُ لاطولُ مُدَّته ... وَمَوْتُهُ خزيُهُ لا يومُهُ الدّانى

(٥) ما نال فى دُنياه وان بُغْيَةً ... لكن أخو حزمٍ يجدّ ويعمل

(٦) ومن البلية عذل من لا يرعوى ... عن غيه وخطابُ من لا يفهمُ

---

(١) فى هذا البيت إستثناء بغير إلا

(٢) يقول إن شراء المحامد مقصور على الأحرار ، فهم الذين تطيب نفوسهم ببذل المال فى سبيل الحمد . والذى دل على هذا القصر هو لفظ (إنما) وهذا (قصر صفة) وهى الشراء على (موصوف) وهو الحر

(٣) فقد قصر الدنيا على صفة من صفاتها . وهى كونها متعة لاندوم لحى وهو كاترى (قصر موصوف على صفة)

(٤) أى إن حياة الانسان لا تقاس بطول المدة ، ولكن بالذكر الخالد وأن الموت لا يكون بمفارقة الحياة ، بل بما يرضى به بعض الأحياء من خزى وهوان ، وقد جاء فى كل شطر بقصر ، إذ قصر العمر على الذكر فى الشطر الأول ، وقصر الموت على الخزى فى الشطر الثانى ، والذى دل على القصر فيهما هو العطف (بلا) فى قوله « لا طول مدته » ، « ولا يومه الدانى »

(٥) يقول : إن المهمل لا ينال أمانيه ، إنما الذى ينال ما يرجوه هو الحازم الذى يجد ويعمل ، فقصر نيل البغية على أخى الحزم ، وطريق القصر هنا هو العطف « بلكن »

(٦) يقول : إن لوم من لا يرجع عن باطله ، وإن التحدث إلى من لا يعى عنك ولا يفهم : مقصور على صفة لا يفارقها ، وهى كونه بلاء ونكداً — والذى دل على هذا القصر تقديم الخبر على المبتدأ .

بالعلم والمال يبني الناسُ مُلكهمُ ... لم يُبْنَ مُلْكٌ على جهل وإقلالِ(١)

تمرين آخر

عيِّن المقصور ، والمقصور عليه ، ونوع القصر وطريقته ، فيما يأتي :

(١) قال الله تعالى : « فذكِّرْ إنما أنتَ مذكِّرٌ لستَ عليهم بمصيطر » .

(٢) وقال الله تعالى : « قلْ إنما أنا بشرٌ مثلُكم يُوحى إليَّ أنما إلهُكم إلهٌ واحدٌ » .

(٣) وقال تعالى : إنما يفترِي الكذبَ الذينَ لا يؤمنونَ بآياتِ اللهِ وأولئكَ هُمُ الكاذبونَ » .

(٤) قال ابن الرومي :

غلِطَ الطبيبُ عليَّ غلطةَ موردٍ ... عجزتْ مواردُهُ عن الإصدار

والناسُ يلحَوْنَ الطبيبَ وإنما ... غلطُ الطبيب إصابةُ الأقدار

(٥) قال المتنبي :

والظلم من شِيَم النفوس فإن تجدْ ... ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

(٦) قال الطرِمّاحُ بنُ حكيم :

وما منِعتْ دارٌ ولا عزّ أهلُها ... من الناس إلاّ بالقنا والقنابل

(٧) قال حطّان بن المعلّى :

وإنما أولادُنا بيننا ... أكبادُنا تمشي على الأرض

(٨) وقال رجل من بني أسد :

ألا إنّ خيرَ الودِّ ودٌّ تطوعت ... به النفسُ لا ودٌّ أتى وهو متعب

---

(١) قصر بناء الملك على العلم والمال بتقديم الجار والمجرور على الفعل

(٩) قال أبو تمام :

شاب رأسى وما رأيت مشيب الـــرأس إلاّ من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القـــلوب فى كل بؤس ونعيم طـــلائع الأجســـاد

(١٠) قال المتنبى :

وما أنا إلاّ سمهرىّ حملتـــه فزيّن معروضاً وراع مسدّدا
وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

(١١) وقال أيضاً :

وما الخوف إلا ما تخوّفه الفتى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا

(١٢) وقال أبو فراس الحمدانى :

إذا الخلّ لم يهجرك إلا مـــلالة فليس له إلا الفراق عتـــاب

(١٣) وقال أبو العتاهية :

علّل النفس بالكفاف وإلاّ طلبت منك فوق ما يكفيها
إنما أنت طول عمرك ماعمّــرت فى الساعة التى أنت فيها

قال مهيار :

وما الحرص إلا فضلة لو نبذتها لما فاتك الرّزق الذى أنت آكله

(١٥) قال الطّغرائى :

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعوّل فى الدنيا على رجل

(١٦) قال الغزّى :

ليس التغرب أن تشكو نوى سفر وإنما ذاك فقد العزّ فى الوطن

(١٧) وقال أيضاً :

إنما هـــذه الحيـــاة متاع والسفيه الغبى من يصطفيها

ما مضى فات ، والمؤمَّلُ غَيب ولك الساعة التى أنت فيها

(١٨) وقال الأرَّجانى :

تطلَّعت فى يومَىْ رخاء وشدةٍ وَناديتُ فى الأحياء هل من مساعد
فـلم أر فيما ساءنى غـير شامتٍ ولم أرَ فيما سرَّنى غـير حاسد

(١٩) وقال الأبيوَرديّ :

ومن نـكَدِ الأيام أن يبلغَ المنى أخو اللؤم فيها والـكريم يخيب

(٢٠) وقال أيضاً :

ولا تَصْطَنِعْ إلا الـكرامَ فإنهم يجازُونَ بالنَّعماء من كان مُنْعِما

أسئلة على القصر وأنواعه تطلب أجوبتها

ما هو القصر لغة واصطلاحاً ؟ ؟ كم قسما للقصر ؟ ؟ ما هو القصر الحقيقى ؟ ما هو القصر الإضافى ؟ ـ كم قسما للقصر الحقيقى ؟ ـ كم قسما للقصر الإضافى ؟ ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقى ؟ ـ ما مثال قصر الصفة على الموصوف من الإضافى ؟ ـ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقى ؟ ـ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الإضافى ؟ ـ كم قسما للإضافى بقسميه ؟

على من يُرَدُّ بقصر الأفراد ؟ ـ على مَنْ يُردُّ بقصر القلب ؟ ـ على من يُرَد بقصر التَّعيين ؟ ـ ما هى طرق القصر المصطلح عليها فى هذا الباب ؟ ما أقواها أيمكن وقوع القصر بين الفعل والفاعل ؟ أيمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول ؟ أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته ؟ — أيمكن وقوع القصر بين المفعولين ؟ . — متى يجب تأخير المقصور عليه ؟ ـ ويكثر تأخير المقصور عليه ؟ . ـ لماذا يجب تأخير المقصور مع إنما ؟ ـ ويكثر مع النفى والاستثناء ؟ ؟

تطبيق عام على القصر وانواعه والابواب السابقة

لا حول ولاقوة إلا بالله — جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لمافيهما من التوكيد بالقصر الذى هو أقوى طرق التوكيد المسند اليه (حول وقوة) والمسند الجار والمجرور . ولا نظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لا يعتبرها أهل المعانى ولا يعدون حذفه إيجازاً . والحكمان مقيدان بالنفى والاستثناء لافادة القصر — ففيهما (قصر صفة) وهو التحول عن المعاصى ، والقوة على الطاعة على (موصوف) وهو الذات الأقدس . وهو قصر إضافى طريقه النفى والاستثناء . ثم إن كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصى والقوة على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصر قلب . أو على من يعتقد الشركة فهو إفراد . أو على من يتردد فهو تعيين

إياك نعبد وإياك نستعين — جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث — المسند نعبد ونستعين . والمسند إليه الضمير المستتر فيهما — وهما مقيدتان بالمفعولين إياك وقدم المفعولين لافادة القصر — ففيهما قصر (صفة) وهو العبادة والاستعانة ، على (موصوف) وهو الذات الأقدس . طريقه تقديم ماحقه التأخير — وهو إضافى . ثم إن كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى — فهو . قلب — أو على يعتقد الشركة فهو إفراد . أو على من يتردد فهو — تعيين

إنما شوقى شاعر — فيه قصر موصوف وهو شوقى على صفة وهو الشعر — وطريقه إنما — وهو قلب — أو إفراد — أو تعيين — على حسب حال المخاطب

الله الغفور الرحيم — فيه قصر الصفة وهو المغفرة والرحمة — على موصوف وهو الله تعالى — طريقه تعريف المسند بأل

وهو : قلب — أو إفراد — أو تعيين — على حسب حال المردود عليه

إنما الشجاع على — فيه قصر صفة وهو الشجاعة — على موصوف وهو على وطريقه إنما

المرء بآدابه لابثيابه — فية قصر الموصوف على الصفة ، قصر قلب بين المسند إليه والمسند . طريقه العطف بلا

إنما الإله واحد — فيه قصر الموصوف على الصفة ، قصراً حقيقيا — طريقه إنما : وهو واقع بين المسند إليه والمسند

الباب الثامن

فى الوصل والوصل

تمهيـــد

العلمُ بمواقع الجمل ، والوقوف على ما ينبغى أن يُصنع فيها من العطف والاستئناف ، والتهدِّى إلى كيفية إيقاع حروف العطف فى مواقعها

أو تركها عند عدم الحاجة اليها صعبُ المسلك ، لا يُوفَّق للصواب فيه إلاَّ مَن أُوتى قسطاً موفوراً من البلاغة ، وطبع على إدراك محاسنها ، ورُزق حظاً من المعرفة فى ذوق الكلام ، وذلك لغموض هذا الباب ، ودِقة مسلكه ، وعظيم خطَرِه ؟ وكثير فائدته : يَدلُّ لهذا . أنَّهم جعلوه حدًّا للبلاغة

فقد سُئِل عنها بعضُ البُلغاء ، فقال : هى « معرفة الفصل والوصل »

تعريف الوصل والفصل فى حدود البلاغة

الوصل عطف جملة على أخرى بالواو ـ والفصل تَرك هذا العطف (١)

---

(١) إذا توالت الجلتان . لايخلو الحال من أن يكون ـــ للأولى محل من الإعراب ـ أولا . وإن كان لها محل من الاعراب فلا بد من أن يقصد تشريك الثانية لها فى حكم الاعراب ـ أولا . فان قصد التشريك عطفت الثانيه عليها نحو الله يحي ويميت ـ وإلا فصلت عنها نحو قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون الله يستهزىء بهم . لم يعطف قوله الله يستهزىء بهم على ماقبله لئلا يشاركه فى حكم المفعولية للقول وهو ليس مما قالوه كما سيأتى ـ وإن لم يكن لها محل من الأعراب ، فان كان لها حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية وجب الفصل ـ دفعا للتشريك بينهما ـ نحو إنما أنت منذر ولكل قوم هاد . الله يعلم ما تحمل كل أنثى ـ لم يعطف (قوله الله يعلم) على ماقبله ==

بين الجملتين ، والمجيء بها منثورة ، تستأنف واحدة منها بعد الأخرى

فالجملة الثانية : تأتى فى الأساليب البليغة مفصولة أحياناً ، وموصولة أحياناً

فمن الفصل ، قوله تعالى « وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحسنُ » فجملة (ادفع) مفصولة عمّا قبلها ، ولو قيل : وادفع بالتى هى أحسن ، لما كان بليغاً

ومن الوصل قوله تعالى « يأيُّها الذين آمنُوا اتّقُوا اللهَ وكونوا مع الصَّادِقين » عطف جملة : وكونو على ما قبلها

ولو قلت : اتقوا الله كونوا مع الصادقين ، لما كان بليغاً

فكلٌّ من الفصل والوصل يجيء لأسباب بلاغيّة

ومن هـذا يُعلم أنّ الوصل جمع وربط بين جُملتين (بالواو خاصة) لصلة بينهما فى الصورة والمعنى : أو لدفع اللبس

= لئلا يشاركه فى حكم القصر فيكون تعالى مقصوراً على هذا العلم - وإن لم يكن لها ذلك الحكم نحو : زيد خطيب وعمرو متشرع - أو قصد إعطاء حكمها للثانية نحو إنما زيد كاتب وعمرو شاعر ، وجب الوصل كما رأيت - مالم تكن إحدى الجملتين مطلقا منقطعة عن الأخرى انقطاعا كاملا بحيث لا يصلح ارتباطهما أو متصلة بها اتصالا كاملا ، بحيث لا تصح المغايرة بينها . فيجب الفصل لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف وعدم افتقار المتصلتين إلى ارتباط به . ويحمل شبه كل واحد من الكمالين عليه فيعطى حكمه - واعلم أنه لا يقبل فى العطف إلا عطف المتناسبات مفردة أو جملا بالواو أو غيرها ، فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات ، فنحو الشمس والقمر والسماء والأرض . محدثة (مقبول) ونحو الشمس والأرنب والحمار . محدثة (غير مقبول) لكن اصلاحهم اختصاص الوصل والفصل (بالجمل ، وبالواو) - فلا يحسن الوصل إلا بين الجمل المتناسبة . لا المتحدة ولا المتباينة . والافصل -

واعلم أنه إن وجدت الواو بدون معطوف عليه قدر مناسب للمقام - نحو (أو كلما عاهدوا عهداً) فتقدر (أكفروا وكلما عاهدوا) لأن الهمزة تستدعى فعلا

والفصل : تركُ الربط بين الجملتين . إما لأنهما مُتحدتان صورة ومعنى ، أو بمنزلة المتحدتين ، وإما لأنه لا صِلَةَ بينهما فى الصُّورة أو فى المعنى

بلاغة الوصل

وبلاغة الوصل : لا تتحقق إلا (بالواو) العاطفة فقط دون بقيَّة حروف العطف ـ لأن (الواو) هى الأداة التى تخفَى الحاجةُ اليها ، ويحتاج العطف بها إلى لُطف فى الفهم ، ودِقَّة فى الإدراك ، إذ لا تفيد إلا مُجَرَّدَ الرَّبط ، وتَشريكَ ما بعدها لِمَا قبلها فى الحكم ، نحو : مَضَى وقت الكسلْ وجاء زمن العمل ، وقُم واسْعَ فى الخير

بخلاف العطف بغير (الواو) فيفُيدُ مع التشريك معانىَ أخرى — كالترتيب مع التَّعقيب فى (الفاء) وكالتَّرتيب مع التَّراخى) فى (ثُمَّ) وهكذا باقى حروف العطف التى إذا عُطف بواحد منها ظهرت الفائدة ، ولا يقع اشتباه فى استعماله

وشرط العطف (بالواو) أن يكون بين الجملتين (جامعٌ)

كالمُوافقةِ : فى نحو : يقرأ ويكتبُ ، وكالمُضادة : فى نحو : يضحك ويبكى وإنَّما كانت المضادَّة فى حكم المُوافقة ، لأنَّ الذّهن يَتصوَّر أحد الضّدين عند تصوُّر الآخر ، (فالعلم) يخطر على البال عند ذكر (الجهل)

كما تخطر (الكتابة) عند ذكر (القراءة)

(والجامع) يجب أن يكون باعتبار المنسد اليه والمسند جميعاً

فلا يُقال : خليل قادم ، والبعير ذاهب ، لعدم الجامع بين المسند اليهما كما لا يقال : سعيد عالم ، وخليل قصير ، لعدم الجامع بين المسندين وفى هذا الباب مبحثان

المبحث الاول

فى اجمال مواضع الوصل

الوصلُ : عطفُ جملة على أخرى (بالواو) ـ ويقع فى ثلاثة مواضع[١]

الأول — إذا اتّحدتْ الجملتان فى الخبرية والإنشائية لفظاً ومعنى أومعنى فقط[٢] ولم يكن هناك سببٌ يقتضى الفصل بينهما وكانت بينهما مُناسبةٌ تامّةٌ فى المعنى ـ فمثال الخبريتين قوله تعالى (إنّ الأبْرَارَ لَفى نَعيمٍ[٣] وإنّ الفجّارَ لَفِى جحِيم) ومثال الانشائيتين قوله تعالى (فادْعُ واسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ) وقوله تعالى (واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشرِكُوا به شَيْئاً)

وصل جملة « ولا تشركوا » بجملة « واعبدوا » لاتحادهما فى الانشاء ، ولأن المطلوب بهما مما يجبُ على الانسان أن يؤدِّيه لخالقه ، ويختصّه به

ومن هذا النوع قول المرحوم شوقى بك :

عالجوا الحكمة واستشفوا بها　　　وانشدُوا ما حلّ منها فى السِّيَرْ

فقد وصل بين ثلاث جمل ، تتناسب فى أنها مما يتعلق بأمر (الحكمة) وبواجب (الشباب) فى طلبها ، والانتفاع بها

ومثال المختلفتين ، قوله تعالى (إنِّى أُشهِدُ اللهَ ، واشْهَدُوا أنِّى برِىءٌ ممّا تشرِكُون)

---

(١) الوصل يقع وجوبا بين جملتين متناسبتين لامتحدتين ولا مختلفتين كما سيأتى تفصيل ذلك .

(٢) المعول عليه اتحادهما فى المعنى لأن العبرة به ولا قيمة لاختلاف الصورة اللفظية .

(٣) فى هذا الكلام جملتان خبريتان وصلت الثانية بالأولى لأن بين الجملتين تناسباً فى الفكر . فاذا جرى فى الذهن حال أحد الفريقين تصورحال الفريق الآخر.

أى : إنى أُشهِدُ اللهَ وأُشهِدُكُم[١] . فتكون الجملة الثانية فى هذه الآية : إنشائية لفظاً ، ولكنّها خبرية فى المعنى[٢]

ونحو : إذهبْ إلى فلان ، وتقول له كذا ، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظاً ، ولكنها إنشائية معنى « أى : وقُلْ له »

فالاختلاف فى اللفظ ، لا فى المعنى المُعوّل عليه ، ولهذا (وجب الوصل) وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما ، ولم يكن هناك سبب يقتضى الفصل بينهما ، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب

الثانى — دفع توهُّم غير المُرَاد ، وذلك إذا اختلفت الجملتان فى الخبرية والإنشائية ، وكان الفصل يُوهِم خِلَافَ المقصود[٣] كما تقول مجيباً لشخص بالنّفى « لا — شفاه الله[٤] »

لمن يسألك : هل بَرِئَ علىٌّ من المرض ؟؟ « فترك الواو يُوهم السّامع

---

(١) والداعى لذكر الجملة الثانية إنشائية ، ولم تذكر كالأولى خبرية ، لأجل التحاشي عن مساواة شهادتهم بشهادته عز وجل — تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

(٢) اعلم أن صور الجملتين ثمانية — لأنهما (إما خبريتان) لفظا ومعنى — أو معنى لا لفظا — أو الأولى جملة خبرية معنى لا لفظا — أو بالعكس .

(وإما إنشائيتان) لفظا ومعنى — أو معنى لا لفظا — أو الأولى جملة خبرية صورة والثانية إنشائية - أو بالعكس كما مثلنا .

(٣) أما إذا لم يحصل إبهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله.

(٤) فجملة شفاه الله خبرية لفظا إنشائية معنى : والعبرة بالمعنى - واعلم أن الجملة الأولى المدلول عليها بكلمة « لا » جملة خبرية إذ التقدير « لا برء حاصل له » وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به .

الدُّعاء عليه، وهو خلافُ المصوُد، لأن الغرض الدُّعاء له »[1]

ولهذا (وجبَ أيضاً الوصلُ)

وعطف (الجملة الثانية) الدُّعائية الإنشائية على (الجملة الأولى) الخبريَّة المُصوَّرة بلفظ «لا» لدفع الإيهام، وكلٌّ من الجملتين لامحل له من الإعراب

الثالث — إذا كان (للجملة الأولى) محلٌّ من الإعراب، وقُصِد تشريكُ (الجملة الثانية) لها فى الإعراب حيث لا مانعَ، نحو: عليٌّ يقول، ويفعل[2]

---

(١) كما حكى: أن (أبا بكر) مر برجل: فى يده ثوب. فقال له: أتبيع هذا: فقال) الرجل «لا - يرحمك الله» فقال أبو بكر «لاتقل هكذا» قل: — «لا - ويرحمك الله» وهكذا إذا سئلت عن مريض: هل أبل؟؟ فقل «لا - وشفاه الله» حتى لايتوهم السامع أنك تدعو عليه، وأنت تريد الدعاء له، فالجملة الأولى المدلول عليها بكلمة «لا» خبرية، والثانية إنشائية فى المعنى، لأنها لطلب الرحمة والشفاء، وكان الواجب الفصل بينهما، لولا مايسببه الفصل من الوهم.

(٢) فجملة (يقول) فى محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة: ويفعل) معطوفة على جملة يقول: وتشاركها بأنها فى محل رفع خبر ثان للمبتدأ، فاشتراك الجملتين فى الحكم الاعرابى يوجب الوصل.

وحكم هذه الجملة حكم المفرد المقتضى مشاركة الثانى للأول فى إعرابه.

والأحسن أن تتفق الجملتان فى الاسمية والفعلية، والفعليتان فى الماضوية والمضارعية.

أى: أن تعطف الاسمية على مثلها، وكل من الماضوية والمضارعية على مثلها.

وكذا الاسميتان فى نوع المسند من حيث الافراد - والجملة - والظرفية:

ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لأغراض

«ا» كحكاية الحال الماضية، واستحضار الصورة الغريبة فى الذهن، نحو: «إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون».

«ب» وكافادة التجدد فى إحداهما، والثبوت فى الأخرى - نحو:

تمرين

وضح أسباب الوصل فى الجمل الآتية :

(١) قال الله تعالى « ولا تَجعل يدك مغلولةً إلى عُنقك ولا تبسُطها كل البَسْط فتقعُدَ ملوماً محسوراً »

(٢) وقال تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارونَ وزيراً » .

(٣) وقال تعالى « قُلْ يَأيُّها النَّاسُ إنَّما أنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، فَالذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ، وَالذِين سَعَوْا فى آياتِنَا مُعاجِزِينَ أولئك أَصْحَابُ الْجَحِيم »

(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : « اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ . وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُها ، وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَن »

(٥) قال أبو العتاهية :

تأتى المكارهُ حين تأتى جُملةً ... وأرى السرورَ يجىء فى الفلتات

(٦) وقال المتنبى :

وكلُّ امرىءٍ يُولِى الجميلَ مُحَبَّبٌ ... وكلُّ مكان يُنْبِتُ العزَّ طيِّب

(٧) وقال المعرى :

اضرِبْ وليدكَ وادْلُلْهُ عَلَى رَشَدٍ ... ولا تقل هو طفلٌ غيرُ مُحتَلِم

= « أجئتنا بالحق ، أم أنت من اللاعبين » فقد لوحظ فى الأولى إحداث تعاطى الحق وفى الثانية الاستمرار على اللعب ، والثبات على حالة الصبا ـ ونحو : الصديق يكاتبنى وأنا مقيم على وده ، وذلك لأن الدلالة على التجدد تكون بالجملة الفعلية ، وعلى الثبات فى الجملة الاسمية ـ ومثل هذا : يحصل عند إرادة المضى فى إحداهما والمضارعية فى الأخرى .

فربَّ شقٍّ برأسٍ جرَّ منفعةً وقِسْ على نفع شَقِّ الرأسِ في القلمِ

(٨) وقال :

يصونُ الكريمُ العِرْضَ بالمالِ جاهداً
وذو اللؤمِ للأموال بالعِرض صائنُ

(٩) وقال مسلم بن الوليد :

يجودُ بالنفس إن ضَنَّ الجوادُ بها والجُودُ بالنفس أقصى غايةِ الجُودِ

(١٠) وقال أبو نواس :

نسيبُك من ناسبْتَ بالودِّ قلبهُ وجارُكَ من صافيتَ لا من تُصاقِبُ

(١١) وقال الغزى :

إنمــا هــذه الحيــاة متاعٌ والسفيهُ الغبيُّ من يصطفيها
ما مضى فات ، والمؤمَّلُ غَيْبٌ ولكَ الساعة التى أنتَ فيها

تمرين آخر

بين أسباب الفصل فى الأمثلة الآتية :

قال الله تعالى :

(١) « وضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ . قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الذى أنْشأها أوَّلَ مَرَّةٍ »

(٢) وقال تعالى « فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً . إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرا »

(٣) وقال تعالى : « إنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فى الأرْضِ وجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أبْنَاءَهُم وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُم إنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ »

(٤) وقال تعالى « إنَّ الذين كَفَرُوا سواءٌ عَلَيْهِمْ أأَنْذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ

تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ »

(٥) وقال تعالى « وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً »

(٦) وقال تعالى « وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَماً . قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ »

(٧) قال أبو العتاهية :

الصَّمْتُ أَجْمَلُ بالفتى ... من مَنْطِقٍ فى غيرِ حِينِه
لا خيرَ فى حَشْوِ الكلا ... م إذا اهتديتَ إلى عُيُونِه
كلُّ امرىء فى نفسِهِ ... أعلى وأشرفُ من قرينه

(٨) قال أبو تمام :

ليس الكريم الذى يُعطى عطيَّتَهُ ... عن الثناء وإن أغلى به الثمنا
إن الكريم الذى يعطى عطيته ... لغير شىء سوى استحسانه الحسنا
لا يَسْتَثِيبُ ببذلِ العُرْفِ مَحْمَدَةً ... ولا يَمُنّ إذا ما قلّدَ المننا

(٩) وقال المتنبى :

لولا المشقّةُ سادَ الناسُ كلُّهُمُ ... الجودُ يُفقِرُ والإقدامُ قتّالُ

(١٠) وقال الشريف الرضى :

لا تأمَنَنَّ عدوّاً لانَ جانِبُهُ ... خُشُونَةُ الصِّلِّ عُقْبى ذلك اللين

(١١) وقال المعرى :

لا يُعْجِبَنَّكَ إقبالٌ يريك سناً ... إن الخمودَ لَعَمْرِى غايةُ الضَّرَمِ

(١٢) وقال الخفاجى :

الناس شَتَّى وإن عمّتهُم صُوَرٌ هى التّناسب بين الماء والآل

(١٣) وقال أبو فراس :

لا تطلبنَّ دُنُوَّ دا ر من خليل أو مُعاشِرْ
أبقَى لأسباب المودَّة أن تزور ولا تجاوِرْ

(١٤) وقال الحُطيئة :

من يفعلِ الخير لايعدمْ جوازِيَهُ لا يذهبُ العُرْفُ بين اللهِ والناس

(١٥) وقال أعرابى قتل أخوه ابناً له :

أقول للنفس تأْساءً وتعزيَةً إحدى يدىَّ أصابتنى ولم تُرِدِ
كلاهما خلَفٌ من فقد صاحبه هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

وقال الغزى :

من أغفل الشعْرَ لم تعرفْ مناقِبُهُ لا يُجتنَى ثمر من غير أغصَان

(١٧) وقال ابن شرف :

لا تسألِ الناسَ والأيامَ عن خبرٍ هما يبثّانِكَ الأخبارَ تفصيلا

(١٨) ولكل حُسْنٍ آفة موجودة إن السراج على سناه يُدخّنُ

(١٩) بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم لم يُبْنَ مُلْكٌ على جهل وإقلال

المبحث الثانى

فى مُجمل مواضع الفصل[1]

من حقّ الجمل : إذا ترادفت ووقع بعضُها إثر بعض : أن تُربط بالواو لتكونَ على نَسق واحد — ولكن قد يَعرِضُ لها مايُوجب ترك الواو

(١) الفصل : ترك الربط بين الجملتين : إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى. أو بمنزلة المتحدتين : وإما لأنه لاصلة بينهما فى الصورة ، أو فى المعنى

فيها : ويسمى هذا فصلا — ويقع فى خمسة مواضع

الأول — أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تامٌّ : وامتزاجٌ معنوىٌّ ، حتى كأنهما أُفرِغا فى قالَب واحد ، ويسمى ذلك « كمال الاتصال »

الثانى — أن يكون بين الجملتين تبايُنٌ تامٌّ : بدون إيهام خلاف المراد ويسمى ذلك « كمال الانقطاع »

الثالث — أن يكون بين الجملتين رابطة قوية ، ويُسمى ذلك « شِبه كمال الاتصال »

الرابع — أن يكون بين الجملة الأولى والثانية (جملةٌ أُخرى ثالثة مُتوسّطة) حائلة بينهما

فلو عُطفت الثالثةُ على « الأولى المناسبة لها » لتوُهِّم أنها معطوفة على على « المُتوسطة » فيُترك العطف ، ويُسمى ذلك « شِبهَ كمال الانقطاع »

الخامس - أن يكون بين الجملتين تناسبٌ وارتباط ، لكن يمنع من عطفهما مانع : وهو عدم قصد اشتراكهما فى الحكم ، ويُسمَّى ذلك « التوسُّط بين الكمالين »

المبحث الثالث

فى تفصيل مواضع الفصل الخمسة السابقة

أحياناً : تتقاربُ الجُملُ فى معناها تقارباً تاماً ، حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجُملة الأولى : وقد تنقطعُ الصِّلة بينهما

إمّا : لاختلافهما فى الصُّورةِ ، كأن تكونِ إحدى الجملتين إنشائية والأخرى خبرية .

وإمّا لتباعد معناهما ، بحيث لا يكون بين المعنيين مُناسبة ، وفى هذه

الأحوال يجب الفصلُ في كلّ موضع من المواضع الخمسة الآتية — وهي :

الموضع الأول — « كمال الاتصال » وهو اتّحادُ الجملتين اتحاداً تاماً : وامتزاجاً معنوياً — بحيث تُنزّل الثانية من الأولى مَنزلةَ نفسها

« ا » بأن تكون الجملة الثانيـة بمنزلة البدل من الجملة الأولى ، نحو : (واتّقُوا الذى أَمدّكم بما تَعْلَمُون أمدّكُم بأَنْعَام وبنِين)(١)

« ب » أو : بأن تكون الجملة الثانية بياناً لإبهام فى الجملة الأولى

كقوله تعالى (فوَسْوَسَ إليهِ الشَّيطَانُ قالَ يا آدمُ هَلْ أَدُلّكَ عَلى شَجَرةِ الخُلدِ) فجملة (قال يا آدم) : بيان لما وسوس به الشيطان إليه

« ج » أو : بأن تكون الجملة الثانية مؤكّدة للجملة الأولى (بما يشبه أن يكون توكيداً لفظياً أو معنوياً) كقوله تعالى (فَمَهّلِ الكافِرِينَ أَمْهِلْهم رُوَيْداً) وكقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا) فالمانع من العطف فى هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشىء على نفسه « ويُوجب الفصل »

الموضع الثانى — « كمال الانقطاع » وهو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً .

« ا » بأن يختلفا خبراً وإنشاء : لفظاً ومعناً ، أو معنى فقط ، نحو : حضر الأمير حفظه الله ، ونحو : تكلّمْ إنى مُصْغٍ إليك — وكقول الشاعر

---

(١) هذا فى بدل البعض ـ وأما فى بدل الكل : فنحو قوله تعالى ـ (بل قالوا مثل ماقالوا الأولون . أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) فجملة « قالوا أئذا متنا وكنا تراباً » قالوا كالبدل المطابق ـ وأما بدل الاشتمال فنحو قوله .

أقول له ارحل لاتقيمن عندنا   وإلا : فكن فى السر والجهر مسلما

فجملة لاتقيمن بمنزلة البدل من جملة « ارحل » بدل اشتمال لأن بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية .

وقال رائدهم أرسوا نزاولها فحتف كل امرىء يجرى بمقدار[1]

« ب » أو : بألا تكون بين الجملتين مناسبة فى المعنى ولا ارتباط ، بل كل منهما مستقل بنفسه — كقولك : علىّ كاتب — الحمام طائر ، فإنه لا مناسبة بين كتابة علىّ . وطيران الحمام

وكقوله : إنما المرء بأصغريه كل امرىء رهن بما لديه

فالمانع من العطف فى هذا الموضع « أمر ذاتى » لا يمكن دفعه أصلا وهو وهو التباين بين الجملتين ، ولهذا : وجب الفصل ، وترك العطف

لأن العطف يكون للربط ، ولا ربط بين جملتين فى شدة التباعد وكمال الانقطاع

الموضع الثالث — « شبه كمال الاتصال » وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى ، لوقوعها جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتفصل عنها ، كما يفصل الجواب عن السؤال — كقوله تعالى

وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء[2] — ونحو : قول الشاعر

زعم العوازل أننى فى غمرة صدقوا ، ولكن غمرتى لا تنجلى

« كأنه سئل : أصدقوا فى زعمهم أم كذبوا ؟؟ فأجاب : صدقوا »[3]

---

(١) أى أوقفوا السفينة كى نباشر الحرب ، ولا تخافوا من الموت ، فان لكل أجل كتابا ـ أى فالمانع من العطف فى هذا الموضع أمر ذاتى لا يمكن دفعه أصلا ، وهو كون إحداهما جملة خبرية ، والأخرى إنشائية ، ولا جامع بينهما

(٢) الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى « لم لا تبرىء نفسك ؟؟ فقال « إن النفس لأمارة بالسوء » فهذه الرابطة القوية بين الجملتين مانعة من العطف . فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ـ وبذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال ، وشبه كمال الاتصال .

(٣) وبيان ذلك بعبارة أخرى أنه إذا اجتمعت جملتان : فذلك على خمسة أحوال

ونحو: السّيف أصدق أنباءً من الكتب   في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعبِ

فكأنه استفهم . وقال : لِمَ كان السيف أصدق؟؟ فأجاب بقوله : في حدّه :الخ

فالمانع من العطف في هـــذا الموضع وجود الرّابطة القوية بين الجملتين

أولا — أن تكون الثانية بمعنى الأولى . أو جزءاً منها ، فيجب ترك العطف لأن الشيء لا يعطف على نفسه . وكذا الجزء لا يعطف على كله .

فيقال حينئذ : إن بين الجملتين كال الاتصال — ومواضعه :

« ا » أن تكون الثانية توكيداً للأولى ـ مثل قوله تعالى (ماهذا بشراً إن هـذا إلا ملك كريم)

« ب » أن تكون الثانية بدلا من الأولى ـ مثل أطعت الله ـ أديت الصلاة

« ج » « « بياناً للاولى ـ مثل بثني شكواه . قال : إني لأجد قوت يومي

ثانياً — أن تكون الثانية مباينة للاولى تمام المباينة ، فيجب ترك العطف لأن العطف يكون للربط ، ولاربط بين المتباينين فيقال بين الجملتين كال الانقطاع . ومواضع ذلك .

« ا » أن تختلفا خبراً وإنشاء مثل ـ مات فلان رحمه الله

إلا إذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود فيجب العطف نحو لاوشفاك الله

« ب » أن تتحدا خبرا وإنشاء ، ولكن لايوجد بينهما رابط ، مثل القمر طالع ـ أكلت كثيراً .

ثالثاً ـ أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة ، ويسمى ذلك التوسط بين الكمالين ـ وذلك على نوعين

« ا » ألا يمنع من الطف مانع فيعطف ـ مثل اجتهدوا وتأدبوا

« ب » أن يمنع من العطف مانع وهو عدم قصد التشريك في الحكم ، فيمتنع العطف مثل قوله تعالى (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم)

رابعا ـ أن تكون الثانية قوية الرابطة بالأولى . لأنها جواب عن سؤال يفهم من الأولى ، فهذه الرابطة القوية تمنع العطف . لأنها أشبهت حالة اتحاد الجملتين .

(ويسمى ذلك (شبه كال الاتصال) ـ مثل رأيته مبتسما ، أظنه نجح)

فأشبهت حالة اتحاد الجملتين - ولهذا (وجب أيضاً الفصل)

الموضع الرابع «شبه كمال الانقطاع» وهو أن تُسبق جملة بجملتين يصحُ عطفها على الأولى لوجود المناسبة، ولكن فى عطفها على الثانية فساد فى المعنى، فيُترك العطف بالمرّة: دفعاً لتوهم أنه معطوف على الثانية - نحو

وَتظَنُّ سَلمى أنّنى أبغِى بها بدلاً أُراها فى الضَّلال تَهيمُ

فجملة «أُراها» يصحّ عطفها على جملة «تظنُّ» لكن يمنع من هذا توهّم العطف على جملة «أبغِى بها» فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سَلمى، مع أنه غير المقصود - ولهذا امتنع العطْف بَتاتاً (ووجب أيضاً الفصل)

والمانع من العطْف فى هذا الموضع «أمر خارجى احتمالى» يمكن دفعه بمعونة قرينة - ومن هذا: ومّما سبق، يفُهم الفرق بين كل من

«كمال الانقطاع - وشِبه كمال الانقطاع»

الموضع الخامس - «التَّوسط بين الكمالين مع قيام المانع» وهو كون الجملتين مُتناسبتين: وبينهما رابطة قوية - لكن يمنع من العطف مانع، وهو

= خامسا - أن تكون الأخيرة مناسبة للاولى، ولامانع من عطفها عليها، ولكن يعرض حائل بينهما، وهو جملة أخرى ثالثة متوسطة، فلوعطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها، لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة، فامتنع العطف بتاتا، وأصبحت الجلتان كأنهما منقطعتان بهذا الحائل - ويسمى ذلك (شبه كمال الانقطاع)، نحو: قول الشاعر

وتظن سلمى أننى أبغى بها بدلا أراها فى الضلال تهيم

واعلم أن التركيب الذى تجاذبت فيه أسباب الوصل وتعاضدت دواعيه قد يفصل إما لمانع من تشريك الجملة الثانية مع الأولى ويسمى قطعا كما سبق. وإما لجعله جواب سؤال مقدر لأغناء السامع عنه، أو لكراهة سماعه له لوسأل، أو لكراهة انقطاع كلامه بكلام السائل، أو للاختصار، ويسمى الفصل لذلك استئنافا - كقوله

فى المهد ينطق عن سعادة جده أثر النجابة ساطع البرهان

على تقدير أنه جواب - كيف ينطق؟؟ وهو رضيع لم يبلغ أوان النطق!»

عدم قصد التشريك فى الحكم - كقوله تعالى (وإذا خلوْا إلى شياطينهم قالوا إنَّا معكم إنما نحنُ مستهزئون اللهُ يستهزئُ بهم)

فجملة « اللهُ يستهزئُ بهم » لا يصح عطفها على جملة إنَّا معكم » لاقتضائه أنه من مقول المنافقين : والحال أنه من مقوله تعالى « دعاء عليهم » ولا على جملة « قالوا » لئلا يُتوهم مشاركته له فى التقييد بالظرف - وأنَّ استهزاء الله بهم مقيد بحال خلوِّهم إلى شياطينهم » والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غيرُ مقيد بحال من الأحوال - ولهذا (وجب أيضاً الفصل)

تنبيهان

الأول - لمَّا كانت الحال تجيء جملة ، وقد تقترن بالواو ، وقد لا تقترن فأشبهت الوصل والفصل ، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبها - نحو جاء فؤاد والشمس طالعة (١)

---

(١) بيان ذلك أن الحال

إما مؤكده - فلا واو : للاتحاد بين الجملتين لأنها مقررة لمضمونها نحو سعد أبوك كريم

وإما منتقلة - لحصول معنى حال النسبة (أى نسبة العامل إلى صاحب الحال) فلزم فيها أمران . الحصول والمقارنة : فالحال المفردة صفة فى المعنى ، فلا تحتاج لواو للاتحاد

وأما الحال الجملة - فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو للارتباط معنى لوجود الحصول والمقارنة ما ، فلا حاجة للربط بها - نحو وجاءوا أباهم عشاء يبكون - ونحو قدم الأمير تتسابق الفرسان أمامه ، ولا يجوز وجاؤا أباهم عشاء ويبكون ، ولا قدم الأمير وتتسابق

وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة فى النحو التى تمتنع فيها الواو

الثانية - الحال الواقعة بعد عاطف نحو (فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) .

الثالثة - المؤكدة لمضمون الجملة - نحو (هو الحق لا شك فيه . ذلك الكتاب لا ريب فيه)

الرابعة - الماضى التالى - ما تكلم زيد إلا قال خيراً -

وقيل يجوز اقترانه بالواو - كما ورد فى قوله :

=

ويجب فصلها فى ثلاثة مواضع

(١) إذا كان فعلها ماضياً تالياً « إلا » - أو وقع ذلك الماضى قبل « أو »

= نعم امرؤهرم لم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع بها وزرا

الخامسة - الماضى المتلو باو . نحو - لأضربنه ذهب أو مكث - ومنه قول الشاعر

كن للخليل نصيراً جار أو عدلا ولا تشح عليه جاد أو بخلا

السادسة - المضارع المنفى بلا - نحو ومالنا لا نؤمن بالله. مالى لا أرى الهدهد - وقوله

لو أن قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

السابعة - المضارع المنفى بما - كقوله

عهدتك ماتصبو وفيك شبيبة فما لك بعد الشيب صبا متيما

وأبعد الجمل فى الصلاح للحالية لجملة الأسمية لدلالتها على الثبوت - لا على الحصول والمقارنة ، فيجب فيها الواو - نحو (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقد يكتفى فيها بالضمير ندوراً - نحو كلمته فوه إلى فى - أى مشافهة -

ثم الماضى مثبتا لعدم المقارنة فيحسن معها الواو ، لأن الماضى يدل على الحصول المتقدم ، لا الحصول حال النسبة .

وتجب «قد» تحقيقا أو تقديراً - لتقربه من الحال ، أى لتجعل (قد) الفعل الماضى الدال على حصول متقدم - لا حصول حال النسبة قريبا من حال النسبة ، لا من حال التكلم - إذ اللازم فى الحال مقارنتها لزمان النسبة لا لزمان التكلم - وإنما اكتفى بهذا التقريب فى صحة الحال وإن كان اللازم الاقتران - إما لأنه ينزل قرب الحال إلى زمان النسبة منزلة المقارنة مجازاً - وإما لأنه يعتبر قربها فى الفعل هيئة للفعل -

فاذا قلت جاءنى زيد وقد ركب - فكأنك نزلت قرب ركوبه من مجيئه منزلة مقارنته له - أو جعلت كون مجيئه بحيث يقرب منه ركوبه هيئة لمجيئه ، وحالا له - قالوا - وتمتنع (قد) مع الماضى الممتنع ربطه بالواو . وهو التالى إلا والمتلو بأو - لكن فى (شرح الرضى) - أنهما قد يجتمعان بعد إلا - نحو ما لقيته إلا وقد أكرمنى ، ويلى الماضى المثبت ، الماضى المنفى ، لأنه هيئة للفعل بالتأويل لأن قولك جاء زيد ليس راكبا - فى قوة جاء زيد ماشيا ، فيتحقق الحصول أو يستمر غالبا ، فيقارن كذلك فيحسن ترك الواو نظراً إلى تحقق الحصول والمقارنة - ويجوز =

التى للتسوية ـ نحو ما تكلّم فؤاد إلا قال خيراً ـ وكقول الشاعر :

كُنْ للخليل نصيراً جارَ أو عدلا ولا تَشحّ عليه جاد أوْ بخلا

(٢) إذا كان فعلها مضارعا مُثبتاً أو منفيًّا « بما ـ أو ـ لا » نحـــو :

(وجاءوا أَبَاءهُمْ عِشاءً يَبْكُون) ونحو : وَمَالَنا لا نؤْمِنُ باللهِ) ونحو :

عَهِدْتُكَ ما تَصْبُو وفيك شَبِيبةٌ فمالَكَ بعد الشَّيبِ صبًّا مُتَيَّمًا

(٣) إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف ـ أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها ـ كقوله تعالى (فجاءها بأْسُنا بَيَاتاً أوْ هُمْ قائِلُونَ) وكقوله تعالى (ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين)[١]

الثانى ـ علم مما تقدَّم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين فى الخبرية والانشائية ـ ولابد مع اتفاقهما من (جهة) بها يتجاذبان ، وأمر (جامع) به يتآخذان ، وذلك (الجامع): إما ـ عقلى[٢] ـ أوْ : وهمى[٣] ـ أو : خيالى[٤]

= ذكرها أيضا نظراً إلى كونه ما كان هيئة للفعل إلا بعد تأويل ـ ونظراً إلى كون استمراره أغلبيا لا دائميا .

والأحسن فى الظرف إذا وقع حالا ترك الواو نظراً للتقدير بمفرد ، تقول نظرت الهلال بين السحاب . ومثله الجار والمجرور ، نحو نخرج على قومه فى زينته ونحو أبصرت البدر فى السماء ـ وان جوزوا الواو بتقدير فعل ماض

وما يخشى فيه التباس الحال بالصفة أتى فيه بالواو وجوبا . ليتميز الحال ، فيقال جاء رجل ويسعى ـ إذ لو قيل : يسعى ـ لا لتبس الحال بالصفة فى مثله

(١) لما كان قوله (ذلك الكتاب) فيه مظنة مجازفة بسبب ايراد المسند إليه اسم إشارة ـ والمسند معرفا بأل أكده بقوله (لا ريب فيه) تأكيداً معنويا .

ولما كانت الدعوى المذكورة مع إدعاء عدم المجازفة مظنة استبعاد ـ أكده بقوله « هدى » للمتقين ، تأكيداً لفظيا ـــ حتى كأنه نفس الهداية

(٢) فالجامع العقلى ـ أمر بسببه يقتضى العقل إجتماع الجملتين فى القوة المفكرة كالاتحاد فى المسند: أو المسند إليه ـ أو فى قيد من قيودهما ـ نحو زيد يصلى ويصوم =

تمرين آخر

عين أسباب الوصل والفصل فى الأمثلة الآتية :

قال الله تعالى :

١ ـ « مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ ، وما كانَ مَعَهُ مِنْ إلهٍ ، إذاً لذَهبَ كل إلهٍ بِما خلقَ ، ولَعلاَ بعْضُهُمْ عَلى بعْضٍ ، سُبْحانَ اللهِ عمَّا يصِفُون » .

= ويصلى زيد وعمرو . . وزيد الكاتب شاعر . وعمرو الكاتب منجم . وزيد كاتب ماهر ، وعمرو طبيب ماهر ـ وكالتماثل والاشتراك فيهما ـ أو فى قيد من قيودهما أيضا بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص بهما أو بالقيد ـ لا مطلق تماثل ـ فنحو زيد شاعر وعمرو كاتب لا يحسن إلا إذا كان بينهما مناسبة ، لها نوع اختصاص بهما ـ كصداقة أو أخوة أو شركة أو نحو ذلك ـ وكالتضايف بينهما . بحيث لا يتعقل أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر . كالأبوة مع البنوة ـ والعلة مع المعلول ـ والعلو والسفل ـ والأقل والأكثر ـ إلى غير ذلك

(٣) والجامع الوهمى ـ أمر بسببه يقتضى الوهم اجتماع الجملتين فى المفكرة كشبه التماثل الذى بين نحو لونى البياض والصفرة ـ فان الوهم يبرزهما فى معرض المثلين من جهة أنه يسبق إليه أنهما نوع واحد ، زائد فى أحدهما عارض فى الآخر بخلاف العقل فانه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد ، هو اللون ـ وكالتضاد بالذات ـ وهو التقابل بين أمرين وجودين بينهما غاية الخلاف ـ يتعاقبان على محل واحد ـ وكالسواد والبياض ـ أو التضاد بالعرض كالأسود والأبيض ـ لأنهما ليسا ضدين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد ـ بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد وبياض ـ وكشبه التضاد كالسماء والأرض ـ فان بينهما غاية الخلاف ارتفاعا وإنخفاضاً ، لكن لا يتعاقبان على محل واحد ، كالتضاد بالذات ، ولا على ما يشمله كالتضاد بالعرض

(٤) والجامع الخيالى ـ أمر بسببه يقتضى الخيال اجتماع الجملتين فى المفكرة ، بأن يكون بينهما تقارن فى الخيال سابق على العطف لتلازمهما فى صناعة خاصة ، أو عرف عام ـ كالقدوم والمنشار . والمنقاب ـ فى خيال النجار =

٢ ـ وقال الله تعالى « قُلْ لِلْمُؤْمنين يَغُضوا مِنْ أَبْصارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنّ اللهَ خَبيرٌ بِمَا يَصْنعُونَ » .

٣ ـ وقال تعالى « لَهُ مَقَالِيدُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ ، يَبْسُط الرِّزْقَ لِمَن يَشاءُ وَيقْدِرُ ، إِنَّهُ بِكلِّ شيءٍ عَليم »

٤ ـ وقال تعالى « يُسَبِّحُ للهِ مَا فى السموات وما فى الأَرْض ، لَهُ الْمُلْكُ ولهُ الحمْدُ ، وَهُوَ عَلى كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ * هو الّذى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كافِرٌ ومِنكم مُؤْمِنٌ ، واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بصيرٌ * خلَقَ السَّموات والأَرْض بالحق وصوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وإلَيْهِ الْمَصيرُ * يَعْلَم مَا فى السَّموات والأَرْض ، ويعلم ما تُسرون وما تُعْلنون ، واللهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدُور » .

٥ ـ وقال أبو العتاهية :

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا فابْذُلْهُ للمتَكرِّم المفضالِ
ما اُعتاض باذلُ وجهه بسؤاله عوضاً ولو نال الغنى بسؤال

٦ ـ وقال :

من عرف الناسَ فى تَصرفهمْ لم يَتَبَّعْ من صاحب زللا

= والقلم . والدواة . والقرطاس ـ فى خيال الكاتب
وكالسيف والرمح . والدرع ـ فى خيال المحارب ـ وهلم جرا

وللقرآن الكريم اليد البيضاء فى هذا الباب ـ كقوله تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) ـ فالمناسبة بين الإبل والسماء ـ وبينها وبين الجبال والأرض غير موجودة بحسب الظاهر . ولكنه (أسلوب حكيم) فى غاية البلاغة ـ لأنه لما كان الخطاب مع العرب . وليس فى تخيلاتهم إلا الإبل ، لأنها رأس المنافع عندهم ـ والأرض لرعيها والسماء لسقيها ـ وهى التى توصلهم إلى الجبال التى هى حصنهم عند ما تفاجئهم حادثة أورد الكلام على طبق ما فى تخيلاتهم .

إنْ أنت كافأت من أساء فقد صرتَ إلى مثل سوء ما فعلا

٧ ـ قال أبو تمام :

أولى البرية حقاً أن تراعيهُ عند السرُور الذى آساك فى الحزَن

إن الكرام إذا ما أيسرُوا ذكروا من كان يألفُهُم فى المنزل الخشن

٨ ـ وقال المتنبى :

ذلّ من يغبط الذليلَ بعيْش رُبَّ عيش أخفّ منه الحِمَامُ

من يهُنْ يسهُل الهوانُ عليه ما لجُرح بميت إيلام

٩ ـ وقال :

أفاضلُ الناسِ أغراض لذا الزمنِ يخلو من الهمّ أخلاهم من الفطنِ

١٠ ـ وقال أيضاً :

إذا نحن شبهْناك بالبدرِ طالعاً بخسْناك حقاً أنت أبهى وأجملُ

١١ ـ وقال بشار :

الشيب كُرْه وكُرْه أن يفارقنى إعجبْ لشىء على البغضاء مودُودِ

١٢ ـ وقال أبو نواس :

عليك باليأس من الناسِ إن غِنَى نفسك فى اليأسِ

وقال المعرى :

إنّ الشبيبة نارٌ إنْ أردت بها أمراً فبادرْ أنّ الدهر مُطفيها

وقال الطغرائى :

جامِلْ عدوّك ما استطعتَ فانّه بالرِّفق يُطمعُ فى صلاح الفاسد

واحذر حسودك ما استطعت فانه إن نِمتَ عنه فليس عنك براقد

اسئلة على الوصل والفصل يطلب أجوبتها

ما هو الوصل ؟ . ـ ما هو الفصل ؟ . ـ كم موضعاً للوصل ؟ . ـ كم موضعاً

للفصل ؟ . ـ ما هو الجامع العقلى ؟ . ـ ما هو الجامع الوهمى ؟ . ما هو الجامع الخيالى ؟ . ـ متى يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها ؟ ـ فى كم موضع يجب فصل الجملة الحالية .

تطبيق عام على الوصل والفصل

جربت دهرى وأهليه فما تركت   لى التجارب فى ود امرىء غرضاً

فصلت الثانية ، لشبه كمال الاتصال ، فانها جواب سؤال

يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال ، فانها جواب سؤال ناشىء مما قبلها

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً ـ عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما فى الانشاء ، مع المناسبة التامة بين المفردات ، فان المسند اليه فيهما متحد ، والمسند وقيدهما متقابلان .

ان الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ـ عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما خبراً . لفظاً ومعنى . مع المناسبة التامة بين مفرداتهما ـ فان المسندين المقدرين فيهما متحدان ، والمسندان اليهما متقابلان . وقيدهما الأول متحد . والثانى متقابل

أشكر الله على السراء ينجيك من الضراء ـ لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الانقطاع . فان الأولى انشائية لفظا ومعنى ـ والثانية عكسها .

اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده ـ لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الاتصال ، فانها مؤكدة لها

أنت حميد الخصال ـ تصنع المعروف وتغيث الملهوف ـ فصلت الثانية من الأولى لكمال الاتصال . فانها بيان لها . ووصلت الثالثة للتوسط بين الكمالين ، مع وجود مانع من الوصل .

تمرين (١)

بيِّن سر الفصل والوصل فيما يلى

(١) أخطِ مع الدهر إذا ما خطا   واجْرِ معَ الدهر كما يجرى

---

(١) وصل بين الجملتين لاتفاقهما إنشاء ، مع وجود المناسبة وعدم المانع

(١) حكم المنية فى البرية جارى ... ما هـــذه الدنيا بدار قرار

(٢) لاتدعُه إن كنت تنصِف نائباً ... هو فى الحقيقة نائمٌ لا نائب

(٣) قال لى كيف أنت قلتُ عليل ... سـهر دائم وحزن طـويل

(٤) قالت بليتَ فما نراك كعهدنا ... ليت العهودَ تجدّدتْ بعـد البلى

(٥) وَترى الجبالَ تحسَبُها جامدةً

وإنمـا المــرء بأصغريه ... كل امرىء رهن بمـا لديه

لا تطْلُبنَّ بآلة لكَ حاجـة ... قلمُ البليغ بغـير حظٍّ مغزَلُ

(٦) يرى البخيلُ سبيلَ المال واحدةً ... إن الكريم يرى فى ماله سُبلا

(٧) نفسى له نفسى الفداء لنفسه ... لكنّ بعض المالكين عفيف

---

(١) فصل الشطر الثانى عن الأول ، لأنه توكيد معنوى له ـ إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء . فأكد ذلك بالشطر الثانى ، فبينهما كمال الاتصال

(٢) فصل الشطر الثانى عن الأول لاختلافهما خبراً وإنشاء ، إذ الثانى خبر ، والأول إنشاء ـ فبينهما كمال الانقطاع

(٣) فصل بين قال وقلت ـ لأن الثانى جواب سؤال ـ إذ جرت العادة أنه إذا قيل للرجل كيف أنت ؟؟ أن يجيب أنا عليل ـ وكذا بين جملتى سهر دائم وحزن طويل ، فكأنه قيل : فما سبب علتك ؟ فأجاب سهر دائم الخ ـ ففى كل منهما (شبه كمال الاتصال) .

(٤) بين الشطر الثانى والأول كمال الانقطاع لان أولها خبر والثانى إنشاء

(٥) بين جملتى ترى وتحسب كمال الاتصال لان الثانية بدل اشتمال من الأولى

(٦) بين الشطر الثانى والاول شبه كمال الاتصال لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر من الأولى : كأنه قيل : فما حال الكريم فى ماله ؟؟ فقال إن الكريم الخ

(٧) بين نفسى له . ونفس الفداء (كمال الاتصال) لأن الثانية توكيد لفظى للأولى

(٨) مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ

(٩) يُدبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون

(١٠) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى

(١١) قَالُوا سَلاَماً ، قَالَ سَلاَم

(١٢) يهوَى الثَّناء مُبرِّز ومقصِّرُ حبُّ الثناء طبيعة الانسان

(١٣) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِين يُخَادِعُونَ الله

(١٤) وإذا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعها كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً

---

(٨) إن هذا إلا ملك ـ توكيد معنوى لقوله ماهذا بشراً ، إذ مجرى العادة والعرف أنه إذا قيل فى معرض المدح : ماهذا بشراً . وما هذا بآدمى . أن يكون الغرض أنه ملك ، فيكنى به عن ذلك . فبينهما كمال الاتصال .

(٩) بين يدبر ، ويفصل : كمال الاتصال ؛ لان الثانية بدل بعض من كل

(١٠) بين قوله وما ينطق عن الهوى ، وقوله إن هو إلا وحى يوحى ، كمال الاتصال لان الثانية توكيد معنوى لان تقرير كونه وحياً نفى لان يكون عن هوى

(١١) بين قالوا : وقال شبه كمال الاتصال ، لان الثانية جواب عن سؤال مقدر كانه قيل : فماذا قال لهم ! حينئذ ؟؟ أجيب بأنه قال سلام ـ وهكذا الحال فى حكاية القصص فى كل ماجاء فى القران الكريم ، والحديث النبوى ، وكلام العرب

(١٢) فصل بين الشطر الثانى والأول ، لأن بينهما كمال الاتصال ـ إذ الشطر الثانى مؤكد للأول

(١٣) فصل جملة يخادعون عما قبلها ، لأن بينهما كمال الاتصال ، لان هذه المخادعة ليست شيئاً غير قولهم آمنا ـــ دون أن يكونوا مؤمنين ، فهى إذا توكيد معنوى للأولى

(١٤) فصلت جملتا (كأن لم يسمعها ـــ وكأن فى أذنيه وقرا) ، عما قبلهما لانهما كالتوكيد له ، إذ المقصد من التشبيهين واحد ، وهو أن ينفى الفائدة فى تلاوة ماتلى عليه من الآيات ـ فهما من كمال الاتصال .

(١٦) ألاَ مَن يشترِى سهراً بنَوم؟ سعيدٌ من يَبيتُ قريرَ عَين
(١٧) فآبوا بالرماح مكسرات وأُبْنا بالسيوف قد انحنينـا
(١٨) فما الحداثة عن حلم بمانعة قدْ يوجد الحلمُ فى الشُّبَّان والشَّيبِ
(١٩) يقولون إنى أحمِل الضّيم عندهم أعوذ بربى أن يُضـام نظيرى
(٢٠) إنّ الذين كفرُوا سَواءٌ عليْهِمْ أأنْذرْتهُم أمْ لمْ تُنْذِرْهمْ لايؤْمِنُون
(٢١) فياموتُ زُر إنّ الحياةَ ذميمة ويانفسُ جدّى إن دهرك هازل
(٢٢) يسُومونكم سوءَ الْعذَاب يُذبِّحُون أبْناءكُمْ
(٢٣) وَترى الْجِبالَ تَحسبهُا جَامِدة وَهِى تمرُّ مرّ السَّحاب
(٢٤) يُدبِّرُ الْأمْرَ يُفصِّلُ الآياتِ
(٢٥) وَمنْ يفْعَلْ ذلكَ يلْق أثاماً يضاعفْ لهُ الْعذَابُ

---

(١٦) فصل الشطر الثانى عن الأول لاختلافهما خبرا وإنشاء — فبينهما كمال الانقطاع .

(١٧) بين جملتى آبوا وأبنا ، توسط بين الكمالين لاتفاقهمافى الخبرية فى وجود المناسبه

(١٨) بين الشطر الثانى والأول شبه كمال الاتصال . إذ الثانى جواب سؤال مقدر

(١٩) هذا البيت من حيث عدم عطف أعوذ على ماقبله . على حد قوله : تظن سلمى الخ

(٢٠) لم تعطف على ما قبلها مع أن بينهما مناسبة فى المعنى بالتضاد ، لأنها مبينة لحال الكفار ، وما قبلها مبين لحال المؤمنين ، وان بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته ، بل ذكر استتباعا لبيان حال الكفار ، وليس بين بيان حال المؤمنين وحال الكفار مناسبة تقتضى الوصل

(٢١) لم يعطف قوله إن الحياة : على ما قبله لأنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل لماذا تطلب زيارة الموت ؟ ؟ فأجاب إن الحياة ذميمة

(٢٢) لم يعطف قوله يذبحون على يسومون ، لكونه بيانا له

(٢٣) لجملة تحسبها جامدة — بدل اشتمال

(٢٤) لجملة يفصل الآيات — بدل بعض

(٢٥) لجملة - يلق أثاما بدل كل - وقد أنكر بدل الكل علماء البيان خلافاً للنحاة .

الباب التاسع

فى الايجاز، والاطناب ، والمساواة

كلُّ ما يجُول فى الصدر من المعانى ، ويخطُر ببالك معنى منها

لا يَعدُو التّعبير [1] عنه طريقاً من طرقٍ ثلاث

أولا — إذا جاء التّعبيرُ على قدر المعنى ، بحيث يكون اللّفظ مساوياً لأصل ذلك المعنى — فهذا هو «المُساواة» —

وهى الأصلُ الذى يكون أكثر الكلام على صورته ، والدّستورُ الذى يُقاس عليه

ثانياً — إذا زاد التعبيرُ على قدر المعنى لفائدة ، فذاك هو «الإطناب» فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهى حشو أو تطويل

ثالثاً — إذا نقص التعبير على قدر المعنى الكثير ، فذلك هو «الايجاز» [2]

فكلّ ما يخطر ببال المتكلم من المعانى فله فى التعبير عنه بإحدى هذه الطُرق الثلاث .

---

(١) أى : إذا أردت أن تتحدث إلى الناس فى معنى من المعانى ، فأنت تعبر عنه تعبيراً صحيحا مقبولا فى إحدى صور ثلاث وهى — المساواة . والايجاز والاطناب

(٢) قال الامام على : ما رأيت بليغا قط الأوله فى القول إيجاز ، وفى المعانى إطالة وقالت بنت الحطيئة لأبيها — ما بال قصارك أكثر من طوالك ، قال : لأنها بالآذان أولج ، وبالافواه أعلق وقيل لشاعر — لم لا تطيل شعرك ؟ ؟ فقال : حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق

فتارةً (يُوجِزُ) . وتارةً (يُسْهِبُ)،وتارة يأتى بالعبارة (بينَ بيْنَ)
ولا يُعدّ الـكلام فى صـورة من هذه الصور بليغاً : إلا إذا كان مطابقاً لمقتضى حال المخاطب ، ويدعو إليه مواطن الخطاب

فاذا كان المقام للأطناب مثلا ، وعدلت عنه إلى : الايجاز ، أو المساواة لم يكن كلامك بليغاً — وفى هذا الباب ثلاثة مباحث .

المبحث الاول

فى الإيجاز وأقسامه

الإيجاز ـ هو وضع المعانى الـكثيرة فى ألفاظ أقلّ[1] منها، وافية بالغرض المقصود ، مع الإبانة والإفصاح ، كقوله تعالى (خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينْ)

فهذه الآية القصيرة جمعتْ مكارم الأخلاق بأسرها ـ وكقوله تعالى (ألاَ لهُ الخَلْقُ والأمرُ) وكقوله عليه الصـلاة والسلام « إنّما الأعمال بالنِّيات » فاذا لم تفِ العبارة بالغرض سُمّىَ « إخلالا وحذفاً رديئاً » كقول اليَشكرِى

(١) بأن يكون اللفظ أقل من المعهود عادة مع وفائه بالمراد . فان لم يف كان الإيجاز إخلالا وحذفا رديئا فلا يعد الـكلام صحيحاً مقبولا ـ كقول عروة بن الورد

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان اعذارا

يريد : إذ يقتلون نفوسهم فى السلم ـ لـكن صوغ كلامه لايدل عليه . ومثل قول بعضهم نثرا (فان المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا وفر وأبطأ) ولأجل تمـام مايريد : كان عليه أن يقول ـ إذا قل وزجا . ولا يعد مثل هذا الـكلام صحيحامقبولا

واعلم أن متعارف أوساط البلغاء هم الذين لم يرتقوا إلى درجة البلغاء ،ولم ينحطوا إلى درجة البسطاء ، فالمساواة:هى الدستور الذى يقاس عليه كل من الأيجاز والاطناب

والعيشُ خَيرٌ في ظِلا ل النُّوكِ مِمَّن عاش كدَّا

« مُرادُه : أنَّ العيشَ الناعم الرَّغد في حال الحمق والجهل ، خيرٌ من العيش الشاقِّ في حال العقل » لكن كلامه لا يُعدّ صحيحاً مقبولا

وينقسم الإيجاز إلى قسمين . إيجاز قِصرٍ (١) وإيجاز حذف

---

(١) وإيجاز القصر . هو ماتزيد فيه المعاني على الألفاظ ولا يقدر فيه محذوف ويسمى (إيجاز البلاغة) لأن الأقدار تتفاوت فيه . وللقرآن الكريم فيه المنزلة التي لاتسامى ـ والغاية التي لا تدرك

فمن ذلك قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) فهذه الاية قد جمعت مكارم الأخلاق . وانطوى تحتها كل دقيق وجليل . إذ في العفو والصفح عمن أساء . وفي الأمر بالمعروف صلة الأرحام . ومنع اللسان عن الكذب وغض الطرف عن كل المحارم ـ وقوله عز اسمه (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) استوعبت تلك الاية الكريمة أنواع المتاجر . وصنوف المرافق التي لايبلغها العد ـ وقوله (ألا له الخلق والأمر) هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء ـ وقوله عليه الصلاة السلام (المعدة بيت الداء والحميه رأس الدواء . وعودوا كل جسم ما اعتاد) فقد تضمن ذلك من المعاني الطبية شيئا كثيراً

وقول الإمام على كرم الله وجهه « من استقبل وجوه الاراء عرف وجوه الخطأ

وقول بعض الأعراب (اللهم هب لي حقك وأرض عني خلقك)

فسمعه الإمام على كرم الله وجهه فقال : هذ هو البلاغة . ومنه قول السموءل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره في سبيل طلب الحمد ـ إذ كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء

والسبب فيما له من الحسن والروعة دلالة قليل الالفاظ على كثير المعاني إلى ما فيه من الدلالة على التمكن في الفصاحة والبراعة .

ولذا قال محمد الأمين « عليكم بالايجاز : فان له إفهاما . وللاطالة استبهاما » وقال اخر « القليل الكافي خير من كثير غير شاف » .

(فإيجاز القِصَرِ)« ويسمَّى إيجازَ البلاغة » يكون بتضمين المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة من غير حذف ، كقوله تعالى (وَلَكُمْ فى القِصاصِ حَياةٌ)

فانّ معناه كثير ، ولفظَهُ يسير ، إذ المراد: أنّ الانسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِلَ :امتنع عن القتل ، وفى ذلك حياتُه وحياة غيره ،لأنّ القتل أنفى للقتل[1] وبذلك تطول الأعمار ، وتَكثر الذرّية ويُقبل كلٌّ واحد على ما يعود عليه بالنفع ، ويتم النظام ، ويكثر العُمران

فالقِصاص : هو سبب ابتعاد الناس عن القتل ، فهو الحافظ للحياة

وهذا القسم مَطمحُ نظَر البُلغاء ، وبه تتفاوت أقدارهم ، حتى أن بعضهم سُئل عن (البلاغة) فقال : هى « إيجاز القِصر »

وقال أكثم بن صَيْفى خطيب العرب « البلاغة الإيجاز »

(وإيجاز الحذف) يكون بحذف شىء من العبارة لا يخلّ بالفهم ، عند وجُود ما يدلُّ على المحذوف ، مِن قرينة لفظيّة ــ أو معنويّة

وذلك المحذوف ــ إما أن يكون

(١) حرفا ــ كقوله تعالى (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) ــ أصله : ولم أكن[2]

---

(١) لقد أثر ونقل عن العرب قولهم « ألقتل أنفى للقتل » وأين هذا المثل من بلاغة هذه الآية الشريفة التى بلغت حد الاعجاز وتمتاز بوجوه ــ منها أنها كلمتان ، وما نقل عنهم أربع ــ ومنها أنه لا تكرار فيها . وفيما قالوه تكرار ــ ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافيا للقتل ، وإنما يكون كذلك إذا كان على جهة القصاص ــ ومنها حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحس فى الآية الكريمة التى أعجزتهم أن يأتوا بمثلها . لا فيما قالوه فى مثلهم البسيط الذى لا يزيد عن متعارف الأوساط

(٢) وكحذف لا فى قول عاصم المنقرى

رأيت الخمر جامدة وفيها خصال تفسد الرجل الحليما =

(٢) أو اسما مضافا نحو - وَجاهِدُوا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ) أي: في سبيل الله

(٣) أو اسماً مضافاً إليه - نحو (وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ) أي : بعشر ليال

(٤) أو اسماً موصوفا - كقوله تعالى (ومَنْ تابَ وعَمِلَ صالِحاً) أي : عملا صالحاً

(٥) أو إسماً صفةً - نحو (فزادَتْهُمْ رِجْساً إلى رِجْسِهِمْ) أي : مضافا إلى رجسهم :

(٦) أو شرطاً - نحو (اتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُم الله) أي فإن تتَّبِعوني

(٧) أو جواب شرط - نحو (ولو تَرَى إذْ وُقِفوا عَلى النّارِ)
أي : لرأيت أمراً فظيعاً

(٨) أو مسندا - نحو (ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله) أي : خلقهن الله

(٩) أو مسنداً إليه - كما في قول حاتم :

أماوِيَّ ما يغني الثَّراء عن الفتى إذا حشرجتْ يوماوضاق بها الصَّدْر

أي : إذا حشرجت النفس يوماً

(١٠) أو مُتعلَّقاً - نحو : لا يُسْأل عمَّا يَفعلُ وهُمْ يُسْأَلون) أي عما يفعلون

(١١) أو جُملة - نحو (كانَ الناسُ أُمَّةً واحدةً فَبعثَ اللهُ النَّبِيِّين)
أي فاختلفُوا : فبعث

فلا والله أشربها حياتى ولا أسق بها أبدا نديما
يريد : لا أشربها

ويقع إيجاز الحذف كثيراً فى أساليب البلغاء بشرط أن يوجد ما يدل على المحذوف ، وإلا كان الحذف رديئاً ، والكلام غير مقبول

(١٢) أو جملا — كقوله تعالى (فأرسلون يوسف أيها الصدّيق)[1] أى فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ، فأرسلوه فأتاه . وقال له : يوسف

واعلم أنّ دواعى الايجاز كثيرة — منها الاختصار ، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم ، وضيق المقام ، وإخفاء الأمر على غير السّامع ، والضّجر والسّآمة ، وتحصيل المعنى الكثير باللّفظ اليسير — الخ .

ويُستحسن « الإيجاز » فى الاستعطاف ، وشكوى الحال ، والاعتذارات والتّعزية ، والعتاب ، والوعد ، والوعيد ـ والتّوبيخ ، ورسائل طلب الخراج . وجباية الأموال . ورسائل الملوك فى أوقات الحرب إلى الوُلاة والأوامر . والنّواهى الملكية ، والشكر على النعم .

ومرجعك فى إدراك أسرار البلاغة إلى الذّوق الأدبى ، والإحساس الرّوحى .

المبحث الثانى

فى الإطناب وأقسامه

الإطناب : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ، أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء : لفائدة تقويته وتوكيده ـ نحو (رَبِّ إنِى وهَنَ العَظْمُ مِنّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً ـ أى كبرتُ .

---

(١) فأرسلون . حكاية عن أحد الفتيين الذى أرسله العزيز إلى يوسف ليستعبره مارآه . وأعلم أنه لابد من دليل يدل على المحذوف وهو ـ

إما العقل وحده : نحو وجاء ربك ـ وإما العقل مع غيره : نحوحرمت عليكم الميتة ـ أى تناولها ـ

وإما العادة : نحو فذلكن الذى لمتنى فيه ـ أى فى مراودته . وإما الشروع فيه: نحو بسم الله الرحمن الرحيم ـ أؤلف مثلا . وإما مقارنة الكلام للفعل : كما تقول لمن تزوج ، بالرفاء والبنين ، أى أعرست متلبسا بالألفة والبنين

فاذا لم تكن فى الزّيادة فائدة يُسمّى « تطويلا » إن كانت الزّيادة فى الكلام غير متعيّنة .

ويُسمى « حَشواً » إن كانت الزيادة فى الكلام متعيّنة لا يفسُد بها المعنى.

فالتطويل ـ كقول عدىّ العبادى : فى جُذيمةَ الأبرَش

وَقدّدَتِ الأديمَ لِرَاهِشيْه ... وَألفى قولها كذِباً وَميناً (١)

فالمينُ والكذب بمعنى واحد . ولم يتعيّن الزائد منهما ، لأنّ العطف بالواو لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا معيةً ، فلا يتغير المعنى باسقاط أيهما شئت

والحشو ـ كقول زُهير بن أبى سُلمى

وأعلمُ عِلم اليوم والأمسِ قبلَه ... ولكنّنى عن علم مافى غد عَمِى (١)

وكلٌّ من الحشو والتطويل مَعيبٌ فى البيان، وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة.

(تنبيه) حذف الجمل أكثر مايرد فى كلام الله عز وجل . إذ هو الغاية فى الفصاحة ، والنهاية فى مراتب البلاغة . وأعلم أن كلا من الحشو والتطويل يخل ببلاغة الكلام ، بل لا يعد الكلام معهما إلا ساقطا عن مراتب البلاغة كلها

(١) وقدت أى قطعت والضمير فيه يعود على الزباء . وهى امرأة ورثت الملك عن أبيها ـ والأديم الجلد ، ولراهشيه ، أى : إلى أن وصل القطع للراهشين وهما عرقان فى باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع ـ والضمير فى ألفى يعود على المقطوع راهشاه ، وهو جذيمة الأبرش . والمراد الإخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء ، وقطعت راهشيه ، وسال منه الدم حتى مات . وأنه وجد ماوعدته من تزوجه بها كذبا ومينا ـ وهما بمعنى واحد . وإحدى الكلمتين زائدة فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت وكقول الشاعر

ألا حبذا هند وأرض بها هند ... وهند أتى من دونها النأى والبعد

فالنأى والبعد بمعنى واحد ، ولا يتعين أحدهما للزيادة

(٢) الشاهد فى قوله ـ قبله ، لأنه معلوم من قوله أمس : وكقول الاخر

ذكرت أخى فعاودنى ... صداع الرأس والوصب

فان الصداع لا يكون لافى الرأس ، فذكر الرأس لا فائدة فيه

وأعلم أنّ دواعى الاطناب كثيرة . منها تثبيت المعنى ، وتوضيح المراد والتّوكيد ، ودفع الايهام ، وإثارة الحمية — وغير ذلك

وأنواع الاطناب كثيرة[١]

(١) منها — ذكر الخاص بعد العام : كقوله تعالى (حَافِظوا على الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسْطَى) وفائدته التنبيه على مزيّة : وفضلٍ فى الخاص حتى كأنه لفضله ورفعته ، جزءٌ آخر ، مغايرُ لما قبله .

ولهذا خصّ الصَّلَاة الوُسطى (وهِيَ العصر) بالذكر لزيادة فضلها

(٢) ومنها — ذكر العام بعد الخاص : كقوله تعالى[٢] (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)

وفائدته شمول بقية الأفراد ، والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً فى عُنوان عام . بعد ذكره أولا فى عُنوان خاص .

(٣) ومنها — الإيضاح بعد الإبهام ، لتقرير المعنى فى ذهن السّامع بذكره مرتين ، مرّة على سبيل الإبهام والأجمال ، ومرّة على سبيل التفصيل والإيضاح ، فيزيده ذلك نُبلاً وشرفاً كقوله تعالى : يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم — وكقوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هؤلَاءِ مَقْطوعٌ مُصْبِحِينَ)

فقوله (أنّ دابر هؤلاء) تفسير وتوضيح لذلك (الأمر) المبهم وفائدته توجيه الذّهن إلى معرفته ، وتفخيم شأن المبين ، وتمكينه فى النفس فأبهمَ فى كلمة (الأمر) ثم وضّحه بعدَ ذلك تهويلا لأمر العذاب .

---

(١) ومنها الحروف الزائدة . وتكثير الجمل — نحو فبما رحمة من الله لنت لهم

(٢) من دعاء سيدنا نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين

(٤) ومنها – التوشيع : وهو أن يُؤْتى فى آخر الكلام بمُثنّى مفسر بمفردين ليُرى المعنى فى صورتين ، تخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس ، نحو : العلم علمان ، علم الأبدان ، وعلم الأديان

(٥) ومنها – التكرير – وهو ذكر الشىء مرّتين أو أكثر – لأغراض

الأوّل – التأكيد وتقرير المعنى فى النفس كقوله تعالى (كلاَّ سوف تعلمون ثمَّ كلاَّ سوف تعْلَمُون)(١) وكقوله تعالى (فإنَّ مع العُسر يُسراً إنَّ مع العُسر يُسراً)

الثانى – طول الفصل – لئلا يجىء مبتوراً ليس له طلاوة

كقوله تعالى « يا أبتِ إنّى رأيْتُ أحَدَ عشرَ كوكباً والشّمسَ والقمرَ رأيْتُهم لى ساجدين ، فكرّر (رأيت) لطول الفصل – ومن هذا قول الشاعر :

وإنَّ امرأً دامتْ مواثيقُ عهده على مثل هـذا إنه لكريمُ(٢)

الثالث – قصد الاستيعاب : نحو – قرأت الكتاب باباً باباً – وفهمته كلمة كلمة

الرابع – زيادة الترغيب فى العفو – كقوله تعالى (إنَّ مِنْ أزْواجكُم وأوْلادِكُم عدُوًّا لكُم فاحْذَرُوهمْ . وإنْ تعفُوا وتصْفحُوا وتغْفِروا فإنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ)

الخامس – الترغيب فى قبول النّصح باستمالة المخاطب لقبول الخطاب

---

(١) أى سوف تعلمون ما أنتم علية من الخطأ إذا شاهدتم هول المحشر ، فقد أكد الانذار بتكريره ليكون ابلغ تأثيرا وأشد تخويفا .

(٢) الشاهد فى تكرير (إن) التى فى أول البيت ، وتكريرها فى آخره وفى الاية الكريمة كرر (رأيت) لطول الفصل

كقوله تعالى « وَقالَ الذى آمَنَ ياقَوم اتبعونِ أهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ ياقومْ إنمّا هذهِ الحياةُ الدُّنيا متاعٌ وإنّ الآخرة هِي دار القرار » —

ففي تكرير « ياقوم » تعطيف لقلوبهم ، حتى لا يَشكُّوا فى إخلاصه لهم فى نُصحه

السادس — التنويه بشأن المخاطب : نحو — إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن ابراهيم

السابع — التَّرديد : وهو تكرار اللفظ متعلقاً بغير ما تعلق به أوّلا نحو — السَّخيُّ : قريبٌ من الله ، قريبٌ من الناس ، قريبٌ من الجنَّة

والبخيل : بعيدٌ من الله ، بعيدٌ من الناس ، بعيدٌ من الجنَّة

الثامن — التّلذذ بذكره ، نحو قول مَروان بن أبى حفصة

سَقى الله نجداً والسَّلام على نجد ويا حبّذا نجد على القُرب والبُعد

التاسع — الارشاد إلى الطريقة المُثلَى ، كقوله تعالى « أَوْلَى لَكَ فأَوْلَى ثمّ أَوْلَى لك فأَوْلَى »

(٦) ومنها — الاعتراض لغرضٍ يقصده المتكلم — وهو أن يُؤْتَى فى أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين فى المعنى ، بجملة مُعترضة . أو أكثر ، لا محلّ لها من الاعراب[1]

وذلك لأغراض يرمى إليها البليغ — غيرَ دَفع الإيهام

« ا » كالدُّعاء — نحو : إنّى « حفظك الله » مريضٌ

---

(١) لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزئى جملة ولا بين كلامين ، بل جوزوقوعه آخر الكلام مطلقا ، سواء وليه ارتباط بماقبله أولا — كقوله تعالى (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) — فجملة ونعم الوكيل معترضة ، وليست معطوفة على ماقبلها حتى يلزم عطف الانشاء على الخبر

وكقول عوف بن محلم الشيْبانى

إن الثمانين وبُلِّغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان(١)

« ب » والتنبيه على فضيلة العلم — كقول الآخر

واعلمْ فعلمُ المرء ينفعهُ أن سوف يأتى كل ما قُدِّرا

« ج » والتنزيه ـ كقوله (وَيَجْعلونَ للهِ البَنَاتِ سُبْحانَه وَلَهُم مَا يَشْتَهُونَ)

« د » وزيادة التأكيد ـ كقوله تعالى « وَوَصَّيْنا الإنْسانَ بِوالديْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهناً على وهْنٍ وَفِصَالهُ فى عامَيْن أنْ اشْكُرْ لِى ولِوالديْكَ إلىّ المصير)

« هـ » والاستعطاف كقول الشاعر

وَخُفُوقِ قلب لو رأيتَ لهيبه يا جنّتى لرأيت فيه جهنّما

« و » والتهويل ـ نحو « وإنّهُ لَقَسمٌ لوْ تَعْلمُونَ عظيم »

(٧) ومنها الإيغال ـ وهو ختم الكلام بما يُفيد نُكتة ، يتمّ المعنى بدونها ـ كالمبالغة : فى قول الخنساء

وإنْ صَخراً لتأتمّ الهداة به كأنه علَمٌ فى رأسه نارُ

فقولها : « كأنه علم » واف بالمقصود ، لكنها أعقبته بقولها « فى رأسه نار » لزيادة المبالغة ، ونحو : قوله تعالى (واللهُ يرزُقُ مَنْ يشاء بغيرِ حساب)

(٨) ومنها التذييلُ ـ وهو تعقيب جملة بجملة أُخرى مستقلّة ، تشتمل على

---

(١) بلغتها بفتح التاء أى بلغك الله اياها ـ وترجمان كزعفران ، ويجوز ضم التاء مع الجيم . واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره ـ وأن يعيش مثله ثمانين سنة ـ واعلم أنه قد يقع الاعتراض فى الاعتراض كقوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون)

معناها ، تأكيداً لمنطوق الأولى ، أو لمفهومها ـ[٢] نحو : قوله تعالى (وقلْ جاءَ الحقُّ وزَهقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقًا)

ونحو : قوله تعالى (ذَلكَ جَزَيناهُمْ بِمَا كَفَرُوا وهلْ نُجازِى إلاَّ الكَفُور)

والتَّذييلُ « قسمان » قسمٌ يستقلُّ بمعناه ، لجريانه مجْرَى المثَل

وقسمٌ لا يستقلُّ بمعناه ، لِعدَمِ جرَيانِه مجْرَى المثَل

فالأول : الجارى مجْرَى الأمثال ، لاستقلال معناه ، واستغنائه عما قبله كقول طرَفةَ :

كلُّ خليل قد كنت خاللته لا ترك الله له واضحه

كلّكم أروغُ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

والثاني : غير الجارى مجرى الأمثال ، لعدم استغنائه عمّا قبله ، ولعدم استقلاله بإفادة المعنى المراد كقول النَّابغة

لم يُبق جُودك لى شيئاً أؤمّلُه تركتَنى أصحب الدنيا بلا أملِ

فالشطر الثانى : مؤكد للأول ، وليس مستقلا عنه ، فلم يجر مجرى المثل

(٩) ومنها الاحتراس — ويقال له التكميل ، وهو أن يُؤْتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم)

فالاحتراس : يوجدُ حينما يأتى المتكلم بمعنى ، يمكن أن يدخل عليه فيه لومٌ ، فيفطن لذلك : ويأتى بما يخلّصه

سواء أوقع الاحتراس فى وسط الكلام

---

(١) التأكيد ضربان : تأكيد المنطوق كما فى هذه الآية ، وتأكيد المفهوم كقوله :

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب

فقد دل بمفهومه على نفى الكمال من الرجال ، فأكده بقوله (أى الرجال المهذب)

كقول طرفة بن العبد

فَسَقَى ديارَكِ غيرَ مُفسدِها   صَوْبُ الرَّبيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِى(١)

فقوله : غير مفسدها : للاحتراس

أو وقع الاحتراس فى آخره ، نحو : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ على حُبِه أى : مع حبّ الطعام : واشتهائهم له ، وذلك أبلغ فى الكرم ، فلفظ على حُبِّه فضلة للاحتراس ولزيادة التحسين فى المعنى

وكقول أعرابية لرجل (أَذَلَّ اللهُ كل عدوّ لك إلاّ نفسك)

(١٠) ومنها التتّميم — وهو زيادةُ فَضْلَةٍ ، كمفعول ـ أو حال أو تمييز ـ أو جار ومجرور ، تُوجد فى المعنى حُسنا بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلا كقول ابن المعتز يصف فرساً

صَبَبْنا عليها (ظالمين) سِياطَنا   فطارت بها أَيدٍ سِراعٌ وأرجلُ

إذ لو حذف (ظالمين) لكان الكلام مُبتذلا ، لا رِقة فيه ولا طَلاوة وتوهّم أنها بليدة تستحق الضرب

ويُستحسن الإطناب فى الصلح بين العَشائر ، والمدح ، والثناء . والذّم والهجاء ، والوعظ ، والإرشاد ، والخَطَابة : فى أمر من الأمور العامة ، والتهنئة ومنشورات الحكومة إلى الأمة ، وكتب الولاة إلى الملوك ، لاخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور .

وهناك أنواع أخرى من الإطناب ، كما تقول فى الشىء المستبعد : رأيته بعينى ، وسمعته بأذنى ، وذقته بفمى : تقول ذلك لتأكيد المعنى وتقريره .

وكقوله تعالى (فخرّ عليهم السّقفُ من فوقهم) والسّقف لا يخر طبعاً إلا من فوق . ولكنه دلّ بقولهم (من فوقهم) على الاحاطة والشّمول .

(١) لما كان المطر مما يسبب الخراب دفع هذا الوهم بقوله «غير مفسدها» .

واعلم : أن الأطناب أرجحُ عند بعضهم من الايجاز ، وحجّته فى ذلك أنّ المنطق إنما هو البيان ، والبيان لا يكون إلا بالاشباع . والاشباع لا يقع إلا بالاقناع . وأفضل الكلام أبينُه . وأبينُه أشدُه إحاطة بالمعانى . ولا يحاط بالمعانى إحاطة تامة ، إلا بالاستقصاء والاطناب .

والمختار : أن الحاجة إلى كلّ من الأطناب، والايجاز ، ماسة : وكل موضع لا يسدّ أحدهما مكان الآخر فيه .

وللذوق السليم : القول الفصل فى موطن كلٍّ منهما .

المبحث الثالث

فى المُساواة

المُساواة — هى تأديةُ المعنى المراد : بعبارة مساوية له [1] — بأن تكون الألفاظ على قدر المعانى ، لا يزيد بعضها على بعض .

ولسنا بحاجة إلى الكلام على المساواة ، فإنها هى الأصل المقيس عليه ، والدستور الذى يُعتمد عليه .

كقوله تعالى : (وَمَا تُقدِّمُوا لأنفُسِكم مِنْ خيرٍ تجدُوهُ عِندَ اللهِ

وكقوله تعالى (كل امرىء بما كسب رهين)

وكقوله تعالى (من كفر فعليه كُفره)

وكقوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات لكل امرى ما نوى)

---

(١) المساواة هى ما ساوى لفظه معناه بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر — وهى نوعان

الأول — مساواة مع الاختصار ، وهى أن يتحرى البليغ فى تأدية المعنى أوجز ما يكون من الألفاظ القليلة الأحرف . الكثيرة المعانى — كقوله تعالى (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان)

وكقوله تعالى (ولا يحيط المكر السيء إلا بأهله) =

فإن اللفظ فيه على قدر المعنى ، لا ينقص عنه ، ولا يزيد عليه .

وكقول طَرَفَةَ بن العبد .

سَتُبدِى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّد

هذه أمثلة للمساواة ، لا يستغنى الكلام فيها عن لفظ منه ، ولو حُذف منه شيء لأخلّ بمعناه .

أسئلة على الايجاز والاطناب والمساواة تطلب أجوبتها

ما هى المساواة ؟ . — ما هو الايجاز ؟ . — ما هو الاطناب ؟ . — كم قسما للإيجاز ؟ . — ما هو إيجاز القصر ؟ — ما هو إيجاز الحذف ؟ . بأى شيء يكون إيجاز الحذف ؟ . كم قسما للإطناب . ؟ ما هو ذكر الخاص بعد العام ؟ ما هو ذكر العام بعد الخاص ؟ . ما هو الإيضاح بعد الابهام ؟ ما هو التكرار ما هو الاعتراض ؟ . ما هو الإيغال ؟ . ما هو التوشيع ؟ . ما هو التذييل ؟ ماهو التكميل ؟ ماهو التتميم ؟ . ماهو الاحتراس ؟ . ماهو الفرق بين التطويل والحشو ؟ . ما هى دواعى الايجاز ؟ . ما هى دواعى الاطناب كم قسما للتذييل ؟ أيكون الاطناب بغير هذه الأنواع .

= والثانى ـ مساواة بدون اختصار ، ويسمى متعارف الأوساط ، وهو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار . كقوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام)

والوجهان فى المركز الأسمى من البلاغة ـ غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليها والمساواة فن من القول عزيز المنال . تشرأب إليه أعناق البلغاء . لكن لا يرتقى إلى ذراه إلا الأفذاذ لصعوبة المرتقى ، وجلال المقصد ، والمساواة يعتبرها بعضهم وسطا بين الايجاز والأطناب ـ وبعضهم يدمجها ، ولا يعدها قسما ثالثا للايجاز والاطناب .

تطبيق عام على الإيجاز والاطناب والمساواة

درست الصرف ـ فيه مساواة . لأن اللفظ على قدر المعنى ـ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً . فيه أطناب بالتتميم : فإن (على حبه) فضلة لزيادة التحسين في المعنى

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ـ فيه مساواة .

المرء بأدبه ـ فيه إيجاز قصر لتضمن العبارة القصيرة معاني كثيرة .

تالله تفتأ تذكر يوسف ـ فيه إيجاز حذف وهو « لا »

وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق ـ فيه إيجاز حذف جملة أي فضرب فانفلق .

ألا كل شيء ماخلا الله باطل ـ فيه أطناب بالاحتراس .

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

فيه الأطناب بالتذييل . والجملة الثانية جارية مجرى المثل .

جوزي المذنب بذنبه وهل يجازى إلا المذنب . فيه إطناب بالتذييل ، وليس جاريا مجرى المثل

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ـ فيه إطناب بالاحتراس

البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة ـ فيه إطناب بالترديد

ولكن البر من اتقى ـ فيه إيجاز حذف مضاف ـ أي ذا البر

واهتم للسفر القريب فانه أنأى من السفر البعيد وأشنع

فيه إطناب بالايغال . فان (أشنع) مزيدة للترتيب في الاهتمام .

خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . فيه إيجاز حذف ـ أي خلطوا عملا صالحا بسيء وعملا سيئاً بصالح

والليل إذا يسر ـ فيه إيجاز بحذف الياء وسبب حذفها أن الليل لما كان غير سار وإنما يسرى من فيه . نقص منه حرف ، إشارة إلى ذلك جريا على عادة العرب في مثل ذلك

ليحق الحق ويبطل الباطل ـ فيه إيجاز بحذف جملة ـ أي فعل ذلك

تمرين

بيّن الإيجاز . والاطناب . والمساواة : وأقسام كل منها فيما يأتى

قال الله تعالى (إنَّ فى خَلقِ السَّمَـوات وَالأرْضِ واختلاف اللّيلِ والنَّهارِ ، والفُلْكِ الّتى تَجرى فى البَحْرِ بِما يَنفَعُ النَّاسَ وَما أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فأحيا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةٍ وتَصريف الرِّياحِ وَالسَّحابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّماءِ والأرْضِ لآياتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُون [١])

وقالَ تعالى (خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلين) [٢]

وقال تعـالى (يأْخُذُ كلَّ سَفِينَةٍ [٣] غَصْباً)

أنا ابنُ جَلا [٤] وطَلَّاعِ الثَّنايا متى أَضعِ العمامةَ تعرفونى

(فاللهُ هو الوَلِىُّ) [٥] وَإنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ [٦]

فقلت يَمِينُ اللهِ أبرح [٧] قاعداً ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

شيخ يرى الصّلوات الخمس نافلة ويستحلُّ دم الحجاج فى الحرم [٨]

وقال تعالى : (تَطْمئِنُّ قلوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ) [٩] .

---

(١) فى هذه الآية الأطناب بتكثير الجمل . وهذا خلاف الأنواع السابقة وذلك لأنه لما كان الخطاب مع العموم وفيهم الذكى والغبى صرح بخلق أمهات الممكنات الظاهرة ليكون دليلا على القدرة الباهرة ـ وذلك بدل أن يقال (أن فى وقوع كل ممكن تساوى طرفاه لآيات للعقلاء) (٢) فيه إيجاز القصر لأنه قد جمع مكارم الأخلاق

(٣) أى سفينة سالمة (٤) أى أنا ابن رجل جلا المشكلات

(٥) الشرط محذوف أى إن أرادوا وليا فالله هو الولى (٦) أى فاقتد واصبر

(٧) أى لا أبرح . (٨) فى الحرم ـ ايغال للزيادة فى المبالغة .

(٩) فيه التذييل

وقال تعالى : (وَمَنْ أَرادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ (١) فَأُولئكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً) — وقال الشاعر

لله لذَّة عيش بالحبيب مضت ولم تدم لى وغير الله لم يدم (٢)

وقال تعالى (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سوءٍ) (٣)

وقال تعالى (وَيُؤْثِرُونَ على أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

وقال تعالى « فَلَا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٤)

حليمٌ إذا ما الحلمُ زيْنٌ لأهله مع الحلم فى عيْن العدُوِّ مهيب (٥)

أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرَّهم وأتيناه على هرم (٦)

وألفيته بحراً كثيراً فضُوله جواداً متى يذكر له الخير يزْددِ (٧)

فإن كنت لا تسطيع دفع منيَّتى فذرْنى أبادِرْها بما ملكت يدى

ما أحسنَ الأيامَ إلاَّ أنها يا صاحِبَىَّ إذا مضت لم ترجع

ولست بمُستبقٍ أخاً لا تلمّه على شعَث أىُّ الرجال المُهذَّب

تأمَّل من خلاَل السَّجف وانظر بعينك ما شربتُ ومَنْ سقانى

تجد شمس الضُّحى تدنو بشمس إلىَّ من الرَّحيق الخسروانى

---

(١) احترس بقوله (وهو مؤمن) عن توهم الاطلاق .

(٢) فيه تذييل جار مجرى الأمثال (٣) فى قوله (من غير سوء) احتراس عن توهم بياض البرص ونحوه (٤) فيه الاعتراض بقوله (لو تعلمن) .

(٥) فى البيت احتراس (بلفظ مهيب)

(٦) فى البيت إيجاز — أى وأتيناه على هرم (فساءنا)

(٧) فى البيت إطناب — فان قوله : متى يذكر له الخير يزدد ، تكميل .

خاتمــة

علمتَ أنَّ البلاغة متوقفةٌ على مُطابقة الكلام لمقتضى الحال

ورأيت فى ما تقدم من الأحكام ، أن مقتضى الحال يجرى على مقتضى الظاهر

وهذا بالطبع هو الأصل ، ولكن قد يُعدل عمّا يَقتضيه الظاهر إلى خلافه

مما تقتضيه الحال فى بعض مقامات الكلام ، لا عتبارات يراها المتكلم .

وقد تقدّم كثير من ذلك العدول « المسمّى بإخراج الكلام على خلاف

مقتضى الظّاهر » فى الأبواب السّابقة .

وبقى من هذا القبيل أنواع أخرى كثيرة .

الأول — الالتفات : وهو الانتقال من كل من التكلم — أو الخطاب ،

أو الغيبة — إلى صاحبه ، لمُقتضيات ومُناسبات تظهر بالتأمل فى مواقع

الالتفات ، تَفَنّناً فى الحديث ، وتلويناً للخطاب ، حتى لا يمل السّامع من

التزام حالة واحدة ، وتنشيطاً وحملا له على زيادة الاصغاء : « فان لكل جديد

لذّة ولبعض مواقعه لطائف ، ملاكُ إدراكها الذّوقُ السليم .

واعلم أنَّ صور العدول إلى الالتفات ستة .

١ ـ عدول من التّكلم إلى الخطاب — كقوله تعالى « وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ

الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » والقياس « وإليه ارجع » .

٢ ـ عدول من التكلّم إلى الغيبة — كقوله تعالى « يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ

أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم لا تقنَطوا مِنْ رَحمةِ اللهِ » .

٣ ـ عدول من الخطاب إلى التّكلم ـ كقوله تعالى « وَاسْتَغْفِرُوا

ربكم ثمّ توبوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيم وَدُود » .

(٤) عدول من الخطاب إلى الغيبة — كقوله تعالى (ربنا إنكَ جامع الناس ليوم لا ريب فِيه إنّ الله لا يخلف الميعاد)

(٥) عدول من الغيبة إلى التكلم — كقوله تعالى (وهُوَ الذى أرْسَلَ الرِّياحَ بُشرًى بَين يدَى رَحْمَتِهِ وأنْزَلنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً) والقياس « وأنزل »

(٦) عدول من الغيبة إلى الخطاب — كقوله تعالى (وإذْ أخذْنَا مِيثاق بَنى إسرَائِيلَ لا تعبدُونَ إلا اللهَ)

الثانى — تجاهُل العارف ، وهو سَوق المعلوم مساق المجهول ، بأن يُجعل العارفَ بالشىء نفسه جاهلاً به . وذلك لأغراض

(١) كالتعجب ـ نحو قوله تعالى (أفَسِحْرٌ هذَا أمْ أنْتُم لا تبْصِرونَ)

(٢) وَالمبالغة فى المدح ـ نحو : وَجْهكَ بدْرٌ أم شمس

(٣) والمبالغة فى الذّم ـ كقول الشاعر :

وما أدرى وسوف إخالُ أدرى أقومٌ آلُ حصن أم نساء

(٤) والتوبيخ وشِدّة الجزَع ـ كقول الشاعر :

أيا شَجرَ الخابور مالكَ مُورِقاً كأنكَ لمْ تجزَعْ على ابن طرِيف[1]

(٥) وشدّة الوَلهِ ـ كقول الشاعر :

بالله يا ظبيات القاعِ قُلن لنَا ليلاىَ منكنّ أم لَيلى منَ البشر

(٦) والفخر ـ كقوله :

أيُنما تعرف المواقف منه وَثباتٍ على العِدا وثباتا

---

(١) تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشدة التحير والتضجر

الثالث القلب ـ [١] وهو جعل كلٍّ من الجزأين فى الكلام مكان صاحبه، لغرض المبالغة ـ نحو : قول رُؤبة بن العَجاج

ومَهمهٍ مُغبَرّةٍ أرجاؤه كأنَّ لونَ أرضهِ سماؤه [٢]

أى : كأنَّ لون سمائه لغبرتها لون أرضه، مبالغة فى وصف لون السماء بالغُبْرة، حتى صار بحيث يشبَّه به لون الأرض.

ونحو : أُدخلت الخاتم فى أصبعى : والقياس «أدخلت أصبعى فى الخاتم» وعرضت الناقة على الحوض.

الرابع ـ التَّعبير عن المضارع بلفظ الماضى ـ وعكسه

فمن أغراض التعبير عن المضارع بلفظ الماضى :

« ا » التنبيه على تحقق وقوعه ـ نحو : (أَتى أمرُ اللهِ) ـ أى : يأتى

« ب » أو قرب الوقوع ـ : قد قامت الصلاة ـ أى قرب القيام لها

« ج » والتفاؤل ـ نحو : إنْ شفاك الله تذهب معى

« د » والتعريض ـ نحو قوله تعالى : (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) فيه تعريض للمشركين بأنهم قد حَبطت أعمالهم

ومن أغراض التعبير عن الماضى بلفظ المضارع

---

(١) ويستدل عليه بالتأمل فى المعنى ، فنحو عرضت الناقة على الحوض. وأدخلت الخاتم فى أصبعى ـ أصله ، عرضت الحوض على الناقة ، لأن العرض يكون على ماله «إدراك» ، وأصله أدخلت أصبعى فى الخاتم ، لأن الظرف هو الخاتم ، والنكتة أن الظاهر الاتيان بالمعروض إلى المعروض عليه . وتحريك المظروف نحو الظرف ولما كان ماهنا بالعكس . قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار ـ وإنما يقبل حيث يتضمن اعتباراً لطيفاً .

(٢) والمهمه المفازة البعيدة ـ وأرجاؤه نواحيه

« ا » حكاية الحالة الماضية باستحضار الصورة الغريبة فى الخيال[1]

كقوله تعالى (اللهُ الذى أرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً) بدل فأثارت

« ب » وإفادة الاستمرار فيما مضى ـ كقوله تعالى (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) أى : لو استمرّ على إطاعتكم لهلكتم .

الخامس ـ التعبير عن المستقبل بلفظ اسم « الفاعل »

نحو : قوله تعالى (إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِع)

أو بلفظ اسم « المفعول » : نحو : قوله تعالى (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ)

وذلك : لأنّ الوصفين المذكورين حقيقة فى الحال ، مجاز فيما سواه

السادس ـ يوضع المضمر موضع المظهر ، خلافاً لمقتضى الظاهر ، ليتمكن ما بعده فى ذهن السامع ، نحو : هو الله عادل

ويوضع المظهر موضع المضمر لزيادة التمكين نحو : خير الناس من نفع الناس

أو لإلقاء المهابة فى نفس السّامع ، كقول الخليفة (أمير المؤمنين يَأمر بكذا) (أى : أنا آمر)

أو للاستعطاف ـ نحو : أيأذن لى مولاى أن أتكلم (أى : أتأذن)

السابع ـ التغليب : وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر فى إطلاق لفظه عليه[2] ـ وذلك

---

(١) يوضع المضارع موضع الماضى لإيهام المشاهدة باحضار صورة الشئ فى ذهن السامع بصيغة الحاضر

(٢) التغلب : هو إطلاق لفظ أحد الصاحبين على الآر ترجيحا له عليه والتغليب كثير فى كلام العرب . والله سبحانه وتعالى أعلم

١ ـ كتغليب المذكر على المؤنث ، فى قوله تعالى (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِين) وقياسه (القانتات)

ونحو : الأبوين ـ (للأب والأم) ـ والقمرين (للشمس والقمر)

٢ ـ وكتغليب الأخفّ على غيره ـ نحو: الحَسنين ـ فى الحَسن والحُسين ـ

٣ ـ وكتغليب الأكثر على الأقل ـ كقوله تعالى ـ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ـ

أدخل ـ شُعيب ـ فى العود إلى ملّتهم ، مع أنه لم يكن فيها قطّ ، ثم خرج منها وعاد ، تغليباً للأكثر

٤ ـ وكتغليب العاقل على غيره : كقوله تعالى ـ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين ـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

تم علم المعانى ، ويليه علم البيان ، والله المستعان أولا وآخراً

علم البيان

(١) البيان[١] لغة — الكشف ، والإيضاح ، والظُّهور[٢]

واصطلاحاً — أصولٌ وقواعدُ يُعرف[٣] بها إيرادُ المعنى الواحد، بِطرق

(١) هو اسم لكل شيء كشف لك بيان المعنى ، وهتك لك الحجب ، دون الضمير - حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله ، كائنا ما كان ذلك البيان . ومن أى جنس كان ذلك الدليل - لأن مدار الأمر والغاية التي يجرى إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والافهام . فبأى شيء بلغت الافهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع . واعلم أن المعتبر فى علم البيان دقة المعانى المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الالفاظ الدالة عليها . فالبيان هو المنطق الفصيح ، المعرب عما فى الضمير

(٢) فاذا كان معنى البيان (الايضاح) كان متعديا . وان كان بمعنى (الظهور) كان لازماً يقال : بينت الشيء : أوضحته.وبان الشيء ظهر واتضح -وكذلك تقول أبنت الشيء وأبان الشيء - وكذلك بينت الشيء أظهرته ، وبين الشيء ظهر - وكذلك تبينت الشيء ، وتباين الشيء ، واستبنت الشيء ، واستبان الشيء ، بمعنى واحد والتبيان بالكسر البيان . والكشف . والايضاح

(٣) أى يعرف من حصل تلك الأصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض.فعلم البيان : علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة ، وتراكيب مختلفة فى درجة الوضوح ، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال ، فالمحيط بفن البيان.الضليع من كلام العرب منثوره ومنظومه .إذا أرادالتعبيرعن أى معنى يدور فى خلده ويجول بضميره . استطاع أن يختار من فنون القول ، وطرق الكلام ما هو أقرب لمقصده.وأليق بغرضه ، بطريقة تبين مافىنفس المتكلم من المقاصد وتوصل الأثر الذى يريده به إلى نفس السامع فى المقام المناسب له ، فينال الكاتب والشاعر . والخطيب . من نفس مخاطبيه إذا جود قوله ، وسحرهم ببديع بيانه

ولا بد فى علم البيان من اعتبار (المطابقة لمقتضى الحال) المعتبرة فى علم المعانى فمنزلة (المعانى) من (البيان) منزلة الفصاحة من البلاغة

يختلف بعضُها عن بعض ، فى وُضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى

فالمعنى الواحد : يستطاع أداؤه بأساليب مُختلفة ، فى وُضوح الدّلالة عليه

فانك : تقرأ فى بيان فضل (العلم) مثلا - قول الشاعر :

(١) العلم ينهض بالخسيس إلى العلى   والجهل يقعد بالفتى المنسوب

ثم تقرأ فى المعنى نفسه ، كلام الإمام (على) كرّم الله وجهه

(٢) العلم نهرٌ . والحكمة بحر

(٣) والعلماء حول النّهر يطوفون

(٤) والحكماء وسط البحر يغوصون

(٥) والعارفون فى سفن النَّجاة يسيرون

فتجد : أنّ بعض هذه التراكيب أوضحُ من بعض ، كما تراه يضع أمام عينيك مشهداً حسياً ، يقرّبُ إلى فهمك ما يُريد الكلام عنه من فضل «العلم»

فهو : يُشبّهه بنهر ، ويُشبّه الحكمة ببحر

ويصوّر لك أشخاصاً طائفين حول ذلك النهر - « هُم العلماء »

ويُصوّر لك أشخاصاً غائصين وسط ذلك البحر - « هم الحكماء »

ويصوّر لك أشخاصاً راكبين سُفناً ماخرة فى ذلك البحر للنّجاة من مخاطر هذا العالم - « هم أرباب المعرفة »

ولا شك : أن هذا المشهد البديع : يستوقف نظرك . ويستثير اعجابك من شدّة الرّوعة والجمال المُستمدّة من التّشبيه ، بفضل « البيان » الذى هو سر البلاغة

«ب» وموضوع هذا العلم : الألفاظ العربية ، من حيث . التشبيه والمجاز والكناية

« ج » وواضعه « أبو عبيدة » الذى دوّنَ مسائل هذا العلم فى كتابه

المُسمّى « مجاز القرآن » وما زال ينمو شيئاً فشيئاً ، حتى وصل إلى الامام «عبد القاهر » فأحكم أساسه ، وشيَّدَ بناءه ، ورتَّب قواعده ، وتبعه « الجاحظ ، وابن المُعتزّ ، وقُدامة ، وأبو هلال العسكرى »

« د » وثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب « منثورِه ومنظومِه » ومعرفة مافيه من تفاوُتٍ فى فنون الفصاحة ، وتبايُن فى درجات البلاغة التى يصل بها إلى مرتبة إعجاز « القرآن الكريم » الذى حار الجنُّ وَالإنسُ فى مُحاكاته وعجزوا عن الإتيان بمثله

وفى هذا الفن أبواب ـ ومباحث

الباب الأول

في التشبيه

تمهيد

للتّشبيه : رَوعة وجمال . وموقعٌ حسنٌ فى البلاغة : وذلك لإخراجه الخفىّ إلى الجلى ، وإدنائهِ البعيد من القريب ، يَزيدُ المعانى رِفعة ووضوحاً ويكسبُها جمالا وفضلا ، ويكسوها شرفا ونُبلا ، فهو فن واسع النّطاق . فسيح الخطو : مُمتد الحواشي . مُتَشعِّب الأطراف . مُتوعِّر المسالك . غامض المدرك . دقيق المجرَى . غزير الجدوَى .

ومن أساليب البيان : أنك إذا أردت إثبات صفةٍ لموصوف، مع التوضيح أو وجه من المبالغة ، عَمدتَ إلى شىء آخر ، تكون هذه الصفة واضحة فيه ، وعقدتَ بين الاثنين مماثلة ، تجعلها وسيلة لتوضيح الصِّفة ، أو المبالغة فى إثباتها _ لهذا كان التشبيه أوّلَ طريقة تدلّ عليه الطبيعة لبيان المعنى

تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة

التشبيهُ لغة التمثيلُ _ يقال : هذا شِبْهُ هذا وَمثيله

والتّشبيه : إصطلاحاً _ عقد مُماثلة بين أمرين ، أو أكثر ، قُصِد اشتراكهما فى صفةٍ ، أو أكثر ، بأداة : لغرض يقصده المتكلّم

وأركان التشبيه أربعة

(١) المُشبه : هو الأمر الذى يُراد الحاقه بغيره
(٢) المُشبه به : هو الأمر الذى يلحق به المشبه

} هذان الركنان يسميان طرفى التشبيه

(٣) وجه الشَّبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون فى المشبه به، أقوى منه فى المشبه — وقد يُذكر وجه الشَّبه فى الكلام وقد يُحذف كما سيأتى توضيحه.

(٤) أداة التشبيه: هى اللفظ الذى يَدُلُّ على التشبيه، ويربط المشبَّه بالمشبَّه به، وقد تُذكر الأداة فى التشبيه، وقد تحذف، نحو: كان عمرُ فى رعيَّته كالميزان فى العدل. وكان فيهم كالوالد فى الرحمة والعطف

تمرين

على التشبيه وبيان أركانه الأربعة

أنت كالوردة لمساً وشذاً — جادها الغيثُ على غُصنٍ نضِر

إنما الناس كالسوائم فى الرز — ق سواء جهولهم والعليمُ

أنت مثل الغصن ليناً — وشبيهُ البدر حُسناً

لك شعرٌ مثل حظِّى — فى سوادٍ قد تثنَّى

أنت عندى كليلة القدر فى القد — ر ولكن لا تستجيب دعائى

العشق كالموت يأتى لا مردَّ له — ما فيه للعاشق المسكين تدبير

وكن كالشمس تظهر كل يوم — ولا تكُ فى التغيُّب كالهلال

بعضُ الرجال كقبر الميت تمنحه — أعز شىء ولا يعطيك تعويضاً

وخَيل تحاكى البرق لوناً وسرعة — وكالصخر إذ تهوى وكالماء فى الجرى

أعوام إقباله كاليوم فى قِصرٍ — ويومُ إعراضه فى الطول كالحجج

أورد قلبى الردى — غصنُ عِذارٍ بدا

أسود كالكفر فى — أبيض مثل الهُدى

لا جزى الله دمعَ عينى خيراً — وجزى الله كل خير لسانى

نمّ دمعي فليس يكتم شيئاً ووجدتُ اللسان ذا كتمانِ
كنت مثل الكتاب أخفاه طيٌّ فاستدلوا عليه بالعُنوانِ

للورد عندي محلٌّ لأنه لا يُمَلُّ
كل الرّياحين جندٌ وهو الأمير الأجلُّ
إن غاب عَزوا وباهوا حتى إذا عاد ذلوا

المبحث الاول

في تقسيم طرفي التّشبيه إلى حسّي . وعقلي

طرفا التّشبيه « المشبه والمشبه به »

(١) إمّا حسيّان[1] « أي : مدركان بإحدى الحواسّ الخمس الظّاهرة »

---

(١) اعلم أن من الحسي . مالا تدركه الحواس الخمس التي هي (البصر والسمع والشم والذوق واللمس) ولكن تدرك مادته فقط ويسمى هذا التشبيه (بالخيالي) الذي ركبته المتخيلة من أمور موجودة ، كل واحد منها يدرك بالحس ـ كقوله

كأن الحباب المستدير برأسها كواكب در في سماء عقيق

فان كواكب در ، وسماء عقيق ، لايدركها الحس ، لأنها غير موجودة ـ ولكن يدرك مادتها التي هي الدر والعقيق ، على انفراد ـ والمراد بالحباب مايعلو الماء من الفقاقيع والضمير للخمر ـ ومنه أيضا قول الآخر

وكان محمر الشقـ يق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

فان الأعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة ـ لكن المشبه الذي مادته هذه ، ليس موجوداً ولا محسوسا والمراد بالعقلي مالا يدرك هو ولا مادته بإحدى الحواس الظاهرة ـ بل إدراكه عقلا فيدخل فيه الوهمي وهو مالا يدرك هو ولا مادته باحدى الحواس ، لكن لو وجد في الخارج لكان مدركا بها ـ ويسمى هذا التشبيه « بالوهمي » الذي لا وجود له ولا لأجزائه كلها أو بعضها في الخارج ، ولو وجد لكان مدركا باحدى الحواس كقوله تعالى « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » ـ وكقوله

نحو — أنتَ كالشمس فى الضِّياء — وكما فى تشبيه « الخدّ بالورد »

وإمَّا عقليان ـ أى مدركان بالعقل ، نحو : العلمُ كالحياة

ونحو : « الضلال عن الحق كالعمى » ونحو : « الجهل كالموت »

(٢) وإمَّا المشبه حِسّى ، والمشبه به عقلى — نحو : طبيب السُّوء كالموت

(٣) وإمَّا المشبه عقلى ، والمشبه به حِسّى — نحو — العلم كالنّور

واعلم أن العقلى هو ما عدَا الحسّى ، فيشمل المُحقَّق ذهناً : كالرأى

والخلق . والحظ . والأمل . والعلم . والذكاء . والشجاعة

ويشمل أيضاً الوهمى ، وهو ما لا وجود له ، ولا لأجزائه كلها ، أو بعضها فى الخارج ، ولو وجد لكان مدركا باحدى الحواس

ويشمل الوجدانى : وهو مايدرك بالقوى الباطنة ، كالغم ، والفرح ، والشّبع والجوع ، والعطش ، والرّى

المبحث الثانى

فى تقسيم طرفى التّشبيه : باعتبار الإفراد . والتركيب

طرفا التّشبيه « المشبه والمشبه به »

= أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فان أنياب الأغوال لم توجد هى ولا مادتها . وإنما اخترعها الوهم . لكن لو وجدت لأدركت بالحواس . والمشرفى السيف . والمسنونة السهام . والأغوال يزعمون أنها وحوش هائلة المنظر ولا أصل لها . والوجدانيات كالجوع والعطش ونحوهما ملحقة بالعقلى ثم التضاد بين الطرفين قد ينزل منزلة التناسب . ويجعل وجه الشبه على وجه الظرافة أو الاستهزاء كما فى تشبيه شخص ألكن «بقس بن ساعدة» ـ أو رجل بخيل «بحاتم» ـ والفرق بين الظرافة والاستهزاء يعرف بالقرائن . فان كان الغرض مجرد الظرافة فظرافة ـ وإلا فاستهزاء

(١) أما مفردان « مطلقان » نحو : ضوءه كالشمس . وخده كالورد أو « مقيدان (١) » نحو : الساعى بغير طائل كالراقم على الماء .
أو « مختلفان » نحو : ثغره كاللؤلؤ المنظوم — ونحو : العين الزرقاء كالسنان — (والمشبّه هو المقيّد)

وإما مركبان تركيباً لم يمكن إفراد أجزائهما ، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين ، أو من أشياء ، تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً ، وإذا انتزع الوجهُ من بعضها دون بعض ، اختل قصد المتكلم من التشبيه — كقوله (٢) .

كأنّ سهيلاً والنجوم وراءه   صفُوفَ صَلاة قامَ فيها إمامُها

(٢) (إذ لو قيل كأن سهيلاً إمام ، وكأن النجوم صفوف صلاة . لذهبت فائدة التّشبيه) .
أو مركبان تركيباً : إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة «المشبه» به كما ترى فى قول الشاعر الآتى :

حيث شبّه النجوم اللّامعة فى كبد السّما ، بدرٍّ منتثر على بساط أزرق

---

(١) وتقييده بالاضافة . أو الوصف . أو المفعول . أو الحال . أو الظروف . أو بغير ذلك ويشترط فى القيد : أن يكون له تأثير فى وجه الشبه . ولهذا جعل قوله تعالى — « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلاقيد . ونحو التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر

(٢) ومنه قول الاخر

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فانه شبه هيئة الغبار ، وفيه السيوف مضطربة ، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط فى جهات مختلفة — وكقول الشاعر

كأن الدموع على خدها   بقية طل على جلنار

فالمشبه مركب من الدموع والخد . والمشبه به مركب من الطل والجلنار

وكأنّ أجرامَ النجوم لوامعاً ... دُرَرٌ نُثِرْنَ على بساطٍ أزرق

(إذ لو قيل : كأن النجومَ دُرَر - وكأن السماء بساط أزرق ، كان التشبيه مقبولا - لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به)

(٣) وإما مفرد بمركب - كقول الخنساء[١]

أغرُّ أبلجُ تأتمّ الهُداةُ بِهِ ... كأنه علَمٌ فى رأسه نارُ

(٤) وإما مركب بمفرد - نحو : الماء المالح كالسّم[٢]

واعلم : أنه متى رُكّبَ أحدُ الطرفين لا يكاد يكون الآخر مفرداً مطلقا بل يكون مركباً . أو مفردا مقيدا ، ومتى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركباً . ضرورة انتزاعه من المركب ، أو من القيد . والمُقيّد

المبحث الثالث

فى تقسيم طرفى التّشبيه : باعتبار تعدّدهما[٣]

ينقسم طرفا التشبيه « المشبه والمشبه به » باعتبار تعدّدهما ، أو تعدّد أحدهما . إلى أربعة أقسام :

ملفوف ، ومفروق ، وتسوية ، وجمع

(١) فالتشبيه الملفوف ، هو جمع كل طرف منهما مع مثله ، كجمع المشبه مع المشبه . والمشبه به مع المشبه به - بحيث يؤتى بالمشبهات معاً على طريق العطف ، أو غيره ، ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك

كقوله ... ليل وبدر وغصن ... شعر ووجه وقدٌّ

خمر ودُرٌّ وورد ... ريق وثغر وخدٌّ

---

(١) وكقوله وحدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقطا بالعنبر

(٢) وكقوله لاتعجبوا من خاله فى خده كل الشقيق بنقطة سوداء فالمشبه مركب من « الخال والخد » ، والمشبه به مفرد وهو « الشقيق »

(٣) متى تعدد الطرفان معا نتج تشبيهان أو أكثر . لاتشبيه واحد

وكقوله :

تَبَسُّمٌ وقُطُوبٌ فى ندًى ووغًى كالغيث والبرق تحت العارض البَرِدِ

وكقوله :

وضوء الشهْب فوْق الليـــل بادٍ كأطراف الأسِنة فى الدروع[1]

(٢) والتشبيه المفروق — هو جمع كل مشبه مع ماشُبِّه به — كقوله[2]

ألنّشر مسكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأطرافُ الأكُفِّ عَنَم

(٣) « وتشبيه التسوية » هو أن يتعدّد المشبه دُونَ المُشَبَّه به

كقوله صُدغ الحبيب وَحالى كلاهما كالليـــالى

وثغـره فى صفـــاء وأدمعى كاللآلى

سُمِّى بذلك : للتّسوية فيه بين المشبّهات.

(٤) وتشبيه الجمع - هو أن يتعدّد المشبه به . دون المشبه - كقوله :

كأنما يَبسِمُ عن لؤلؤ مُنضَّد أو بَرد أو أقاح[3]

سُمى بتشبيه الجمع -للجمع فيه بين ثلاث مُشبّهات بها

كقوله :

مرّت بنا رأْدَ الضُّحى تحكِى الغــزَالة والغزالا

---

(١) أى فقد جمع ضوء الشهب والليل المشبهين . مع أطراف الأسنة والدروع المشبه بهما

(٢) ومنه قوله

إنما النفس كالزجاجة والعلـ م سراج وحكمة الله زيت

فاذا أشرقت فانك حى وإذا أظلمت فانك ميت

(٣) أى كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم ، أوكالبرد أوكالأقاح فشبه الشاعر . ثغر المحبوب بثلاثة أشياء اللؤلؤ (وهوالجوهر المعلوم) والبرد(وهو حب الغمام) والأقاح جمع أقحوان بضم الهمزة وفتحها ، وهوزهر نبت طيب الرائحة، حوله ورق أبيض ، ووسطه أصفر

كقوله :

ذات حُسْنٍ لو استزدت من الحسـ ـن إليـه لما أصابت مزيدا

فهى الشمس بهجةً والقضيب اللد ن قداً والرئم طرفاً وجيدا

تمرين

أذكر أحوال طرفى التشبيه فيما يأتى :(١)

علم لا ينفع ، كدواء لا ينجع . الصديق المنافق ، والابن الجاهل ، كلاهما

ملخص القول فى تقسيم طرفى التشبيه

أولا - ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى حسيين وعقليين ومختلفين - فالحسيان يشتركان

(١) فى صفة مبصرة كتشبيه المرآة بالنهار فى الاشراق ، والشعر بالليل فى الظلمة والسواد ، كما فى قول الشاعر :

فرعاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو ليل أسحم

فكأنها فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم (١)

(٢) أو فى صفة مسموعة - نحو : غرد تغريد الطيور ونحو : سجع سجع القمرى ونحو : أن أنين الثكلى ، ونحو : أسمع دوياً كدوى النحل ، وكتشبيه إنقاض الرحل بصوت الفراريج فى قول الشاعر

كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس إنقاض الفراريج (٢)

وكتشبيه الأصوات الحسنة فى قراءة القران الكريم بالمزامير

(٣) أو فى صفة مذوقة . كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل . وكتشبيه الريق الخمر فى قول الشاعر :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى وذوب العسل

---

(١) امرأة فرعاء . كثيرة الشعر . وأسحم . أسود من سحم كتعب

(٢) الميس . الرحل . والانقاض . قيل صوت الفراريج الضئيل ، وقيل صوت الحيوان والنقض صوت الموتان كالرحل . والفراريج . جمع فروج وهو فرخ الدجاجة . وتقدير البيت . كأن أصوات أواخر الميس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج

كجمر الغضا ، الحق سيف على أهل الباطل ، الحِمْية من الأنام ، كالحِمْية من الطعام .

= يعـل به برد أنيابها إذا النجم وسط السماء اعتدل (١)

(٤) أو فى صفة ملموسة . كتشبيه الجسم بالحرير : فى قول ذى الرمة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشى لا هراء ولا نذر (٢)
وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

(٥) أو فى صفة مشمومة . كتشبيه الريحان بالمسك – والنكهة بالعنبر

والعقليان – هما اللذان لم يدركا ، هما ولا مادتهما ، بإحدى الحواس ، وذلك كتشبيه السفر بالعذاب ، والضلال عن الحق بالعمى ، والاهتداء إلى الخير بالأبصار

والمختلفان – إما أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا – كتشبيه الغضب بالنار من التلظى والاشتعال – وكتشبيه الرأى بالليل فى قول الشاعر

الرأى كالليل مسود جوانبه والليل لا يتجلى إلا باصباح

وإما أن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا – كتشبيه الكلام بالخلق الحسن. وكتشبيه العطر بخلق الكريم فى قول الصاحب بن عباد :

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهـدى له أخلاقه (٣)

ثانياً – ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى مفردين مطلقين . أو مقيدين أو مختلفين. وإلى مركبين أو مختلفين .

فالمفردان المطلقان . كتشبيه السماء بالدهان فى الحمرة . فى قوله تعالى : فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (٤)

---

(١) المدام . الخمر . والصوب . من صاب المطر يصوب إذا انصب بكثرة ونزل ، والخزامى . نبت طيب الرائحة . والعلل الشرب الثانى ، يقال : علل بعد نهل

(٢) رخيم الحواشى . مختصر الأطراف ، والهراء (بضم الهاء) المنطق الكثير وقيل المنطق الفاسد الذى لا نظام له

(٣) الثناء يشبه بالعطر ، لكنه اعتبر المعقول كأنه محسوس وجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغة ، وتخيله شيئاً له رائحة – وشبه العطر به

(٤) الدهان الجلد الأحمر

قال محمد بن لنكك البصرى :

قضى الأمراء وانقرضوا وبادوا　　وخلفنى الزمان على علوجِ

وقالوا قد لزمت البيت جداً　　فقلت لفقد فائدة الخروج

فَمَنْ ألقى إذا أبصرتُ فيهم　　ودار البين فى أعلى السروج

زَمانٌ عزَّ فيه الجود حتى　　كأنَّ الجودَ فى أعلى البُروج

يا شبيه البدر حُسنا　　وضيـــاء ومـنـــالا

وشبيه الغصن لينا　　وقواماً واعتـــدالا

= وكتشبيه الكشح بالجديل . والساق بالأنبوب ، فى قول امرىء القيس .

وكشح لطيف كالجديل مخصر　　وساق كأنبوب السقى المذلل (١)

والمقيدان . بوصف . أو اضافة . أو حال . أو ظرف ـ أو نحو ذلك . كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة : هو « كالراقم على الماء » فالمشبه هو الساعى على هذه الصفة . والمشبه به هو الراقم بهذا القيد . ووجه الشبه . التسوية بين الفعل والترك فى الفائدة — وكقوله

والشمس من بين الأرائك قد حكت　　سيفا صقيلا فى يد رعشاء (٢)

والمختلفان . والمشبه به هو المقيد : كما فى قول ذى الرمة =

---

١ ـ الكشح . ما بين الخاصرة إلى الضلع (الأضلاع وآخرها) وهو من لدن السرة إلى المتن . الجديل الزمام المجدول من أدم . وقيل حبل من أدم ، أو شعر فى عنق البعير . ومخصر . دقيق . السق . البردى واحده سقية . المذلل الذى ذلل بالماء حتى طاوع كل من مد اليه يده . قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب فى شرحه لديوان امرىء القيس . شبه كشح المرأة بالزمام فى اللين والتثنى واللطافة . وشبه ساقها ببردى قد نبت تحت نخل . والنخل تظلله من الشمس ، والوجه بالبياض .

(٢) الأراك شجر من الحمض يستاك بقضبانه واحدته , أراكة ، وجمعها أرائك

أنتَ مثلُ الوردِ لَوناً ونسيماً ومَلالا
زارنا حتى إذا ما سرَّنا بالقربِ زالا

يا صاحِبَيّ تقصّيا نظرَيْكما تَريا وجوهَ الأرضِ كيف تُصوَّرُ
تَريا نَهاراً مُشمِساً قد شابَهُ زهرُ الرُّبى فكأنّما هو مُقمِرُ (١)

قف العيس فى أطلال مية فاسأل رسوما كأخلاق الرداء المسلسل (٢)

أو المشبه هو المقيد . كما فى قول الشاعر

كأن فجاج الأرض وهى عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل (٣)

والمركبان كقول الشاعر

البدر منتقب بغيم أبيض هو فيه بين تفجر وتبلج
كتنفس الحسناء فى المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

والمختلفان ـ والمشبه مفرد . كقوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) ـ وكقول الشاعر

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

أو المشبه به مفرد . كقول أبي الطيب المتنبى

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها فى نفوسهم شيم

شبه إشراق الأعراض والوجوه باشراق الشيم (الأخلاق الطيبة) فاشراق الوجوه ببياضها ، واشراق الأعراض بشرفها وطيبها

---

(١) يريد أن النبات لكثرته وتكاثفه مع شدة خضرته ، قارب لونه السواد . وانتقص من ضوء الشمس ، حتى كأنه ليل مقمر . فشبه النهار المشمس الذى قد خالطه زهر الربا ، بالليل المقمر ـ والأول مركب ـ والثانى مفرد مقيد .

(٢) العيس . كرام الابل وقيل : الابل البيض ، يخالط بياضها شقرة أوظلمة خفية . والاطلال جمع طلل وهو الشاخص من آثار الديار . والرسم ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الديار . وأخلاق . جمع خلق (بفتح اللام) وهو الثوب البالى . والمسلسل . الرقيق ـ من تسلسل الثوب لبس حتى رق

(٣) الفجاج جمع فج الطريق الواسع الواضح بين جبلين . والكفة: مايصاد به (الشبكة) والحابل الصياد

فكم معنى بديع تحت لفظ هنـــاك تزاوج كل ازدواج

ثالثا ـ التشبيه ينقسم باعتبار طرفيـــه إلى (١) ملفوف . وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولا على طريق العطف، أو غيره ، ثم بالمشبهات بها كذلك ـ كقول الشاعر

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخـــد

شبه الليل بالشعر . والبدر بالوجه ، والغصن بالقد ، فى البيت الأول ، والخمر بالريق ، والدر بالثغر ، والورد بالخد ، فى البيت الثانى. وقد ذكر المشبهات أولا ـ والمشبهات بها ثانيا كما ترى فى نظم الشاعر

(٢) وإلى مفروق . وهو ما أتى فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر كقول أبى نواس

تبكى فتذرى الدر من نرجس وتمسح الورد بعناب

شبه الدمع بالدر لصفائه. والعين بالنرجس، لما فيه من اجتماع السواد بالبياض والوجه بالورد

رابعا ـ ينقسم التشبيه أيضا باعتبار طرفيه إلى

(١) تشبيه التسوية . وهو ما تعدد فيه المشبه ـ كقول الشاعر

صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليـــالى
وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى (١)

شبه فى الأول صدغ الحبيب وحاله هو . بالليالى فى السواد . وفى الثانى شبه ثغر الحبيب ودموعه ، باللآلى فى القدر والاشراق

(٢) تشبيه الجمع . وهو ما تعدد فيه المشبه به كقول البحترى

بات نديما لى حتى الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح
كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح (٢)

شبه ثغره ثلاثة أشياء باللؤلؤ، والبرد، والاقاح ـ وقد تقدم الكلام على هذه الأقسام

---

(١) الصدغ بضم الصاد) ما بين العين والأذن . والشعر المتدلى على هذا الموضع هو المراد هنا ، والثغر يطلق على الفم ، وعلى الأسنان فى منابتها ـ والمراد الثانى

(٢) الأغيد. الناعم البدن ، والمجدول . المطوى غير المسترخى ـ والمراد لازمه وهو ضامر البطن والخاصرتين ، والوشاح شبه قلادة ينسج من جلد عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة فى وسطها أو على المنكب الأيسر معقودا تحت الأبط الأيمن للزينة . والمنضد . المنظم . والبرد . حب الغمام . والاقاح بفتح الهمزة وضمها نبات له زهر أبيض ، فى وسطه كتلة صغيرة صفراء . وأوراق زهره مفلجة صغيرة ، واحدته أقحوانة . (بضم القاف)

كراح في زُجاج أو كروح سرت في جسم معتدل المزاج

ألخدُّ وردٌ والعذار رياض والطرفُ ليلٌ والبياض نهارُ

العمرُ . والإنسان . والدنيا همو كالظلّ في الإقبال والإدبار

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه (١)

خُودٌ كأنّ بنانها في خُضرة النقش المُزَرّدْ (٢)

سمكٌ من البلّور في شَبَك تكوّن من زَبَرْجَدْ

كأنّ قلوبَ الطير رَطباً ويابساً (٣) لدى وكرها العنّابُ والحشَفُ البالي

مَن يصنع الخيرَ مع من ليس يعرفُه كواقد الشمع في بيت لعميان (٤)

المبحث الرابع

في تقسيم التشبيه باعتبار وَجه الشّبه

وَجه الشّبه : هو الوصف الخاص (٥) الذى يُقصد اشتراك الطرفين فيه

---

(١) شبهت هيئة السيوف الحاصلة من علوها ونزولها بسرعة في وسط الغبار بهيئة كواكب تساقط في ليل مظلم

(٢) اى ان أصابعها المعبر عنها بالبنان قد نقش عليها بالوشم ماهو كالشبك الزبرجدى : أي المحيط ببياض أصابعها التي هي كالبلور - فالمفردات كل واحد منها يدرك بالحس - والمركب غير موجود

(٣) يريد الشاعر وصف العقاب بكثرة اصطياده الطيور - فشبه الطرى من قلوب الطير بالعناب - واليابس منها بالحشف البالى والعناب شجر له حب كحب الزيتون . وأحسنه الأحمر الحلو

(٤) ففيه التشبيه الملفوف حيث جمع في الشطر الأول صنيع الخير . ومعرفته، وهما متلازمان - ثم أتى في الشطر الثاني بالمشبه بها أعني وقود الشمع والنظر إلى نوره

(٥) إما «حقيقة» : كالبأس في قولك «زيد كالأسد» وإما «تخيلا» كما في قوله

يا من له شعر كحظى أسود جسمي نحيل من فراقك اصفر

فان وجه الشبه فيه بين الشعر والحظ هو السواد . وهما يشتركان فيه - لكنه

كالكرم فى نحو : خليل كحاتِم ، ونحو : له سِيرةٌ كالمسك ، وأخلاقهُ كالعنبر :
واشتراك الطرفين قد يكون ادّعائياً بتنزيل التّضاد منزلة التّفاسب
وإبراز الخسيس فى صورة الشريف تهكما أو تمليحاً ويظهر ذلك من المقام

= يوجد فى المشبه تحقيقا. ولا يوجد فى المشبه به إلا على سبيل التخبيل لأنه ليس من ذوات الألوان : ثم اعلم أن وجه الشبه — إما داخل فى حقيقة الطرفين وذلك كما فى تشبيه ثوب بآخر ، فى جنسهما او نوعهما او فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذلك فى كونهما كتانا او قطناً - وإما خارج عن حقيقتهما وهو ما كان صفة لها «حقيقة» وهى قد تكون حسية كالحمرة فى تشبيه الخد بالورد ، وقد تكون عقلية كالشجاعة فى تشبيه الرجل بالأسد — او «إضافية» وهى ماليست هيئة متقررة فى الذات ، بل هى معنى متعلقاً بها كالجلاء فى تشبيه البينة بالصبح . ثم ان وجه التشبيه قد يكون واحداً وقد يكون بمنزلة الواحد «لكونه مركبا من متعدد» وقد يكون متعدداً — وكل من ذلك قد يكون حسيا وقد يكون عقليا .

« أما الواحد » فالحسى منه كالحمرة فى تشبيه الخد بالورد ، والعقلى كالنفع فى تشبيه العلم بالحياة

« وأما المركب » : فالحسى منه قد يكون مفرد الطرفين ، كما فى قوله

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التئام الحبب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم . وكلا الطرفين مفرد ، وهما الثريا والعنقود . وقد يكون مركب الطرفين كما فى قوله

والبدر فى كبد السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع صورة بيضاء مشرقة مستديرة فى رقعة زرقاء مبسوطة . وكلا الطرفين مركب أولها من البدر والسماء — والثانى من الدرهم والديباجة . وقد يكون مختلف الطرفين كقوله

وحدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقطا بالعنبر

فان وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انبساط رقعة حمراء قد نقطت بالسواد منثوراً عليها . والمشبه مفرد وهو الشقيق والمشبه به مركب من الارجوان والعنبر . وكقوله

=

وينقسم التشبيه باعتبار وَجه الشبه إلى

(١) تشبيه تمثيل — وهو ما كان وَجه الشَّبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدِّد: — حِسيًّا كان أو غير حِسى، كقوله:

وما المرء إلا كالشِّهاب وَضوئِه ... يُوافى تَمـــام الشَّهر ثم يَغيب

= لا تعجبوا من خاله فى خده ... كل الشقيق بنقطة سوداء

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطة سوداء مستديرة فى وسط رقعة حمراء مبسوطة. والمشبه مركب من الخال والخد، والمشبه به مفرد وهو الشقيق والعقلى من المركب كما فى قوله.

المستجير بعمر عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضار إلى ماهو أضر منه طمعا فى الانتفاع به — ووجه الشبه مركب من هذه المتعددات فى الجميع، والرمضاء الأرض التى اسخنتها حرارة الشمس الشديدة، والمراد «بعمرو» هنا هو جساس ابن مرة البكرى، يقال أنه لما رمى كليب بن ربيعة التغلبى وقف على رأسه فقال له: «ياعمرو» أغثنى بشربة ماء — فأتم قتله

وأما المتعدد — فالحسى منه كما فى قوله

مهفهف وجنتـــاه ... كالخمر لونا وطعما

والعقلى: كالنفع والضرر فى قوله

طلق شديد البأس راحته ... كالبحر فيه النفع والضرر

فان وجه الشبه فيهما متعدد وهو اللون والطعم فى الأول — والنفع والضرر فى الثانى — وقد يجىء المتعدد مختلفا كما فى قوله

هذا أبو الهيجاء فى الهيجاء ... كالسيف فى الرونق والمضاء

فان وجه الشبه فيه هو الرونق وهو حسى — والمضاء وهو عقلى. وأبو الهيجاء لقب عبد الله بن حمدان العدوى، والهيجاء من أسماء الحرب

واعلم أن الحسى لا يكون طرفاه إلا حسيين — وأما العقلى: فلا يلزمه كونهما عقليين — لأن الحسى يدرك بالعقل، خلافا للعقلى فانه لا يدرك بالحس

فوجهُ الشَّبه سُرْعَة الفناء — انتزعهُ الشاعر من أحوال القمر المتعدّدة إذ يَبدُو هلالاً ، فيصير بدراً ، ثم ينقصُ ، حتى يُدركه المحَاق

ويسمّى تشبيه التَّمثيل

(٢) وتشبيه غيرُ تمثيل — وهو ما لم يكن وَجْهُ الشَّبه فيه صورةً مُنتزعة من مُتعدد ، نحو : وَجهه كالبدر ، وكقول الشاعر :

لا تَطْلُبَنَّ بآلة لكَ رُتبـــةً قَلَمُ البليغ بغير حظٍ مِغزَلُ

فوجه الشبه قلّة الفائدة ، وليس مُنتزعاً من مُتعدد

(٣) ومُفصَّلٌ ـ وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ، أو ملزومه ، نحو : طبعُ فريدٍ كالنسيم رِقّة ، ويده كالبحر جوداً ، وكلامه كالدُّر حسناً ، وألفاظه كالعسل حلاوة . وكقول ابن الرّومى :

شبيهُ البدر حُسناً وضياءً ومَنالاً وَشبيهُ الغُصْنِ لِيناً وقواماً واعتدالاً

(٤) ومُجمل ـ وهو ما لايذكر فيه وجه الشبه ، ولا ما يستلزمه ـ نحو : (النحو فى الكلام كالملح فى الطعام) فوجه الشبه هو الإصلاح فى كل

وكقوله إنّما الدنيا كبيتٍ نسجهُ منْ عنكبوت

واعلم أنّ وجه الشبه المجمل : إمّا أن يكون خفياً وإمّا أن يكون ظاهراً ومنه ما وُصف فيه أحد الطرفين أو كلاهما بوصف يُشعر بوجه الشبه

ومنه ما ليس كذلك

(٥) وقريبٌ مُبتذلٌ ـ وهو ما كان ظاهرَ الوجه يَنْتَقِلُ ـ فيه الذّهن من المُشبَّه إلى المُشبّه به ، من غير احتياج إلى شدّة نظر وتأمُّل ، لظهور وجهه بادىء الرَّأى

وذلك لكون وجهه لا تفصيل فيه : كتشبيه الخدّ بالورد فى الحُمرة ، أو لكون وجهه قليل التَّفصيل ، كتشبيه الوجه بالبدر ، فى الإشراق والاستدارة ، والعيون بالنرْجس ،

وقد يُتصرَّف فى القريب بما يُخرجه عن ابتذاله إلى الغَرابة ، كقول الشاعر :

لم تلقَ هذا الوجه شمسُ نهارِنا　　إلاّ بوجهٍ ليس فيه حَياء

فان تشبيه الوجه الحسن ، بالشمس : مُبتذل ، ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغَرابة

وقد يخرج وجهُ الشَّبه من الابتذل إلى الغرابة : وذلك بالجمع بين عِدَّة تشبيهات — كقول الشاعر :

كأنَّما يبسِم عن لؤلؤ　　مُنضَّد أوْ بَرَدٍ ، أوْ أقاح

أو باستعمال شرط — كقوله

عزماته مثلُ النّجوم ثواقِباً　　لو لم يكن للثّاقِبات أُفولُ

(٦) وبعيدٌ غريبٌ — وهو ما أُحتاج فى الانتقال من المشبه إلى المشبه به ، إلى فكر وتدقيق نظَر ، لخفاء وجهه بادىء الرَّأى — كقوله

والشّمس كالمِرْآة فى كفّ الأشَل

(فان الوجه فيه) هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق ، والحركة السّريعة المتّصلة مع تموُّج الإشراق ، حتى ترى الشّعاع كأنه يهمّ بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض

وحكم وجه الشّبه — أن يكون فى المُشبه به أقوى منه فى المشبه — وإلاَّ فلا فائدة فى التشبيه .

تمرين

بيِّن أركان التشبيه وأقسامَ كلٍّ منها فيما يلى

(١) ومكلّفُ الأيام ضدَّ طباعها　　مُتطلبٌ فى الماء جَذْوةَ نار

(٢) والدهر يقرعني طوراً وأقرعه كأنه جبلٌ يهوى إلى جبل (١)

---

(٣) فان أغش قوماً بعده أو أزورهم فكالوحش يدنيها من الأنس المحْل (٢)

---

(٤) الشمس من مشرقها قد بدت مُشرقةً ليس لها حاجب (٣)

كأنها بُوتقةٌ أُحمِيَتْ يجول فيها ذهب ذائب

---

(٥) قالت أعرابية تصف بنيها « هم كالحَلَقةِ المُفرغة لا يُدْرَى أين طرفاها »

(٦) عزماتُهم قُضُبٌ وَفيض أكفهم سُحُبٌ وبِيضُ وجوههم أقمارُ (٤)

(٧) قال علي: كرّم الله وجهه « مَثَلُ الذي يَعلمُ الخيرَ ولا يعمل به مَثَلُ السّراج يُضيء للناس ويحرق نفسه »

(٨) قال صاحبَ كليلة ودِمْنة . الدُّنيا كالماء الملح ، كلّما ازددت منه شُرْباً ازددت عطشاً

(٩) فانهض بنارٍ إلى فحمٍ كأنهما في العين ظُلمٌ وإنصافٌ قد اتفقا

(١٠) وتَراه في ظُلَم الوغى فتخاله قمرا يكُرّ على الرجال بكوكب (٥)

(١١) كأنّ الثُّريّا في أواخر ليلها تفتّح نَوْر أو لجامٌ مُفضَّضُ

(١٢) كأنّ الدّموع على خدّها بقيّةُ طَلٍّ على جُلّنارِ (٦)

(١٣) صَحْوٌ وَغَيم وضياءٌ وظُلَمْ مثل سُرور شَابَهُ عارض غَمّ

---

(١) يقرع : يضرب

(٢) الانس محركة : من تأنس به جمعه آناس. ولغة في الانس بالكسر، والمحل الجدب

(٣) الحاجب المانع والبوتقة الوعاء الذي يذيب فيه الصائغ الذهب

(٤) قضب جمع قضيب وهو السيف القطاع

(٥) الكوكب هنا السيف

(٦) الطل المطر الضعيف والجلنار زهر الرمان واحدته جلناره (فارسي معرب)

المبحث الخامس

فى تشبيه التمثيل

تشبيه التمثيل : أبلغُ من غيره ، لما فى وجهه من التفصيل الذى يحتاجُ إلى امعان فكر ، وتدقيق نظر ، وهو أعظم أثراً فى المعانى : يرفع قدرها . ويُضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ، فان كان مدحاً كان أوقع . أو ذمّا كان أوجع . أو بُرهانا كان أسطع . ومن ثمّ يحتاجُ إلى كدّ الذّهن فى فهمه ، لاستخراج الصُّورة المُنتَزَعة من أمورٍ مُتعدِّدة ، حسّيَّة كانت أو غير حسيّةٍ ، لتكون (وَجه الشّبه) ـ كقول الشاعر :

ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها مرآة تِبرٍ بدت فى كفّ مُرتعش

فمثّل الشّمس : حين تطلع حمراء لامعـــة مضطربة ، بمرآة من ذهب تضطرب فى كفّ ترتعش .

وتشبيه التمثيل نوعان :

الأول : ما كان ظاهر الأداة ، نحو : (مَثل الذينَ حُمِّلوا التوْراةَ ثم لم يَحمِلوها كَمَثَلِ الحمار يَحْمِلُ أسْفَاراً) فالمشبه : هم الذين حُمّلوا التوراة ولم يعقلوا ما بها : والمشبه به (الحمار) الذى يحمل الكتب النافعة ، دون استفادته منها ، والأداة الكاف ، ووجه الشبه (الهيئة الحاصلة من التعب فى حمل النافع دون فائدة)

الثانى : ما كان خَفِيّ الأداة : كقولك للذى يتردّد فى الشىء بين أن يفعله ، وألاّ يفعله (أراك تُقدِّم رجلا وتُؤخر أخرى) — إذ الأصل : أراك فى تَردّدك مثل من يُقدم رجلا مرة ، ثم يؤخرها مرة أخرى .

فالأداة محذوفة . ووجه الشّبه هيئة الإقدام والاحجام المصحوبين بالشكّ .

مواقع تشبيه التمثيل

لتشبيه التمثيل موقعان :

(١) أن يكون فى مُفتتح الكلام ، فيكون قياساً مُوضحاً ، وبُرهاناً مُصاحباً . وهو كثير جدًّا فى القرآن ، نحو : (مثَلُ الذين يُنفقون أموالَهم فى سَبيلِ الله كمَثَلِ حَبَّةٍ أنبتت سبعَ سنابلَ فى كلِّ سُنْبُلةٍ مائة حبَّةٍ)

(٢) ما يجىء بعد تمام المعانى ، لإيضاحها وتقريرها ، فيُشبه البُرهان الذى تَثبُت به الدَّعوَى ، نحو :

وما المالُ والأهلونَ إلا وَدائع ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

ونحو : لا ينزلُ المجدُ إلا فى مَنازلنا كالنوم ليس له مأوَى سوى المُقَلِ

تأثير تشبيه التمثيل فى النفس

إذا وقَع التَّمثيلُ فى صدْر القول . بعث المعنى إلى النفس بوضوح وَجلاء مؤيَّدٍ بالبُرْهان ، ليقنع السَّامعُ — وإذا أتى بعد استيفاء المعانى كان

(١) إمَّا دليلا على إمكانها . كقول المتنبى :

وما أنا منهُـــمُ بالعيش فيهم ولـكن معدن الذَّهب الرَّغام[١]

(٢) وإمَّا تأييداً للمعنى الثابت ، نحو :

ترجو النَّجاة ولم تَسلك مسالكها إنَّ السَّفينة لا تَجرى على اليَبَس

وعِلَّة هذا : أنَّ النَّفس تأنَسُ إذا أخرجتها من خفِيٍّ إلى جَليٍّ ؛ وممَّا تجهلُه إلى ما هى به أعلم .

---

(١) لما ادعى أنه ليس منهم مع إقامته بينهم ، وكان ذلك يكاد يكون مستحيلا فى مجرى العادة ، ضرب لذلك المثل بالذهب فان مقامه فى التراب ، وهو أشرف منه

ولذا تجدُ النفس من الأريحيّة ما لا تقدُرُ قدرَهُ ، إذا سمعتْ قول أبي تمام :

وطُول مُقام المرءِ في الحيّ مُخلِقٌ لديباجتيهِ فاغتربْ تتجدَّدِ[1]
فإنّي رأيتُ الشمس زِيدتْ محبّةً إلى الناس أنْ ليستْ عليهم بسَرمدِ

وبعدُ . فالتمثيل يُكسب القول قوّةً ، فإن كان في المدح كان أهزّ للعطف ، وأنبلَ في النّفس ، وإنْ كان في الذّم كان وقعهُ أشدّ ، وإن كان وعظاً كان أشفَى للصدر . وأبلغ في التّنبيه والزّجر ، وإن كان افتخاراً كان شأوهُ أبعَد ، كقول مَن وصفَ كأساً علاها الحباب

وكأنّها وكأنّ حاملَ كأسها إذ قام يجلوها على النُّدماءِ
شمسُ الضّحى رقصتْ فنقّطَ وجهَها بدرُ الدّجى بكواكبِ الجوزاءِ

المبحث السادس

في أدوات التشبيه[2]

أدوات التّشبيه — هي ألفاظٌ تدلُّ على المُماثلة ، كالكاف ، وكأنّ ومِثل ، وشِبه ، وغيرها ، مما يُؤدّي معنى التّشبيه : كيحكي ، ويُضاهي ويُضارع ، ويُماثل ، ويُساوِي ، ويُشابِه ، وكذا أسماء فاعلها

فأدوات التشبيه بعضها : اسم ، وبعضها فِعلٌ ، وبعضها حرف

وهي إمّا ملفوظة ، وإمّا ملحوظة ، نحو فاروق كالبدر ، وأخلاقه في الرّقة النّسيم ، ونحو : اندفع الجيش اندفاع السّيل ، أي كاندفاعه

(١) الديباجتان الخدان ، والسرمد الدائم

(٢) (التشبيه) يفيد التفاوت ، وأما (التشابه) فيفيد التساوي بلفظ تشابه . وتماثل وتشاكل ، وتساوى ، وتضارع ، وكذا بقولك : كلاهما سواء - لا بما كان له فاعل ومفعول به : مثل شابه ، وساوى ، فإن في هذا الحاق الناقص بالزائد

والأصل فى الكاف ، ومثل ، وشبه ، من الأسماء المضافة لما بعدها يليها المشبه به لفظاً (١) أو تقديراً

والأصلُ فى كأنّ ، وشَابَه ، ومَاثَل ، وما يُرادفها، أن يليها المشبه ، كقوله :

كأنّ الثريا راحةٌ تَشبر الدجى لِتنظر طال الليل أمْ قد تعرّضا

وكأنّ — تُفيد التّشبيه : إذا كان خبرُها جامداً ، نحو : كأنّ البحر مرآة صافية

وقد تفيدُ الشّكّ : إذا كان خبرُها مُشتقاً ، نحو : كأنك فاهم — وكقوله :

كأنّكَ مِن كلّ النفوس مُركّبٌ فأنتَ إلى كل النّفوس حَبيب

وقد يغنى عن أداة التشبيه « فعلٌ » يدلُ على حال التشبيه ، ولا يعتبر أداة .

فان كان « الفعلُ لليقين » ـ أفاد قُربَ المشابهة ، لِما فى فعل اليقين من الدّلالة على تيقّن الاتحاد وتحقّقه ، وهذا يُفيد التشبيه مبالغة — نحو : « فلما رأوْهُ عارضاً مُستقبِل أوْدِيَتهم قالوا هذا عارضٌ مُمْطِرُنا »

ونحو : رأيت الدُّنيا سَراباً غرّاراً

وإن كان « الفعل للشّك » أفاد بُعدَها : لما فى فعل الرّجحان من الإشعار

---

(١) وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركبا ـ أى هيئة منتزعة من متعدد وذكر بعد الكاف بعض ما تنتزع منه تلك الهيئة كقوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح) فان المراد تشبيه حال الدنيا فى حسن نضارتها وبهجة روائها فى المبدأ وذهاب حسنها وتلاشى رونقها شيئاً فشيئاً فى الغاية، بحال النبات الذى يحسن من الماء ، فتزهو خضرته . ثم ييبس شيئاً فشيئاً ، ثم يتحطم فتطيره الرياح . فيصير كأن لم يكن شيئاً مذكوراً ، بجامع الهيئة الحاصلة فى كل من حسن وإعجاب ومنفعة يعقبها التلف والعدم

بعدم التحقق ، وهذا يفيد التشبيه ضعفاً — نحو : « وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لؤْلُؤاً مَنْثُوراً » وكقوله :

قَوْمٌ إذا لبسوا الدُّرُوعَ حَسِبْتَها سُحباً مزرَّدَةً على أقمارِ

ونحو : قوله تعالى « حُورٌ عِينٌ كأمثال اللؤلؤ المكنون »

ونحو : قوله تعالى « وله الجوارِ المُنشآت فى البحر كالأعلام » وكقول الشاعر :

والوجه مثلُ الصبح مُبْيَضٌّ والفرع مثل الليل مُسْوَدّ

ضِدّان لما استجمعا حَسُنَا وَالضدُّ يُظْهِرُ حُسنهُ الضدُّ

المبحث السابع

فى تقسيم التشبيه باعتبار أداته

ينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى :

« ا » التشبيه المُرسَل[1] ـ وهو ما ذكرت فيه الأداة ، كقول الشاعر :

إنما الدنيا كبيتٍ نَسْجُهُ من عنكبوت

«ب» التشبيه المؤكد — وهو ما حُذفت منه أداته ، نحو : يسجع سجعَ القُمْرِى — وكقول الشاعر

أنتَ نجمٌ فى رفعةٍ وضياءٍ تجتليكَ العيون شرقاً وغرباً

ومنَ المؤكد : ما أُضيف فيه المشبه به إلى المشبه ، كقول الشاعر :

وَالريح تَعْبَثُ بالغصون وقد جرَى ذَهبُ الأصيلِ على[2] لُجَينِ الماء

أى أصيلٌ كالذهب على ماء كاللُّجين

والمؤكد أوجزُ ، وأبلغ ، وأشدّ وقعاً فى النفس

---

(١) وسمى مرسلا : لارساله عن التأكيد

(٢) الأصيل الوقت بين العصر إلى المغرب ـ واللجين الفضة

بـ أمّا أنه أوجز فلحذف أداته ، وأمّا أنه أبلغ فلإيهامه أنّ المشبه عين المشبه به .

التشبيه البليغ

« ج » التّشبيه البليغ — ما بلغ درجة القبول لحسنه . أو الطّيب الحسن فكلّما كان وجهُ الشبه قليل الظهور ، يحتاج فى إدراكه إلى إعمال الفكر كان ذلك أفعل فى النفس : وأدعى إلى تأثُّرها واهتزازها ، لِما هو مركوز فى الطبع ، من أنّ الشيء إذا نِيلَ بعد الطلب له . والاشتياق إليه . ومُعاناة الحنين نحوه ، كان نَيْلُه أحلى ، وموقعه فى النفس أجلّ وألطف ، وكانت به أضنّ وأشغف ، وما أشبه هذا الضرب من المعانى ، بالجوهر فى الصّدف ،لا يبرز إلا أن تَشُقَّهُ عنه ، وبالحبيب المُتحجِّب لا يُريك وجْهَه ، حتى تَستأذنَ

وسبب هذه التّسمية : أنّ ذكر (الطّرفين) فقط ، يوهم اتحادهما ، وعدم تفاضلهما ، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به ، وهذه هى المبالغة فى قوّة التّشبيه

والتّشبيه البليغُ — هو ما حُذفت فيه أداة التّشبيه ، ووجه الشبه[1] ، نحو

فاقضُوا مآرِبكم عِجالاً إنّما أعمارُكم سفَرٌ منَ الأسفارِ

ونحو : عزَماتهم قضبٌ وفيضُ أكُفهِم سُحُبٌ وبِيضُ وجوهِهم أقمار

المبحث الثامن

فى فوائد التّشبيه

الغرض من التّشبيه والفائدة منه ، هى الإيضاح والبيان « فى التشبيه غير المقلوب » ويرجع ذلك الغرض إلى المُشبّه — وهو — إمّا

---

(١) ومن التشبيه البليغ أن يكون المشبه به مصدراً مبيناً للنوع نحو : أقدم الجندى إقدام الأسد، وراغ المدين روغان الثعلب، ومنه أيضا إضافة المشبه به للمشبه، نحو لبس فلان ثوب العافية ، ومنه أيضا أن يكون المشبه به حالا نحو : حمل القائد على أعدائه أسداً

(١) بيانُ حاله – وذلك حينما يكون المُشبه مبهماً غيرَ معروف الصفة التى يُرادُ إثباتها له قبل التشبيه ، فيفيده التشبيه الوصف ، ويُوضّحه المشبه به ، نحو شجر النارنج كشجر البرتقال وكقول الشاعر :

إذا قامت لحاجتها تَثَنّتْ كأنّ عِظامَها من خيزُرانِ

(شبّه عظامها بالخيزران بياناً لما فيها من اللّين[1])

(٢) أو بيانُ إمكان حاله – وذلك حين يسند إليه أمرٌ مُستغربٌ لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له ، معروفٍ واضح مسلّم به ، ليثبُتَ فى ذهن السامع ويقرّر – كقوله :

وَيلاهُ إن نظرتْ وإن هى أعرضتْ وقعُ السّهام ونزعُهنّ أليمُ

(شبّهَ نظرَها : بوقعِ السهام ، وشبّهَ إعراضها بنزعها : بياناً لإمكان إيلامها بهما جميعاً)

(٣) أو بيانُ مقدار حال المشبّه فى القوّة والضّعف ، وذلك إذا كان المشبّه معلوماً ، معروفَ الصفة التى يراد إثباتها له معرفة إجمالية قبل التشبيه بحيث يراد من ذلك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة وذلك بأن يَعْمدَ المتكلّم لأن يُبيّن للسامع ما يَعنيه من هذا المقدار كقوله :

كأنّ مشيتها من بَيتِ جارتِها مرُّ السّحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وكتشبيه : الماء بالثّلج ، فى شدّة البُرودة – وكقوله .

فيها اثنتان وأربعونَ حلوبَةً سُوداً كخافيةِ الغُرابِ الأسحَمِ

---

(١) والتشبيه لهذا الغرض يكثر فى العلوم والفنون لمجرد البيان والايضاح، فلا يكون فيه حينئذ أثر للبلاغة لخلوه من الخيال وعدم احتياجه إلى التفكير ،ولكنه لا يخلو من ميزة الاختصار فى البيان وتقريب الحقيقة إلى الأذهان، كقولهم : الأرض كالكرة

(شبّه النياق السُّود ، بخافية الغُراب ، بياناً لمقدار سوادها ، فالسواد صفة مُشتركة بين الطرفين .

(٤) أو تقرير حال المشبه ، وتمكينه فى ذهن السامع ، بابرازها فيما هى فيه أظهر[١] ، كما إذا كان ما أُسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح فتأتى بمشبه حسّى قريبَ التصوّر ، يزيد معنى المشبه إيضاحاً ، لِمَا فى المشبه به من قُوة الظّهور والتمام ، نحو : هل دَولة الحسن إلا كدولة الزَّهَر ، وهل عُمر الصِّبا إلا أصيلٌ أو سَحَر ، وكقوله :

إنّ القلوبَ إذَا تنافر وُدُّها مثل الزّجاجة كسرها لا يُجبرُ[٢]

(شبّه تنافرَ القلوب ، بكسر الزجاجة ، تثبيتا لتعذُّر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأُنس والمودّة)

(٥) أو بيان إمكان وجود المشبه ، بحيث يَبدُو غَريباً يُستَبعدحدُوثه والمشبه به يزيل غرابته ، ويُبيِّن أنه ممكنُ الحصول ، كقوله :

فان تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم فانّ المسك بَعضُ دَمِ الغزَالِ[٣]

---

(١) ويكثر فى تشبيه الأمور المعنوية بأخرى تدرك بالحس : نحو التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر

(٢) تنافر القلوب وتوادها من الأمور المعنوية ، ولكن الشاعر نظر إلى ما فى المشبه به من قوة الظهور والتمام . فانتقل بالسامع من تنافر القلوب الذى لا ينتهى إذا وقع ، إلى كسر الزجاجة الذى لا يجبر إذا حصل ، فصور لك الأمر المعنوى بصورة حسية .

(٣) أى أنه لا استغراب فى فوقانك للانام مع أنك واحد منهم ـ لأن لك نظيراً وهو (المسك) فانه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء ـ ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيها ضمنيا ـ والتشبيه الضمنى هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به فى صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمحان فى التركيب لافادة أن الحكم الذى أسند إلى المشبه ممكن ، نحو : المؤمن مرآة المؤمن

(٦) أو مدحه وتحسين حاله، ترغيباً فيه. أو تعظيما له، بتصويره بصورة تهيّج في النفس قوى الاستحسان، بأن يعمد المتكلم إلى ذكر مشبه به مُعجب، قد استقرَّ في النفس حُسنه وحُبُّه فيصوِّر المشبه بصورته، كقوله

وزاد بك الحُسن البديع نضارة كأنك في وجه الملاحة خالُ

ونحو: كأنك شمس والملوك كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

وكقوله:

سبقت إليك من الحدائق وردة وأتتك قبـــل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك إذ رأتك فجمّعت فمَهَا إليـك كطالب تقبيلا

وكقوله: له خال على صفحات خد كنقطة عنبر في صحن مرمرْ
وألحاظ كأسياف تنادِي على عاصي الهوى الله أكبر

(٧) أو تشويه المشبه وتقبيحه، تنفيراً منه أو تحقيراً له، بأن تُصوِّره بصورة تمجّها النفس، ويشمئزّ منها الطبع. كقوله:

وإذا أشارَ مُحدِّثا فكأنه قردٌ يُقهقهُ أو عجوزٌ تلْطِمٌ

وكقوله:

وترى أناملَها دَبَّت على مِزمارِها كخنافسٍ دبّت على أوتارِ

(٨) أو استطرافه «أي عدُّه طريفاً حديثاً» بحيث يجيء المشبه به طريفاً، غيرَ مألوفٍ للذهن.

إمّا لابرازه في صورة الممتنع عادة، كما في تشبيه: فَحم فيه جمرٌ مُتقد ببحر من المسك مُوجه الذهب — وكقوله:

وكأنَّ مُحمرَّ الشقيـــق إذا تصوّب أو تصعّدْ
أعــلام ياقوت نُشر نَ على رماح من زبرجدْ

وإمَّا لِنُدُور حضُور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه ، كقوله :

أنظرْ إليه كزورقٍ من فِضَّةٍ قد أثقلته حُمولة من عَنبرِ [١]

تشبيه على غير طرقه الاصلية

التشبيه الضمنى

هو تشبيهٌ لا يُوضع فيه المُشبه والمشبَّه به ، فى صُورة من صُور التشبيه المعروفة ، بل يلمحُ المشبه والمشبه به ، ويُفهمانِ من المعنى ، ويكون المشبَّه به دائماً بُرهاناً على إمكان ما أُسنِد إلى المشبَّه ، كقول المتنبى

من يَهُنْ يَسهُلِ الهوانُ عليه ما لجُــرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

(أى إنَّ الذى اعتاد الهوان ، يَسهُل عليه تحمّله ، ولا يتألَّم له ، وليس هذا الادعاء باطلا ، لأنَّ الميت إذا جُرِح لا يتألَّم)

وفى ذلك تلميح بالتشبيه فى غير صراحة ، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل إنه (تشابُهٌ) يقتضى التساوى . وأما (التشبيه) فيقتضى التفاوت

---

(١) الحمولة ما يحمل فيه ويوضع والمقصد من التشبيه وجود شيء أسود داخل أبيض واعلم أن التشبيه يعود فيه الغرض إلى المشبه بكون وجه شبهه أتم وأعرف فى المشبه به ، منه فى المشبه . كما فى السكاكى . وعليه جرى أبو العلاء المعرى فى قوله (ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك) وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى - وشراح التلخيص اشترطوا الأعرفية ولم يشترطوا الأتمية . وفى المطول والأطول ما يلفت النظر - فارجع إليهما

التشبيه المقلوب

(٢) قد يُعكس التشبيه ، فيُجعل المشبه مُشبهاً به — وبالعكس [١] فتعود فائدته إلى المشبه به ، لادّعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه — ويسمى ذلك (بالتشبيه المقلوب [٢]) أو المعكوس — نحو : كأن ضوء النّهار جبينُهُ — ونحو : كأن نَشرَ الروضِ حُسنُ سيرته — ونحو : كأنّ الماء في الصفاء طباعُهُ — وكقول محمد بن وُهَيب الحِميري [٣]

---

(١) التشبيه المقلوب : ويسمى المنعكس ، هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به ، وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة ، وهذا النوع جار على خلاف العادة في التشبيه ، ووارد على سبيل الندور .

وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف كقول البحتري

في طلعة البدر شيء من محاسنها ... وللقضيب نصيب من تثنيها

والمتعارف تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور . والقامات بالقضيب في الاستقامة والتثني لكنه عكس ذلك مبالغة — هذا إذا أريد الحاق كامل بناقص في وجه الشبه . فان تساويا حسن العدول عن (التشبيه) إلى الحكم (بالتشابه) تباعداً واحترازا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، كقول أبي اسحاق الصابي

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي ... فمن مثل مافي الكأس عيني تسكب

فوالله ما أدري أبا لخمر أسبلت ... جفوني أم من عبرتي كنت أشرب

وكقول الصاحب بن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها وتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

(٢) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبي في كتاب حسن التوسل وسماه تشبيه التفضيل ، وهو أن يشبه شيء بشيء لفظا أو تقديراً ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به — كقوله

حسبت جمالها بدراً منيراً ... وأين البدر من ذاك الجمال

(٣) فالحميري أراد أن يوهم أن وجه الخليفة أتم من غرة الصباح اشراقا ونورا

وبَدا الصَّباحُ كأن غُرَّته ... وَجهُ الخليفة حين يُمتدَحُ

(شبه غُرَّة الصَّباح ، بوجه الخليفة ، إيهاماً أنه أتمّ منها فى وجه الشبه

وكقول البُحترى فى وصف بِرْكة المُتوكل :

كأنها حِين لجَّت فى تدفقها ... يَدُ الخليفة لمَّا سَالَ واديها(١)

وهذا التشبيه مَظهرٌ من مظاهر الافتِنان والإبداع ، كقوله تعالى حكاية عن الكفار (إنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) فى مقام أن الرِّبا مثلُ البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الرِّبا عندهم أحلّ من البيع ، لأن الغرض الربح وهو أثبتُ وجوداً فى الربا منه فى البيع ، فيكون أحقّ بالحِلّ عندهم .

المبحث الثامن

فى تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغَرض : إلى حَسَنٍ مقبول ، وإلى قَبيح مَردود

(١) فالحسَنُ المقبول - هو ما وفى بالأغراض السّابقة ، كأن يكون المشبه به أعرفَ من المشبه فى وجه الشبه ، إذا كان الغرضُ بيانَ حال المشبه ، أو بيانَ المِقدار . أو أن يكون أتمّ شيء فى وجه الشبه . إذا قصدَ الحاق النّاقص بالكامل ، أو أن يكون فى بيان الامكان مُسلّم الحكم ، ومعروفاً عند المخاطب ، إذا كان الفرض بيان إمكان الوجود ، وهذا هو الأكثر فى التشبيهات ، إذ هى جَارية على الرشاقة ، سَارية على الدقة والمبالغة ثُمّ إذا تساوى الطرفان فى وجه التشبيه عند بيان المقدار كان التشبيه كاملا فى القبول ، وإلا فكلما كان المشبه به أقرب فى المقدار إلى المشبه كان الشبه أقرب إلى الكمال والقبول .

---

(١) فالبحترى اراد أن يوهم أن يد الخليفة أقوى تدفقاً بالعطاء من البركة بالماء

(٢) والقبيح المردود ـ هو ما لم يَفِ بالغرض المطلوب منـــه ، لعدم وُجود وجهٍ بين المشبه والمشبه به ، أو مع وجوده لكنه بعيد .

تنبيهات

(الأول) بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض فى المبالغة ، ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة

« ا » (أعلاها) وأبلغها ما حذف فيها الوجه والأداة ، نحو : على أسد ـ وذلك انك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة ـ وادعيت التشابه بينهما فى كل شىء بحذف الوجه

ولذا سمى هذا تشبيها بليغا

« ب » (المتوسطة) ماتحذف فيها الأداة وحدها ، كما تقول (على أسد شجاعة) أو يحذف فيها وجه الشبه ـ فتقول على كالأسد . وبيان ذلك : أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه . فلم تدع للخيال مجالا فى الظن ، بأن التشابه فى كثير من الصفات ـ كما أنك بذكر الاداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به . ولم تترك بابا للمبالغة

« ج » (أقلها) ماذكر فيها الوجه والأداة ، وحينئذ فقدت المزيتين السابقتين

(الثانى) قد يكون الغرض من التشبيه حسنا جميلا . وذلك هو النمط الذى تسمو اليه نفوس البلغاء ، وقد أتوا فيه بكل حسن بديع ، كقول ابن نباتة فى وصف فرس أغر محجل

وكأنما لطم الصباح جبينه ... فاقتص منه فخاض فى أحشائه

وقد لا يوفق المتكلم إلى وجه الشبه ، أو يصل اليه مع بعد ـ وما أخلق مثل هذا النوع بالاستكراه وأحقه بالذم . لما فيه من القبح والشناعة ـ بحيث ينفر منه الطبع السليم

(الثالث) علم مما سبق أن أقسام التشبيه من حيث الوجه والأداة كالآتى

١ ـ التشبيه المرسل : هو ما ذكرت فيه الأداة

٢ ـ التشبيه المؤكد : هو ماحذفت منه الأداة

٣ ـ التشبيه المجمل : هو ما حذف منه وجه الشبه

٤ ـ التشبيه المفصل : هو ما ذكر فيه وجه الشبه

اسئلة تطلب اجوبتها

ما هو علم البيان لغة واصطلاحا ؟ ما هو التشبيه ؟ ما أركان التشبيه ؟ طرفاً التشبيه حسيان أم عقليان ؟. ما المراد بالحسي ؟ : ما هو التشبيه الخيالى ؟. — ما المراد بالعقلي ؟ — ما هو التشبيه الوهمى ؟. — ما هو وجه الشبه ؟— ما هى أدوات التشبيه ؟ . هل الأصل فى أدوات التشبيه أن يليها المشبه ، أو المشبه به ؟. — متى تفيد كأنّ التشبيه؟ماهو التشبيه البليغ ؟.

---

٥ ـ التشبيه البليغ : هو ماحذفت منه الأداة . ووجه الشبه(١) وهوأرقى أنواع التشبيه بلاغة : وقد تقدم الكلام عليه مستوفى

٦ ـ التشبيه الضمنى — هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه، والمشبه به، فى صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمح المشبه ، والمشبه به ، ويفهمان من المعنى : نحو

علا فما يستقر المال فى يده   وكيف تمسك ماء قنة الجبل

فالمشبه الممدوح ، وهو ضمير (علا) والمشبه به (قنة الجبل) ووجه الشبه ، عدم الاستقرار ، والأداة محذوفة أيضا

وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذى أسند إلى المشبه ممكن(٢)

---

(١) المراد : بالبليغ هنا ، ما بلغ درجة القبول لحسنه، أو المراد به اللطيف الحسن

(٢) كقوله . لا تنكرى عطل الكريم من الغنى . فالسيل حرب للمكان العالى أى لا تنكرى خلو الرجل الكريم من الغنى فان ذلك ليس عجبا . لأن قمم الجبال وهى أعلى الاماكن ، لا يستقر فيها ماء السيل ،فهاهنا يلمح الذكى تشبيها، ولكنه لم يضع ذلك صريحا ، بل أتى بجملة مستقلة .وضمنها هذا المعنى فى صورة برهان. فيكون هذا التشبيه على غير طرقه الأصليه ، بحيث يورد التشبيه ضمنا من غير أن يصرح به ؛ ويجعل فى صورة برهان على الحكم الذى أسند الى المشبه . كما سبق شرحه

وقد يراد إيهام أن المشبه والمشبه به متساويان فى وجه الشبه ، فيترك التشبيه ادعاء بالتساوى دون الترجيح

ما هو التشبيه الضمنى ؟ . ما هو التشبيه المرسل ؟ كم قسما للتشبيه باعتبار طرفيه ؟ كم قسما للتشبيه باعتبار تعدد طرفيه ؟ ما هو التشبيه الملفوف ؟ ما هو التشبيه المفروق ؟ ما هو تشبيه التسوية ؟ . ما هو تشبيه الجمع ؟ كم قسما للتشبيه باعتبار وجه الشبه ؟ ما هو تشبيه التمثيل ؟ . ما هو تشبيه غير التمثيل ! ما هو التشبيه المفصل ؟ . ما هو التشبيه المجمل ؟ كم قسما للتشبيه باعتبار الغرض منه .

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشتريت ثوبا أحمر كالورد — فى هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل — المشبه ثوبا . والمشبه به هو الورد . وهما حسيان مفردان . والأداة الكاف . ووجه الشبه : الحمرة فى كل — والغرض منه بيان حال المشبه

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا أتى الربيع أتاك النور والنور

فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة والنبت فيروزج والماء بلور

«الأرض ياقوتة» تشبيه بليغ مجمل . المشبه الأرض . والمشبه به ياقوتة — وهما حسيان مفردان . ووجه الشبه محذوف ، وهو الخضرة فى كل . والأداة محذوفة والغرض منه تحسينه . والجو لؤلؤة ، والنبت فيروزج «والماء بلور» كذلك وفى البيت كله تشبيه مفروق — لأنه أتى بمشبه ومشبه به ، وآخر وآخر

العمر والانسان والدنيا هو كالظل فى الاقبال والادبار

فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل . المشبه العمر والانسان والدنيا ، والمشبه به الظل والمشبه بعضه حسى ، وبعضه عقلى ، والمشبه به حسى . والكاف الأداة . ووجه الشبه الاقبال والادبار . والغرض تقرير حاله فى نفس السامع

كم نعمة مرت بنا وكأنها فرس يهرول أو نسيم سارى

فى البيت : تشبيه جمع مرسل مجمل . المشبه نعمة . والمشبه به فرس يهرول . أو نسيم سارى ، وهما حسيان . وكأن الاداة . ووجه الشبه السرعة فى كل . والغرض منه بيان مقدار حاله

ليل وبدر وغصن   شعر ووجه وقد

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف . المشبه شعر وهو حسى . والمشبه به ليل ، وهو عقلى ، والاداة محذوفة ، ووجه الشبه السواد فى كل ـ والغرض منه بيان مقدار حاله : وفى الثانى ـ المشبه وجه . والمشبه به بدر . وهما حسيان . ووجه الشبه الشبه الحسن فى كل . والاداة محذوفة ـ والغرض تحسينه . وفى الثالث المشبه قد . والمشبه به غصن . وهما حسيان . ووجه الشبه الاعتدال فى كل ، والاداة محذوفة ، والغرض بيان مقداره ـ هذا

وان شئت فقل هذا (تشبيه مقلوب) بجعل المشبه به مشبها ، والمشبه مشبها به لغرض المبالغة ، بأن تجعل الليل مشبها ، والشعر مشبها به

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى   كعنقود ملاحية حين نورا

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل ، المشبه هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة مستديره منيرة ـ والمشبه به هيئة عنقود العنب المنور ، والجامع الهيئة الحاصلة من اجتماع أجرام منيرة مستديرة فى كل ـ والاداة الكاف ، والغرض منه بيان حاله

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتى :

(١) الورد فى أعلى الغصون كأنه   ملك تحفّ به سراة جنوده

(٢) إذا ارتجل الخطاب بدا خليج   بفيـــه يمدّه بحر الكلام

كلام بل مدام بل نظـــام   من الياقوت بل حب الغمام

(٣) يا صاحبىّ تيقظا من رقدة   تُزرى على عقل اللبيب الأكيس

هذى المجرّة والنجوم كأنها   نهر تدفّق فى حديقة نرجس

(٤) وكأنّ الصبح لما   لاح من تحت الثريّا

ملك أقبل فى التـــا   ج يفدّى ويحيّـــا

(٥) إنما النفس كالزجاجة والعلـ   ـم سراج وحكمة الله زيت

فاذا أشرقت فانك حىّ   وإذا أظلمت فانك ميت

(٦) وغير تقيّ يأمر الناس بالتقى ... طبيبٌ يداوي الناس وهو مريض

(٧) إذا امتحن الدنيا لبيب تكشّفت ... له عن عدوّ في ثياب صديق

(٨) جمرة الخد أحرقت عنبر الخا ... لِ فمن ذلك العذارُ دخانُ

(٩) كالبدر من حيث التفتّ رأيته ... يهدي إلى عينيك نوراً كافيا

(١٠) وأشرقَ عن بِشرٍ هو النور في الضحا ... وصافى بأخلاقٍ هي الطلّ في الصبح

تمرين آخر

لبيان أنواع التشبيه: البليغ، والضمنى، والتمثيل، والمقلوب، والمؤكد والمفصّل، والمجمل.

(١) خلَط الشّجاعة بالحياء فأصبحا ... كالحُسن شِيبَ لمُغرمٍ بدلالِ

(٢) شقائقُ يحملنَ النّدى فكأنه ... دموعُ التّصابي في خُدودِ الخرائدِ

(٣) عذُبَ الفراقَ لنا قُبيلَ وَداعِنا ... ثمّ اجترَعناهُ كسمٍّ ناقعِ

فكأنّما أثرُ الدموعِ بخدّها ... طلٌّ تناثرَ فوقَ وَرْدٍ يانعِ[1]

(٤) وترى الغصونَ تميل في أوراقها ... مثلَ الوصائفِ في صُنُوفِ حريرِ

(٥) وحديقةٍ ينسابُ فيها جدولٌ ... طرِفي بِرَوْنَقِ حُسْنِهِ مَدْهُوشُ

يبدُو خيالُ غصونها في مائِهِ ... فكأنما هو مِعصَمٌ منقُوشُ

(٦) انظر إلى حُسْنِ تكوين السماء وقدْ ... لاحت كواكبُها والليلُ ديجُورُ

كأنها خيمةٌ ليست على عمَدٍ ... زرقاء قد رُصّعَتْ فيها الدنانيرُ

(٧) وقد سَفَرَ الدُّجى عن ضوءِ فجرٍ ... منيرٍ مثلما سفَرَ النقابُ

فخِلتُ الصبحَ في إثْرِ الثريّا ... بشيراً جاء في يدِهِ كتابُ

(٨) ولقد ذكرتك والنجوم كأنها ... دُرَرٌ على أرضٍ من الفيرُوزَجِ

يلمعْنَ مِنْ خللِ السَّحابِ كأنّها ... شررٌ تطايرَ من دُخانِ العرْفجِ

---

(١) الطل. الندى.

(٩) ونارنجةٍ بين الرياض نظرتُها ... على غُصُنٍ رطبٍ كقامة أغيدِ
إذا ميّلتْها الريحُ مالتْ كأُكْرَةٍ ... بَدَتْ ذهباً من صَولجانِ زُمُرُّدِ

(١٠) وحديقةٍ غنّاء ينتظم النَّدَى ... بفروعها كالدُّرِّ فى الأسلاكِ
والبدرُ يشرق من خِلال غصونها ... مثل المليح يُطِلُّ من شُبّاكِ

(١١) لو كنتَ تشهدُ ياهذا عشيّتنا ... والمُزْنُ يُسْكِبُ أحيانا وينحدرُ
والأرضُ مُصْفَرَّةٌ بالمزن كاسيةٌ ... أبصرت تِبراً عليه الدرّ ينتثرُ

(١٢) وللأقاحي قصورٌ كلها ذهبٌ ... من حولها شُرُفاتٌ كلها دُرَرُ

(١٣) كأنما النارُ فى تلهُّبِها ... والفحمُ من فوقها يغطّيها
زنجيّةٌ شبّكت أناملها ... من فَوْقِ نارنجةٍ لتخفيها

(١٤) والوَرْدُ فى شطِّ الخليج كأنه ... رَمَدٌ ألمَّ بمُقْلَةٍ زرقاءِ

(١٥) هذى المَجَرَّةُ والنجومُ كأنها ... نَهْرٌ تدَفّقَ فى حَديقةِ نَرْجِسِ

(١٦) أنظرْ إلى حُسْنِ هِلالٍ بدا ... يهتِك من أنوارِه الحِندِسا[1]
كمِنجَلٍ قد صِيغ من عسجَدٍ ... يحصُدُ من زَهرِ الدُّجى نَرْجِساً

(١٧) والبدرُ يُسْتَرُ بالغيوم ويَنْجَلى ... كتنفُّسِ الحسناء فى مِرآتها

(١٨) كأنّما الأغصان لما انثنتْ ... أمامَ بَدْرِ التّمِّ فى غَيْهَبِهْ
بنتُ مليكٍ خلْفَ شبّاكها ... تفرّجتْ منهُ على مَوْكِبِه

(١٩) كأنّ شُعاعَ الشمس فى كل غُدْوَةٍ ... على وَرَقِ الأشجارِ أولَ طالعِ
دنانيرُ فى كفِّ الأشلِّ يَضُمُّها ... لِقَبض فتهْوى من فُرُوجِ الأصابعِ

(٢٠) لئن بَسَطَ الزمانُ يَدَىْ لئيمٍ ... فصبراً للذى فعل الزمانُ
فقد تعلو على الرأسِ الذُّنابَى ... كما يعلو على النارِ الدُّخانُ

(٢١) دهرٌ علا قدرُ الوضيعِ بهِ ... وغدا الشريفُ يَحُطُّهُ شرفُهُ

---

(١) الحندس : الظلام .

كالبحرِ يرسبُ فيه لؤلؤه ... سُفلاً وتطفو فوقه جيفُهْ

(٢٢) لو أورقتْ من دمِ الأبطال سُمْرُ قناً ... لأورقتْ عندهُ سُمْرُ القنا الذُّبُلِ

إذا توجّهَ فى أولى كتائبه ... لم تفرقِ العين بين السَّهلِ والجبلِ

فالجيشُ يَنْفُضُ حولَيْهِ أسِنَّتَهُ ... نفضَ العُقابِ جناحيهِ من البللِ

(٢٣) لو كنت شاهدَنا عشيةَ أُنسِها ... والمُزْنُ يبكينا بعَيْنَيْ مُذْنِبِ

والشمسُ قد مدّتْ أديمَ شُعاعِها ... فى الأرض تجنحُ غيرَ أنْ لم تذهبِ

خلتَ الرَّذاذَ بُرادةً من فضةٍ ... قدْ غُرْبِلتْ من فوقِ نطعٍ مُذهبِ(١)

(٢٤) للهِ دولابٌ يفيضُ بسلسلٍ ... فى روضةٍ قد أينعت أفنانا

قد طارحتْهُ بها الحمائمُ شجوَها ... فيُجيبُها ويرجّعُ الألحانا

فكأنهُ دَنِفٌ(٢) يدورُ بمعهدٍ(٣) ... يبكي ويسألُ فيه عمّنْ بانا(٤)

ضاقتْ مجارى طرْفِه عن دمعِه ... فتفتّحت أضلاعُهُ أجفانا

(٢٥) أخرسُ ينبيك بإطراقِهِ ... عن كلِّ ما شئتَ من الأمْرِ

يُذْرِي على قرطاسه دمعهُ ... يُبدى لنا السرَّ وما يدْرِى

كعاشقٍ أخفى هواه وقد ... نمّتْ عليه عَبْرةٌ تجْرِى

(٢٦) الشمسُ من مشرقِها قد بدتْ ... مُشرقةً ليس لها حاجبُ

كأنها بُودقةٌ أُحمِيتْ ... يجول فيها ذهبٌ ذائبُ

(٢٧) قال الله تعالى: « واضرِبْ لهم مثلَ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناهُ من السماء فاختلَطَ بهِ نباتُ الأرضِ فأصبحَ هشيما تذرُوهُ الرياحُ »

(٢٨) إذا ما تردّى لأمةَ الحرب أرْعدَتْ ... حشا الأرضِ واستدمى الرماحَ الشوارع

---

(١) النطع: بساط من جلد (٢) الدنف: من برح به العشق

(٣) المعهد: المنزل الذى إذا نأى عنه القوم رجعوا إليه (٤) بان فارق

وأسفرَ تحت النقعِ حتى كأنَّه ‏ صباحٌ مشى فى ظلمة الليل ساطعُ

(٢٩) وكأنَّ أجرام السماء لوامعاً ‏ دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أزرقِ

(٣٠) قال الله تعالى « مَثَلُ الذين كفروا بربِّهم أعمالُهُمْ كرَمادٍ اشتدَّتْ به الريحُ فى يومٍ عاصف »

(٣١) وقال تعالى « والذين كفروا أعمالُهُمْ كسرابٍ بِقيعةٍ يحسَبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجِدْهُ شيئاً »

(٣٢) وقال تعالى « إنما مَثَلُ الحياةِ الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلَطَ به نباتُ الأرضِ مما يأكل الناسُ والأنعامُ حتى إذا أخذتِ الأرْضُ زُخْرُفها وازينتْ وظنَّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمْرُنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغْنَ بالأمس »

(٣٣) حمرُ السيوفِ كأنما ضرَبت لهم ‏ أيدى القيونِ صفائحا من عسجدِ
فى فِتيةٍ طلبوا غبارَك إنه ‏ رَهجٌ ترفَّع عن طريق السُّؤددِ
كالرُّمحِ فيه بِضعَ عشرةَ فقرةً ‏ منْقادة خلْفَ السِّنانِ الأصْيَدِ

(٣٤) خبِّريني ماذا كرِهتِ من الشَّيْـ ‏ ـبِ فلا عِلمَ لى بذنبِ المشيبِ
أضياءُ النهارِ أم وضحُ اللُّؤْ ‏ لؤِ أم كونه كثغرِ الحبيبِ
واذكرى لى فضلَ الشبابِ وما يجْـ ‏ ـمعُ من منظرٍ يروقُ وطيبِ
غدْرُه بالخليـل أم حبُّه للغـ ‏ ـىِّ أم أنه كدهرِ الأديبِ

(٣٥) والبدرُ أوَّلَ ما بدا متلثِّماً ‏ يُبْدِى الضياء لنا بخدٍّ مُسْفِرِ
فكأنما هو خُوذةٌ من فضةٍ ‏ قد رُكِّبَتْ فى هامةٍ من عنبرِ

(٣٦) خلِلتُها فى المُعصفَرات القوانى ‏ وردةً فى شقائقِ النُّعْمانِ

(٣٧) شبّهتُ بدرَ سمائنا لمّا دَنَتْ   منه الثريّا فى قميص سُنْدُس
مَلِكاً مهيبا قاعداً فى رَوضة   حيّاه بعض الزائرين بنرجس

(٣٨) وإنى على إشفاقِ عينى من البُكا   لتجمح منّى نظرةٌ ثم أُطرِق
كما حلّئَتْ عن ماءِ بئرٍ طريدةٌ   تمدُّ إليها جِيدَها وهى تفرَق

(٣٩) أنا كالورد فيـه راحةُ قومٍ   ثم فيه لآخرين زُكامُ

(٤٠) ياحبذا يومُنا ونحن على   رءوسنا نعقـد الأكاليـلا
فى جنة ذُلّلتْ لقاطفها   قطوفُها الدانيـات تذليـلا
كأنّ أُترجّها تميل بها   أغصـانها حامـلا ومحمـولا
سلاسلٌ من زبرجدٍ حملتْ   من ذهبٍ أصفرٍ قناديلا

(٤١) كم وَالِدٍ يحرمُ أولادَهُ   وخيرهُ يحظَى به الأبعـد
كالعين لا تَنظرُ ما حولها   ولَحْظُها يُدرك ما يَبعُدُ

(٤٢) رِيمٌ يتيهُ بحُسن صورته   عَبثَ الفتور بلحظ مُقلته
فكأنّ عقربَ صُدغه وقفتْ   لمّا دنَتْ من نار وَجنته

(٤٣) وشادنٍ أهيفَ حيّا بنرجسةٍ   كأنّها إذْ بدتْ فى غاية العجب
كفٌّ من الفضة البيضاء ساعدُها   زَبَرجدٌ حملتْ كأساً من الذهب

(٤٤) نثرَ الجوّ على الأرض بَرَدْ   أىّ دُرّ لنحـور لو جَمَـدْ
لؤلؤ أصدافه السّحب التى   أنجز البارق منها ما وعدْ

(٤٥) أبصرتُ طاقةَ نرجسٍ   فى كفّ مَن أهواهُ غضّه
فكأنهـا برج الزَبَرْ   جد أنبتَتْ ذهباً وفضّه

(٤٦) كأنّ الأفقَ محفوفٌ بنار   وتحت النـار آسادٌ تزيرُ

(٤٧) وما الناسُ إلا كالديار وأهلها   بها يومَ حلّوها وغدْواً بلاقع

بلاغة التشبيه[1]

وبعض ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحدَثين

تَنْشأ بلاغة التشبيه : من أنه ينتقل بك من الشئ نفسه ، إلى شئ طريف يُشبهُهُ ، أو صُورة بارعة تُمثّله

وكلما كان هذا الانتقال بعيداً ، قليل الخُطور بالبال ، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال ، كان التشبيه أروعَ للنفس ، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها .

فإذا قلتَ : فلانٌ يشبه فلاناً في الطّول ، أو أنّ الأرض تشبه الكُرة في الشكل ، لم يكن في هذه التشبيهات أثر للبلاغة ، لظهور المشابهة ، وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة ، وجُهْد أدبيّ ، ولخلوّها من الخيال .

وهذا الضرب من التشبيه : يقْصَد به البيان والايضاح ، وتقريب الشئ إلى الأفهام ، وأ كثرُ ما يُستعمل في العلوم والفنون .

ولكنك تأخذك رَوْعة التشبيه ، حينما تسمع قول المعرّى يَصفُ نجماً

يُسْرِعُ اللَّمْحَ في احْمِرَارٍ كما تُسْـ ـرِعُ في اللمحِ مُقْلَةُ الغَضْبانِ

فإن تشبيه لمحات النجم وتألّقِه مع احمرار ضوئه ، بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة ، التي لا تنقاد إلا لأديب ، ومن ذلك قول الشاعر :

---

(١) التشبيه مع ما فيه من ميزة الايجاز في اللفظ يفيد المبالغة في الوصف . ويخرج الخفى إلى الجلى والمعقول إلى المحسوس . ويجعل التافه نفيساً ، والنفيس تافها ويدنى البعيد من القريب ، ويزيد المعنى وضوحا ، ويكسبه تأكيداً ، فيكون أوقع في النفس وأثبت ، وله روعة الجمال والجلال

وكأن النُّجُوم بيْنَ دجاها سُنَنٌ لاحَ بينهنَّ ابْتِداعُ

فإنَّ جمال هذا التشبيه : جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحِذْقه، في عقد المشابهة بين حالتين — ما كان يخطر بالبال تشابههما ، وهما حالة النجوم في رُقعة الليل ، بحال السُّنن الدِّينية الصحيحة ، متفرقة بين البِدَع الباطلة.

ولهذا التشبيه : روْعة أخرى ، جاءت من أنَّ الشاعر : تخيل أن السُّنن مضيئة لامعة ، وأنَّ البِدع مُظلمة قاتمة

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبي :

بليتُ بلَى الأطْلالِ إنْ لمْ أقِفْ بها وُقُوف شَحيحٍ ضاعَ في التُّرب خاتمُه

يدعو الشاعر على نفسه بالبلى والفناء ، إذا هو لم يقف بالأطلال ، ليذكر عهد من كانوا بها ، ثم أراد أن يصوِّر لك هيئة وقوفه ، فقال : كما يقف شحِيحٌ فقَدَ خاتَمَه في التراب ، من كان يُوَفَّق إلى تصوير حال الذَّاهل المُتحير المحزون ، المُطرق برأسه ، المنتقل من مكان إلى مكان في اضطراب ودَهشة ، بحال شحيح فقَدَ في التراب خاتماً ثميناً .

هذه بلاغة التشبيه من حيث مبلغُ طرافته ، وبُعد مَرماه ، ومقدار ما فيه من خيال .

أما بلاغته من حيث الصورة الكلامية التي يوضع فيها ، فمتفاوتة أيضاً .

فأقلّ التَّشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذُكرتْ أركانه جميعُها ، لأنّ بلاغة التشبيه مَبنية على ادعاء أنَّ المشبَّه عينُ المشبه به ، ووجود الأداة ، ووجه الشبه معاً ، يَحُولان دُون هذا الادِّعاء . فإذا حذفت الأداة وحدَها ، أو وجهُ الشبه وحدَه ، ارتفعت درجة التشبيه في البلاغة قليلا ، لأن حذف أحد هذين يُقوِّى ادِّعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية — أما أبلغ

أنواع التشبيه « فالتشبيه البليغ » لأنه مبنيٌّ على ادّعاء أن المشبه والمشبه به شيء واحد

هذا ـ وقد جرى العرب والمحدثون على تشبيه : الجوادِ بالبحرِ والمطر والشُّجاع بالأسد ، والوجهِ الحسَن بالشمسِ والقمر ، والشَّهْمِ الماضى فى الأمور بالأحلام والوجه الصبيح بالدينار ، والشعر الفاحم بالليل والماء بالسيف ، والعالى المنزلة بالنجم ، والحليم الرَّزين بالجبل ، والأمانيِّ الكاذبة الصافى باللُّجَيْنِ ، والليلِ بموج البحر ، والجيشِ بالبحر الزّاخر ، والخيلِ بالرّيح والبرْق ، والنجومِ بالدُّرر والأزهار ، والأسنانِ بالبرَد واللؤلؤ والسفن بالجبال ، والجداولِ بالحيّات الملتوية ، والشَّيْبِ بالنَّهار ، ولَمعَ السيوف وغُرَّةِ الفَرس بالهلال ، ويشبِّهون الجبانَ بالنَّعامة والذبابة ، واللئيم بالثعلب ، والطائشَ بالفَراش ، والذليل بالوَتِدِ ، والقاسِى بالحديدوالصخر ، والبليدَ بالحمار ، والبخيل بالأرض المُجْدِبةِ

وقد اشتهر رجال من العرب بخِلَالٍ محمودة ، فصاروا فيها أعلاماً — فجرى التشبيه بهم ، فيشبه الوفىُّ بالسموءل [١] ، والكريمُ بحاتم ، والعادلُ بعُمَر [٢] والحليمُ بالأحنف [٣] ، والفصيحُ بسَحْبان ، والخطيبُ بقُسّ [٤]

---

(١) هو السموءل بن حيان اليهودى ، يضرب به المثل فى الوفاء ، وهو من شعراء الجاهلية ، توفى سنة ٦٢ ق هـ

(٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الاسلام الأولين ، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده ، وقد نصر الله به الاسلام وأعزه ، وتوفى سنة ٢٣هـ

(٣) هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين كان شهما حليما ، عزيزا فى قومه إذا غضب غضب له مائة ألف سيف لا يسألون لماذا غضب : توفى سنة ٦٧ هـ

(٤) هو قس بن ساعدة الايادى ، خطيب العرب قاطبة ، ويضرب به المثل فى البلاغة والحكمة

والشجاع بعمرو بن معْدِ يكرِبَ ، والحكيم بِلقمان[1] ، والذكى بإياس، واشتهر آخرون بصفات ذميمة ، فجرى التشبيه بهم أيضاً ، فيُشبه العِيُّ بباقل[2] والأحمق بِهبنقة[3] والنادم بالكُسَعِي[4] والبخيل بمادر[5] ، والهجَّاء بالحُطَيْئةِ[6] والقاسى بالحجاج الثقفى : أحد جبابرة العرب المتوفى سنة ٩٧ هـ

---

(١) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة ، أى الاصابة بالقول والعمل

(٢) رجل اشتهر بالعى ، اشترى غزالا مرة بأحد عشر درهما ، فسئل عن ثمنه فمد أصابع كفيه يريد عشرة ، وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر ، ففر الغزال ، فضرب به المثل فى العى .

(٣) هو لقب ابى الودعات يزيد بن ثروان القيسى ، يضرب به المثل فى الحمق .

(٤) هو غامد بن الحرث ، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم ، وكان يظن كل مرة أنه مخطئ ، فغضب وكسر قوسه ، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم ، فندم على كسر قوسه ، وعض على إبهامه فقطعها

(٥) لقب رجل من بنى هلال ، اسمه مخارق ، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم .

(٦) شاعر مخضرم ، كان هجاء مراً ، ولم يكد يسلم من لسانه أحد ، هجا أمه وأباه ، ونفسه ، وله ديوان شعر ، وتوفى سنة ٤٠ هـ .

الباب الثانى

فى المجاز [1]

ألمجاز مُشتق من جازَ الشىء يجوزه . إذا تعدّاه — سمّوا به اللفظ الذى نُقِلَ من معناه الأصلى ، واستُعمِلَ ليدُلّ على معنى غيره ، مناسب له .

والمجاز : من أحسن الوسائل البيانيّة التى تهدِى إليها الطبيعة : لإيضاح المعنى ، إذْ به يخرج المعنى متّصفاً بصفة حسّية . تكاد تعرضه على عيان السّامع — لهذا — شغفت العرب باستعمال (المجاز) لميلها إلى الاتساع فى الكلام ، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ . ولما فيه من الدّقة فى التعبير فيحصل للنفس به سرور وأريحيّة ، ولأمرٍ ما كثُر فى كلامهم، حتى أتوا فيه بكل معنًى رائق ، وزيّنوا به خُطبهم وأشعارهم

وفى هذا الباب مباحث

المبحث الاول

فى تعريف المجاز وأنواعه

ألمجاز : هو اللفظ المُستعملُ فى غير ما وضع له فى اصطلاح التخاطُب

---

(١) أقول : إن المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء ، يستدل بها عليها ، ليعرف كل منها باسمه ، من أجل التفاهم بين الناس . وهذا يقع ضرورة لا بد منها . فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له — فاذا نقل إلى غيره صار مجازا

واعلم أنه ليس لكل مجاز (حقيقة) يتفرغ عنها ، فلفظ (الرحمن) استعمل مجازاً فى المنعم ، ولم يستعمل فى معناه الوضعى ، وهو : الرقيق القلب ، ولكن الغالب أن يتفرغ المجاز عن الحقية .

لعَلاقةٍ : مع قرينةٍ[1] مانعةٍ من إرادة المعنى الوَضْعِى

والعلاقة : هى المناسبةُ[2] بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى ، قد تكون (المُشابهة) بين المعنيين ، وقد تكون غيرَها

فاذا كانت العلاقة (المشابهة) فالمجاز (استعارة) ، وإلا فهو (مجاز مُرسل)

والقرينة . وهى المانعة من إرادة المعنى الحقيقى ، قد تكون لفظية . وقد تكون حالية — كما سيأتى :

وينقسم المجاز : إلى أربعة أقسام — مجاز مفرد مُرسل ، ومجاز مفرد بالاستعارة « ويجريان فى الكلمة » ومجاز مركب مرسل ومجاز مركب بالاستعارة « ويجريان فى الكلام »

ومتى أطلق المجاز . انصرف إلى (المجاز اللغوى)

---

(١) القرينة : هى الأمر الذى يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير ماوضع له ، فهى تصرف الذهن عن المعنى الوضعى ، إلى المعنى المجازى - وبتقييد القرينة بمانعة الخ خرجت (الكناية) فان قرينتها لاتمنع من إرادة المعنى الأصلى - والقرينة إما لفظية - أو حالية . فاللفظية : هى التى يلفظ بها فى التركيب - والحالية : هى التى تفهم من حال المتكلم ، أو من الواقع .

وأما القرينة التى تعين المراد من المجاز ، فليست شرطا

واعلم أن كلا من المجاز والكناية فى حاجة إلى قرينة ، ولكنها فى المجاز مانعة ، وفى الكناية غير مانعة .

(٢) العلاقة هى المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول إليه ، وسميت بذلك : لأن بها يتعلق ويرتبط المعنى الثانى بالأول ، فينتقل الذهن من الأول للثانى - وباشتراط ملاحظة العلاقة ، يخرج الغلط ، كقولك : خذ هذا الكتاب ، مشيراً إلى فرس مثلا ، إذ لا علاقة هنا ملحوظة .

وأنواع المجاز كثيرة : أهمها (المجاز المرسل) . وهو المقصود بالذات وسيأتى مجاز ، يُسمّى « المجاز العقلى » ويجْرى فى الاسناد

المبحث الثانى

فى المجاز اللغوى المفرد المُرْسل[1] . وعلاقاته

المجاز المُفرد المُرسل: هو الكلمة المستعملة قصداً فى غير معناها الأصلى، لملاحظة علاقه غير (المُشابهة) مع قرينة دالّة على عدم إرادة المعنى الوضعى

وله علاقات كثيرة — أهمُّها

(١) السَّببيَّة —وهى : كون الشىء المنقول عنه سبباً ، ومؤثراً فى غيره ، وذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب ، وأُريد منه المُسبَّب ، نحو : رَعَت الماشية الغيثَ — أى النبات ، لأن الغيثَ أى (المطر) سببٌ فيه[2]

---

(١) سمى (مرسلا) لاطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة ، بل له علاقات كثيرة ، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التى تذكر فى الجملة ـ وليس المقصد من العلاقة إلا بيان الارتباط والمناسبة ، فالفطن يرى ما يناسب كل مقام .

وقيل سمى (مرسلا) لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة فى الاستعارة .

(٢) وكقول الشاعر : له أياد على سابغة أعد منها ولا أعددها

وكقوله : قامت تظللنى من الشمس نفس أحب إلى من نفسى

قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

فائدة ـ القصد من العلاقة : إنما هو تحقق الارتباط ـ والذكى يعرف مقال كل مقام ، ثم ان (العلاقة) : قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه ، الذى هو الحقيق ـ وقيل تعتبر من جهة المعنى المنقول إليه ، لأنه المدار ـ وقيل تعتبر من جهتهما ، رعاية لحقيهما .

واعلم أن اللفظ الواحد : قد يكون صالحاً بالنسبة إلى معنى واحد ، لأن يكون مجازا مرسلا ، واستعارة باعتبارين .

وقرينته . (لفظية) وهى (رعت) لأن العلاقة تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه

ونحو : لفلانٍ علىّ يدٌ : تريد باليد : النعمة ، لأنها سبب فيها

(٢) والمسببية — هى أن يكون المنقولُ عنه مُسبَّباً ، وأثراً لشىء آخر وذلك فيما إذا ذُكر لفظ المسبب ، وأُريد منه السبب ، نحو : (ويُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقًا) أى : مطراً يُسبِّبُ الرِّزق .

(٣) والكلية ـ هى كونُ الشىء مُتضمناً للمقصود ولغيره ، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ الكل ، وأُريد منه الجزء ، نحو (يجعلونَ أصابعَهم فى آذانهم) أى أناملَهم ، والقرينة (حالية) وهى استحالة إدخال الأصبع كلّه فى الأذن

ونحو : شربت ماء النيل — والمراد بعضُه ، بقرينة شربت

(٤) والجزئية — هى كون المذكور ضمنَ شىء آخر ، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ الجزء ، وأريد منه الكل كقوله تعالى « فتحريرُ رقبةٍ مُؤمنة » ونحو : نشر الحاكم عيونه فى المدينة ، أى الجواسيس ، فالعيون مجازٌ مرسل ، علاقته (الجزئية) لأن كل عين جزء من جاسوسها — والقرينة الاستحالة

(٥) واللازمية — هى كون الشىء يجب وجوده ، عند وجود شىء آخر ، نحو : طلع الضوءُ ، أى الشمس . فالضوء مجاز مرسل . علاقته (اللازمية) لأنه يوجد عند وجود الشمس ، والمعتبر هنا اللزوم الخاص ، وهو عدم الانفكاك .

(٦) والملزومية — هى كون الشىء يجب عند وجوده وجود شىء آخر ، نحو : ملأتِ الشمسُ المكانَ . أى الضوء ، فالشمس مجاز مرسل علاقته (الملزومية) لأنها متى وُجدت وُجد الضوء ، والقرينة « ملأت »

(٧) والآلية — هى كون الشىء واسطةً لإيصال أثر شىء إلى آخر

وذلك فيما إذا ذُكر اسم الآله ، وأريد الأثر الذى ينتج عنه ، نحو (واجعل لى لِسان صِدْقٍ فِى الآخِرِين) أى ذِكراً حسناً — (فلسان) بمعنى ذكر حسن مجازٌ مرسل ، علاقته (الآلية) لأنّ اللسان آلة فى الذكر الحسَن .

(٨) والتقييد : ثمّ الاطلاق . هو كون الشىء مقيداً بقيد أو أكثر نحو : مِشْفَر زيد مجرُوحٌ — فان المِشفَر ـ لغة : شَفَةُ البعير ، ثم أُريد هنا مطلق شفة ، فكان فى هذا منقولا عن المقيد إلى المُطلق ، وكان مجازا مرسلا ، علاقته التقييد ، ثم نُقِل من مطلق شفة ، إلى شفة الانسان ، فكان مجازا مرسلا : بمرتبتين ، وكانت علاقته (التقييد والإطلاق)

(٩) والعموم ـ هو كون الشّىء شاملاً لكثير ـ نحو قوله تعالى .

(أمْ يَحْسُدُونَ النّاس) أى « النبى » صلى الله عليه وسلم . فالناس مجاز مرُسل ، علاقته العموم ـ ومثله قوله تعالى (الّذين قال لَهُمْ النّاس) فان المراد من الناس واحد . وهو « نعيم بن مسعود الأشجعى » .

(١٠) والخصوص ـ هو كون اللّفظ خاصاً بشىء واحد ، كاطلاق اسم الشّخص على القبيلة ـ نحو ربيعة ـ وقُريش .

(١١) واعتبار ما كان ـ هو النّظر إلى الماضى : أى تسمية الشىء باسم ما كان عليه ، نحو : (وآتُوا اليَتامى أمْوَالهُمْ) أى الذين كانوا يتامى .

ثم بلغوا . فاليتامى : مجاز مُرسل ، علاقته (اعتبار ما كان)

وهذا إذا جرينا على أن دلالة الصّفة على الحاضر حقيقة ، وعلى ماعداه مجاز

(١٢) واعتبار ما يَكون — هو النّظر إلى المُستقبل ، وذلك فيما إذا أُطلق اسم الشىء على ما يؤول إليه ، كقوله تعالى (إنى أرانى أعْصرُ خَمراً)

أى : عصيرا يَؤُل أمرُه إلى خمر ، لأنه حالَ عصره لا يكون خمرا .

فالعلاقة هنا : اعتبار (ما يؤول إليه) .

ونحو : (ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً) والمولود حين يُولد ، لا يكون فاجراً ، ولا كافراً ، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة فأطلق المولود الفاجر ، وأُريد به الرجل الفاجر ، والعلاقة ، اعتبار (ما يكون)

(١٣) والحاليّة — هى كون الشىء حالاً فى غيره ، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الحال ، وأريد المحل لما بينهما من الملازمة ، نحو : « فَفِى رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيها خالدُونَ » فالمُراد من (الرّحمة) الجنة التى تَحِلّ فيها الرّحمة ، فهم فى جنّة تحلّ فيها رحمةُ الله . ففيه مجاز مرسل ، علاقته (الحالية) وكقوله تعالى « خُذوا زينتكم عند كل مسجد » أى لباسكم ، لحلول الزينة فيه ، فالزينة حالّ واللباس محلّها ، ونحو : أرى بياضاً يظهرُ ويختفِى ، وأرى حركة تعلو وتسفلُ .

(١٤) والمحليّة — هى كون الشّىء يَحُلُّ فيه غيرُه ، وذلك فيما إذا ذكر لفظ المحلّ ، واريد به الحالّ فيه — كقوله تعالى « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ » والمُرادُ مَن يَحِلّ فى النّادى

وكقوله تعالى « يَقُولُونَ بِأفْواهِهِمْ » أى ألسنتهم ، لأنّ القول لا يكون عادةً إلاّ بها

(١٥) والبَدَليّة — هى كون الشىء بدلاً عن شىء آخر — كقوله تعالى « فإذَا قُضِيْتُمْ الصَّلاَةِ » والمُراد : الأداء

(١٦) والمُبدليّة — هى كون الشىء مُبدلاً منه شىء آخر ، نحو : أكلت دَم زيد ، أى دِيتَهُ . فالدّم (مجاز مُرسل) علاقته (المُبدليّة) لأن الدّم : مُبدل عنه (الدِّيَة) .

(١٧) والمُجاوَرة — هى كون الشّىء مُجاوراً لشىء آخر ، نحو كلّمت

الجدار والعامود ، أى الجالس بجوارهما ، فالجدار والعامود مجازان مرسلان علاقتهما (المجاورة)

(١٨) والتعلق الاشتقاقى — هو إقامة صيغةٍ مقام أُخرى — وذلك :

ا — كإطلاق المصدر على اسم المفعول ، فى قوله تعالى : « صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ » — أى مصنوعه

ب — وكإطلاق اسم الفاعل على المصدر ، فى قوله تعالى « لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ » أى تكذيب

ج — وكإطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول ، فى قوله « لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ » — أى لا معصوم

د — وكإطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل ، فى قوله تعالى « حِجَاباً مَسْتُوراً » أى ساتراً

والقرينة على مجازية ما تقدّم ، هى ذكر ما يمنع إرادة المعنى الأصلى .

المبحث الثالث

فى تعريف المجاز العقلى وعلاقاته[1]

المجاز العقلى : هو إسنادُ الفعل ، أو ما فى معناه (من اسم فاعل ، أو اسم مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له فى الظّاهر ، من المُتكلّم ، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له .

أشهر علاقات المجاز العقلى

(١) الإسناد إلى الزمان ، نحو : (من سَرّهُ زمنٌ ساءته أزمانٌ)

---

(١) سمى عقليا ، لأن التجوز فهم من (العقل) لا من (اللغة) كما فى المجاز اللغوى

أسندَ الإساءة والسرور إلى الزمن ، وهو لم يفعلهما ، بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز

(٢) الإسناد إلى المكان ، نحو « وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم » فقد أسندَ الجرى إلى الأنهار ، وهى أمكنة للمياه ، وليست جارية بل الجارى ماؤها

(٣) الإسناد إلى السّبب ، نحو :

إنّي لمن معشرٍ أفنى أوائلهم قيلُ الكُماة ألا أينَ المُحامونا ؟؟

فقد نُسِبَ الإفناء إلى قول الشّجعان ، هل من مُبارز ؟؟

وليس ذلك القول بفاعل له ، ومؤثر فيه ، وإنما هو سَبب فقط

(٤) الاسناد إلى المصدر — كقول أبى فِراس الحمدانى :

سيذكرنى قومى أذا جدَّ جِدُّهُمْ وفى اللّيلة الظّلماء يُفتقد البدرُ

فقد أسند الجد إلى الجِدّ ، أى الاجتهاد ، وهو ليس بفاعل له ، بل فاعله الجاد — فأصله جدّ الجاد جِداً . أى اجتهد اجتهاداً ، فحذف الفاعلُ الأصلى وهو الجاد ، وأُسندَ الفعل إلى الجدّ

(٥) إسناد ما بُنِيَ للفاعل إلى المفعول — نحو : سرنى حديث الوامق فقد استُعمل اسم الفاعل ، وهو الوامق ، أى (المُحبّ) بدل الموموق

أى : المحبوب ، فان المراد : سُرِرْتُ بمحادثة المحبوب

(٦) إسناد ما بُنى للمفعول إلى الفاعل ، نحو : (جعلت بينى وبينك حجاباً مستوراً) أى ساتراً ، فقد جُعل الحجابُ مستوراً ، مع أنّه هو السّاتر

تنبيهات

(١) كما يكونُ هذا المجازُ فى الإسناد ، يقع فى النّسبة الإضافية ، نحو جَرْى الأنهار ، وغُراب البَيْن ، ومكرُ الليل : فنسبة الجرى إلى الأنهار مجاز علاقته المكانية ، ونسبة البين إلى الغُراب ، مجاز علاقته السّببية ، ونسبة المكر إلى الليل مجاز ، علاقته الزّمانية

(ب) الفعل المبنى للفاعل ، واسم الفاعل ، إذا أُسندا إلى المفعول فالعلاقة المفعولية ، والفعل المبنى للمجهول ، واسم المفعول ، إذا أُسندا إلى الفاعل فالعلاقة الفاعليّة ، واسم المفعول المستعمل فى موضع اسم الفاعل مجاز ، علاقته الفاعلية ، واسم الفاعل المستعمل فى موضع اسم المفعول مجاز ، علاقته المفعولية

(ج) هذا المجاز : مادة الشاعر المُفلق ، والكاتب البليغ ، وطريق من طُرُق البيان لا يستغنى عنها واحد منهما

تطبيق على أشهر علاقات المجاز العام

أذكر علاقات المجاز المرسل : فيما يلى

(١) أَبَا الْمِسْكِ أَرْجو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَا
وَآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ الْبِيضَ بِالدَّمِ[1]
وَيَوْمًا يَغِيظُ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً
أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنَعُّمِ[2]

---

(١) أبا المسك : كنية كافور الاخشيدى ، والبيض والسيوف ، يقول : أرجو منك أن تنصرنى على أعدائى ، وأن تولينى عزاً أتمكن به منهم ، وأخضب سيوفى بدمائهم .

(٢) يقول : وأرجو أن أبلغ بك يوماً يغتاظ فيه حسادى ، لما يرون من إعظامك لقدرى ، وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدنى على الانتقام منهم ، فأتنعم بشقائى فى حربهم :

(٢) قال الله تعالى : لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ .

(٣) ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء

(٤) بَنى اسماعيلُ كثيراً من المدارس بمصر

(٥) تَكادُ عَطاياهُ يُجَنُّ جُنونُها إذا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقيةِ طَالِبِ[1]

الاجابة

« ا » عزاً يخضب البيض بالدم .

إسناد خضب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقى ، لأن العز لا يخضب السيوف ولكنه سبب القوة ، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيف بالدم ، فنى العبارة مجاز عقلى ، علاقته السببية .

« ب » ويوماً يغيظ الحاسدين .

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيق ، غير أن اليوم هو الزمان الذى يحصل فيه الغيظ ، فنى الكلام مجاز عقلى ، علاقته الزمانية .

(ح) لاعاصم اليوم من أمر الله .

المعنى لا معصوم(٢)اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله ، فاسم الفاعل أسند إلى إلى المفعول ، وهذا مجاز عقلى ، علاقته المفعولية .

(د) ذهبنا إلى حديقة غناء

غناء مشتقة من الغن ، والحديقة لا تغن ، وإنما الذى يغن (عصافيرها) أو ذبابها — فنى الكلام مجاز عقلى ، علاقته المكانية .

(هـ) بنى إسماعيل كثيراً من المدارس

إسماعيل : أمير مصر — لم ين بنفسه — ولكنه أمر ، فنى الاسناد مجاز عقلى ، علاقته السببية .

(و) تكاد عطاياه يجن جنونها — إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلى ، علاقته المصدرية .

---

(١) يعوذها يحصنها ، ورقية ما يرقى بها الانسان من عين حاسد .

(٢) يجوز أن تكون « عاصم » مستعملة فى حقيقتها ، ويكون المعنى لا شىء يعصم الناس من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم . فانه تعالى هو الذى يعصمه .

نموذج آخر

بَيِّن المجاز العقلى واذكر علاقته فيما يَلِى :

(١) أهلكنا اللَّيل والنَّهار [١]　　(٢) منزل عامر بنعَم الله [٢]

(٣) أنشأ وزير المعارف عدة مدارس [٣]　　(٤) مَشْرَبٌ عذبٌ [٤]

(٥) هذا يوم عصيب [٥]　　(٦) ربحتْ تجارتهم [٦]

بلاغة المجاز المرسل [٧] والمجاز العقلى

إذا تأملت أنواع المجاز المرسَلِ والعقلىِّ رأيتَ أنها فى الغالب تؤدى المعنى المقصودَ بإيجاز ، فاذا قلتَ (هَزم القائدُ الجَيْشَ) أو (قرَّرَ المجلس كذا) كان ذلك أوجزَ من أن تقول (هزمَ جنود القائدِ الجَيْش) أو (قرر

---

(١) فى قوله أهلكنا الليل والنهار ، مجاز عقلى ، علاقته السببية ، فقد نسب الاهلاك إلى الليل والنهار ، مع أن فاعله هو الله تعالى . وهذا سببان فيه .

(٢) فى قوله منزل عامر بنعم الله ، مجاز عقلى ، علاقته المفعولية ، إذ قد أسند اسم الفاعل إلى المفعول فى المعنى .

(٣) فى قوله أنشأ وزير المعارف عدة مدارس ، مجاز عقلى : علاقته السببية ، إذ نسب الانشاء إلى الوزير — وهو السبب فقط .

(٤) فى قوله مشرب عذب ، نسب العذوبة إلى المكان ، لا إلى الماء مجاز . لعلاقة المكانية

(٥) العصيبة والشديدة ، خطوب اليوم وحوادثه ، لا هو ، فوصفه بذلك وصف للزمان ، فهو مجاز : علاقته الزمانية .

(٦) أسند الربح إلى التجارة ، والرابح هو صاحبها ، لا هى : فهو مجاز ، علاقته المفعولية

(٧) المجاز المرسل : يوسع اللغة ، ويعين على الافتنان فى التعبير ، ويساعد الكاتب والخطيب على ايراد المعنى الواحد بصور مختلفة ، وقد تدعو إليه : كما فى « الطراز » حلية لفظية ، من تقفية . أوضرورة شعرية . أومشاكلة : أواختصار . أو خفة فى لفظه . وكثيراً : ما يكون الداعى إليه راجعاً إلى المعنى .

أهل المجلس كذا) ولا شك أن الإيجاز ضَرْبٌ من ضروب البلاغة .

وهناك مظهرٌ آخرُ للبلاغة فى هذين المجازين ، هو المهارة فى تَخيّر العَلاقة بين المعنى الأصلىّ والمعنى المجازىّ ، بحيث يكون المجاز مُصَوّراً للمعنى المقصود خيرَ تصوير — كما فى إطلاق العين على الجاسوس ، والأذن على سريع التأثر بالوشاية ، والُخفّ والحافر على الجمال والخيل ، فى المجاز المراسل وكما فى إسناد الشىء : إلى سببه ، أو مكانه ، أو زمانه . فى المجاز العقلى

فإن البلاغة توجبُ أن يُختار السبب القوىُّ ، والمكان والزمان المختصان

وإذا دَقّقت النظر رأيتَ أنّ أغلب ضروب المجاز المرسل ، والمجاز العقلى لا تخلو من مبالغة بديعة ، ذات أثرٍ فى جعل المجاز رائعاً خلاّباً ، فإن إطلاق الكل على الجزء مُبالغة ، ومثله إطلاق الُجزء وإرادةُ الكلّ كما إذا قلت « فلان فَمٌ » تريد أنه شَرِهٌ ، يَلْتَقِمُ كلِ شىء

ونحوه : « فلان أنْف » عندما تريد أن تصفه بعظَمِ الأنف ، فتبالغَ فتجعلَه كله أنفًا ؟

ومما يُؤْثر عن بعض الأدباء : فى وصف رجل أنافِى[1] قوله : « لَستُ أدْرى : أهُوَ فِى أنفِهِ ، أمْ أنفُهُ فيهِ » ؟ ؟

المبحث الرابع

فى المجاز المفرد بالاستعارة

تمهيد

سبق : أن التّشبيه أوّلُ طريقةٍ دلّتْ عليها الطّبيعة ، لايضاح أمر يجهله المخاطب . بذكر شىء آخر ، معروف عنده ، ليقيسه عليه ، وقد نتج من هذه

(١) الأنافى عظيم الأنف ، — عن البلاغة الواضحة .

النظرية ، نظرية أخرى فى تراكيب الكلام ، ترى فيها ذكر المشبه به فقط ، وتسمى هذه بالاستعارة ، وقد جاءت هذه التراكيب المشتملة على الاستعارة أبلغ من تراكيب التشبيه ، وأشد وقعاً فى نفس المخاطب ، لأنه كلما كانت داعية إلى التحليق فى سماء الخيل ، كان وقعها فى النفس أشد ، ومنزلتها فى البلاغة أعلى

وما يَبتكِره أمراء الكلام من أنواع صور الاستعارة البديعة ، التى تأخذ بمجامع الأفئدة ، وتملك على القارىء والسامع لُبَّهما وعواطفهما

(هو سرّ بلاغة الاستعارة)

فمن الصور المُجملة التى عليها طابع الابتكار وروعة الجمال قول شاعر الحماسة

قومٌ إذا الشرّ أبدى ناجذيْه لهم   طاروا إليه زُرافاتٍ ووُحدانا

فانه قد صوّر لك الشر . بصورة حيوان مُفترس مُكشر عن أنيابه . مماَّ يملأ فؤادك رُعباً ، ثم صوّر القوم الذين يَعنيهم ، بصُور طيور جوارح تطير إلى مصادمة الأعداء ، طيراناً مما يَستثير إعجابك بنجدتهم . ويدعوك إلى إكبار حميَّتهم وشجاعتهم .

ومنهم : من يعمد إلى الصورة التى يرسمها ، فيفصِّل أجزاءها ، ويبيِّن لكلِّ جُزء مزيَّته الخاصة ، كقول امرىء القيس فى وصف الليل بالطّول :

فقلتُ له لمَّا تمطَّى بصُلبه   وأردف أعجازاً وناء بكلْكل (١)

فانه لم يكتف بتمثيل الليل ، بصورة شخص طويل القامة . بل استوفى له جملة أركان الشخص ، فاستعار صُلباً يتمطى به ، إذ كان كل ذى صُلب يزيد فى طوله تمطّيه ، وبالغ فى ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره . فاستعار له كلكلاً ينُوء بهِ (أى يثقل به)

---

(١) تمطى تمدد ، والصلب عظم فى الظهر من لدن الكاهل إلى العجب ، والعجز مؤخر الجسم ، والكلكل الصدر ، أو ما بين الترقوتين

ولا يخفى عليك ما يتركه هذا التفصيل البديع فى قلب سامعه من الأثر العظيم ، والارتياح الجيل

ومنهم : من لا يكتفى بالصورة يرسمها . بل ينظر إلى ما يترتّب على الشىء فيعقّب تلك الصورة بأخرى أشدّ وأوقع ، كقول أبي الطيب المتنبى :

رمانى الدّهر بالأرزاء حتّى فؤادى فى غِشاء من نبالِ[١]

فصرت إذا أصابتنى سِهامٌ تكسّرت النّصالُ على النّصالِ[٢]

فانه لم يكتف بتصويره المصائب سهاماً فى سرعة انصبابها ، وشدة إيلامها ، ولا بالمبالغة فى وصف كثرتها ، بأن جعل منها غشاء محيطاً بفؤاده ، حتى جعل ذلك الغشاء من المتانة والكثافة . بحيث إنّ تلك النصال مع استمرار انصبابها عليه ، لا تجد منفذاً إلى فؤاده ، لأنها تتكسّر على النّصال التى سبقتها . فانظر إلى هذا التمثيل الرائع . وقل لى : هل رأيت تصويراً أشدّ منه لتراكم المصائب والآلام ؟

تعريف الاستعارة وبيان أنواعها

الاستعارة لغة : من قولهم ، استعار المَال : إذا طَلبه عَارية

واصطلاحاً : هى استعمالُ اللفظ فى غير ما وُضع له لعلاقة (المُشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المُستعمل فيه ، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلى

(والاستعارةُ) ليست إلا (تشبيهاً) مُختصراً ، لكنّها أبلغُ منه[٣]

---

(١) الأرزاء المصائب ، والغشاء الغلاف ، والنبال السهام

(٢) النصال حدائد السهام

(٣) فأصل الاستعارة : تشبيه حذف أحد طرفيه ، ووجه شبهه . وأداته — ولكنها أبلغ منه ، لأن التشبيه مهما تناهى فى المبالغة . فلابد فيه من ذكر المشبه ، والمشبه به وهذا اعتراف بتباينهما . وأن العلاقة ليست إلا التشابه والتدانى ، فلا تصل ═

كقولك : رأيت أسداً فى المدرسة ، فأصل هذه الاستعارة « رأيت رجلا شُجاعاً كالأسد فى المدرَسة » فَحذفتَ المُشبه « لفظ رجل » وحذفت الأداة الـكاف ـ وحذفت وجه التشبيه « الشجاعَة » وألحقته بقرينَة « المدرَسة » لتدلّ على أنك تريد بالأسد شُجاعاً

وأركان الاستعارة	(١) مستعار منه — وهو المشبه به (٢) ومستعار له — وهو المشبه	ويقال لهما الطّرفان
ثلاثة	(٣) ومستعار — وهو اللفظ المنقول	

فـكلُّ مجاز يُبنى على التشبيه (يُسمّى استِعَارَةَ)

ولا بُد فيها من عدم ذكر وجه الشبه ، ولا أداة التشبيه ، بل ولا بُدّ أيضاً من (تناسِى التّشبيه) الذى من أجله وقعت الاستعارة فقط ، مع ادّعاء أنّ المُشبَّه عَينُ المُشبَّه به ، أو أدّعاء أنّ المشبه فرد من أفراد المشبه به الـكلّى « بأن يكونَ « اسمَ جبسٍ » « أو علَم جنس » ولا تتأتّى الاستعارة فى « العَلَم الشّخصِى[١] » لعدم إمكان دخول شىء فى الحقيقة الشّخصية — لأنّ نفس تصوّر الجزئى يمنع من تصوّر الشّركة فيـــه ، إلا إذا أفاد العلَم الشّخصى وصفاً ، به يَصحّ اعتباره كُلّياً ، فتجوز استعارته : كتَضمُّن

= إلى حدالاتحاد . بخلاف الاستعارة ففيهادعوى الاتحاد والامتزاج . وأن المشبه والمشبه به صارا معنى واحدا ، يصدق عليهما لفظ واحد ـ فالاستعارة (مجاز لغوى) لاعقلى علاقته المشابهة .

واعلم أن حسن الاستعارة « غير التخييلية » لا يكون إلا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافياً بافادةالغرض منه ، لأنها مبنية عليه ، فهى تابعةلهحسناوقبحا

(١) يعنى أن الاستعارة تقتضى ادخال المشبه فى جنس المشبه به . ولذلكلاتـكون علما ، لأن الجنس يقتضى العموم ، والعلم ينافى ذلك بما فيه من التشخص ، إلاإذا كان العلم يتضمن وصفية قد اشتهر بها « كسحبان » المشهور بالفصاحة ، فيجوز فيه ذلك ، لأنه يستفيد الجنسيةمن الصفة ، نحو : سمعت اليوم سحبان . أى خطيبافصيحا ـ وهلم جرا

« حاتم » للجود ، و « قس » للفصاحة ، فقال . رأيت حاتماً . وقساً : بدعوى كلّيه (حاتم . وقسّ) ودخول المشبه فى جنس الجواد — والفصيح وللاستعارة أجملُ وقع فى الكتابة ، لأنها تُجدى الكلام قوّة ، وتكسوه حُسناً ورونقاً ، وفيها تُثارُ الأهواء والإحساسات

المبحث الخامس

فى تقسيم الاستعارة باعتبار ما يُذكر من الطّرفين

إذا ذُكر فى الكلام لفظ المشبّه به فقط فاستعارة تصريحيّة أو مُصرّحة[1] نحو :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت وَرداً وَعَضّتْ على العُنّاب بالبَرَد

فقد استعار : اللؤلؤ ، والنرجس ، والورد ، والعُنّاب ، والبَرَد للدُّموع ، والعُيون ، والخُدود والأنامل ، والأسنان

وإذا ذُكر فى الكلام لفظُ المشبّه فقط . وحُذف فيه المشبه به . وأشير إليه بذكر لازمه : المُسمّى « تخييلا » فاستعارة مَكْنيّة[2] أو بالكناية ، كقوله

---

(١) (معنى تصريحية) أى مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به ، المراد به المشبه وتسمى أيضاً تحقيقية ، و (معنى مكنية) أى مخفى فيه لفظ المشبه به ، استغناء بذكر شىء من لوازمه — فلم يذكر فيها من أركان التشبيه ، سوى المشبه .

(٢) أى وهذا مذهب السلف . وكذا (الزمخشرى) صاحب الكشاف ، وأما مذهب (السكاكى) فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه . أى كلفظ المنية فى نحو ، أظفار المنية نشبت بفلان ، المستعمل فى المشبه به ، بادعاء أنه عينه وبيان ذلك : أنه بعد تشبيه معنى المنية . وهو الموت ، بمعنى السبع - تدعى أن المشبه عين المشبه به . وحينئذ يصير للمشبه به (فردان) - أحدهما حقيق ، والآخر ادعائى فالمنية : مراد بها السبع ، بادعاء السبعية لها ، وانكار أن تكون شيئاً آخر غير السبع بقرينة اضافة الأظفار التى هى من خواص المشبه به وهو السبع - وأنكر (السكاكى) (التبعية) بمعنى أنها مرجوحة عنده - واختار ردها إلى قرينة المكنية - ورد قرينتها إلى نفس المكنية - فى نطقت الحال مثلا . يقدر القوم : أن نطقت . استعارة تبعية —

وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

فقد شبّه المنيّة ، بالسّبع ، بجامع الاغتيال فى كلٍ ، واستعار السّبع للمنيّة وحذفه ، ورمز إليه بشئ من لوازمه ، وهو « الأظفار » على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ، وقرينتها لفظة « أظفار »

= والحال قرينة لها ـ وهو يقول : إن الحال استعارة بالكنايه ، ونطقت قرينتها وفى كلامه نظر من وجهين .

(الأول) إن لفظ المشبه ، لم يستعمل إلا فى معناه الحقيق ، فلا يكون استعارة

(الثانى) أنه صرح بأن نطقت مستعارة للامر الوهمى ، أى المتوهم اثباته للحال ، تشبيها بالنطق الحقيق ، فيكون استعارة ، والاستعارة فى الفعل لا تكون إلا تبعية فيلزمه القول بالتبعية ـ وأجيب عنه بأجوبة تطلب من المطولات .

وأمامذهب (الخطيب) فانه يقول : أن الاستعارة بالكناية، هى التشبيه المضمر أركانه سوى المشبه المدلول عليه ، باثبات لازم المشبه به للمشبه ويلزم عل مذهبه أنه لاوجه لتسميتها استعارة ، لأن الاستعارة هى اللفظ المستعمل فى غير ماوضع له لعلاقة المشابهة ـ أو استعمال اللفظ المذكور ـ والتشبيه غير ذلك : بل هو فعل من أفعال النفس

« تنبيه » المشبه : فى مواد الاستعارة بالكناية ، لايجب أن يكون مذكوراً بلفظ المشبه به ـ فيجوز ذكره بغير لفظه ، كأن يشبه شىء كالنحافة واصفرار اللون ، بأمرين كاللباس ، والطعم المر البشع . ويستعمل لفظ أحد الأمرين فيه ، ويثبت له شىء من لوازم الآخر ، كما فى قوله تعالى (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) فان شبه ماغشى الانسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون . باللباس . لاشتماله على اللابس واشتمال أثر الضرر على من به ذلك ، فاستعير له اسمه ، وشبه ما غشى الانسان عند الجوع ، أى مايدرك من أثر الضرر والألم ، باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية ، بما يدرك من الطعم المر البشع . حتى أوقع عليه الاذاقة ـ فتكون الآيه مشتملة على الاستعارة المصرحة . نظراً إلى الأول ـ والمكنية نظراً إلى الثانى ، وتكون الاذاقة تخييلا بالنسبة للمكنية ، وتكون تجريداً بالنسبة إلى المصرحة ، لأنها تلائم المشبه ، وهو النحافة والاصفرار . لأنها مستعارة للاصابة ـ وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة ـ ويقال شبه ماغشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر ، باللباس . بجامع الاشتمال فى كل ، واستعير اسم المشبه به للمشبه ، على سبيل الاستعار التصريحية =

ثم أخذ الوهم : فى تصوير المنية بصورة السبع ، فاخترع لها مثل صورة الأظفار ، ثم أطلق على الصورة التى هى مثل صورة الأظفار ، لفظ « الأظفار »

فتكون لفظة « أظفار » استعارة (تخييلية) لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية . تشبه صورة الأظفار الحقيقية ، وقرينتها إضافتها إلى المنية

ونظراً إلى أنّ (الاستعارة التخييلية) قرينة المكنية ؛ فهى لازمة لا تفارقها ، لأنه لا استعارة بدون قرينة

وإذاً : تكون أنواع الاستعارة ثلاثة : تصريحيّة . ومكنية . وتخييليّة

المبحث السادس

فى الاستعارة باعتبار الطّرفين[1]

إن كان المُستعار له محققاً حِسًّا « بأن يكون اللفظ قد نُقل إلى أمر معلوم ، يُمكن أن يُشار إليه إشارة حِسّيَّة » كقولك : رأيتُ بحراً يُعطى

= وطريق اجراء الاستعارة الثانية ، أن يقال : شبه ماغشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر ، بالطعم المر البشع ، بجامع الكراهة فى كل ، واستعير لفظ المشبه به للشبه ، ثم حذف وأثبت له شىء من لوازمه وهو (الاذاقة) على سبيل الاستعارة المكنية ، واثبات الاذاقة تخييل - وطريق إجراء الاستعارة الثالثة : أن يقال شبهت الاذاقة المتخيلة ، بالاذاقة المتحققة ، واستعيرت المتحققة ، للمتخيلة ، على سبيل التخييلية ، على مذهب (السكاكى) .

(١) اعلم أن المذاهب فى التخييلية أربعة

(الأول) مذهب السلف ، والخطيب : وهو أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة فى حقيقتها ، والتجوز إنما هو فى (الاثبات لغير ما هو له) المسمى استعارة تخييلية ، فهما متلازمان ، وهى من المجاز العقلى .

أو كان المستعار له محققاً عقلاً « بأن يمكن أن ينص عليه . ويشار إليه إشارة عقلية » كقوله تعالى « إهدنا الصراط المستقيم » أي « الدين الحق » « فالاستعارة تحقيقية »

(الثاني) مذهب السكاكي : وهو أن قرينة المكنية ، تارة تكون تخييلية ، أي مستعارة لأمر وهمي : كأظفار المنية . وتارة تكون تحقيقية ، أي مستعارة لأمر محقق ، كابلعي ماءك ، وتارة تكون حقيقة ، كأنبت الربيع البقل ، فلا تلازم بين التخييلية والمكنية ، بل يوجد كل منهما بدون الآخر — وقد استدل السكاكي : على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله

لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي

فانه قد توهم : أن للملام شيئاً شبيهاً بالماء ، واستعار اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية . ورده العلامة (الخطيب) بأنه لا دليل له فيه ، لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية ، فيكون قد شبه الملام ، بشيء مكروه ، له ماء . وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه ، وهو الماء ، على طريق التخييل .

وأن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه ، والأصل لا تسقني الملام الشبيه بالماء وأيضا : لا يخفى ما في مذهب السكاكي من التعسف ، أي الخروج عن طريق الجادة ، لما فيه من كثرة الاعتبارات — وذلك : أن المستعير يحتاج إلى اعتبار أمر وهمي ، واعتبار علاقة بينه وبين الأمر الحقيقي . واعتبار قرينة داله على أن المراد من اللفظ ، الأمر الوهمي . فهذه اعتبارات ثلاثة ، لا يدل عليها دليل ، ولا تمس إليها حاجة

(الثالث) مذهب صاحب الكشاف ، وهو أنها تكون تارة مصرحة تحقيقية ، و تارة تكون تخييلية — أي مجازاً في الاثبات

(الرابع مذهب صاحب السمرقندية) وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما : أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع ، وعدمه وعند صاحب (السمرقندية) على الامكان وعدمه

(تنبيه) الفرق : بين ما يجعل قرينة للمكنية وبين ما يجعل نفسه تخييلا : على مذهب السكاكي أو استعارة تحقيقية : على مذهب صاحب الكشاف في بعض المواد ، وعلى =

وإن لم يكن المستعار له مُحققاً ، لا حِساً ولا عقلاً « فالاستعارة تخييلية » وذلك : كالأظفار ، في نحو : أنشبت المنيّة أظفارها بفلان

المبحث السابع

في الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

(١) إذا كان اللفظ المستعار « اسماً جامداً لذاتٍ » كالبدر : إذا استُعير للجميل « أو اسماً جامداً لمعنى » كالقتل إذا إستعير للضرب الشّديد

سُمّيَتْ الاستعارة « أصلية في كلٍ من التّصريحيّة والمكنيّة » كقوله تعالى (كِتابٌ أنزَلناهُ إليكَ لِتُخرِجَ النّاسَ منَ الظلُماتِ إلى النُّورِ)[١]

وكقوله تعالى (وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ منَ الرَّحمةِ)[٢]

وسُميتْ أصليّةً : لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر مُعتبرٍ أوّلاً

= مختار صاحب السمرقندية) كذلك — أو إثباته تخيلا على مذهب (السلف ، وصاحب الكشاف) في بعض المواد - وعلى مختار (صاحب السمرقندية) كذلك - وبين مايجعل زائداً عليها (قوة الاختصاص) ى الارتباط بالمشبه به - فأيهما أقوى ارتباطاً به فرو (القرينة وماسواه (ترشيح) - (وذلك) كالنشب في قولك (مخالب المنية نشبت بفلان) فان (المخالب) أقوى اختصاصاً وتعلقاً بالسبع ، من (النشب) لأنها ملازمة له دائماً ، بخلاف النشب

(١) يقال في إجراء الاستعارة في الآية الأولى - شبهت الضلالة بالظلمة ، بجامع عدم الاهتداء في كل ، واستعير اللفظ الدال على المشبه به ، وهو الظلمة ، للمشبه وهو الضلالة ، على الاستعارة التصريحيه الأصلية

(٢) ويقال في إجراء الاستعارة في الاية الثانية — شبه الذل بطائر ، واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر ، للمشبه وهو الذل — على طريق الاستعارة المكنية الاصلية ثم حذف الطائر ، ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الجناح

« كقول البحترى »

يُؤدُّون التّحيةَ من بعيـــدٍ إلى قمر من الإيوان بادِ

(٢) وإذا كان اللفظ المُستعار « فعلاً[1] أو اسم فعـــلٍ ، أو اسماً مُشتقاً ، أو اسماً مبهماً أو حرفاً » فالاستعارة « تصريحية تبعيةٌ » نحو : نامت همومى عنّي .

(١) مثال الاستعارة التصريحية فى الفعل . نطقت الحال بكذا ـ وتقريرها أن يقال : شبهت الدلاله الواضحة ، بالنطق . بجامع إيضاح المعنى فى كل، واستعير النطق للدلالة الواضحة ، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية . ونحو : يحي الأرض بعد موتها . يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذى الخضرة والنضرة ـ بالأحياء ، بجامع الحسن أو النفع فى كل ـ ويستعار الأحيا. للتزيين ، ويشتق من الأحياء بمعنى التزيين يحي بمعنى يزين ، استعارة تبعية لجريانها فى الفعل تبعاً لجريانها فى المصدر ـ هذا إذا كانت استعارة فى الفعل باعتبار مدلول صيغته ، أى (مادته وهو الحدث) وأما إذا كانت باعتبار مدلول (هيئته وهو الزمن) كما فى قوله تعالى (أتى أمر الله) فتقريرها أن يقال: شبه الاتيان فى المستقبل، بالاتيان فى الماضى، بجامع تحقق الوقوع فى كل ، واستعير الإتيان فى الماضى للاتيان فى المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتى ، على سبيل الاستعارة التصريحيه التبعية ـ ونحو(ونادى أصحاب الجنة) أى ينادى ـ شبه النداء فى المستقبل . بالنداء فى الماضى، بجامع تحقق الوقوع فى كل ، استعير لفظ النداه فى الماضى للنداء فى المستقبل . ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادى ـ ونحو قوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا هذا) ان قدر المرقد مستعاراً للموت . فالاستعارة أصلية ، وإن قدر لمكان الرقاد مستعاراً للقبر . فالاستعارة تبعية لأنها فى اسم المكان ، فلا يستعار المرقد للقبر إلا بعد استعارة الرقاد للموت ـ ومثال الاستعارة فى اسم الفاعل. لزيد قاتل عمراً ، إذا كان عمرو مضروباً ضرباً شديداً ـ ومثالها فى اسم المفعول ـ عمرو مقتول لزيد ـ إذا كان زيد ضارباً لعمرو ضرباً شديداً ـ وإجراء الاستعارة فيهما أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الايذاء فى كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول، بمعنى ضارب أو مضروب ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ ومثالها فى الصفة

ونحو: صه: الموضوع للسكوت عن الكلام، والمستعمل مجازاً في ترك الفعل، ونحو: الجعدى قاتل اللص، بمعنى ضاربه ضرباً شديداً،

= المشبهة - هذا حسن الوجه، مشيراً إلى قبيحه - وإجراء الاستعارة فيه أن يقال - شبه القبح، بالحسن. بجامع تأثر النفس فى كل. واستعير الحسن للقبح تقديراً، واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ومثال الاستعارة فى أفعل التفضيل - هذا أقتل لعبيده من زيد - أى أشد ضرباً لهم منه - ومثال اسم الزمان والمكان - هذا مقتل زيد - مشيراً إلى مكان ضربه أوزمانه - ومثال اسم الآلة - هذا مفتاح الملك: مشيراً إلى وزيره. واجراؤها أن يقال - شبهت الوزارة، بالفتح للابواب المغلقة، بجامع التوسل إلى المقصود فى كل، واستعير الفتح للوزارة، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير - ومثال اسم الفعل المشتق - نزال بمعنى انزل. تريد به أبعد. فتقول شبه معنى البعد، بمعنى النزول، بجامع مطلق المفارقة فى كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد. واشتق منه نزال بمعنى أبعد - ومثال اسم الفعل غير المشتق «صه» بمعنى اسكت عن الكلام. تريد بها ترك فعل كذا - فتقول شبه ترك الفعل. بمعنى السكوت، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل، واشتق منه اسكت بمعنى اترك الفعل — وعبر بدل اسكت بصه — ومثال المصغر «رجيل» لمتعاطى ما لا يليق — ومثال المنسوب «قرشى» للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم

ومثال الاستعارة فى الحرف قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) واجراؤها أن يقال شبهت المحبة والتبنى. بالعداوة والحزن اللذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتيب، واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. واعلم أن اللام لم تستعمل فى معناها الأصلى وهو العلة. لأن علة التقاطهم له أن يكون لهم ابنا، وإنما استعملت مجازاً (لعاقبة الالتقاط)، وهى كونه لهم عدواً، فاستعيرت العلة للعاقبة، بجامع أن كلا منهما مترتب على الالتقاط. ثم استعيرت اللام تبعاً لاستعارتها، فالمستعار منه العلة. والمستعار له العاقبة. والترتب على الالتقاط هو الجامع، والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدواً - وكقوله تعالى (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) واجراؤها أن يقال شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن فى كل، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التى هى معانى الحروف

ونحو: هذا: الموضوعة للاشارة الحِسّية؛ والمُستعملة مجازاً فى الإشارة العقلية نحو: هذا رأى حسن، ونحو: قوله تعالى «ولأُصَلِّبَنَّكم فى جُذُوع النَخل» ونحو: قوله تعالى «فالتقطهُ آلُ فِرعون ليكون لهم عدُوّاً وحَزناً»

(٣) وإذا كان اللّفظُ المستعار إسماً مُشتقاً، أو اسماً مُبهماً «دون باقى أنواع التّبعية المتقدّمة» فالاستعارة «تَبَعيّةٌ مكنية»

= فاستعير لفظ «فى» الموضوع لكل جزئى من جزئيات الظرفية، لمعنى «على» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية — ومثال المكنية التبعية فى الاسم المشتق يعجبنى اراقة الضارب دم الباغى، واجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل، بجامع الايذاء فى كل، واستعير القتل للضرب الشديد، واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضربا شديداً، ثم حذف وأثبت له شىء من لوازمه وهو الاراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية — ومثالها فى الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك، أنت مطلوب منك أن تسير إلينا الآن — شبه مطلق مخاطب بمطلق غائب فسرى التشبيه للجزئيات واستعير الثانى للاول، ثم استعير بناء على ذلك ضمير الغائب للمخاطب، وحذف وذكر المخاطب، ورمز إلى المحذوف بذكر لازمه، وهو طلب السير منه إليك، واثباته له تخييل.

واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة أعنى الضمائر وأسماء الاشارة والموصولات تبعية، لأنها ليست باسم جنس لاتحقيقاً ولا تأويلا — ولأنها لاتستقل بالمفهومية لأن معانيها لا تتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشىء ما لم تصحب تلك الألفاظ فى الدلالة عليها ضميمة تتم بها — كالاشارة الحسية والصلة، والمرجع — فلابد أن تعتبر التشبيه أولا فى كليات تلك المعانى الجزئية، ثم سريانه فيها لتبنى عليه الاستعارة — مثلا فى استعارة لفظ «هذا» لامر معقول. يشبه المعقول المطلق فى قبول التمييز بالمحسوس المطلق فيسرى التشبيه إلى الجزئيات فيستعار لفظ هذا من المحسوس الجزئى للمعقول الجزئى الذى سرى إليه التشبيه، فهى استعارة تبعية — والاستعارة فى الضمير والموصول المؤنث — أو بموصولها عنه لشبيه بها. أو عكسه. فتشبه المذكر المطلق، بالمؤنث، كالتعبير عن المذكر بضمير المطلق، فيسرى التشبيه، فتستعير الضمير، أو الموصول، للجزء الخاص

وسُمِّيت (تبعيةً) لأنَّ جريانها فى المشتقات ، والحروف ، تابعٌ لجريانها أولاً : فى الجوامد ، وفى كليات معانى الحروف .

يعنى : أنَّها سُمِّيت تبعيةً لتبعيَّتها لاستعارة أخرى ، لأنها فى المشتقَّات تابعةٌ للمصادر .

ولأنَّها فى معانى الحروف تابعة لِمُتعلَّق معانيها ، إذْ معانى الحروف جزئية لا تُتَصوَّر الاستعارة فيها إلا بواسطة كلىٍّ مستقِلٍّ بالمفهومية . ليتأتى كونها مُشبَّهاً ، ومشبَّهاً بها ، أو محكوماً عليها ، أو بها .

نحو : ركبَ فلان كَتفى غريمه [١] أى : لازمه ملازمةً شديدة .

وكقوله تعالى (اولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ) أى تمكنوا من الحصول على الهداية التامَّة [٢] ، ونحو : (أَذقْتُه لِباسَ المَوْتِ) [٣] أى ألبسته إيَّاه

تنبيهات عشرة

التنبيه الأول — كل تبعية قرينتها مكنية .

التنبيه الثانى — إذا أجريت الاستعارة فى واحدة من الاستعـــارة

(١) يقال فى إجرائها شبه اللزوم الشديد ، بالركوب ، بجامع السلطة والقهر — واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم ، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ، ركب بمعنى لزم ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعة

(٢) يقال فى اجرائها شبه مطلق ارتباط بين مهدى وهدى — بمطلق ارتباط بين مستعلى ومستعلى عليه بجامع التمكن فى كل ، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات ثم استعيرت «على» من جزئى من جزئيات المشبه به ، لجزئى من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية

(٣) يقال فى اجرائها شبهت الاذاقة بالالباس ، واستعير الالباس للاذاقة بجامع الاشتمال فى كل ، واشتق منه ألبس بمعنى أذاق ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية — ثم حذف لفظ المشبه به ، ورمز إليه بشىء من لوازمه ، وهو اللباس ، على طريق الاستعارة المكنية

التصريحية ، أو من الاستعارة المكنية ، امتنع اجراؤها فى الأخرى .

التنبيه الثالث — تقسيم الاستعارة إلى « أصلية وتبعية » عام فى كل من الاستعارة التصريحية والمكنية .

التنبيه الرابع — تبين أن الاستعارة هى اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى (١)

أو هى : « مجاز لغوى » علاقته المشابهة ، كقول زهير :

لدى أسد شاكى السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم

فقد استعار الأسد : للرجل الشجاع . لتشابههما فى الجراءة .

والمستعار له هنا : لفظ رجل « محقق حساً »

وكقوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم » ؛ فقد استعار الصراط المستقيم للدين الحق ، لتشابههما فى أن كلا يوصل إلى المطلوب .

وكقوله تعالى « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور » أى من الضلال إلى الهدى ، فقد استعير لفظ الظلمات . للضلال ، لتشابههما فى عدم اهتداء صاحبيهما ، ثم استعير لفظ الظلمات . للضلال ، وكذلك استعير لفظ النور . للإيمان . لتشابهها فى الهداية ، والمستعار له وهو الضلال والإيمان ، كل منهما (محقق عقلاً) وتسمى هذه الاستعارات (تصريحية) وتسمى (تحقيقية) — وأما قول أبى ذؤيب الهذلى .

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

فشبه المنية . بالسبع . فى اغتيال النفوس قهراً . من غير تفرقة بين نفاع وضرار ، ولم يذكر لفظ المشبه به ، بل ذكر بعض لوازمه وهو أظفارها

---

(١) قد يراد بالاستعارة المعنى المصدرى : اى استعمال اللفظ فى غير وضع له ، فيكون اللفظ مستعاراً ، والمشبه به مستعارا منه ، والمشبه مستعاراً له .

التى لا يكمل الاغتيال فى السبع إلا بها . تنبيهاً على المشبه به المحذوف . فهو استعارة (مكنيه) وكقوله :

ولئن نطقت بشكر بِرّك مفصحاً فلسان حالى بالشكاية أنطقُ

فشبّهَ الحال . بانسان ناطق فى الدّلالة على المقصود ، ولم يصرح بلفظ المشبه به ، بل ذكر لازمه . وهو (اللسان) الذى لا تقوم الدلالة الكلامية إلاّ به ، تنبيهاً به عليه — فهو أيضاً استعارة (مَكنيِةْ)

وقد أثبت للمشبه لازم من لوازم المشبه به ، لا يكون إلا به كمالُهُ أو قوامهُ فى وجه الشبه . (كالأظفار) التى لا يكمل الافتراس إلا بها . كما فى المثال الأول . (واللسان) الذى لا تقوم الدلالة الكلامية فى الانسان إلا به ، كما فى المثال الثانى ، وليس للمنية) شىء كالأظفار نُقل إليه هذا اللفظ ، ولا (للحال) شىء (كاللسان) نُقل إليه لفظ اللسان .

وما كان هذا حاله يُعتبر طبعاً (تخييلا أو استعارة تخييليه)

التذنيه الخامس — تقدم أن الاستعارة التّصريحية . أو المُصرحه : هى ما صُرّح فيها بلفظ المشبه به .

وأنّ المكنيةَّ ، هى ما حذف فيها لفظ المشبه به ، استغناء ببعض لوازمه . التى بها كمالهُ ، أو قوامهُ فى وجه الشّبه[1] وأنّ إثبات ذلك اللّازم تخييل — أو استعارة تخييلية .

غير أنهم اختلفوا فى تعريف كلٍّ من المكنية والتّخييلية .

---

(١) إذا لم يكن اللازم كذلك . اعتبر ترشيحا — فالفرق بين الترشيح والتخييل :

(ا) أن الترشيح يكون فى المصرحة والمكنية : والتخييل . إنما يكون فى المكنية

(ب) أن التخييل به كمال المشبه به ، أوقوامه فى وجه الشبة ، ولا يكون إلا كذلك .

فمذهب السّلف : أنّ المكنيةَّ : اسمُ المشبه به ، المُستعار فى النّفس للمشبه ، وأنّ إثبات لازم المشبه به للمشبه (استعارة تخييلية) [١] فكلٌّ من (الأظفار) فى قوله : « وإذا المنية أنشبت أظفارها » . (واللّسان) فى قوله : « فلسان حالى بالشكاية أنطقُ حقيقةٌ ، لأنه مُستعمل فيما وضع له .

ومذهب (الخطيب القزْوِينى) أنّ المكنية هى التّشبيه المضْمر فى النفس ، المرموز إليه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، وهذا الاثبات هو الاستعارة « التخييلية »[٢]

---

(١) وعلى مذهبهم لاتكون التخييلية (مجازاً لغوياً) لأنها فعل من أفعال النفس. وهو الاثبات ، والمجاز اللغوى من عوارض الألفاظ . وعلى مذهبهم أيضا تتلازم المكنية والتخييلية ، إلا أن أحدهم وهو (الزمخشرى) انفرد من بينهم بأ قال إن قرينة المكنية قد تكون تحقيقية إذا كان للمشبه لازم يشبه لازم المشبه به نحو « ينقضون عهد الله » فقد شبه العهد بالحبل بجامع أن كلاً يصل بين شيئين ويربطهما: فالعهد يربط المتعاهدين كما يربط الشيئان بالحبل . ثم حذف لفظ المشبه به. وهو الحبل واستعير النقض وهو فك طاقات الحبل. لأبطال العهد ، بجامع الافساد فى كل (استعارة أصلية تحقيقية) ثم اشتق من النقض ينقضون بمعى يبطلون ، على سبيل الاستعارة ، (التحقيقية التبعيه) فالزمخشرى يجمع بين المكنية والتحقيقية أحياناً ، على أن التحقيقية ليست مقصودة لذاتها . وإنما جاءت تبعا للمكنية، للدلالة عليها ، فلا تلازم عنده بين المكنية والتخييلية . إلا أن يدعى أن القرينة (تصريحية) باعتبار المعنى المقصود فى الحالة الراهنة (تخييلية) باعتبار الاشعار بالأصل . أما غيره من السلف فتقول : شبه العهد بالحبل ، وحذف لفظ الحبل ، ورمز إليه بلازمه ، وهو النقض وإثبات النقض للعهد تخييل

(٢) من هذا التعريف نفهم أولا : أن (القزوينى) يخالف السلف فى تعريف المكنية ويتفق معهم فى قرينتها . ونفهم ثانيا أن المكنية والتخييلية عند القزوينى فعلان من أفعال النفس هما التشبيه والاثبات ، فليسا من المجازى اللغوى ، لأنه من عوارض الألفاظ وتكون التخييلية عند (القزوينى) والقوم (مجازاً عقلياً) ، لما فيها من اثبات الشىء لغير

ومذهب «السكاكى» أنّ المكنية لفظ المشبه، مُراداً به المشبه به[1] فالمراد (بالمنية) فى قوله : « وإذا المنيةُ أنشبت أظفارها » هو السبع بادعاء السّبعيّة لها . وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع ، بقرينة إضافة الأظفار التى هى من خواص السّبع إليها . و (التَّخييلية) عنده إما لا تحقُّق لمعناه « لا حساً ولا عقلا) بل هو صورة وهميّة مَحْضَه : كالأظفار فى ذلك المثال فانه لما شبّه المنية ، بالسبع فى الاغتيال ، أخذ الوهم يُصوِّرها بصورته . ويخترع لها لوازمه ، فاخترع لها صورة كصورة الأظفار . ثم أطلق عليها لفظ الأظفار فيكون لفظ الأظفار استعارة « تصريحية تخييلية »

أمّا أنها تصريحيه : فلأنه صُرِّح فيها بلفظ المشبه به ، وهو اللازم الذى أطلق على صورة وهميّة شبيهة بصورة الإظفار المحقّقة

وأما أنها «تخييلية» فلأنّ المستعار له غير محقق « لا حساً ولا عقلا » . والقرينة على نقل الأظفار من معناها الحقيقى إلى المعنى المتَخيَّل ، إضافتها إلى المنية[2] .

= ماهو له ، وإنما سموها (استعارة) لما فيها من نقل اللازم من ملائمه الأصلى، وهو المشبه به إلى المشبه ، وسموها تخييلية لأن اللازم لما نقل من المشبه به إلى المشبه صار السامع يخيل إليه أن المشبه من جنس المشبه به . ونفهم ثالثا أن لفظ اللازم فى المكنية حقيقة عند (القزوينى) .

(١) تقرير الاستعارة على مذهب (السكاكى) أن يقال : شبهنا المنية التى هى الموت المجرد عن ادعاء السبعية ، بالسبع الحقيق ، وادعينا أنها فرد من أفراده ، وأن للسبع فردين فردا متعارفا وهو الحيوان المفترس ، وفردا غير متعارف وهو الموت الذى ادعيت له السبعية ، واستعير اسم المشبه وهو المنية بمعنى ذلك الفرد غير المتعارف ، أعنى الموت الذى ادعيت له السبعية ، فصح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه . وهو المنية وأريد به المشبه به ، وهو السبع .

(٢) يرى (السكاكى) أن التخييلية قد توجد من غير المكنية كقولهم . أظفار المنية =

هذا ـ ومذهب السكاكى فى المكنية مردود عليه

بأنّ لفظ المشبه فيها مُستعمل فيما وُضع له تحقيقاً ، للقطع بأنّ المراد بالمنية «الموت» لا غير : فليس مُستعاراً

التنبيه السادس ـ الاستعارة صِفةٌ للفظ على المشهور ؛ والحق أن المعنى يُعارُ أوّلا . ثمُ يكون اللفظ دليلا على الاستعارة : وذلك

(١) لأنه إذا لم يكن نقلُ الاسم تابعاً لنقل المعنى تقديراً لم يكن ذلك استعارة ؛ مثل «الأعلام المنقولة» فأنتَ إذا سَميتَ إنساناً بأسد . أو نمر . أو كلب . لا يقال إن هذه الأسماء مُستعارة ؛ لأن نقلها لم يتبع نقل معانيها تقديراً

(٢) ولإن البُلغاء : جزمُوا بأن «الاستعارة ، أبلغ من الحقيقة» فإن لم يكن نَقلُ الاسم تابعاً لنقل المعنى ، لم يكن فيه مُبالغة ، إذ لا مُبالغة فى إطلاق الاسم المُجرد عن معناه .

التنبيه السابع — ظهر أنَّ الاستعارة باعتبار اللّفظ نوعانِ (أصلية وتبعيةٌ)

فالأصلية : ما كان فيها المستعار اسم جنس غير مشتقّ ، سواءاً كان اسم ذاتٍ ، كأسد للرجل الشجاع ، أم اسمَ معنًى ، كقتل للإذلال ، وسواءاً كان اسمَ جنسٍ (حقيقةً) كأسد وقتل ، أم (تأويلا) كما فى الأعلام المشهورة بنوع من الوصف ، كحاتم فى قولك : رأيت اليوم حاتماً ، تُريد رجلا كامل الجود فاعتُبر لفظ (حاتم) فى قوّة الموضوع لمفهوم كلى ، حتى كاد يغلب استعماله فى كلّ من له وصف حاتم ، فكما أن أسداً يتناول الحيوان المفترس

التى كالسبع نشبت بفلان ، فنى أظفار (استعارة تخييلية) وجدت مع تشبيه صريح ، ولكن هذا بعيد إذ لم يوجد له نظير فى الكلام العربى ، فالفرق بين السكاكى وغيره أن السكاكى يرى أن كل مكنية معها تخييلية ولا عكس ، وغيره (إلا الزمخشرى) يقول إنهما متلازمان .

والرجلَ الشّجاع ادّعاء : كذلك حاتم يتناول الطّائى وغيره ادّعاء ، ويكون استعماله فى (الطائى) حقيقة ، وفى غيره مجازاً ، لأن الاستعارة مَبنية على ادّعاء أنَّ المشبه فرد من أفراد المشبه به ، فلا بدَّ أن يكون المشبه به كلياً ذا أفرادٍ . والمراد (باسم الجنس) غير المشتق (ماصلح لأن يَصدق على كثيرين من غير اعتبار وصف من الأوصاف فى الدلالة)

وليس العلم الشخصى واسم الاشارة والضمير والموصول من الكليات، فلا يصح أن تجرى فيها الاستعارة الأصلية . أمَّا المشتق فالصفة جزءٌ من مدلوله وضعاً ، لأنه موضوع لذات متصفه بصفة ، (فكريم) موضوع لذات متصفة بالكرم ، (وقتيل) موضوع لذات متصفة بوقوع القتل عليها .

وقد اعتُبرتْ « الأعلام » التى تتضمَّن معنى الوصف اسمَ جنسٍ تأويلا ولم تُعتبر من قبيل المشتق ، لأن الوصف ليس جُزءاً من معناها وضعاً ، بل هو لازم له ، غير داخل فى مفهومه ، فحاتم لم يوضع للدَّلالة على الجود ولا على ذات مُتَّصفة به ، ولكن الجود عرض له . ولزمه فيما بعد .

التنبيه الثامن — التَّبعيَّة [1] ما كان فيها المُستعار مُشتقاً ، ويدخل

---

(١) كذلك يدخل فيه الاسم المبهم ، فقد جعل بعضهم استعارة الاشارة والضمير والموصول من التبعية ، لأن كلا من هذه المبهمات ليس من اسم الجنس لا تحقيقا ولا تأويلا ، إذ أن معانيها جزئية ـ والأصلية : مختصة باسم الجنس ، فاذا قلت : هذا رأى حسن ، فقد استعرت اسم الاشارة من المحسوس للمعقول ، ويقال : شبه المعقول مطلقا بالمحسوس مطلقا فى قبول التميز والتعبير ، فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات فاستعير لفظ (هذا) من جزئى المشبه به لجزئى المشبه استعارة تبعية ، لقصد المبالغة فى بيان تعيين المعقول . وإذا قلت لنسوة : إنى منتظركم ، فقد شبهت مطلق مخاطبة فيها عظمة ، بمطلق مخاطب فيه عظمة . بجامع العظمة فى كل . فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات . فاستعير ضمير جماعة الذكور من جزئى المشبه

فى هذا : الفعل ، والاسمُ المشتقّ ، والحرف .

فاستعارةُ الفعل (١) نحو : قوله تعالى «إنّا لما طغَى الماء حملنا كم فى الجارية»

ونحو : قوله تعالى (وقطّعناهم فى الأرض أمماً)

ونحو : قوله تعالى « فبشّرْهم بعذاب أليم »

(١) يقال : شبّه زيادة الماء زيادة مُفسده ، بالطُّغيان ـ بجامع مجاوزة . الحدّ فى كلّ ، وادّعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به . ثم استعير المشبه به ، للمشبه : على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، ثم اشتقّ من من الطغيان بمعنى الزيادة طغَى بمعنى زاد ، وعــــلا ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

هذا : وقد يستعمل لفظ الماضى موضع المضارع ، بناء على تشبيه المستقبل المحقّق ، بالماضى الواقع ، بجامع تحقق الوقوع فى كل

ونحو : قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لِمَ شَهِدتُمْ علينا)

= به لجزئى المشبه ، استعارة تبعية ، وكذا إذا استعملت فى المؤنث ماوضع من أسماء الموصول فى المذكر .

وإذا عاد الضمير أو اسم الاشارة على مجاز : نحو : زارنى هذا الأسد فأكرمته فليس فيهما تجوز بنا على أن وضعهما لأن يعودا على مايراد بهما من حقيقة أو مجاز . وقيل فيهما تجوز تبعاً لما يرجعان إليه ويكونان مستعارين بناء على التشبيه والاستعارة فى مرجعهما . فيدخلان فى التبعية .

(١) لودخلت أن المصدرية على فعل مستعار نحو : يسؤنى أن يطغى الماء على قريتى . فالحق أنها تبعية وأن المستعار هو الفعل وحده وهو الذى حل محل يكثر أو يعلو . والعبرة باللفظ . والمصدر غير ملفوظ به ، ـ و « أن » إنما هى آلة فى السبك أتى بها لغرض هو تأويل مدخولها بمصدر . فاذا أدى بها هذا الغرض طرحت كما تطرح الالة إثر إتمام العمل الذى يؤدى بها . وقال بعضهم إنها أصلية نظراً للمصدر المؤول

وقد يُعبّر بالمضارع عن الماضى ، بناء على تشبيه غير الحاضر بالحاضر ؛ فى استحضار صورته الماضية ، لنوع غرابة فيها .

نحو : قوله تعالى « إنّى أرى فى المنام أنى أذبحك »

التذبيه التاسع — استعارة المشتق : إمّا صفة[1] ، وإمّا اسمُ زمان ؛ أو مكان أو آلة فالصّفة ، نحو : حكِمَ على قاتلك بالسّجن ، من القتل بمعنى الضرب الشديد ، مَجازاً ، ونحو : إنما أصادق الأصمّ عن الخنى ، وأجاور الأعمى عن العورات ونحو : فلسان حالى بالشكاية أنطقُ : أى أدلّ

ونحو : قوله تعالى « مَنْ بعثَنا من مرْقدِنا » ونحو : جئتَ بمقتالك[2] : أى بالآلة التى أضربك بها ضرباً شديداً .

---

(١) يراد بالصفه : اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبه واسم التفضيل ويلحق بها المصغر والمنسوب كرجيل إذا أريد به رجل كبير يتعاطى مالا يليق به وكقرشى لمصرى يتخلق بأخلاق القرشيين فان استعارتهما تابعة لاستعارة مصدرين لمشتقين ، يؤدى هذان اللفظان معناهما وهما صغير ومنتسب إلى قريش . شبه فعل مالا يليق بالصغر ، بجامع أن كلا يسقط الهيبة ، واستعير لفظ الصغر لفعل مالا يليق ثم اشتق منه صغير بمعنى فاعل مالا يليق ، ثم عبر عن فاعل مالا يليق بلفظ رجيل . أو شبه رجيل . أو شبه مطلق فعل مالا يليق ، بمطلق الصغر ، فسرى التشبيه إلى فردى المشبه والمشبه به وهما فاعل مالا يليق ورجيل ، ثم استعير بناء على التشبيه الحاصل بالسريان رجيل للكبير الذى يفعل فعل الصغير . وشبه التخلق بأخلاق قريش بالانتساب إليهم ، واستعير الانتساب للتخلق واشتق منه المنتسب بمعنى المتخلق بأخلاقهم ثم عبر عن هذا بلفظ يؤديه وهو « قرشى » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

(٢) شبه الضرب بالقتل بجامع شدة الايذاء فى كل . ثم استعير للضرب الشديد على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، ثم اشتق منه « مقتال » بمعنى آلة الضرب على سبيل الاستعارة التبعية . وشبه الأعراض عن سوء القول وعدم سمعه بالصمم بجامع عدم تاثر النفس بالقول فى كل . وكذلك شبه الاغضاء عن العورات بالعمى ، بجامع عدم تاثر النفس بالمرئى فى كل .

التنبيه العاشر — مدار قرينة التبعية فى الفعل والمُشتق على ما يأتى :

(١) على الفاعل — نحو : إنّا لما طغَى الماء ، ونطقت الحال بكذا(١)

(٢) أو على نائبه — نحو : ضُرِبتْ عليهم الذّلةُ والمسكنةُ(٢)

(٣) أو على المفعول به — نحو :

جُمع الحقّ لنا فى إمامٍ قتَلَ البُخلَ وأَحيا السَّماحا(٣)

(٤) أو على المفعول به الثانى ، نحو :

صبحنا الخزرجيّة مُرْهفات أباد ذَوِى أرومتها ذَوُوها(٤)

(٥) أو على الفاعل والمفعولين ، كقول الشاعر :

تَقرِى الرِّياحُ رياضَ الحَزْنِ مُزهرةً إذا سرى النومُ فى الأجفان إيقاظَا(٥)

---

(١) لأن كلا من الطغيان والنطق من شان الانسان .

(٢) لأن الضرب من شان الخيام ، لامن شان الذلة التى هى أمر معنوى .

(٣) لأن القتل والأحياء لايقعان إلا على ذى روح ، والبخل والسماح معنويان لاروح فيهما ، فدل هذا : على أن المراد بالقتل الازالة ، وبالاحياء الاكثار . شبه الازالة بالقتل بجامع مايترتب على كل من العدم والاكثار بالأحياء بجامع إظهار المتعلق فى كل .

(٤) القرينة تعلق الفعل «صبح» بمرهفات وهى مفعولى به ثان يقال . صبحه كقطع سقاه الصبوح ، وهو شراب الغداة . ومرهفات أى سيوفا مرهفات ، يقال ارهف السيف إذا حدده ورققه : وأباده أهلكه . والأرومة الأصل والضمير فى أرومتها للخزرجية . وفى « ذووها » للمرهفات — يقول : أبدنا أصول هذه القبيلة بسيوفنا المرهفات . ونزل التضادمنزلةالتناسب ، فشبه الاساءة إلى الخزرجية صباحاً بالاحسان إليهم ، وتقديم الصبوح لهم ، بجامع إدخال السرور على النفس فى كل ، وإن كان ادعائيا فى المشبه ، ثم استعار لفظ المشبه به للشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية العنادية التهكمية ، ثم اشتق من الصبوح بمعنى الضرب بالمرهفات « صبح » بمعنى ضرب بها على سبيل الاستعارة التبعية .

(٥) الجفن غطاء العين وغلاف السيف استعير لأكمام الزهر بجامع التغطيه فى

(٦) أو على المفعولين، كقوله تعالى (وقطعناهم فى الأرض أمماً)

(٧) أو على المجرور، نحو: « فبشرهم بعذاب أليم[١] » ونحو: « فاصدع بما تؤمر » ونحو: بل نقذف بالحق » هذا – وقد تكون قرينة التبعية غير ذلك، نحو: قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا[٢] » إذ القرينة فى هذه الآية، كونه من كلام الموتى، مع قوله: « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون »

التنبيه العاشر – استعارة الحرف[٣] نحو: (فالتقطه آلُ فرعونَ ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا) فقد شبّه مُطلق ترتُّب عِلّة واقعية على فعل،[٤] بمُطلق

كل، وكنى بسريان النوم فيها عن ذبولها، وإيقاظ مصدر أيقظ مصدر مستعار لتفتيح الزهر وإيجاد النضرة والبهجة فيه، وقد حسن التعبير بالايقاظ بجيئه بعد النوم والأجفان. والمعنى: تهب الرياح على بساتين الحزن فتكسوها تفتيحا وحسنا ونضارة

(١) قوله بعذاب: قرينة على ان « بشر » مستعار، لأن التبشير بما يسر فلا يناسب تعلقه بالعذاب، وقوله: « بما تؤمر » كذلك لأنه معنوى والصدع للمحسوس، كما ان الحق معنوى أيضا، فكل منها كان صارفا عن المعنى الأصلى للفعل إلى المعنى المجازى.

(٢) هذا على أن مرقد اسم مكان، وإلا فالاستعارة اصلية كما تقدم.

(٣) إيضاح: مثل الابتداء والظرفية والاستعارة معان كلية، يصح ان تكون مستقلة بالفهم، يحكم بها وعليها، وتكون مقصودة لذاتها، ولكن لابتداء المفهوم من لفظ « من » ابتداء مخصوص لم يقصد لذاته. بل الغرض منه الربط بين معنيين مستقلين بالفهم: هما السير والبصرة فى قولك: سرت من البصرة ولذا كان جزئيا بالنسبة للابتداء الأول، وما قيل فى الابتداء يقال نظيره فى الظرفية والعلة الغائية والاستعلاء، وغيرها من المعانى التى تستفاد من الحروف نحو: فى، واللام، وعلى

فأى معنى يستفاد من الحرف فى جملة ما، يعتبر جزئيا من كليه، غير مقصود لذاته، بل للربط بين معنيين مستقلين، وتعتبر الحروف حينئذ روابط بين المعانى المقصودة

(٤) العداوة والحزن علة واقعية للالتقاط.

تَرتُّب عِلة غائية على فعــل[1] ، بجامع مطلق الترتُّب فى كل[2] ، فسرى التشبيه من الكليين ألى الجزئيات ، ثم استُعمِلَ فى جزئى المشبه[3] (اللامُ) الموضوعة لجزئى المشبه به[4] على سبيـــل الاستعارة التبعية ، ونحو : قوله تعالى : (وَلأُصَلِّبَنَّــكم فى جذوع النَّخلِ[5]) ، ونحو : قوله تعالى(أولئك على هدى من ربهم[6]) . ونحو : (زيد فى نعمة[7]) .

ومن هذه الأمثلة السابقة : تبيَّن أنه لا يُشترط أن يكون للمشبه حرف موضوع له يدل عليه

واختار (السكاكىّ) تقليلا لأقسام الاستعارة : أن يُستغنى عن التبعيه فى الفعل ، والمشتق ، والحرف ، بأن يجعل قرينة التبعية ، استعارة مكنية ،

---

(١) العلة الغائية لفعل هى التى تحمل على تحصيله لتحصل بعد حصوله كتبنى فرعون لموسى ، ومحبة موسى إياه ، لأن فرعون وآ له إنما كفلوه بعد التقاطه لذلك.

(٢) إلا أن الترتب فى الغائية (رجائى أو تقديرى) وفى العداوة والحزن (واقعى)

(٣) جزئى المشبه هنا هو ترتب العداوة والحزن الخاصين المتعلقين (بموسى)

(٤) جزئى المشبه به هنا هو ترتب علة الالتقاط الخاصة : وهى تبنى موسى والمحبة ، لأنهما متقدمان على كفالته بعد الالتقاط ، ومرتبان عليه فى الخارج .

(٥) شبه مطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف ، بجامع التمكن ، أو مطلق الارتباط فى كل . فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات . فاستعير لفظ « فى » من جزئيات المشبه به . لجزئى من جزئيات المشبه استعارة تبعية .

(٦) شبه مطلق ارتباط بين مهدى وهدى ، بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بجامع مطلق الارتباط فى كل ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، فاستعير لفظ « على » من جزئيات المشبه به ، لجزئى المشبه ، استعارة تبعية

(٧) شبه مطلق ملابسة الانسان للنعمة ، بمطلق ملابسة بين ظرف ومظروف بجامع مطلق الملابسة فى كل ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، فاستعير لفظ « فى » من جزئيات المشبه به ، لجزئى من جزئيات المشبه ، استعارة تبعية .

وأن يجعل التبعية ، قرينة للمكنية ؛ ففى قوله تعالى : (إنا لمّا طغى الماء حملناكم فى الجارية) يجعل القوم الطُّغيان مُستعاراً للكثرة المفسدة

ويقول « السكاكى » فى لفظ (الماء) استعارة مكنية ، ونسبة الطغيان إليه قرينة .

المبحث الثامن

فى تقسيم الاستعارة المصرَّحة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقيّة

فالعنادية — هى التى لا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد لتنافيهما كاجتماع النّور والظّلام

والوفاقيّة — هى التى يُمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد ، لعدم التّنافى — كاجتماع النُّور والهُدى

ومثالهما قوله تعالى (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) أى ضالا فهديناه

ففى هذه الآية استعارتان

الأولى — فى قوله « مَيْتاً » شبّه الضّلال ، بالموت ، بجامع ترتُّب نفى الانتفاع فى كلّ ، واستُعير الموت للضّلال ، واشتُقّ من الموت بمعنى الضلال ، مَيْتاً بمعنى ضالاً ، وهى عنادية ، لأنه لا يُمكن اجتماع الموت والضلال فى شىء واحد

والثانية — استعارة الإحياء ، للهداية ، وهى (وفاقيّة) لامكان اجتماع الإحياء والهداية فى الله تعالى ، فهو محيٍ وهادٍ

ثم العِنادية — قد تكون تمليحيّة . أى المقصود منها التّمليح والظّرافة

وقد تكون تهكُّميّة — أى المقصود منها التّهكُّم والاستهزاء ، بأن يُستعمل اللفظ الموضوع لمعنى شريف . على ضدّه أونقيضه ، نحو رأيت أسداً

وكقوله : وأدهمَ يستمِدّ الليل منه وتطلع بين عينيه الثُّريّا

فقد استعار الثريا ، لغرّة المُهر ، والجامع بين الطرفين ظاهر ، وهو البياض

وقد يُتصرّف فى العامية بما يُخرجها إلى الغرابة

= التصريحية التبعية — ومثال ما إذا كان المستعار منه حسيا . والمستعار له عقليا . قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فان المستعار منه كسر الزجاجة ، وهو أمر حسى ، باعتبار متعلقة ، والمستعار له التبليغ جهراً والجامع التأثير الذى لا يمكن معه رد كل منهما إلى ما كان عليه « أى أظهر الأمر إظهاراً لا ينمحى — كما أن صدع الزجاجة لا يلتئم وإجراء الاستعارة : شبه التبليغ جهراً بكسر الزجاجة ، بجامع التأثير الشديد فى كل واستعير المشبه به وهو « الصدع » للشبه وهو التبليغ جهراً - واشتق منه إصدع بمعنى بلغ جهراً . على طريق الاستعارة التصريحية التبعية - ومثال ما إذا كان المستعار منه عقليا . والمستعار له حسيا . قوله تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) فان المستعار له كثرة الماء كثرة مفسدة وهى حسية ، والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان . واجراء الاستعارة ، شبهت كثرة الماء المفرطة ، بمعنى الطغيان وهو مجاوزة الحد ، بجامع الاستعلاء . المفرط فى كل . واستعير لفظ المشبه به . وهو الطغيان للشبه وهو الكثرة المفرطة . واشتق منه طغى بمعنى كثر كثرة مفرطة على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

(تنبيه) الاستعارة المكنية تنقسم أيضاً إلى أصلية ، وإلى تبعية . وإلى مرشحة وإلى مجردة . وإلى مطلقة . كما انقسمت التصريحية إلى مثل ذلك .

فالمكنية الأصلية — هى ما كان المستعار فيها اسما غير مشتق ، كالسبع المتقدم والتبعية - هى ما كان المستعار فيها اسما مشتقا ، فلا تكون فى الفعل ولا فى الحرف ومثالها فى الاسم المشتق - يعجبنى إراقة الضارب دم الظالم . فقد شبه الضرب الشديد بالقتل ، بجامع الايذاء فى كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، ثم حذف ورمز إليه بشىء من لوازمه ، وهو الاراقة ، على طريق الاستعارة المكنية التبعية — فالاستعارة التخييلية عند الجمهور : هى نفس اثبات اللازم المستعمل فى حقيقته - وهى من المجاز العقلى ، وإنما سميت استعارة : لأنه استعير ذلك الاثبات من المشبه به ، للمشبه . وسميت تخييلية لأن إثباته للشبه خيل اتحاده مع المشبه به ، فقولنا أظفار المنية نشبت بفلان

(٢) وخاصية — وهي الغريبة التي يكون الجامع فيها غامضاً ، لا يُدركه إلا أصحاب المَدارك (من الخواص) — كقول كثير يمدح عبد العزيز بن مروان

غَمرُ الرِّداء ، إذا تَبسَّم ضاحكاً غلِقتْ لِضحكتِه رِقابُ المال

غَمرُ الرِّداء « كثير العطايا والمعروف » استعار الرِّداء للمعروف : لأنه يصون ويستر عرض صاحبه ، كستر الرِّداء ما يُلقى عليه . وأضاف إليه

= فلفظ « أظفار » في هذا التركيب مستعمل في حقيقته « وإنما التجوز في اثباته للمنية » أي أن ذلك الاثبات إثبات الشيء إلى غير ما هو له — فعند الجمهور : التخييلية لا تفارق المكنية . لأنها قرينتها .

والاستعارة المكنية المرشحة — هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط ، نحو — نطق لسان الحال بكذا — شبهت « الحال » بمعنى الانسان واستعير لفظ المشبه به ، للمشبه وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو « لسان » واثبات اللسان للحال تخييل ، وهو القرينة ، والنطق ترشيح . لأنه يلائم المشبه به فقط .

وترشيح المكنية فيه خلاف مبسوط في المطولات .

والمكنية المجردة — هي ما قرنت بما يلائم المشبه فقط . — نحو : نطقت الحال الواضحة بكذا — فالوضوح تجريد ، لأنه يلائم المشبه الذي هو انسان فقط .

والمكنية المطلقة — هي التي لم تقترن بشيء يلائم المشبه ولا المشبه به — أو قرنت بما يلائمهما معاً — نحو نطقت الحال بكذا — ونطق لسان الحال الواضحة بكذا ففي الأول — شبهت الحال بانسان واستعير لها اسمه ، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النطق ، واثبات النطق للحال تخييل . وهي مجردة لأنها لم تقترن بشيء يلائمها

وفي الثاني — شبهت الحال بانسان واستعير له اسمه ، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو « لسان » واثباته للحال تخييل ، وهو القرينة ، والنطق ترشيح ، لأنه يلائم المشبه به ، والوضوح تجريد ، لأنه يلائم المشبه — ولما تعارضا سقطا

وتنقسم المكنية أيضا إلى عنادية — نحو — أنشبت المنية أظفارها بفلان — لأنه لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد (يكون منية وسبعا)

ووفاقية — نحو نطقت الحال بكذا — لأنه يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد ، كالحال مع الانسان .

وكقوله : وأدهمَ يستمِدّ الليل منه   وتطلع بين عينيه الثُّرَيّا

فقد استعار الثريا ، لغرّة المُهر ، والجامع بين الطرفين ظاهر ، وهو البياض وقد يُتصرّف فى العامية بما يُخرجها إلى الغرابة

= التصريحية التبعية — ومثال ما إذا كان المستعار منه حسيا . والمستعار له عقليا . قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فان المستعار منه كسر الزجاجة ، وهو أمر حسى ، باعتبار متعلقة ، والمستعار له التبليغ جهراً والجامع التأثير الذى لا يمكن معه رد كل منهما إلى ما كان عليه « أى أظهر الأمر إظهاراً لا ينمحى — كما أن صدع الزجاجة لا يلتئم وإجراء الاستعارة : شبه التبليغ جهراً بكسر الزجاجة ، بجامع التأثير الشديد فى كل واستعير المشبه به وهو «الصدع» للمشبه وهو التبليغ جهراً — واشتق منه إصدع بمعنى بلغ جهراً . على طريق الاستعارة التصريحية التبعية — ومثال ما إذا كان المستعار منه عقليا . والمستعار له حسيا . قوله تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) فان المستعار له كثرة الماء كثرة مفسدة وهى حسية ، والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان . واجراء الاستعارة ، شبهت كثرة الماء المفرطة ، بمعنى الطغيان وهو مجاوزة الحد ، بجامع الاستعلاء . المفرط فى كل . واستعير لفظ المشبه به . وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة . واشتق منه طغى بمعنى كثر كثرة مفرطة على طريق الاستعارة التصريحية التبعية .

(تنبيه) الاستعارة المكنية تنقسم أيضاً إلى أصلية ، وإلى تبعية . وإلى مرشحة وإلى مجردة . وإلى مطلقة . كما انقسمت التصريحية إلى مثل ذلك .

فالمكنية الأصلية — هى ما كان المستعار فيها اسما غير مشتق ، كالسبع المتقدم والتبعية — هى ما كان المستعار فيها اسما مشتقا ، فلا تكون فى الفعل ولا فى الحرف ومثالها فى الاسم المشتق — يعجبنى إراقة الضارب دم الظالم . فقد شبه الضرب الشديد بالقتل ، بجامع الايذاء فى كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، ثم حذف ورمز إليه بشىء من لوازمه ، وهو الاراقة ، على طريق الاستعارة المكنية التبعية — فالاستعارة التخييلية عند الجمهور : هى نفس اثبات اللازم المستعمل فى حقيقته — وهى من المجاز العقلى ، وإنما سميت استعارة : لأنه استعير ذلك الاثبات من المشبه به ، للمشبه . وسميت تخييلية لأن إثباته للمشبه خيل اتحاده مع المشبه به ، فقولنا أظفار المنية نشبت بفلان

(٢) وخاصية - وهى الغريبة التى يكون الجامع فيها غامضاً ، لا يُدركه إلا أصحاب المَدارك (من الخواص) - كقول كثير يمدح عبد العزيز بن مروان

غَمرُ الرِّداء ، إذا تبسَّم ضاحكاً غلِقتْ لِضحكتِهِ رِقابُ المال

غَمرُ الرِّداء « كثير العطايا والمعروف » استعار الرِّداء للمعروف : لأنه يصون ويستر عرض صاحبه ، كستر الرِّداء ما يُلقى عليه . وأضاف إليه

= فلفظ « أظفار » فى هذا التركيب مستعمل فى حقيقته ، وإنما التجوز فى اثباته للمنية ، أى أن ذلك الاثبات إثبات الشىء إلى غير ماهو له - فعند الجمهور : التخييلية لا تفارق المكنية . لأنها قرينتها .

والاستعارة المكنية المرشحة - هى ما قرنت بما يلائم المشبه فقط ، نحو - نطق لسان الحال بكذا - شبهت « الحال » بمعنى الانسان واستعير لفظ المشبه به ، للمشبه وحذف ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو « لسان » واثبات اللسان للحال تخييل ، وهو القرينة ، والنطق ترشيح . لأنه يلائم المشبه به فقط .

وترشيح المكنية فيه خلاف مبسوط فى المطولات .

والمكنية المجردة - هى ماقرنت بما يلائم المشبه فقط . - نحو : نطقت الحال الواضحة بكذا - فالوضوح تجريد ، لأنه يلائم المشبه الذى هو انسان فقط .

والمكنية المطلقة - هى التى لم تقترن بشىء يلائم المشبه ولا المشبه به - أو قرنت بما يلائمهما معاً - نحو نطقت الحال بكذا - ونطق لسان الحال الواضحة بكذا فى الأول - شبهت الحال بانسان واستعير لها اسمه ، وحذف ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو النطق ، واثبات النطق للحال تخييل . وهى مجردة لأنها لم تقترن بشىء يلائمها

وفى الثانى - شبهت الحال بانسان واستعير له اسمه ، وحذف ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو « لسان » ، واثباته للحال تخييل ، وهو القرينة ، والنطق ترشيح ، لأنه يلائم المشبه به ، والوضوح تجريد ، لأنه يلائم المشبه - ولما تعارضا سقطا

وتنقسم المكنية أيضا إلى عنادية - نحو - أنشبت المنية أظفارها بفلان - لأنه لا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد (يكون منية وسبعا)

ووفاقية - نحو نطقت الحال بكذا - لأنه يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد ، كالحال مع الانسان .

الغَمر ، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثَّوب لأنّ الغمر من صفات المال ، لا من صفات الثَّوب

وهذه الاستعارة : لا يَظفرُ باقتطاف ثمارها إلاّ ذوُو الفِطَر السَّليمة والخبرة التّامة .

المبحث العاشر

في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يتّصل بها من المُلائِمات ، وعدم اتّصالها

تنقسم الاستعارة : باعتبار ذكر « مُلائم المسْتعار منه » أو باعتبار ذكر « ملائم المستعار له » أو باعتبار عدم اقترانها بما يلائم أحدهما

إلى ثلاثة أقسام : مُطْلَقَة ، ومرَشَّحَة ، ومُجرّدة

ا - فالمُطلقة : هي التي لم تقترن بما يلائم المشبه والمشبه به ، نحو « يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ » أو ذُكر فيها ملائمهما معاً - كقول زُهير :

لدى أسدٍ شاكي السّلاح مُقذَّف   له لِبدٌ أظفارُه لم تُقلَّم

استعار الأسد : للرجل الشجاع ، وقد ذكر ما يناسب المستعار له ، في قوله « شاكي السّلاح مُقذّف » وهو التّجريد ، ثم ذكر ما يناسب المستعار منه ، في قوله « له لبدٌ أظفاره لم تُقلَّم » وهو الترْشيح ، واجتماع التّجريد والتّرْشيح يُؤدّي إلى تعارُضهما وسقوطهما ! فكأنَّ الاستعارة لم تقترن بشيء — وتكون في رُتبة (المُطلقة)

ب - والمرَشّحة — هي التي قرنَت بمُلائم المُستعار منه « أي المشبه به » نحو : « أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ » استُعير الشراء للاستبدال والاختيار . ثم فرّع عليها ما يلائم المستعار منه (من الرّبح والتّجارة) ، ونحو : من باع دينه بدُنياه لم تربح تجارته

« وَسُمِّيَتْ مُرَشحة : لترْشيحها وتقويتها بذكرى المُلائم »

وترشيح الاستعارة التّصريحية متّفق عليه

جـ ـ والُمجرّدة ـ هى التى قُرِنت بملائم المستعار له « أى المشبه » نحو : أشترِ بالمعروف عِرضَك من الأذى

« وسُمِّيَتْ بذلك : لتجريدها عن بعض المُبالغة ، لبُعد المشبه حينئذ عن المشبه به بعضَ بُعدٍ » وذلك يُبعِدُ دعوَى الاتحاد الذى هو مبنَى الاستعارة »

ثم اعتبار الترْشيح والتّجريد : إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينةُ مقاليّةً أم حاليّةً ـ فلا تُعدّ قرينةُ المُصرحة تجريداً ولا قرينةُ المكنيّة ترشيحاً ـ بل الزائد على ما ذُكِر

واعلم : أنّ الترْشيح أبلغ من غيره ، لاشتماله على تحقيق المُبالغة بتَناسِي التّشبيه ، وادّعاءِ أن المُستعار له هو نفس المستعار منه « لا شيء شبيه به » وكأنّ الاستعارةَ غير موجودة أصلا ، والإطلاق أبلغ من التجريد فالتّجريد أضعف الجميع ، لأنّ به تَضعُف دَعوى الاتحاد

وإذا اجتمع ترشيحٌ وتجريدٌ : فتكون الاستعارة فى رُتبه المُطلقَة . إذْ بتعارُضِها يتساقطان ، كما سبق تفصيله

وكما يجرى هذا التقسيم فى (التّصريحيّة) يجرى أيضاً فى (المكنيّة)

المبحث الحادى عشر

فى المجاز المُرْسل المُركب

المجاز المُرْسل المُركب : هو الكلام المُستعملُ فى غير المعنى الذى وُضع له ، لعلاقة غير المُشَابهة : مع قَرينة مانعة من إرادة معناه الوَضعِى

ويقع أوّلا : فى المُركّبات الخبريّة المُستعملة فى الإنشاء وعكسه، لأغراض

(١) منها — التّحسّر وإظهار التّأسّف — كما فى قول الشاعر :

ذَهَبَ الصِّبَا وَتَوَلَّتِ الْأَيامُ فَعَلى الصِّبا وعلى الزَّمان سَلَامُ

فإنّه وإن كان خبراً فى أصل وضعه ، إلا أنّه فى هذا المقام مُستعملٌ فى إنشاء التّحسر والتّحزُّن على ما فات من الشّباب

وكما فى قول جعفر بن عُلبة الحارثى :

هوَايَ معَ الرَّكب اليمانينَ مُصْعِدٌ جَنيبٌ وجُثمانى بمكّة مُوثَقٌ

فهو يُشِير إلى الأسف والحزن الذى ألمّ به من فراق الأحبّة ، ويتحسّرُ على ما آل إليه أمرُه ، والقرينة على ذلك حال المتكلّم ، كما يُفهم من الشّطر الثانى فى قوله (هوَايَ — الخ)

(٢) ومنها — إظهار الضّعف — كما فى قوله :

رَبِّ : إنى لا أستطيعُ اصطِباراً فاعفُ عنّى يا مَنْ يقيلُ العِثارا

(٣) ومنها — إظهار السُّرور ، نحو : كُتِبَ اسمى بين النّاجحين .

(٤) ومنها — الدُّعاء ـ نحو : نجّحَ الله مقاصدنا ـ أيُّها الوطن لك البقاء

وثانياً : فى المُركبات الإنشائيّة : كالأمر ، والنهى ، والاستفهام . التى خرجت عن معانيها الأصلية ، واستعملت فى معان أُخَر : كما فى قول المصطفى عليه الصلاة والسلام :

« مَنْ كَذَبَ علىّ مُتعمّداً فليتبوّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ »

إذ المرادُ « يتبوأُ مقعدهُ » والعلاقة فى هذا (السّببيّة والمُسبّبيّة) لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لإخباره بما تتضمّنُه ، فظاهره أمرٌ ، ومعناه خبرٌ .

المبحث الثانى عشر

فى المجاز المُركب[1] بالاستعارة التمثيلية

المجاز المُركب بالاستعارة التمثيلية : هو تركيبٌ استُعْمِلَ فى غير ماوُضع له ، لعَلاقة المشابهة ، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعى ، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة مُنْتزعة من مُتَعَدِّد ـ وذلك بأن تُشبَّه إحدى صورتين مُنْتزعتين مِنْ أمرين . أو أمور (بأخرى) ثم تُدْخل المشبه فى الصُّورة المشبهة بها . مبالغة فى التشبيه ـ ويُسَمَّى بالاستعارة التمثيلية[2] وهى كثيرة الورود فى الأمثال السائرة ، نحو : الصَّيفَ ضيَّعْتِ اللَّبنَ ـ يُضرب لمن فرَّط فى تحصيل أمرٍ فى زمن يُمكنه الحصول عليه فيه ، ثم طلبه فى زمن لا يُمكنه الحصول عليه[3] فيه ، ونحو : إنى أراك تُقدِّم رِجْلاً وتُؤخِّرُ

---

(١) المجاز المركب : هو تركيب استعمل فى مايشبه بمعناه الأصلى (تشبيه التمثيل)

(٢) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام فى كل استعارة ، للاشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلا ـ إذ الاستعارة التمثيلية مبينة على تشبيه التمثيل . ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ـ لهذا كان أدق أنواع التشبيه . وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات ـ ولذلك كان كل من تشبيه التمثيل ، والاستعارة التمثيلية غرض البلغاء .

(٣) أصل المثل : أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غنى ، فطلبت طلاقها منه فى زمن الصيف لضعفه ـ فطلقها وتزوجت بشاب فقير . ثم طلبت من مطلقها لبنا وقت الشتاء فقال لها ذلك المثل ـ واجراء الاستعارة فى المثل الأول ، أن يقال : شبهت هيئة من فرط فى أمر زمن امكان تحصيله ، بهيئة المرأة التى طلقت من الشيخ اللابن ، ثم رجعت إليه ، تطلب منه اللبن شتاء ، بجامع التفريط فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية .

أخرى يُضرب لمن يَتردّد فى أمر ، فتارة يُقـدِم وتارة يحْجم ، ونحو : (أحشفاً وسُوء كِيلَةٍ) يُضرب لمن يَظلم من وجهين — وأصــله أنّ رجلا اشترى تمراً من آخر) فاذا هو ردىءٌ ، وناقص الكيل . فقال المشترى ذلك ومثل ما تقدّم جميعُ الأمثال السائرة (نثراً ونظماً)

فمن النّثر قولهم : لمنْ يحتَالُ على حصول أمر خفى ، وهو مُستتر تحت أمرٍ ظاهرٍ « لِأمرٍ مّا جدعَ قَصِير" أنفه » وقولهم : » تجوع الحرّةُ ولا تأكل بثدييها » ، وقولهم : لمن يُريد أن يعملَ عملا وحده وهو عاجز عنه ، « اليدُ لا تصفقُ وحدَها » ، وقولهم : لُمجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر « عاد السّيف إلى قِرابه ، وحلّ الّليث مَنيع غابهِ » وقولهم لمن يأتِى بالقول الفصل

... وإجراء الاستعارة فى المثل الثانى ، أن يقال : شبهت هيئة من يتردد فى أمر بين أن يفعله وألا يفعله ، بهيئة من يتردد فى الدخول ، فتارة يقدم رجله ، وتارة يؤخرها بجامع الحيرة فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل الثالث ، شبهت هيئة من يظلم من وجهين ، بهيئة رجل باع آخر تمراً ردياً وناقص الكيل ، بجامع الظلم من وجهين فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل الرابع . شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفى يريده ـ بهيئة الرجل المسمى (قصيراً) حين جدع أنفه ليأخذ بثأر (جذيمة) من (الزباء) بجامع الاحتيال فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الخامس أن يقال شبهت هيئة الرجل الكريم الأصل العزيز النفس ، الذى لايفضل الدنايا على الرزايا عند ما تزل به القدم . بهيئة المرأة التى تفضل جوعها على إجارتها للارضاع عند فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع فى كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية .

(قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ)[١]

ومن الشعر قول الشاعر :

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحرُ

إذا قالت حَذامِ فصدّقوها فإنّ القولَ ما قالت حَذامِ

متى يبلغُ البُنيانُ يوماً تمامَهُ إذا كنتَ تبنيه وغيرُكَ يهدمُ[٢]

... واجراء الاستعارة فى المثل السادس ، شبهت هيئة من يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه ، بهيئة من يريد أن يصفق بيد واحدة . بجامع العجز فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به . للمشبه ، على سبيل الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل السابع ، شبهت هيئة الرجل الذى يحصل بوجوده فصل المشكلات . بهيئة نبى الله موسى عليه السلام ، مع سحرة فرعون ، بجامع حسم النزاع فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الثامن ، شبهت هيئة الرجل الذى لا يقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق ، بهيئة المرأة المسماة « حذام » بجامع الصدق فى كل واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية .

(١) أصل هذا المثل : أن قوماً اجتمعوا للتشاور فى الصلح بين حيين من العرب قتل رجل من أحدهما رجلا من الآخر ، وبينما خطباؤهم يتكلمون ، إذا بجارية تدعى (جهيزة) أقبلت فأخبرتهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل ، فقتلوه ، فقال أحدهم (قطعت جهيزة قول كل خطيب) فذهب قوله مثلا .

(٢) واجراء الاستعارة فى المثل التاسع : شبهت حال المصلح يبدأ الاصلاح ثم يأتى غيره فيبطل عمله ، بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه ، والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول إلى الغاية ، لوجود ما يفسد على المصلح اصلاحه ، ثم حذف المشبه ، واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه .

وإذا فشت وشاعت الاستعارة التمثيلية(١) وكثر استعمالها تكون

---

(١) الأمثال (١) : هى عبارات موجزة مأثورة ، يشبه الناس بها جديد أحوالهم بقديمها — وهى نوعان : حقيقية . وفرضية .

فالحقيقية — هى ماحدث موردها فى الوجود .

والفرضية ، مالم يحدث موردها فى الوجود وإنما اخترعت على لسان حيوان أو غيره

ولكل مثل (مورد) وهو الحالة القديمة التى قيل فيها لأول مرة

ولكل مثل (مضرب) وهو الحالة الجديدة التى استعير لها

وكما تكون الأمثال نثراً تكون شعراً — وتضرب كما وردت دون تغيير فى لفظها .

---

(١) للامثال الحقيقية أسباب ونتائج ، تفيد المجتمع الانسانى

منها — كونها مرآة صقيلة للمواعظ والعبر

ومنها — كونها مقياساً لرقى الأمة ولسان أخلاقها

ومنها — ربط الماضى بالحاضر

ومنها — كونها مجموعة نفيسة من السلف إلى الخلف

أما الأمثال الفرضية فهى عظة للعاقل ومسلاة للجاهل

وأشهر الكتب الجامعة للأمثال

كتاب مجمع الأمثال للميدانى

« جمهرة الأمثال — لأبى هلال العسكرى

« العقد الفريد — لابن عبد ربه

كتاب كليلة ودمنه — لابن المقفع ـ وغيرهم

ولا يسمى القول مثلا إلا إذا سار وذاع بين الناس جميعاً

ومما تقدم شرحه فى تشبيه التمثيل ، والاستعارة التمثيلية ، يعلم الفرق بين كل منهما فى الجدول الآتى للموازنة بينهما

مَثلاً(١) لا يُغيَّر مُطلقاً ، بحيثُ يُخاطَب به المفرد ، والمُذكر ، وفروعهما ، بلفظ واحد من غير تغيير ولا تبديلٍ عن مورده الأول وإن لم يُطابق المضروب له .

تشبيه التمثيل	الاستعارة التمثيلية
١ — تشبيه التمثيل يذكر فيه المشبه ، والأداة	١ — الاستعارة التمثيلية لا تكون إلا فى التراكيب
٢ — تشبيه التمثيل يجوز أن يكون بين مفردين مثل : المنافق كالحرباء	٢ — الاستعارة التمثيلية نوع من المجاز فهى لذلك أبلغ منه
٣ — تشبيه التمثيل لا يصلح استعارة دون حذف	٣ — الاستعارة التمثيلية تحتاج إلى قرينة تمنع من إدارة المعنى الأصلى
٤ — تشبيه التمثيل لا يحتاج إلى قرينة معه تدل على حقيقته	٤ — الاستعارة التمثيلية يحذف منها المشبه والأداة . ولا يبقى فيها من أركان التشبيه إلا ما كان مشبها به فقط
٥ — تشبيه التمثيل نوع من الحقيقة	٥ — الاستعارة التمثيلية تصلح مشبها به دون حذف . والتشبيه معها أكثر ما يكون غير تمثيل .

(١) وتنقسم التمثيلية إلى قسمين تحقيقية وتخييلية — فالتحقيقية هى المنتزعة من عدة أمور متحققة موجودة خارجا — كما فى الأمثلة السابقة — والتخييلية هى المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها فى الخارج ولا فى الذهن . وتسمى الأولى « تمثيلية تحقيقية » والثانية « تمثيلية تخييلية » كقوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) الاية على احتمال فيها فانه لم يحصل عرض وإباء وإشفاق منها حقيقة ، بل هذا تصوير وتمثيل . بأن يفرض تشبيه حال التكاليف فى ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها ، بحال أنها عرضت على هذه الأشياء ، مع كبر أجرامها ، وقوة متانتها ، فامتنعن وخفن من حملها ، بجامع عدم تحقق

ولذا : كانت هذه الاستعارة مَحطَّ أنظار البُلغاء ، لا يَعدِلُون بها إلى غيرها إلا عند عدم إمكانها ، فهى أبلغ أنواع المجاز مُفرداً أو مُركباً ، إذ مَبناها تشبيه التَّمثيل : الذى قد عَرفتَ أنّ وجهَ الشَّبه فيه هيئةٌ مُنتزعة من أشياء مُتعدِّدة .

ومن ثمَّ كانت هى والتَّشبيه المبنيَّة عليه غرض البُلغاء الذين يَتسامون إليه ، ويَتفاوتون فى إصابته ، حتى كثرُوا فى القرآن الكريم كثرةً كانت إحدَى الُحجَجِ على إعجازه .

والاستعارة ميدَان فَسيح من مَيادين البلاغة ، وهى أبلغ من التشبيه لأنها تَضعُ أمامَ المخاطب بدلا من المشبه صُورة جديدة تَملِك عليه مَشاعره وتُذهلُه عمَّا يَنطوِى تحتها من التَّشبيه ، وعلى مقدار ما فى تلك الصورة من الرَّوعة ، وسموِّ الخيال ، تكون البلاغة فى الاستعارة

وأبلغُ أنواع الاستعارة « المُرشّحة » لذكر ما يُناسب المستعار منه فيها ، بناء على الدَّعْوى بأنّ المستعار له هو عين المُستعار منه

ثم تليها « المُطلقة » لترك ما يُناسب الطَّرفين فيها ، بناء على دَعوَى التَّساوِى بينهما .

ثم تليها « المُجرَّدة » لذكر ما يناسب المُستعار له فيها ، بناء على تَشبيهه بالمستعار منه .

الحال فى كل ، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به ، للشبه استعارة تمثيلية ، ونحو قوله تعالى (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فان معنى أمر السماء والأرض بالاتيان وامتثالها أنه أراد تكوينهما فكانتا كما أراد . فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها ـ وتمثيل ذلك بحالة الآمر المطاع لهما وأجابتهما له بالطاعة فرضاً وتخييلا من غير أن يتحقق شىء من الخطاب والجواب ، هذا أحد وجهين فى الآيتين كما فى (الكشاف) . فارجع إليه .

ولا بدّ فى الاستعارة ، وفى التّمثيل على سبيل الاستعارة ، من مراعاة جهات حُسن التّشبيه ، كشمُول وجه الشّبه للطرفين ، ومن كون التشبيه وافياً بإفادة الغرض ، ومن عدم شَمّ رائحة التّشبيه لفظاً ، ويجب يكون وجه الشبه بين الطرفين جليًا ، لئلا تصيرَ الاستعارة والتمثيلُ تعمية .

أسئلة على الاستعارة يطلب أجوبتها

ما هى الاستعارة ؟ ما أركانها ؟ كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه ؟ — ما أصل الاستعارة ؟ — ما هى الاستعارة التصريحية ؟ كم قسما الاستعارة التصريحية ؟ — كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له ، والمستعار منه ؟ — ما هى الاستعارة المرشحة ؟ — ما هى الاستعارة المجردة ؟ ما هى الاستعارة المطلقة ؟ — كم قسما للاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفيها فى شىء ؟ — ما هى الاستعارة الوفاقية ؟ ما هى الاستعارة العنادية ؟ — كم قسما الاستعارة باعتبار الجامع ؟ — ما هى العامية ؟ ما هى الخاصية ؟ ما هى التمليحية ؟ — ما هى التهكمية ؟ ما مثال الحسيين والجامع حسى ؟ ما مثال الطرفين الحسيين والجامع عقلى ؟ ما مثال الطرفين العقليين والجامع عقلى ؟ ما مثال المستعار منه الحسى والمستعار له العقلى ؟ ما مثال المستعار منه العقلى والمستعار له الحسى ؟ — ما هى الاستعارة بالكناية عند الجمهور ؟ — ما هى الاستعارة بالكناية عند السكاكى ؟ — ما هى الاستعارة بالكناية عند الخطيب ؟ — كم قسما للاستعارة بالكناية ؟ — ما هى المكنية الأصلية ؟ — ما هى المكنية التبعية ؟ — ما هى الاستعارة التخييلية عند الجمهور ؟ — لِمَ سميت استعارة ؟ لم سميت تخييلية ؟ — ما هى الاستعارة المكنية المرشحة ؟ — ما هى الاستعارة المكنية المجردة ؟ — ما هى الاستعارة المكنية المطلقة ؟

كم قسما للمكنية باعتبار إمكان اجتماع طرفيها فى شىء ؟ - ما هى العنادية ؟ - ما هى الوفاقية ؟ - ما هو المجاز المركب ؟ - ما هى الاستعارة التمثيلية ؟ - ما هو المجاز المركب بالاستعارة ؟ - ما هى محسنات الاستعارة ؟

تمرين آخر على كيفية إجراء الاستعارات

(١) فسمونا والفجر يضحك فى الشـ ـرق إلينا مُبشراً بالصباح(١)

(٢) عضنـا الدهر بنـابه ليتَ ما حلَّ بنـابه(٢)

(٣) لسنا وإنْ أحسابُنا كرُمتْ يوماً على الأحساب نتَّكل(٣)

(٤) دقَّاتُ قلبِ المرء قائـلةٌ له إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانٍ(٤)

(٥) بكتْ لؤلؤاً رطباً ففاضت مدامعى عقيقاً فصار الكلُّ فى نحرها عِقدا(٥)

(١) شبه الفجر بانسان يتبسم ، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة - والقدر المشترك بينهما (البريق واللمعان) واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذف المشبه وأشار اليه بشىء من لوازمه وهو الضحك — على طريق الاستعارة بالكناية ، واثبات الضحك استعارة تخييلية .

(٢) شبه حوادث الدهر بالعض ، بجامع التأثير والأيلام من كل - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من العض وهو المصدر ، عض بمعنى آلم . على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وذكر الناب ترشيح

(٣) فى كلمة « على » استعارة تصريحية تبعية ، فقد شبه مطلق ارتباط بين حسب وحسيب بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بجامع التمكن والاستقرار فى كل ثم استعيرت «على» من جزئى من جزئيات الأول - لجزئى من جزئيات الثانى ، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية .

(٤) شبه الدلالة بالقول ، بجامع ايضاح المراد فى كل - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من القول بمعنى الدلالة (قائل) بمعنى دال ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية - والقرينة نسبة القول إلى الدقات .

(٥) شبه المتساقط من فيها(١) (باللؤلؤ) بجامع البياض والتنسيق فى كل - واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه - ثم شبه الدمع النازل من عينيه (بالعقيق) بجامع

(١) كذا بالأصل وهو سهو والصواب أن يقال شبه الدمع المتساقط من عينيها باللؤلؤ الخ

(٦) إنَّ التّباعد لا يضرّ إذا تقاربت القلوب[1]

(٧) ذم أعرابي رجلا فقال (يَقطع نهارَه بالمُنى و يتوسَّد ذراعَ الهمّ إذا أمسى[2])

(٨) قومٌ إذا الشّر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زَرافاتٍ ووحدانا[3]

(٩) جاء الشتاء واجثألّ القُبّرُ وطلعت شمسٌ عليها مِغفرُ[4]

(١٠) سأبكيكَ للدُّنيا وللدّين إن أبت يدُ المعرُوف بعدكَ شلّتِ[5]

الحمرة . واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ـ والقرينة كلمتا بكت ، وفاضت وذكر العقد ترشيح .

(١) شبه التواد (بالتقارب) بجامع الألفة فى كل منهما ـ ثم استعير التقارب للتواد ، واشتق منه تقارب بمعنى تواد ـ والقرينة كلمة القلوب وهى استعارة مطلقة .

(٢) شبه المنى (بسكين قاطع) بجامع الاجهاز وانهاء المقطوع فى كل ، واستعار اللفظ الدال على المشبه ، به للمشبه وحذفه ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو يقطع ، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة ، ويقطع استعارة تخييلية وكذا شبه الهم (بانسان) واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، وحذفه ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الذراع ، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة كلمة الذراع . ويتوسد ترشيح .

(٣) شبه الشر (بأسد متحفز للوثوب) فيكشر عن أنيابه ، بجامع الاستعداد للهجوم فى كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، وحذفه ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو الناجذان على طريق الاستعارة المكنية المرشحة ـ والقرينة كلمة ناجذيه وكلمة أبدى ترشيح . ثم شبه مشيهم (بالطيران) بجامع السرعة فى كل منهما ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه . واشتق من الطيران طار بمعنى أسرع ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة ـ والقرينة اسناد الطيران إليهم .

(٤) شبه السحاب الذى يستر الشمس ، بالمغفر الذى يستر الرأس ـ بجامع الستر فى كل ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقه ـ والقرينة كلمة شمس .

(٥) شبه المعروف بانسان له يد تعطى ـ والجامع الاعطاء فى كل منهما

(١١) وَإِنَّكَ لَعلى خلقٍ عَظِيمٍ (١)

(١٢) سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذا سلّ أو مَضَتْ

إليه ثنَـايَا المَوْتِ مِنْ كلِّ مَرْقَدِ (٢)

(١٣) سنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (٣)

(١٤) إنَّا لنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤)

وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة . والقرينة كلمة يد ـ وهي الاستعارة التخييلية ، وشلت ترشيح .

(١) شبه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفه والثبوت عليها (بتمكن من علا دابة يصرفها كيف شاء) . بجامع التمكن والاستقرار في كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التي هي معاني الحروف ، فاستعير لفظ « على » الموضوع للاستعلاء الحسي للارتباط والاستعلاء المعنوي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

(٢) شبه لحاق الموت به (بالسق) بجامع الوصول في كل ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به المشبه ، ثم اشتق من السق سق على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة على ذلك نسبة السق إلى الردى ـ وأيضاً قد شبه الموت بانسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضيء ـ والجامع البريق واللمعان . واستعار اللفظ الدل على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الثنايا ، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحه ـ والثنايا استعارة تخييلية ـ وأومض ترشيح .

(٣) شبه القصد إلى الشيء والتوجه له ، بالفراغ والخلوص من الشواغل ـ بجامع الاهتمام في كل . واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه . ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو : نفرغ ـ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة حالية .

(٤) في كلمة « في » استعارة تصريحية تبعية ، فقد شبهت « في » التي تدل على الارتباط « بفي » التي تدل على الظرفية بجامع التمكن في كل فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات فاستعيرت في من الثاني للاول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ـ والقرينة على ذلك كلمة الضلال .

(١٥) فـتى كُلَّمَا فَاضَتْ عُيُونُ قبيـلة
دمًا ضَحِكَتْ عَنْهُ الْأَحاديثُ والذِّكرُ(١)

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين ، الأولى : طريقة تأليف ألفاظه .

والثانية : ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان ، لا يجول إلاَّ فى نفس أديب ، وهب الله له استعداداً سليما فى تعَرّف وجوهِ الشَّبَهِ الدقيقة بين الأشياء وأودَعه قُدْرَةً على ربط المعانى ، وتوليد بعضها من بعض إلى مدًى بعيدٍ لا يكاد ينتهى

(وسرُّ بلاغة الاستعارة) لا يتعدَّى هاتين الناحيتين ، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنَّ تركيبها يدل على تناسى التَّشبيه ، ويَحْملك عَمْداً على تخَيُّلِ صورة جديدة تُنْسيك رَوْعَتُها ما تَضمَنَهُ الكلام من تشبيهٍ خفىٍّ مستور .

أُنظر إلى قول البُحترى فى الفَتْحِ بن خاقان :

يَسْمُو بِكَفٍّ عَلَى الْعَافِينَ حانِية تَهْمى وَطَرْفٍ إلى الْعَلْيَاءِ طَمَّـاح

ألستَ ترى كفّه : وقد تمثّلت فى صورة سحابة هتّانة ، تَصبُّ وَبْلَها على العافين والسائلين ، وأنَّ هذه الصورة قد تمَلَّكتْ عليك مشاعرك فأذْهلَتك عمّا اختبأ فى الكلام من تشبيه ؟

---

(١) شبه العيون بالنهر بجامع الصب الكثير فى كل منهما ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو فاض ، على سبيل الاستعارة الأصلية المكنية وفاض قرينتها وهى الاستعارة التخييلية ، وكذا شبه السرور والاريحية بالضحك بجامع ما تجده النفس عند كل من المسرة ـ واستعار اللفظ الدال على المشبه به للشبه ، ثم اشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر ـ على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

وإذا سمعتَ قوله فى رثاء المتوكل وقد قُتلَ غيلة :

صَرِيعٌ تقاضاهُ اللّيالى حشاشَةً   يجُودُ بِها والمَوْتُ حُمْرٌ أظافِرُهْ[١]

فهل تستطيع أن تُبْعِدَ عن خيالك هذه الصُّورة المخيفة للموت ، وهى صورة حيوان مفترس ، ضُرِّجَتْ أظفارهُ بدماء قتلاه

لهذا كانت الاستعارة أبلغَ من (التشبيه البليغ) لأنه وإن بُنى على ادعاء أن المشبهَ والمشبهَ به سواء ، لا يزال فيه التشبيه منْوِيًا ملحوظًا بخلاف (الاستعارة) فالتشبيه فيها منسى مجحود ، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من الاستعارة المطلقة ، وأن الاستعارة المطلقة أبلغ من الاستعارة المجردة

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار ، وروعة الخيال ، وما تحدثه من أثر فى نفوس سامعيها ، فمجال فسيح للابداع ، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام

أنظر إلى قوله عز شأنه فى وصف النار

« تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ »

ترتسم أمامك النار فى صورة مخلوق ضخم ، بطّاش مكفهر الوجه ، عابس يغلى صدره حقداً وغيظاً — عن البلاغة الواضحة بتصرف .

---

(١) الصريع المطروح على الأرض ، وتقاضاه أصله تتقاضاه بحذف إحدى التاءين وهو من قولهم : تقاضى الدائن دينه إذا قبضه ، والحشاشة بقية الروح فى المريض والجريح - يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته .

الباب الثالث

فى الكناية وتعريفها وانواعها

الكناية[1] لغة : ما يتكلم به الإنسان ، ويريد به غيره
وهى : مصدر كنيت ، أو كنوت بكذا ، إذا تركت التصريح به

(١) توضيح المقام : أنه إذا أطلق اللفظ ، وكان المراد منه غير معناه - فلا يخلو إما : أن يكون معناه الأصلى مقصودا أيضا ، ليكون وسيلة إلى المراد .
وإما : ألا يكون مقصوداً - فالأول - الكناية - والثانى - المجاز
فالكناية : هى أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعانى ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له . ولكن يجىء إلى معنى هو مرادفه ، فيومىء به إلى المعنى الأول ، ويجعله دليلا عليه .
أو الكناية : هى اللفظ الدال على ما له صلة بمعناه الوضعى ، لقرينة لا تمنع من ارادة الحقيقة ، كفلان نقى الثوب ، أى مبرأ من العيب ، وكلفظ «طويل النجاد» المراد به طول القامة ، فانه يجوز أن يراد منه طول النجاد أى علاقة السيف أيضا ، فهى تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقى مع إرادة لازمه . بخلاف المجاز فانه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقى لوجود القرينة المانعة من إرادته .
ومثل ذلك قولهم «كثير الرماد» يعنون به أنه كثير القرى والكرم ، وقول الحضرمى
قد كان تعجب بعضهن براعتى حتى رأين تنحنحى وسعالى
كنى عن كبر السن بتوابعه ، وهى التنحنح والسعال
وقولهم : المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه - وقوله
ان السماحة والمروءة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج
وقوله وما بك فى من عيب فانى جبان الكلب مهزول الفصيل
فان «جبان الكلب» كناية - وكذا «مهزول الفصيل» والمراد منها ثبوت الكرم وكل واحدة على حدتها تؤدى هذا المعنى . وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة كقوله :
بيض المطابخ لا تشكو إماؤهمو طبخ القدور ولا غسل المناديل
ويروى أن خلافا وقع بين بعض الخلفاء ونديم له فى مسألة ، فاتفقا على تحكيم =

واصطلاحاً : لفظٌ أُرِيدَ به غيرُ معناهُ الّذى وُضِعَ له ، مَعَ جوازِ إرادةِ المعنَى الأصليِّ ، لعدم وُجود قرينة مانعة من إرادته ، نحوَ « زيد طويل النِّجَاد » تُرِيد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم ، فعدلتَ عن التَّصريح بهذه

= بعض أهل العلم فاحضر ، فوجد الخليفة مخطئاً . فقال : القائلون بقول أمير المؤمنين أكثر (يريد الجهال) وإذا كان الرجل أحمق قيل - نعته لا ينصرف ، ونظر البديع الهمذانى إلى رجل طويل بارد - فقال : قد أقبل ليل الشتاء . ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد - فقال ما تجد (فديتك) قال أجدك (يعنى البرد) وإذا كان الرجل ملولا قال : هو من بقية قوم موسى ، وإذا كان ملحداً ، قيل قد عبر (يريدون جسر الايمان) وإن كان يسىء الأدب فى المؤاكلة قيل : تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران . ويقال عمن يكثر الأسفار : (فلان) لا يضع العصا عن عاتقه - وجاء فى القرآن الكريم (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) فانه كنى عن الغيبة بأكل الانسان لحم الانسان . وهذا شديد المناسبة لأن الغيبة إنما هى ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه
ومن أمثال العرب : قولهم : لبست لفلان جلد النمر ، وجلد الأرقم - كناية عن العداوة ، وكذلك قولهم (قلبت له ظهر المجن) كناية عن تغيير المودة ، ويقول القوم: فلان برىء الساحة ، إذا برؤوه من تهمة - ورحب الذراع ، إذا كان كثير المعروف - وطويل الباع فى الأمر ، إذا كان مقتدراً فيه - وقوى الظهر ، إذا كثر ناصروه . ومن ذلك أن (المنصور) كان فى بستان له ، أيام محاربته (إبراهيم بن عبد الله بن الحسن) فنظر إلى شجرة خلاف فقال للربيع ، ما هذه الشجرة . فقال طاعة يا أمير المؤمنين . فتفاءل المنصور به ، وعجب من ذكائه ، ومثل ذلك : أن رجلا مر فى صحن دار (الرشيد) ، ومعه حزمة خيزران . فقال الرشيد للفضل بن الربيع ، ما ذاك فقال (عروق الرماح) يا أمير المؤمنين ، وكره أن يقول «الخيزران» لموافقته اسم (والدة الرشيد) ومن كلامهم «فلان طويل الذيل» يريدون أنه غنى حسن الحال . وعليه قول الحريرى

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن   فكيف حال غريب ماله قوت

وكذلك قولهم : فلان طاهر الثوب - أى منزه عن السيئات . وفلان دنس الثوب أى متلوث بها - قال امرؤ القيس .

الصفة ، إلى الإشارة إليها بشىء تترتّب عليه وتلزمه ، لأنه يلزم من طول حِمالة السيف طولَ صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشّجاعة عادة ، فإذاً : المرادُ طولُ قامته ، وإن لم يكن له نِجاد ، ومع ذلك يَصح أن يُراد المعنى الحقيق — ومن هنا يُعلَم أنّ الفرق بين الكناية والمجاز صِحّةُ إرادة المعنى الأصلى فى الكناية ، دون المجاز : فإنه ينافى ذلك

نعم : قد تمتنِعُ إرادة المعنى الأصلى فى الكناية ، لخصوص الموضوع كقوله تعالى : (والسَّمٰواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِه) وكقوله تعالى : (الرَّحمٰنُ على العَرْشِ اسْتَوٰى) كناية عن تمام القُدرة ، وقوّة التّمكن والاستيلاء

وتنقسم الكنايه بحسب المعنى الذى تشير إليه إلى ثلاثة أقسام :

١ — كناية عن صِفَةٍ — كما تقول (هو رَبيبُ أبى الهول) تكنى عن شدّة كتمانه لسرّه .

= ثياب بنى عوف طهارى نقية وأوجههم عند المشـاهد غرات

ويقولون : فلان غمر الرداء — إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا . قال كثير

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المـال

ومن الكنايات اللطيفة : ماذكرها الأدباء فى الشيب والكبر ، فيقولوا : عرضت لفلان فترة ، وعرض له ما يمحو ذنوبه وأقر ليله ، ونور غصن شبابه . وفضض الزمان أبنوسه — وجاءه النذير . وقرع ناجذ الحلم . وارتاض بلجام الدهر . وأدرك زمان الحنكة ، ورفض غرة الصبا . ولبى دواعى الحجى . ومن كناياتهم عن الموت : استأثر الله به . وأسعده بجواره . ونقله إلى دار رضوانه ومحل غفرانه ، واختار له النقلة من دار البوار إلى دار الأبرار . ومن الكنايات أيضاً أن يقام وصف الشىء مقام اسمه كما ورد فى القرآن الكريم (وحملناه على ذات ألواح ودسر) يعنى السفينة . فوضع صفتها موضع تسميتها ، كما ورد (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) يعنى الخيل . وقال بعض المتقدمين .

سألت قتيبة عن أبيها صحبه فى الروح هل ركب الاغر الاشقرا

يعنى هل قتل ، لأن الاغر الاشقر ، وصف الدم فاقامه مقام اسمه

وتُعرف كناية الصفة بذكر الموصوف : ملفوظاً أو ملحوظاً من سياق الكلام

٢ — كناية عن موصوف — كما تقول (أبناء النيل) تكنى عن المصريين و (مدينة النور) تكنى عن باريس . وتعرف بذكر الصفة مباشرة ، أو ملازمة

ومنها : قولهم (تستغنى مصر عن مَصَبّ النِّيل ولا تستغْنِى عن مَنبعِه) كنَوْا بمنبع النيل عن أرض السودان

ومنها : قولهم (هو حارس على ماله) كنَوْا به عن البخيل الذى يجمع ماله ، ولا ينتفع به

ومنها : قولهم (هو فتًى رياضى) يكنون عن القُوّة — وهلم جرّاً

٣ — كناية عن نِسبَةٍ ، وسيأتى الكلام عليها فيما بعد

فالقسم الأول — وهو الكِناية التى يُطلب بها (صفة) هى ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور فى الكلام — وهى نوعان :

(١) كناية قريبة ـ وهى ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المُنتقل عنه ، والمعنى المُنتقل إليه ـ نحو قول الخنساء فى رثاء أخيها صخر

رفيعُ العِماد طويل النِّجـــا د سادَ عشيرتَه أمرَدَا[1]

(١) قصدت الخنساء وصف صخر بطول القامة والشجاعة، فعدلت التصريح بما أرادت إلى الاشارة اليه بطول النجاد لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول قامة صاحبه . أو طول القامة يلزمه الشجاعة غالباً ـ كما أرادت وصفه بالعزة والسيادة فلم تصرح بقصدها وصرحت بما يستدعى ما أرادت فقالت : (رفيع العماد) فرفعه العماد تستلزم أنه عظيم المكانة فى قومه على الشأن بين عشيرته ، لجريان العادة بذلك . وعمدت إلى وصفه بالجود والكرم ، فقالت (كثير الرماد) تشير إلى كثرة الايقاد للاطعام . وهذا يلزمه الكرم .

(ب) وكناية بعيدة — وهى ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، نحو «فلان كثير الرّماد» كناية عن المضياف، والوسائط: هى الانتقال من كثرة الرّماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطّبخ والخُبز. ومنها إلى كثرة الضّيوف. ومنها إلى المطلوب، وهو المِضياف الكريم

القسم الثانى — الكناية التى يكون المكنىُّ عنه موصوفاً[1] بحيث يكون إمّا معنى واحداً «كموطن الأسرار» كناية عن القلب، وكما فى قول الشاعر:

فلمّا شربناها ودبَّ دبيبُها ... إلى موطن الأسرار قلتُ لها قفى

وإمّا مجموع معان: كقولك «جاءنى حىٌّ مُستوى القامة، عَريض الأظفار» (كِناية عن الإنسان) لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثّلاثة به، ونحو:

الضّاربين[1] بكلّ أبيض مِخْذَم ... والطّاعنينَ مجامعَ الأضغان[2]

ويشترط فى هذه الكناية: أن تكون الصّفة أو الصّفات مُختصّةً بالموصوف، ولا تتعدّاه ليحصُل الانتقال منها إليه

القسم الثالث — الكناية التى يُراد بها نِسبةُ أمر لآخر، إثباتاً أو نفياً فيكون المكنىُّ عنه نسبةً، أُسندت إلى ما له اتّصال به — نحو قول الشاعر:

إنّ السّماحةَ والمُرُوءة والنّدى ... فى قُبّةٍ ضُربت على ابن الحَشْرَجِ

فإنّ جعلَ هذه الأشياء الثلاثة فى مكانه المُختصّ به يستلزم إثباتها له والكِناية المطلوبُ بها نِسبةٌ

---

(١) الضاربين منصوب بأمدح المحذوف، والأبيض السيف، والمخذم بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين القاطع. والاضغان جمع ضغن وهوما انطوى عليه الصدر من الحقد — كنى الشاعر بمجامع الاضغان عن القلوب، وهى لا كناية صفة. ولا كناية نسبة، بل هى كناية موصوف.

(٢) أى يكون المكنى عنه فيها ذاتا ملازمة للمعنى المفهوم من الكلام.

ا - إمّا أن يكونَ ذُو النِّسبة مَذكوراً فيها — كقول الشاعر :

أليُمن يَتبعُ ظِلّه   والمجدُ يمشى فى رِكابه

ب - وإمّا أن يكون ذو النسبة غير مذكور فيها : كقولك « خير الناس من ينفع الناس » كناية عن نفى الخيرية عمّن لا ينفعُهم

وتنقسم الكناية أيضاً باعتبار الوسائط (اللوازم) والسِّياق : إلى أربعة أقسام : تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء

(١) فالتعريض : لغة — خلاف التّصريح

واصطلاحاً : هو أن يُطلق الكلام ، ويُشار به إلى معنى آخر يُفهم من السِّياق ، نحو قولك للمؤذِى (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لِسانِهِ وَيدِهِ) تعريضاً بنفى صفة الإسلام عن المؤذِى ، وكقول الشاعر :

إذا الجُودُ لم يُرزق خلاصاً من الأذَى   فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقيا

(٢) والتلويح : لُغَة — أن تُشيرَ إلى غيرِكَ من بُعدٍ

واصطلاحاً - هو الذى كثُرتْ وسائطه بلا تعريض ، نحو :

وما يَكُ فىَّ من عيبٍ فإنِّى   جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب ، مهزول الفصيل ، فانَّ الفكر ينتقل إلى جُملة وسائط

(٣) والرَّمز : لُغة — أن تُشير إلى قريب منك خِفية ، بنحو : شَفة ، أو حاجِب .

واصطلاحاً — هو الذى قلّت وسائطه ، مع خفاء فى اللّزوم بلا تعريض نحو : فلان عريضُ القفا ، أو عريض الوِسادة - كناية عن بلادته وبلاهته ونحو : (هو مُكتَنِزُ اللّحم) كناية عن شجاعته ، (ومُتناسب الأعضاء) كناية عن ذكائه ، ونحو : (غَليظُ الكبد) كناية عن القسوة - وهلم جرًّا

والإيماء أو الإشارة : هو الذى قَلَّت وسائطه ، مع وضوح اللزوم ، بلا تعريض ، كقول الشاعر

أَوَ مَا رَأَيْتَ المجدَ أَلقى رحلَه ... فى آلِ طلحةَ ثُمَّ لم يَتحوَّلِ

كناية عن كونهم : أمجاداً أجواداً ، بغاية الوضوح

ومن لطيف ذلك قول بعضهم

سأَلتُ النَّدَى والجودَ مالِي أراكما ... تبدَّلتُما ذُلاً بعزٍّ مُؤبَّدِ

وما بالُ رُكن المجد أمسَى مُهدَّمَا ... فقالا ، أُصبنَا بابن يحيَى محمدِ

فقلتُ : فهلاَّ مُتُّمَا عند موْتِهِ ... فَقَدْ كنتُما عَبْدَيْهِ فى كلِ مَشْهَدِ

فقالا : أقمنا كى نعزَّى بفقـده ... مَسافةَ يومٍ ثم نَتلوهُ فى غدِ

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها ، وهى أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لأنّ الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم . فهو كالدَّعوى ببيِّنةٍ ، فكأنك تقول فى « زيد كثير الرماد » زيد كريم ، لأنه كثير الرماد وكثرته تستلزم كذا الخ - كيف لا - وأنها تمكِّن الإنسان من التَّعبير عن أمور كثيرة ، يتحاشَى الأفصاح بذكرها ، إمّا احتراماً للمخاطب أو للإبهام على السَّامعين ، أو للنَّيل من خَصمه . دون أن يدعَ له سبيلا عليه ، أولتنزيه الأذن عمَّا تنبو عن سماعه ، ونحو ذلك من الأغراض واللطائف البلاغية

تمرين

بيِّن أنواع الكنايات الآتية . وعيِّن لازم معنى كل منها

(١) قال البحترى يصف قَتْلَهُ ذِئباً

فأَتبعتُها أُخرَى فأَضلَلْتُ نَصْلَهَا ... بحيثُ يكُونُ اللبُّ والرُّعبُ والحِقدُ[(١)]

(١) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة ، وأضللت أخفيت ، والنصل حديدة السيف

(٢) وقال آخر فى رثاء من مات بِعِلَّةٍ فى صدره

وَدَبَّتْ لَهُ فِى مَوْطِنِ الحِلْمِ عِلَّةٌ   لها كالصِّلالِ الرُّقْشِ شَرُّ دَبِيبِ (٢)

(٣) ووصف أعرابى امرأة ، فقال : تُرْخِي ذَيلها على عُرْقُوبَىْ نعامة .

ضَرَبَتْ سُرادِقَها المهابةُ فوقَهُ   فإذا بدا بادَتْ به الأعداء

إنَّ الذى ملأ اللغات محاسناً   جعل الجمال وسِرَّه فى الضَّاد

بَنَى المجدُ بيتاً فاستقرَّ عِمادُهُ   علينا فأعيا الناسَ أن يتحوَّلا

إنَّ ثوبك الذى المجدُ فيه   لَضياءٌ يُزْرِى بكلّ ضِياءِ

تمرين آخر

بين أنواع الكنايات الآتية ، وبيّن منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ ، وما لا يصح :

(١) وصف أعرابى رجلاً بسوء العِشرة فقال : كان إذا رآنى قرَّبَ من حاجبٍ حاجباً

(٢) وقال أبو نواس فى المديح :

فما جَازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَهُ   ولكنْ يَسير الجُودُ حيثُ يَسِيرُ

(٣) وَتَكْنِي العربُ عمَّنْ يجاهر غيره بالعداوة بقولهم :

واللب العقل ، والرعب الفزع والخوف ـ واعلم أن الكناية

إما حسنة ـ وهى ماجمعت بين الفائدة ولطف الاشارة كما فى الأمثلة السابقة وإما قبيحة ـ وهى ماخلت عن الفائدة المرادة ، وهى معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبى

إنى على شغفى بما فى خمرها   لأعف عما فى سراويلاتها

كناية عن النزاهه والعفة . الا أنها قبيحة لسوء تأليفها وقبح تركيبها .

(٢) الصلال جمع صل بالكسر ضرب من الحيات صغير اسود لانجاة من لدغته والرقش جمع رقشاء ، وهى التى فيها نقط سوداء فى بياض ، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء

لبس له جلدَ النَّمِر ، وجِلْدَ الأرْقَم[١] ، وقلَبَ له ظهرَ المِجَنّ[٢]

(٤) فلان عريض الوِساد[٣] أغمُّ القفا[٤]

(٥) تَجولُ خلاخيلُ النّساءِ ولا أرى ... لِرَمْلَةَ خلْخالاً يَجولُ ولا قُلْبا[٥]

(٦) وتقول العرب فى المديح : الكرم فى أثناء حُلّته ، ويقولون : فلان نفخ شِدْقَيْه — أى تكبّر ؛ وورم أنفُه — إذا غضب

(٧) قالت أعرابية لبعض الولاة : أشكو إليك قلّةَ الجِرْذان[٦]

(٨) بِيضُ المطابخِ لا تَشْكو إماؤهُمُ ... طَبْخَ القُدورِ ولا غَسْلَ المَناديلِ

(٩) مَطْبَخُ داودَ فى نَظافتِه ... أشبهُ شىءٍ بعرشِ بِلْقيسِ[٧]

ثِيابُ طبّاخه إذا اتّسختْ ... أنْقى بياضاً من القَراطيسِ

(١٠) فَتًى مُخْتَصَرُ المأكُو ... لِ والمشْروبِ والعِطْرِ

نَقِيُّ الكأسِ والقصعـة ... والمِنْديلِ والقِدْرِ

(١١) وقال آخر : اليُمن يتبع ظِلّهُ ... والمجدُ يمشى فى رِكابِهِ

(١٢) أصبح فى قيدك السماحة والمجدُ ... وفضلُ الصّلاحِ والحسب

فَلَسْنا على الأعقابِ تَدْمَى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامِنا تَقْطُرُ الدِّما[٨]

---

(١) الأرقم الحيه فيها سواد وبياض (٢) المجن الترس ، وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ، ثم حال عن العهد وتغيرت أحواله

(٣) عريض الوساد أى طويل العنق إلى درجة الافراط ، وهذا مما يستدل به على البلاهة وقلة العقل (٤) الغمم غزارة الشعر ، حتى تضيق منه الجبهة ، أو القفا — وكان يزعم العرب : أن ذلك دليل على الغباوة

(٥) رملة اسم امرأة ، والقلب بالضم السوار

(٦) الجرذان جمع جرذ وهو ضرب من الفار

(٧) بلقيس : بكسر الباء ملكة سبأ ، وسبأ عاصمة قديمة لبلاد اليمن

(٨) الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر القدم ، والكلوم الجراح ، يقول : نحن لا نولى فنجرح فى ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا ، ولكنا نستقبل السيوف بوجوهنا ، فان جرحنا قطرت الدماء على أقدامنا

المجدُ بين ثوبيك . والكرم ملء بُرديك

بلاغة الكناية

الكِناية مَظهرٌ من مظاهر البلاغة ، وغاية لا يَصِل إليها إلا من لَطُف طبعُهُ ، وَصفت قريحته ، (والسرُّ في بلاغتها) أنها في صُور كثيرة تُعطيك الحقيقة ، مصحوبةً بدليلها ، والقضية وفي طيِّها بُرهانُها ، كقول البُحترى في المديح :

يَغضُّون فَضلَ اللَّحظِ مِنْ حَيثُ ما بَدَا
لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ فِي الصُّدُورِ مُحَبَّبِ

فإنه كَنَى عن إكبار الناس للممدوح ، وهَيْبتهم إيَّاه ، بِغَضِّ الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال ، وتظهر هذه الخاصة جليةً في الكنايات عن الصِّفة والنِّسبة

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنَّها تضع لك المعانى في صورة المحسوسات ولا شك أنَّ هذه خاصة الفنون ، فإنَّ المصوِّر إذا رسَم لك صورة للأمَل أو لليأس ، بَهرَكَ وَجعلك ترى ما كنت تعجز عن التَّعبير عنه واضحاً ملموساً

فمثل « كثير الرَّماد » في الكناية عن الكرم « ورَسُول الشرِّ » في الكناية عن المِزَاح — وقول البحترى :

أَوَ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ
فِى آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

وذلك في الكناية عن نسبة الشرف إلى آل طلحة .

كلُّ أولئك يُبرِز لك المعانى في صورة تُشاهدها ، وترتاح نفسك إليها .

ومن خواص الكناية : أنها تُمكِّنك من أن تَشفِيَ غُلَّتك من خصمك

من غير أن تجعل له إليك سبيلاً ، ودون أن تخدش وجه الأدب ، وهذا النوع يسمّى بالتّعريض

ومثاله قول المتنبي فى قصيدة ، يمدح بها كافوراً ويُعرِّض بسيف الدولة :

رَحلْتُ فكمْ باكٍ بأجفانِ شادنٍ ... عليَّ وَكمْ باكٍ بأجفانِ ضَيْغمِ (١)

وما رَبَّةُ القُرطِ المَليحِ مكانُهُ ... بأجزعَ منْ ربِّ الحُسامِ المُصمِّمِ (٢)

فلَوْ كانَ ما بي منْ حَبيبٍ مُقنَّعٍ ... عذَرْتُ ولكنْ من حَبيبٍ مُعمَّمِ

رَمى واتَّقى رَمْيِي ومِنْ دُونِ ما اتَّقى ... هَوًى كاسرٌ كَفِّي وقوْسي وأسْهُمِي

إذا ساء فِعلُ المرءِ ساءتْ ظُنُونُهُ ... وصَدَّقَ ما يَعتادُهُ منْ تَوَهُّمِ

فإنه كنى عن سيف الدولة ، أولاً : بالحبيب المُعمَّم ، ثم وصفه بالغدر الذى يدّعى أنه من شيمةِ النساء ، ثم لامَهُ على مُبادهته بالعُدوان ، ثم رماه بالجبن لأنه يَرمى ويتَّقى الرَّمىَ بالاستتار خلف غيره ، على أنّ المتنبي لا يجازيه على الشرّ بمثله ، لأنه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً ، يكسر كفّه وقوسه ، وأسْهُمَه ، إذا حاول النِّضال ، ثم وصفه بأنه سيِّءُ الظن بأصدقائه لأنه سيِّءُ الفعل ، كثير الأوهام والظنون ، حتى ليظن أن الناس جميعاً مثله فى سوء الفعل ، وضعف الوفاء . فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النَّيْل كله ، من غير أن يذكر من اسمه حرفاً .

هذا — ومن أوضح مُميِّزات الكناية التعبيرُ عن القبيح بما تسيغ الآذان

---

(١) الشادن ولد الغزال ـ والضيغم الاسد ، أراد بالباكى بأجفان الشادن المرأة الحسناء ، وبالباكى بأجفان الضيغم الرجل الشجاع . يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقى ، وجزعوا لارتحالى (٢) القرط ما يعلق فى شحمة الأذن ، والحسام السيف القاطع ، والمصمم الذى يصيب المفاصل ويقطعها . يقول لم تكن المرأة الحسناء بأجزع على فراقى من الرجل الشجاع

سماعه ، وأمثلة ذلك كثيرة جداً فى القرآن الكريم ، وكلام العرب فقد كانوا لا يُعبّرون عمّا لا يحسن ذكره إلا بالكناية ، وكانوا لشدّة نخوتهم يَكْنُونَ عن المرأة (بالبَيْضة — والشّاة)

ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب :

أَلاَ يا نَخْلَةً مِنْ ذاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلاَمُ(١)

فانه كنى بالنخلة ، عن المرأة التى يحبّها — عن البلاغة الواضحة بتصرُّف

أثر علم البيان في تأدية المعانى

ظهر لك من دراسة علم البيان : أن مَعْنَى واحداً يُستطاع أداؤه بأساليب عِدَّةٍ ، وطرائقَ مُختلفة ، وأنه قد يُوضع فى صُورة رائعة من صُور التشبيه أو الاستعارة ، أو المجاز المرسل ، أو المجاز العقلى ، أو الكناية

فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم ، فيقول :

يُرِيدُ المُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلاَ يَصْنَعُونَ كَما يَصْنَعُ

ولَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغنى وَلَـكِنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وهذا كلام بليغ جداً ، مع أنه لم يُقْصَد فيه إلى تشبيه أو مجاز ، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم ، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل ، مع أنه ليس بأغنى منهم ، ولا بأكثر مالا .

وقد يعمد الشاعر : عند الوصف بالكريم إلى أسلوب آخر ، فيقول :

كالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلقَرِيبِ جَوَاهِراً جُودًا ويَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبا

(١) ذات عرق موضع بالبادية وهو مكان احرام أهل العراق

فيشبه الممدوح : بالبحر ، ويدفعُ بخيالك إلى أن يضاهي بين الممدوح والبحر الذى يقذفُ الدُّرر للقريب ، ويرسل السحائب للبعيد — أو يقول :

هُوَ البَحْرُ مِنْ أيِّ النواحي أتيتَهُ فَلُجّتُهُ المَعْرُوفُ والجُودُ ساحِلهْ

فيدّعي . أنه البحر نفسه ، وينكر التشبيه نكرانا يدل على المبالغة . وادعاء المُماثلة الكاملة — أو يقول .

علاَ فما يَسْتقرُّ المالُ في يدِه وكَيْفَ تُمْسِكُ ماءٌ قُنَّةُ الجَبلِ ؟

فيرسل إليك التشبيه : من طريق خفيّ ، ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى فى البلاغة ، وليجعل لك من (التشبيه الضمنى) دليلا على دعواه ، فانه ادّعى : أنه لعلوّ منزلته ينحدر المال من يديه ، وأقام على ذلك برهاناً

فقال « وكيف تُمسك ماء قُنّةُ الجبل » — أو يقول :

جرَى النّهرُ حتّى خِلتُهُ مِنْكَ أنْعماً تُساق بِلاَ ضَنٍّ وَتُعْطَى بِلاَ مَنٍّ[(١)]

فيُقلب التشبيه زيادة فى المُبالغة . وافتناناً فى أساليب الإجادة . ويُشبه ماء النهر بنعم الممدوح — بعد أن كان المألوف : أن تُشبه النّعم ، بالنّهر ، الفيّاض أو يقول :

كأنه حِينَ يُعْطِي المالَ مُبْتَسِماً صَوْبُ الغمامَةِ تهْمِي وهيَ تأتلِقُ[(٢)]

فيعمِد إلى التشبيه المركب ، ويُعطيك صورة رائعة ، تمثّل لك حالة الممدوح وهو يجود — وابتسامة السرور تعلو شفتيه — أو يقول :

جادَتْ يدُ الفَتحِ والأنْداء باخِلةٌ وذاب نائِلُهُ وَالْغَيْثُ قَدْ جَمَدَا

فيُضاهِي بين جود الممدوح والمطر ، ويدّعي أنّ كرم ممدوحه لا ينقطع ، إذا انقطعت الأنواء ، أو جمدَ القطر . أو يقول :

---

(١) الضن البخل ، والمن الامتنان بتعداد الصنائع

(٢) تهمى تسيل ، وتاتلق تلمع

قَدْ قلْتُ لِلغيمِ الرُّكامِ ولَجَّ فى ... إبراقِهِ وألحَّ فِي إرعادِهِ[1]

لا تعرِضَنَّ لجعفرٍ مُتشبِّهًا ... بنَدَى يدَيْه فلستَ من أندادهِ

فيصرح لك فى جلاء ، وفى غير خشية ، بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم ، ولا يكتفى بهذا ، بل تراه ينهى السحاب فى صورة تهديد أن يحاول التشبه بممدوحه ، لأنه ليس من أمثاله ونظرائه — أو يقول :

وأقبلَ يمشى فى البِساطِ فما درى ... إلى البحرِ يسعَى أم إلى البدرِ يرتقى

يصف حال رسول الروم داخلا على سيف الدولة ، فيفزع فى وصف الممدوح بالكرم ، إلى الاستعارة التصريحية ، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسى التشبيه ، والمبالغة فيها أعظم ، وأثرها فى النفوس أبلغ — أو يقول :

دعوتُ نداهُ دعوةً فأجابَنِي ... وعلَّمَنِي إحسانُهُ كيفَ آمُلُهْ

فيُشبِّه ندى ممدوحه وإحسانه (بانسان) . ثم يحذف المشبه به ، ويرمز إليه بشىء من لوازمه — وهذا ضربٌ آخر من ضروب المبالغة التى تساق الاستعارة لأجلها :

أو يقول : ومنْ قصدَ البحرَ استقلَّ السواقِيَا

فيرسل العبارة كأنها مثلٌ ، ويصوِّر لك أنَّ من قصد ممدوحه استغنى عمَّن هو دونه ، كما أنَّ قاصد البحر لا يأبه للجداول ، فيعطيك استعارة تمثيلية ، لها روعة ، وفيها جمال ، وهى فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه . وتؤيد الحال الذى يدعيها — أو يقول :

ما زلْتَ تتبعُ ما تولى يداً بيدٍ ... حتَّى ظننْتُ حياتِى مِنْ أيادِيكا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة ، إلى (المجاز المرسل) ويطلق كلمة « يد » ويريد بها النعمة ، لأن اليد آلة النعم وسببها — أو يقول

---

(١) الغيم الركام المتراكم . ولج وألح كلاهما بمعنى استمر

أعادَ يومُكَ أيامِي لِنَضْرَتِهَا   واقْتَصَّ جودُكَ مِنْ فَقْرِي وإعسَارِي

فيسند الفعل : إلى اليوم ، وإلى الجود ، على طريقة المجاز العقلي — أو يقول

فَمَا جَازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَه   ولَكِنْ يَسِيرُ الجودُ حيثُ يسيرُ

فيأتي بكناية عن نسبة الكرم إليه ، بادِّعاء أنَّ الجود يسير معه دائماً لأنه لأنه بَدَلَ أن يحكم بأنه كريم ، ادّعى أن الكرم يسير معه أينما سار

ولهذه الكناية من البلاغة ، والتأثير في النفس ، وحسن تصوير المعنى ، فوق ما يجده السَّامع في غيرها من بعض ضروب الكلام

فأنت ترى أنه من المستطاع ، التعبير عن وصف إنسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً — كلٌّ : له جماله ، وحُسنه ، وبَراعتهُ ، ولو نشاء ، لأتينا بأساليب كثيرة أُخرى في هـذا المعنى ، فإنَّ للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعاني ، لايكاد ينتهي إلى حدٍّ ، ولو أردنا : لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المَنَاحِي في صفات أُخرى ، كالشجاعة ، والإباء ، والحزم وغيرها ، ولكننا لم نَقْصِد إلى الإطالة ، ونعتقد أنك عنـــد قراءتك الشعر العربيَّ والآثار الأدبية ، ستجد بنفسك هذا ظاهراً وستَدْهَشْ للمَدَى البعيد الذي وصل إليـه العقل الإنساني في التصوير البلاغيّ ، والابداع في صوغ الأساليب — عن البلاغة الواضحة بتصرف

علم البديع

البَديع : لغة — المُختَرع المُوجَدُ على غير مِثَال سابق

وهو مأخوذ ومُشتقٌ من قولهم — بَدَع الشيء ، وأبدَعه ، اخترعه لا على مِثال[1]

واصطلاحاً — هو علم يُعْرف به الوجوه[2] ، والمزايا التى تزيد الكلام حُسناً وطلاوة ، وتكسوه بهاء ورونقاً ، بَعدَ مُطابقته لمُقتضى الحال

---

(١) البديع فعيل بمعنى مفعل ، أو بمعنى مفعول — ويأتى البديع بمعنى اسم الفاعل فى قوله تعالى « بديع السموات والأرض » أى مبدعها

(٢) وجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه وتحسين الكلام بعلمى المعانى والبيان «ذاتى» وتحسين الكلام بعلم البديع «عرضى» ووجوه التحسين: إما معنوية — وإما لفظية، وأخل المتأخرون فيهما أنواعا كثيرة فالبديع المعنوى هو الذى وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ، فيبقى مع تغيير الالفاظ.

كقوله : أتطلب صاحبا لاعيب فيه وأنت لكل من تهوى ركوب

ففى هذا القول ضربان من البديع (هما الاستفهام والمقابلة) لا يتغيران بتبدل الألفاظ ، كما لو قلت مثلا : كيف تطلب صديقاً منزها عن كل نقص ، مع أنك أنت نفسك ساع وراء شهواتك !

والبديع اللفظى — هو مارجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى ، فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ — كقوله

إذا ملك لم يكن ذاهبه فدعه فدولته ذاهبه

فانك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها يسقط الشكل البديعى بسقوطها

وملخص القول أن المحسنات المعنوية هى ما كان التحسين بها راجعاً إلى المعنى =

مع وُضوح دلالته على المُراد لفظا ومعنى

وواضعه : (عبد الله بن المُعتز العبّاسى) المُتوفى سنة ٢٧٤ هجرية —

ثم اقتفى أثره فى عصره (قُدَامة بن جعفر الكاتب) فزاد عليها ،

ثمّ ألف فيه كثيرون (كَأبى هلال العَسكرِى وابن رشيق القيرَوَانى ،

وصفىّ الدين الحِلّى ، وابن حِجَّة الحَموى) وغيرهم ممّن زادُوا فى أنواعه ،

ونظموا فيها قصائد تُعرف (بالبديعيّات)

وفى هذا العلم — بابان : وخاتمة

= أولا وبالذات ، وان حسنت اللفظ تبعاً — والمحسنات اللفظية هى ما كان التحسين بها راجعا إلى اللفظ بالاصالة ، وان حسنت المعنى تبعاً

وقد أجمع العلماء : على أن هذه المحسنات خصوصاً اللفظية منها ، لا تقع موقعها من الحسن ، إلا إذا طلبها المعنى ، فجاءت عفواً بدون تكلف ، والا فهى متبذلة .

الباب الأول

في المحسنات المعنوية

(١) التورية[(١)]

التَّورية : لغة ـ مصدر ورّيت الخبر تورية : إذا سترتَه ، وأظهرتَ غيره واصطلاحاً ـ هي أن يَذكُرَ المُتكلّم لفظاً مفرداً له معنيان ، أحدهما قريب غير مقصود ودَلالةُ اللَّفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد مقصود ، ودَلالةُ اللّفظ عليه

---

(١) التورية أن يطلق لفظ له معنيان . أحدهما قريب غير مراد ، والآخر بعيد هو المراد ، ويدل عليه بقرينة يغلب أن تكون خفية لا يدركها الا الفطن

وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام ـ مجردة .ومرشحة ومبينة . ومهيأة

١ . فالمجردة ـ هي التى لم تقترن بما يلائم المعنيين : كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته : فقال « هذه أختى » ـ أراد أخوة الدين . وكقوله (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار)

٢ ـ المرشحة ـ هى التى اقترنت بما يلائم المعنى القريب ، وسميت بذلك لتقويتها به ، لأن القريب غير مراد ، فكأنه ضعيف ،فاذا ذكر لازمه تقوى به ، نحو (والسماء بنيناها بأيد) فانه يحتمل (الجارحة) وهو القريب ، وقد ذكر من لوازمه البنيان على وجه الترشيح .

ويحتمل (القدرة) وهو البعيد المقصود ، وهى قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها .

---

٣ ـ والمبينة هى ماذكر فيها لازم المعنى البعيد ـ سميت بذلك لتبيين المورى عنه ، بذكر لازمه ، إذكان قبل ذلك خفياً ، فلما ذكر لازمه تبين : نحو

يا من رآنى بالهموم مطوقا وظللت من فقدى غصونا فى شجون
أتلومنى فى عظم نوحى والبكا شأن المطوق أن ينوح على غصون =

خَفِيَّةٌ ، فَيتوهَّم السَّامع : أنه يُريد المعنَى القريب ، وهو إنَّما يُريد المعنى البعيد بقرينة تشيرُ إليه ولا تُظهره . وتَسترُه عن غير المتيقظ الفطِن ، كقوله تعالى (وَهُوَ الذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِالليلِ وَيعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ) أراد بقوله جرحتم معناه البعيد ، وهو ارتكاب الذنوب ، ولأجل هذا سُمِّيت التَّوْرية « إيهاماً وتخييلاً » وكقول سِراج الدِّين الورَّاق :

أَصونُ أديمَ وجهِي عن أُناسٍ لقــاءُ الموتِ عندهُم الأديبُ
وربُّ الشِّعر عنــدهُمُ بغيضٌ ولو وافى به لهُمُ « حبيبُ »
وكقوله - أبياتُ شعرك كالقصــور ولا قصور بها يعوق

= وهي أيضاً قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد

٤ - والمهيأة - هي التي لاتقطع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها ، فهي قسمان أيضا

فالأول - وهو ماتهيأ بلفظ قبل ، نحو قوله

وأظهرت فينا من سماتك سنة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان والبعيد . الفرض ، معناه العطاء . والندب ، معناه الرجل السريع فى قضاء الحوائج ، ولو ذكر السنة لما تهيأت التورية ولا فهم الحكمان .

والثانى - وهو ما تهيأ بلفظ بعد : كقول الامام على رضى الله تعالى عنه فى الأشعث بن قيس ، أنه كان يحرك الشمال باليمين . فالشمال معناها القريب ضد اليمين ، والبعيد جمع شملة ، ولولا ذكر اليمين بعده لما فهم السامع معنى اليد الذى به التورية : ومن المجردة قوله

حملناهمو طرآ على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فان الدهم له معنيان - قريب : وهو الخيل الدهم ، وليس مراداً . وبعيد ، وهو القيود الحديد السود . وهو المراد . ومن المرشحة قوله تعالى (ولا يدينون دين الحق حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فان المراد من اليد الذلة ، وقداقترنت بالاعطاء الذى يناسب المعنى القريب ، وهو العضو

ومن العجـــائب لفظها حرٌّ ومعنـــاها « رقيق »
برَغم شَبيبٍ فارقَ السيفُ كـفَّه وكانا على العِلّاتِ يَصطحبـــان
كـأنّ رِقابَ الناس قالت لسيفه رفيقك قَيسِيٌّ وأنتَ يَمانى[1]

(٢) الاستخدام

الاستِخدَام : هو ذكرُ لفظ مُشترك بين معنيين ، يُراد به أحدهما ثم يُعاد عليه ضمير ، أو إشارة ، بمعنـــاه الآخر ، أو يُعاد عليه ضميران يُراد بثانيهما غيرُ ما يُراد بأوّلها

فالأول — كـقوله تعالى (فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) أُرِيدَ أوّلا بالشّهر (الهلال) ثم أُعِيدَ عليه الضميرُ أخيراً بمعنى أيام رمضان

وكـقول مُعاوية بن مالك :

إذا نزلَ السّماء بأرض قوم رَعيناهُ وإن كانوا غِضابا

أراد بالسماء (المطر) وبضميره فى « رعيناه » (النبات[2]) وكلاهما معنى مجازى للسماء

---

(١) يريد أن كف (شبيب وسيفه متنافران . لا يجتمعان ، لأن شبيباً كان قيسياً ، والسيف يقال له (يمانى) فورى به عن الرجل المنسوب إلى اليمن ، ومعلوم مابين قيس واليمن من التنافر ، فظاهر قوله (يمانى) أنه رجل منسوب إلى اليمن ، ومراده البعيد الدلالة على السيف ، لأن كلمة يمانى من أسمائه .

(٢) ملخص الاستخدام : هو أن يؤتى بلفظ له معنيان ، فيراد به أحدهما ، ثم يراد بضميره المعنى الآخر - كقول الشاعر

وللغزالة شىء من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسب

أراد الشاعر : بالغزالة الحيوان المعروف . وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس

وكقوله رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيم لج فى الأشواق خاطره

والثانى — كقول البحترى :

فسقى الغضا والساكنيه وإنْ هُمو شبُّوهُ بين جَوانِحِى وضلُوعِي

الغَضَا : شجر بالبادِية ، وضمير ساكِنيه أوّلاً راجع إلى الغضا ، باعتبار (المكان) وضمير شبّوه عائد ثانياً إلى الغضا (بمعنى النّار الحاصلة من شجر الغضا) — وكلاهما مجاز للغضا .

(٣) الاستطراد

الاستطراد : هو أن يخرُجَ المتكلّم من الغرض الذى هو فيه إلى غرضٍ آخر لمُناسبة بينهما ، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول — كقول السموءل

وإنّا لقومٌ لا نرى القتل سُبّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

يُقرِّب حُبّ الموت آجالنا لنا وتكرههُ آجالُهُم فتطولُ

فسياق القصيدة ، للفخر بقومه ، وانتقل منه إلى هجو قَبيلتى « عامر وسلول » ثم عاد إلى مقامه الأول ، وهو الفخر بقومه — وكقوله :

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فإن تسلّت أسلناها على الأَسَل

لاينزلُ المجد إلاّ فى منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوَى المُقَل

(٤) الافتنان

الافْتِنَان : هو الجمع بين فنّين مُختلفين ، كالغزل ، والحماسة ، والمدْح

وكقوله إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفتى فلا أشبهته راحتى بالتكرم

ولا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم

وقال الآخر فى الدعاء ، أقر الله عين الأمير وكفاه شرها . وأجرى له عذبها . وأكثر لديه تبرها — وكقول الشاعر :

رحلتم بالغداة فبت شوقاً أسائل عنكم فى كل ناد

أراعى النجم فى سيرى إليكم ويرعاه من البيدا جوادى

والهجاء ،والتعزية. والتهنئة ـ كقول عبد الله بن همام السلولى ، « جامعاً بين التعزية والتهنئة » حين دخل على يزيد ، وقد مات أبوه معاوية ، وخلفه هو فى الملك .

« آجرك الله على الرزية ، وبارك لك فى العطية ، وأعانك على الرعية فقد رُزئتَ عظيماً ، وأعطيتَ جسيماً ، فاشكرْ الله على ما أعطيتَ ، واصبر على ما رُزيت ، فقد فقدت الخليفة . وأعطيتَ الخلافة ، ففارقتَ خليلا ووُهبتَ جليلاً » .

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقةٍ   واشكرْ حباء الذى بالمُلك أصفاكَ
لا رُزْء أصبح فى الأقوام نعلمُهُ   كما رُزئت ولا عُقبى كعُقْباك

وكقول عنترة يخاطب عَبْلَة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهلٌ   منّى وبيضُ الهند تقطر من دمى
فوددتُ تقبيلَ السيوف لأنها   لَمعتْ كبارق ثغركِ المتبسِّمِ

(٥) الطباق[1]

الطباق : هو الجمع بين لفظين مُتقابلين فى المعنى . وهما قد يكونان اسمين ـ نحو : قوله تعالى (هُوَ الأوَّلُ وَالآخِرُ والظّاهر والباطن)

وكقوله تعالى « وَتَحْسَبُهُمْ أيْقاظاً وَهُمْ رُقود »

أو فعلين ـ نحو : قوله تعالى (وَأنَّهُ هُوَ أضْحَكَ وَأبْكى وَأنَّهُ هُوَ أمَاتَ وَأحْيا) وكقوله تعالى « ثُم لا يموتُ فيها ولا يحيا »

---

(١) ويسمى بالمطابقة . وبالتضاد . وبالتطبيق . وبالتكافؤ . وبالتطابق ـ وهو أن يجمع المتكلم فى كلامه بين لفظين ، يتنافى وجود معناهما معاً فى شىء واحد . فى وقت واحد ، بحيث ، يجمع المتكلم فى الكلام بين معنيين متقابلين ، سواء أكان ذلك التقابل : تقابل الضدين ، أو النقيضين ، أو الايجاب والسلب . أو التضايف .

أو حرفين ـ نحو : قوله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)
أو مختلفين ـ نحو : قوله تعالى (ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هَادٍ)[1]
ونحو : قوله تعالى « أو من كان ميتاً فأحييناه »
فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة

(٦) المقابلة

المُقَابلة : هي أن يُؤتى بمعنيين مُتوافقين أو معانٍ مُتوافقةٍ ، ثم يُؤتى بما يُقابل ذلك على الترتيب ، كقوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى

---

(١) والطباق ضربان : أحدهما طباق الايجاب : وهو مالم يختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا نحو (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء

وكقوله حلو الشمائل وهو مر باسل يحمى الذمار صبيحة الارهاق

وثانيهما طباق السلب : وهو ما اختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا ، بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد ـ أحدهما مثبت مرة ، والآخر منفى تارة أخرى فى كلام واحد ـ نحو (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) ونحو (لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) وقل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

أو أحدهما أمر ، والآخر نهى نحو (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا دونه أولياء) ونحو : فلا تخشوا الناس واخشون

وملخص الطباق الذى هو الجمع بين معنيين متقابلين فى كلام واحد ، وهو نوعان

(١) طباق سلب ـ وهو أن يجمع بين فعلين ، من مصدر واحد ، أحدهما مثبت ، والاخر منفى ، وأحدهما أمر . والآخر نهى .

(٢) طباق الايجاب ـ وهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد .

ويلحق بالطباق ، مابنى على المضادة ، تأويلا فى المعنى ، نحو (يغفر لمن يشاء ويعذب

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) وكقوله تعالى (يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) .

وقال صلى الله عليه وسلم للأنصار (إنكم لتكثرون عند الفزَع وتقِلُّون عند الطَّمع) وقال خالد بن صفوان يَصِف رجلا : ليس له صديق فى السرّ ولا عدوّ فى العلانية ـ وكقوله :

فتى كان فيـــه ما يسرّ صديقه ... ولكنّ فيـــه ما يسوء الأعاديا

وكقوله : وباسطُ خيرٍ فيكمُ بيمينه ... وقابضُ شرٍّ عنكمُ بشماله

وكقوله :

ما أحسنَ الدّين والدّنيا إذا اجتمعا ... وأقبحَ الكُفرَ والأفلاسَ بالرجل

وكقوله: يا أمّةً كان قُبح الجور يسخطها ... دهراً فأصبح حُسنُ العدل يرضيها

(٧) مراعاة النظير [١]

مُراعاة النَّظير : هى الجمع بين أمرين ، أو أمور مُتناسبة ، لا على جهة التَّضاد ، وذلك إمّا بين اثنين ـ نحو قوله تعالى (وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) وإمّا بين أكثر ـ نحو قوله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ)

ويُلحقُ بمُراعاة النظير ، ما بُنِى على المناسبة فى «المعنى» بين طرفى الكلام يعنى : أن يُختَمَ الكلامُ بما يناسب أوّله فى المعنى ، نحو قوله تعالى (لا تدْرِكه

= من يشاء) فان التعذيب لا يقابل المغفرة صريحاً لكن على تأويل كونه صادراً عن المؤاخذة التى هى ضد المغفرة . أو تخييلا فى اللفظ باعتبار أصل معناه ـ نحو « من تولاه فانه يضله ويهديه إلى عذاب السعير » أى يقوده فلا يقابل الضلالة بهذا الاعتبار ولكن لفظه يقابلها فى أصل معناه . وهذا يقال له « ايهام » التضاد .

(١) وتسمى : بالتناسب . والتوافق . والائتلاف .

الْأَبْصَارَ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) .

فان « اللطيف » يُناسب عدم إدراك الأبصار له ، و « الخبير » يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار .

وما بُنِيَ على المناسبة فى « اللفظ » باعتبار معنى له غير المعنى المقصود فى العبارة ، نحو قوله تعالى (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) فإنّ المراد « بالنجم » هنا النبات ، فلا يناسب « الشمس » و « القمر » ولكن لفظه يناسبهما ، باعتبار دلالته على الكواكب .

وهذا يقال له « إيهام التناسب » كقوله :

كأنّ الثريّا عُلقت فى جبينها ... وفى نحرها الشّعرى وفى خدّها القمرُ

والطّلُّ فى سلك الغصون كلؤلؤ ... رَطبٍ يُصافحه النّسيمُ فيسقط

والطير يقرأ والغدير صحيفة ... والريح تكتب والغمام ينقّط

(٨) الإرصاد

الإرصادُ : هو أن يذكر قبل الفاصلة « من الفقرة ، أو القافية ، من البيت » ما يدلُّ عليها إذا عُرف الرَّوِيّ ، نحو : قوله تعالى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) .

ونحو : قوله تعالى (وما كان الله لِيظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون[1]) وكقول الشاعر :

أحلّتْ دَمى من غير جُرم وحَرّمتْ ... بلا سبب عند اللقاء كلامى

فليس الذى حلّلتِه بمُحَلّلٍ ... وليس الذى حرّمتِه بمُحرّمِ

(١) فالسامع : إذا وقف على قوله تعالى « قبل طلوع الشمس » بعد الاحاطة بما تقدم ، علم أنه « وقبل الغروب » . وكذلك البصير بمعانى الشعر وتأليفه ، إذا سمع المصراع الأول (أحلت دمى – الخ) علم أن العجز (وحرمت – الخ) ليس إلا ماقاله الشاعر

ونحو : إذا لم تَستطع شيئاً فدَعْه   وجاوِزْه إلى ما تَستطيع

وقد يُستغنَى عن معرفة الروىّ ، نحو : قوله تعالى (وَلِكلِّ أُمَّةٍ أَجلٌ إذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ)

(٩) الادماج

ألإِدْماج : هو أنْ يُضمَّنَ كلامٌ قد سيق لمعنى ، معنى آخر ، لم يُصرَّحْ به كقول المتنبي :

أقلّبُ فيه أجفانى كأنّى   أعدُّ بها على الدهر الذُّنوبا

ساق الشاعر : هذا الكلامَ (أصالة) لبيان طول الليل ، (وأدمج) الشكوى من الدهر ، فى وصف الليل بالطول .

(١٠) المذهب الكلامى

ألمذهبُ الكلامى : هو أن يُورِد المتكلم على صِحّة دعواه حُجّة قاطعة مُسلّمة عند المخاطب ، بأن تكون المقدّمات بعد تسليمها مستلزِمةً للمطلوب كقوله تعالى (لَوْ كانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتَا) واللازم وهو الفساد باطل ، فكذا الملزوم وهو تعدُّد الآلهة باطل ، وليس أدلّ على ذلك من الحتية والواقع .

وكقوله تعالى : (يا أيها الناس إن كُنتمْ فى رَيْبٍ من البعث فانّا خلقناكم من تراب)

ونحو قوله تعالى (وَهُوَ الذِى يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) أى وكل ما هو أهون عليه فهو أدخل تحت الامكان ، فلاعادة ممكنة

وسُمّىَ هذا النوع (بالمذهب الكلامى) لأنه جاء على طريقة (علم الكلام والتوحيد) وهو عبارة عن إثبات (أصول الدين) بالبراهين العقلية القاطعة

(١١) حسن التعليل

حُسْنُ التّعليل (١) هو أن يُنكرَ الأديبُ صراحة، أو ضِمناً، عِلّة الشّيء المعروفة، ويأتي بعلة أُخرى أدبية طريفة، لها اعتبارٌ لطيف، ومشتملة على دِقّة النّظر، بحيث تُناسب الغرض الذي يرمي إليه.

يعني أن الأديب: يدّعي لوصفٍ عِلّةً مُناسبةً غير حقيقية، ولكن فيها حُسنٌ وطَرافةٌ، فيزداد بها المعنى المُراد الذي يَرمي إليه جَمالا وشرفاً كقول المعرّي في الرّثاء:

وما كُلْفَةُ البدرِ المنيرِ قديمةٌ ... ولكنّها في وَجْهِهِ أثرُ اللّطمِ

يقصد: أن الحزن على (المرثى) شمل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك: يدّعي أن كُلفه البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من (أثر اللّطم على فراق المرثى) ومثله قول الشاعر الآخر:

أما ذُكاء فلم تصفرّ إذ جنحت ... إلا لفرقة ذاك المنظرِ الحسنِ

يقصد أنّ الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف ولكنها (أصفرّت مخافة أن تفارق وجه الممدوح) – ومثله قول الشاعر الآخر

ما قصّر الغيثُ عن مصرٍ وتُربتِها ... طبعاً ولكن تعدّاكم من الخجلِ

ولا جرى النّيلُ إلّا وهو مُعترفٌ ... بسبقكم فلذا يجري على مَهَلِ

(١) من الأشياء ما له صفة ثابتة، ذات علة معروفة، أو غير معروفة: كزلزلة الأرض، وسقوط المطر من السحب، ومقاتلة الأعداء. وبزوغ القمر وأفوله، ونحو ذلك، فيلتمس الأدباء لها عللا أخرى، فيها طرافة وحسن؛ يزداد بها المعنى الذي يريدون تقريره جمالا وشرفا، فحسن التعليل: هو استنباط علة مناسبة للشيء غير حقيقية، بحيث تكون على وجه لطيف بليغ، يحصل بها زيادة في المقصود.

ينكر هذا الشاعر : الأسبابَ الطبيعيةَ لقلة المطر بمصر ، ويلتمس لذلك سبباً آخر : وهو (أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمُّها فضل الممدوح جوده) لأنه لايستطيع مباراته فى الجود والعطاء ، ولا بد فى العلة أن تكون ادّعائية

ثم الوصف أعمّ من أن يكون ثابتاً فيُقصد بيانُ علّته ، أو غير ثابت فيراد إثباته .

(ا) فالأول - وصفٌ ثابتٌ غير ظاهر العلّة — كقوله :

بين السيوف وعينيها مشاركة — من أجلها قيل للأجفان أجفان

وقوله : لم يَحْكِ نائلكَ السحاب وإنما — حُمَّتْ به فصبيبها الرُّحَضاء[1]

وقوله : زعم البنفسج أنه كعذاره — حُسْناً ، فسلُّوا من قفاه لسانَهُ

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف لا علّة له ، لكنه ادّعى أن علّته الافتراء على المحبوب

(ب) أو وصف ثابت ظاهر العلة ، غير التى تذكر ، كقول المتنبى

ما به قتلُ أعاديه ولكن — يَتّقِى إخلافَ ما ترجو الذِّئابُ

---

(١) أى أن السحائب لاتقصد محاكاة جودك بمطرها لأن عطاءك المتتابع أكثر من مائها وأغزر . ولكنها حمت حسداً لك . فالماء الذى ينصب منها هو عرق تلك الحمى — فالرحضاء عرق الحمى

وكقوله : لم يطلع البدر إلامن تشوقه — إليك حتى يوافى وجهك النضرا

ولا تغيب إلا عند خجلته — لما رآك فولى عنك واستترا

وكقوله: سألت الأرض لم كانت مصلى — ولم جعلت لنا طهراً وطيبا

فقالت غير ناطقة لأنى — حويت لكل إنسان حبيبا

وكقوله : عيون تبر كأنها سرقت — سواد أحداقها من الغسق

فان دجا ليلها بظلمته — تضمها خيفة من السرق

وكقوله :مازلزلت مصر من كيد يرادبها — وإنما رقصت من عدله طربا

وكقوله : لا تنكروا خفقان قلبي — والحبيب لدى حاضر

فان قتل الأعادى عادة للملوك ، لأجل أن يسلموا من أذاهم وضرّهم ولكنّ (المتنبى) اخترع لذلك سبباً غريباً ، فتخيّل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به ، حتى لدى الحيوان الأعجم من (الكرم الغريزى ، ومحبته إجابة طالب الاحسان) ومن ثمّ فتك بهم ، لأنه علم ، أنه إذا غدا للحرب ، رجت الذئاب أن يتسع عليها رزقها . وتنال من لحوم أعدائه القتلى ، وما أراد أن يُخيّب لها مطلباً

والثانى — وصف غير ثابت ، وهو

(١) إمّا ممكن — كقول مسلم بن الوليد

يا واشياً حَسُنتْ فينا إساءتُه نَجّى حِذارُك إنسانى من الغرق

فاستحسان إساءة الواشى ممكن ، ولكنه لما خالف الناس فيه ، عقّبه بذكر سببه ، وهو أن حذاره من الواشى منعه من البكاء ، فسلم إنسان عينه مِنَ الغرق فى الدموع

(٢) وإمّا غير ممكن — كقول الخطيب القزوينى

لو لم تكن نيّةُ الجوزاء خِدمته لَمَا رأيتَ عليها عقد مُنتَطِق

فقد ادّعى الشاعر : أنّ الجوزاء تريد خدمة الممدوح ، وهذه صفة غير ممكنة ، ولكنه علّلها بعلة طريفة ، إدّعاها أيضاً إدّعاء أدبياً مقبولا إذ تصور إنّ (النجوم التى تحيط بالجوزاء ، إنما هى نطاقٌ شدّته حولها على نحو ما يفعل

= ما القلب إلا داره دقت له فيها البشائر

وكقوله : أرى بدر السماء يلوح حينا ويبدو ثم يلتحف السحابا

وذاك لأنه لما تبدى وأبصر وجهك استحيا وغابا

وكقوله : لم تؤذن الدنيا به فى صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وكقوله : ولم تكن ساخطا لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا

وكقوله : قد طيب الأفواه طيب ثنائه من أجل ذا تجد الثغور عذابا

الخدم، ليقوموا بخدمة الممدوح[1])

(١٢) التجريد

التجريدُ : لغة إزالة الشيء عن غيره

واصطلاحاً — أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر مثله في تلك الصفة، مبالغة في كمالها في المنتزع منه، حتى أنه قد صار منها بحيث، يمكن أن ينتزعَ منه موصوف آخر بها، وأقسام التجريد كثيرة .

« ا » منها — ما يكون بواسطة (مِنْ التجريديّة) كقولك . لي من فلان صديق حميم (أي بلغ فلان من الصداقة حداً صحّ معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها)

ونحو: ترى منهمو الأسد الغضاب إذا سطوا وتنظر منهم في اللقاء بدوراً

«ب» ومنها ـ ما يكون بواسطة (الباء التجريدية) الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم : لئن سألت فلاناً لتسألنّ به البحر ، بالغ في اتّصافه بالسماحة، حتى انتزع منه بحراً فيها

« ج » ومنها — ما لا يكون بواسطة ، نحو : (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر)

« د » ومنها — ما يكون بطريق الكناية ، كقول الأعشى

---

(١) ومثله قول ابن المعتز

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت والدم في السيف شاهد عجب

وكقوله : فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

وكقوله : عداتي لهم فضل علي ومنة فلا أذهب الرحمن عني الأعاديا
همو بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

وكقوله: لولم يكن أقحوانا ثغر مبسمها ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

يَا خيرَ من ركب المطيّ ولا يشرب كأساً بكفّ من بخلا(١)

(١٣) المشاكلة

المُشَاكَلَةُ : هى أن يُذكر الشىء بلفظ غيره ، لوقوعه فى صُحبته كقوله تعالى (تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ) المراد : ولا أعلم ماعندك وعبّر بالنفس (للمُشاكلة) ونحو : قوله تعالى (نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ) .

أى أهملهم . ذكر الإهمال هنا بلفظ المنسيان لوقوعه فى صحبته

ومن ذلك ما حكى عن أبى الرقمع : أن أصحاباً له ، أرسلوا يدعونه إلى الصبوح فى يوم بارد، ويقولون له ، ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً ؟؟ وكان فقيراً ، ليس له كسوة تقيه البرد ، فكتب إليهم يقول :

أصحابنا قصدوا الصَّبوح بسحرة وأتى رسولهُمُ إلىّ خصيصاً
قالوا اقترِحْ شيئاً نجِدْ لك طبخه قلتُ أطبخُوا لى جُبَّةً وقميصاً(٢)

---

(١) أى يشرب الكأس بكف الجواد - انتزع منه جواداً يشرب هو بكفه على طريق الكناية . لأن الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم وهو لا يشرب إلا بكف نفسه . فاذاً هو ذلك الكريم

ومن التجريد خطاب المرء نفسه ، كقول المتنى

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

أى الغنى - فقد انتزع من نفسه شخصا آخر وخاطبه ، وهذا كثير فى كلام الشعراء ، وإنما سمى هذا النوع تجريداً لأن العرب تعتقد أن فى الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً عن الانسان ، كأنه غيره وفائدة هذا النوع (مع التوسع) أن يثبت الانسان لنفسه مالا يليق التصريح بثبوته له

(٢) أى خيطوا لى جبة وقميصا ، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه فى صحبة طبخ الطعام

وكقوله : مَن مُبلغٌ أفناءَ يَعرُبَ كلّها أنّى بنيت الجــار قبل المنزل
وكقوله : ألا لا يجهلَنْ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهليــنا

(١٤) المزاوجة

المُزاوجةُ : هى أن يُزاوِجَ المتكلّم بين معنيين فى الشّرط والجزاء ، بأنْ يُرَتِّب على كلٍّ منهما معنى ، رُتب على الآخر ، كقوله :

إذا ما نهى النّاهى فلجَّ بىَ الهوى أصاخت إلى الواشى فلجَّ بها الهجر

زاوج بين النهى والإصاخة فى الشّرط والجزاء بترتيب اللّجاج عليهما

وكقوله :

إذا احتربتْ يوماً ففاضت دماؤها تذكّرتْ القربى ففــاضت دموعها

زاوج [1] بين الاحتراب « أى التحارب » وبين تذكر القُربَى ، فى الشرط والجزاء ، بترتيب الفيض عليهما .

(١٥) الطى والنشر

الطّى والنّشر — أن يُذكر مُتعدِّد ، ثم يُذكر ما لـكلٍّ من أفراده شائعاً من غير تعيين ، اعتماداً على تصرُّف السامع فى تمييز ما لـكلٍّ واحد منها ، وردّه إلى ما هو له — وهو نوعان :

« ا » إمّا أن يكون النّشر فيه على ترتيب الطّى ، نحو قوله تعالى (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَـكُمُ اللَّيلَ وَالنّهارَ لِتَسْـكُنُوا فيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) فقد جمع بين الليل والنّهار ، ثم ذكر السكون للّيل ، وابتغاء الرزق للنهار ، على التّرتيب .

وكقوله : عيونٌ وأصداغٌ وفرعٌ وقامة وخَال ووَجنَات وفرق ومَرشفُ
سيوف وريحان وليــل وبانة ومِسكٌ وياقوت وصُبْحٌ وَقَرْقَفُ

---

(١) المزاوجة: المشابهة : يقال زاوج أى خالط وأشبه بعضه بعضا فى السجع أو الوزن

وكقوله : فعلُ المدام ولونها ومذاقها   فى مُقلتيه ووجنتيه وريقه

« ب » وإمَّا أن يكون النشر على خلاف ترتيب الطّى — نحو (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحساب) .

ذكر ابتغاء الفضل للثانى ، وعلم الحساب للأول ، على خلاف الترتيب

وكقوله : ولحظُهُ ومُحيَّاهُ وقامته   بدر الدُّجا وقضيبُ البان والرَّاح

فبدر الدُّجا : راجع إلى « المُحيّا » الذى هو الوجه ، و « قضيب البان » راجع إلى « القامة » ، والراح راجع إلى « اللحظ » ويُسَمَّى (اللف والنشر) أيضاً .

(١٦) الجمع

الجمعُ : هو أن يجمع المتكلم بين متعدِّد ، تحت حكم واحد — وذلك :

« ا » إمَّا — فى اثنين ، نحو قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)

ونحو : قوله تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَة)

« ب » وإما — فى أكثر ، نحو قوله تعالى (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلام رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فاجتنبوه) — وكقوله :

إنَّ الشباب والفراغَ والجِدَه   مَفسدة للمرء أىُّ مفسَدَه

وكقوله : آراؤه وعطاياهُ ونعمتهُ   وعفوهُ رحمة للناس كلّهم

وكقوله: آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم   فى الحادثات إذا دَجَوْنَ نجومُ

(١٧) التفريق

التفريق : أن يُفرِّق بين أمرين من نوع واحد فى اختلاف حكمهما نحو قوله تعالى (وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ ، وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) — وكقول الشاعر :

مانوالُ الغمام وقت ربيع   كنوال الأمير يوم سخاء
فنوالُ الأمير بَدرةُ عين   ونوال الغمام قطرة ماء

وكقوله : منْ قاس جدواكَ يوماً   بالسُّحب أخطأ مدحكْ
السُّحب تُعطِي وتبكي   وأنت تُعطى وتَضحكْ

وكقوله : من قاس جدواك بالغمام فما   أنصفَ فى الحكم بين شكلين
أنتَ إذا جُدتَ ضاحكٌ أبدا   وهو إذا جاد دامع العين

وكقوله : وردُ الخدود أرقّ من   وَرد الرّياض وأنعمُ
هذاك تنشُقه الأنو   فُ وذا يُقبّله الفمُ

(١٨) التقسيم

التّقسيم : هو أن يذكر مُتعدّد ، ثم يُضاف إلى كلّ من أفراده ، ما له على جهة التعيين ، نحو : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ، فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ، وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ).

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين :

أوّلهما — أن تُستوفى أقسام الشيء ، نحو قوله تعالى (لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى).

وثانيهما — أن تذكر أحوال الشيء ، مضافاً إلى كل منها مايليق به كقوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِى اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) .
وكقوله :

سأطلبُ حَقّى بالقنا ومشايخ   كأنهمو من طول ما التثموا مُردُ
ثقالٌ إذا لاقوا خفافٌ إذا دُعوا   كثير إذا شدّوا قليلٌ إذا عُدّوا

وكقوله : ولا يقيم على ضيم يُراد به إلاّ الأذلاّنِ عَيرُ الحيّ والوَتِدُ
هـذا على الخسف مربوط برُمّتِهِ وذا يُشجّ فلا يَرثِي له أحدُ

(١٩) الجمع مع التفريق

الجمعُ مع التّفريق : أن يجمعَ المتكلّم بين شيئين فى حكم واحد ، ثم يفرّقُ بين جهتَيْ إدخالهما — كقوله تعالى (خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ . وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) وكقوله : فوجهك كالنّار فى ضوئها وقلبى كالنّار فى حرّها

(٢٠) الجمع مع التقسيم

الجمعُ مع التقسيم : أن يجمعَ المُتكلّم بين شيئين أو أكثر تحت حُكم واحد .

ثم يُقسّم ما جمع — أو : يقسّم أوّلا : ثم يجمع .

فالأول — نحو (اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنامِهاَ فَيُمْسِكُ التى قضى عَلَيْهاَ الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلى أَجلٍ مُسَمًّى) وكقول المتنبي :

حتى أقام على أرباض خَرشنَةٍ[١] تشقى به الرُّوم والصُّلبان والبِيَعُ
للرِّقّ ما نسلوا والقتل ما ولدوا والنّهب ما جمعوا والنّار ما زرعوا
سأطلب حَقّى بالقَنا ومشايخ[٢] كأنهم من طول ما التثموا مُرْدُ
ثقالٌ إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا كثير إذا شدّوا قليل إذا عُدّوا

والثاني — كقول سيدنا حسان :

قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهُمُ أو حاولوا النّفع فى أشياعهم نفعوا

---

(١) الأرباض : جمع ربض وهو ماحول المدينة ، وخرشنة : بلد بالروم

(٢) القنا : الرماح ، والمشايخ أصحابه ، أى يطلب حقه بنفسه ومستعينا بأصحابه المجربين المحنكين ، ولذلك جعلهم مشايخ .

ـــجية تلك فيهم غير مُحْدَثة إنّ الخلائق فاعلم شرُّها البِدعَ

(٢١) المبالغة

المُبالَغَةُ : هِيَ أن يَدَّعِيَ المتكلّم لوصف ، بُلوغَه فى الشدّة أو الضَّعْفِ حدًّا مُسْتبعَداً ، أو مستحيلا ، وَتنحصر فى ثلاثة أنواع :

(١) تبليغ – إن كان ذلك الادّعاء للوصف من الشِّدَّة أو الضَّعْف مُمكناً عقلا وَعادة ، نحو قوله تعالى « ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرَجَ يده لم يكد يراها » وكقوله فى وَصْف فرس :

إذا ما سابقتها الرِّيح فرَّت وَألقتْ فى يد الرِّيح التُّرابا

(٢) وَإغْراق – إن كان الادّعاء للوصف من الشِّدَّة أو الضعف مُمْكناً عقلا ، لا عادة – كقوله :

وَنُكرم جارنا ما دام فينا وَنُتبعهُ الكرامة حيث مالا

(٣) وَغلوّ [١] – إن كان الادعاء للوصف من الشِّدَّة أو الضَّعف مستحيلا عقلا وَعادة – كقوله :

تكادُ قِسيُّهُ من غير رَامٍ تُمَكِّنُ فى قلوبهم النِّبالاَ

(٢٢) المغايرة

ألمُغايَرَة : هى مدح الشيء بعد ذمه ، أو عكسه – كقول الحريرى فى مدح الدِّينار :

« أكرِمْ به أصفرَ راقت صفرته »

بعد ذمه فى قوله – « تبًّا له من خادعٍ مُمارقٍ » .

---

(١) أما الغلو : فمنه مقبول ، ومنه مردود : فالمقبول ثلاثة أنواع : أحدها ما اقترن به ما يقربه للصحة . (كفعل مقاربة) نحو : قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار) .

(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم

تأكيدُ المدح بما يُشبِهُ الذَّم : نوعان :

الأوَّل — أن يُستثنى من صِفة ذمٍ منفية عن الشيء ، صِفةُ مدح بتقدير دخولها فيها — كقوله :

ولا عَيبَ فيهم غيرَ أن سُيوفهم بهنَّ فلول من قِراع الكتائبِ (١)

الثّاني — أن يُثبتَ لشيء صفة مدح ، ثم يُؤتى بعدها بأداة استثناء (٢) تليها صفة مدح أُخرى (والنوع الأول أبلغ) — كقوله :

---

(١) أو أداة فرض ، نحو قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) :

ومنه ـ ماتضمن حسن تخييل ، كقول المتنبي

عقدت سنابكها عليها عثيراً لو تبتغي عنقاً عليه لأمكنا (١)

وقول المعرى :

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

ومنه ـ ماأخرج مخرج الهزل والخلاعة ـ كقول النظام

توهمه طرفى فآلم طرفه فصار مكان الوهم فى خده أثر

ومر بفكرى خاطراً فجرحته ولم أر خلقا قط يجرحه الفكر

وقول الآخر ـ لك أنف ياابن حرب أنفت منه الأنوف

أنت فى القدس تصلى وهو فى البيت يطوف

(٢) اى أن كان تكسر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيبا فلا عيب فيهم غيره ، ومن المعلوم أنه بعيب ـ وكقول الآخر

ولا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم يسلوا عن الأهل والأوطان والحشم

وقوله : ولا عيب فيه غير أن حدوده بهن احمرار من عيون المتيم =

---

(١) السنابك جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر . والعثير الغبار . والعنق ضرب من السير ، سريع فسيح الخطو ـ يقول إن حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غبارا كثيفا ، حتى لو أرادت السير عليه لكان يحملها ، كالأرض لشدة كثافته

ولا عيبَ فيه غيرَ أني قصدته فأنستنيَ الأيام أهلاً وموطناً

وكقوله : فتى كملت أوصافه غيرَ أنه جوادٌ فما يُبقى من المال باقياً

وقد تقوم (لكنْ) مقام أداة الاستثناء فى هذا النوع .

(٢٤) تأكيد الذم بما يشبه المدح(١)

تأكيد الذَّم بما يُشبه المدح : ضربان أيضاً :

الأوّل — أن يُستثنى من صفة مدح مَنفية عن الشيء ، صفةُ ذم بتقدير دخولها فيها — كقوله :

خلا من الفضل غيرَ أنّى أراه فى الحُمق لا يجارى

ونحو . لا فضلَ للقوم إلا أنّهم لا يعرفونَ للجار حقّه .

ونحو : الجاهل عدوّ نفسه إلا أنه صديق السفهاء .

ونحو : فلان ليس أهلا للمعروف ، إلا أنه يُسيء إلى مَن يُحسِن إليه

الثّانى — أن يُثبت لشيء صفة ذمّ ، ثم يُؤتى بعدها بأداة استثناء(٢)

وقوله : ليس به عيب سوى أنه لاتقع العين على شبهه

وقوله ولاعيب فى معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وقوله : ولاعيب فيكم غير أن ضيو فكم تعاب بنسيان الأحبة والوطن

(١) وهناك نوع آخر . يسمى « الهجاء فى معرض المدح » وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح ، وباطنه ذم - كقوله

أبو جعفر رجل عالم بما يصلح المعدة الفاسدة

تخوف تخمة أضيافه فعودهم أكلة واحدة

(٢) ومثل أداة الاستثناء فى ذلك ، أداة الاستدراك فى قول الشاعر

وجوه كأظهار الرياض نضارة ولكنها يوم الهياج صخور

وكقوله :هو البدر إلا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

أدرك أهل البيان (التدبيج) فى الطباق . وأفرده أهل البديع ، وهو الأولى ، لجواز أن لايقع (التقابل) بين الألوان ، فيفوت (الطباق)

تليها صفة ذمّ أخرى ، نحو : فلانَ حسودٌ إلاّ أنه نمّام ، ـ وكقوله

هو الكاتبُ إلاّ أنّ فيه ملالةً وسوءُ مراعاة وماذاك فى الكاتب

وكقوله : لئيم الطباع سوى أنه جبانٌ يهون عليه الهوان

(٢٥) التوجيه

التّوجيه : هو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين متضادّين على السواء كهجاء ، ومديح ، ودعاء للمخاطب ، أم دعاء عليه ، ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه ، كقول بشّار فى خياطه أعور (اسمه عمرو)

خاط لى عمرُو قباءً ليتَ عينيهِ سواء

فإنّ دعاءه لايُعلم ، أهل له أم عليه

وقوله : كلّما لاحَ وجهه بمكان كثرت زحمة العيون إلى رؤيتِه

ويحكى أن محمداً بن حزم هنأ (الحسن بن سهل) باتصال بنته « بوران » التى تنسب إليها الأطبخة البورانية (بالخليفة المأمون العباسى) مع من هنأه ، فأثابهم ، وحرمه : فكتب إليه إن أنت تماديتَ على حرمانى ، قلتُ فيك « بيتاً لا يعرف » أهو مدح أم ذم ، فاستحضره وسأله ؟؟ فأقرّ ،

فقال الحسن : لا أعطيك أو تفعل ، فقال :

باركَ الله للحسن ولبُوران فى الختَن

يا إمامَ الهدى ظفر تَ ولكنْ ببنتِ منْ ؟؟

فلم يدر : ببنتِ منْ ؟؟ — أفى العظمة وعلوّ الشأن ورفعة المنزلة أم فى الدناءة والخِسّة ؟؟ — فاستحسنَ الحسنُ منه ذلك

والخلاصة أنّ التّوجيه نوعان :

الأول : أن يكون الكلام بحيث يصلح لأن يُراد به معنيانِ متضادّانِ على السّواء

والثانى : أن يكون الكلام بحيث يشتمل على مجموعة ، أو مجموعات من مصطلحات العلوم . أو الفنون . أو الأسماء المتلائمة

الفرق بين التورية والتوجيه

« ا » التورية : تكون فى لفظ واحد .

وأمّا التّوجيه : فيكون فى تركيب ، أو جملة أسماء متلائمة

« ب » التّورية . يقصد المتكلم بها معنى واحداً : هو البعيد

والنوع الأول من التوجيه : لايترجح فيه أحد المعنيين على الآخر

« جـ » لفظ التورية : له معنيان بأصل الوضع

وألفاظ النوع الثانى من التوجيه : ليس لها إلا معنى واحد بأصل الوضع ، ويكون هو المقصود من الكلام

(٢٦) نفى الشىء بإيجابه

نفْيُ الشىء بإيجابه : هو أن ينفى متعلق أمر عن أمر ، فيوهم إثباته له ، والمراد نفيه عنه أيضاً ، نحو قوله تعالى « تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلاَ بَيعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ[1] »

فانّ نفى إلهاء التجارة عنهم ، يُوهم إثباتها لهم — والمراد نفيها أيضاً .

(٢٧) القول بالموجب

القَوْل بالمَوجب نوعان :

الأول — أن يقع فى كلام الغير إثباتُ صفةٍ لشىء وترتيبُ حكم عليها ، فينقلُ السّامعُ تلك الصّفةَ إلى غير ذلك الشىء من غير تعرضٍ لثبوت ذلك الحُكم له أو انتفائه عنه ، كقوله تعالى (يَقُولونَ لئِنْ رَجعْنَا إلى الْمدِينَةِ ليُخْرِجَنّ

---

(١) مقتطع من الآية : التى مرت فى مبحث ترك المسند، حيث يقول (يسبح له —

الأَعزُّ مِنْهَا الأذلَّ وَللهِ العِزَّةُ ولِرَسُولِهِ وَللمُؤْمنِينَ (١)) فالمنافقون أرادوا بالأعزّ أنفسهم، وبالأذل المؤمنين، ورتبوا على ذلك الاخراجَ من المدينـــة فنُقلت صفة العزّة للمؤمنين، وأُبقيتْ صفة الأذلّية للمنافقين، من غير تَعرُّض لثبوت حكم الاخراج للمتّصفين بصفة العزّة، ولا لنفيه عنهم

والثانى: حَمْل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلّق له كقوله: وقالوا قد صَفتْ مِنّا قلوبٌ   لقد صدقوا ولكن عن ودَادِى

أراد بصفو قلوبهم (الخلوصَ) فحَمَلهُ على الخلوّ بذكر متعلّقه، وهو قوله «عن ودَادِى»

(٢٨) ائتلاف اللفظ مع المعنى

إئتِلاف اللّفظ مع المعنَى: هو أن تكون الألفاظ موافقةً للمعانى، فتُختار الألفاظ الجزلة، والعبارات الشّديدة للفخر والحماســة، وتختار الكلمات الرّقيقة، والعبارات اللّينة، للغزَل والمدح — كقوله

إذا ما غضبنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً   هتكنا حجابَ الشمس أو قَطَرت دَما

إذا ما أعَرْنا سيّداً من قبيلة   ذُرا منبرٍ صلّى علينا وَسَلّما

وكقوله: ولَسْتَ بنَظّارٍ إلى جانب الغِنى   إذا كانت العلياء فى جانب الفقرِ

وكقوله: لم يطُلْ ليلى ولكن لم أنَمْ   ونَفَى عنى الكَرَى طيفٌ أَلَمّ

فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) فان قوله لا تلهيهم تجارة) يوهم أن لهم تجارة، غير أنهم لا يلتهون بها. ولكن المراد أنهم ليس لهم تجارة حتى يلتهوا بها، لأن رجال الجنة لا يتعاطون التجارة

---

(١) تلخيص العبارة: أن الكافرين حكموا لأنفسهم بالعزة، وللمؤمنين بالذلة وقالوا إن رجعنا إلى المدينة نخرجهم منها. فحكم بالعزة لله، ولرسوله، والمؤمنين ولم يقل أنهم يخرجون أولئك منها، ولا أنهم لا يخرجونهم

(٢٩) التفريع

التفريعُ . هو أنْ يُثبتَ حكمٌ لمتعلقِ أمرٍ ، بعد إثباته لمتعلّق له آخر كقول الشاعر :

فاضتْ يداه بالنُّضار كما فاضت ظُباه في الوغى بدمى

وكقوله : أحلامُكم لسقام الجهل صافيةٌ كما دماؤكم تشفِي من الكَلَبْ

(٣٠) الاستتباع

الاستتباع : هو الوصفُ بشيء على وجه يَستتبعُ الوصفَ بشيء آخرَ ، مدحاً أو ذماً

يعني أنّ الاستتباعَ هو المدح على وجهٍ يستتبعُ المدح بأمر آخَر ، كقوله

ألا أيُّها المالُ الذي قد أبادهُ تَسلَّ فهذا فعــله بالكتائب

وكقوله : سَمِحُ البديهة ليس يمسك لفظه فكأنَّ ألفاظه من ماله

وكقوله : الحربُ نُزهته والبأس هِمّته والسَّيف عزمتُه واللهُ ناصرهُ

وقيل : إنه يكون أيضاً في الذّم ، كقول بعضهم في (قاض) لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر

أترى القاضىَ أعمَى أم تراه يتعامَى

سَرق العيدَ كأنّ الـ ـعيدَ أموالُ اليتامَى

(٣١) السلب والايجاب[1]

السّلب والإيجاب : هو أن يقصِدَ المتكلّم تخصيص شيء بصفة فينفيها

---

(١) ويسمى الرجوع : وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة : كقول زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

وكقوله : وماضاع شعرى عندكم حين قلته بلى وابيكم ضاع فهو يضوع

عن جميع الناس ، ثم يُثبتها له مدحاً أو ذماً ، فالمدح — كقول الخنساء

وما بلغتْ كفُّ أمرىءٍ مُتناولاً من المجد إلا والذى نِلتَ أطولُ
ولا بلغَ المهْدونَ للناس مِدحةً وإن أطنبوا إلاَّ الذى فيك أفضلُ

والذَّم — كقول بعضهم

خُلقوا وما خُلِقوا لمكرُمة فكأنَّهم خُلِقوا وما خُلِقوا
رُزِقوا وما رُزِقوا سماحَ يدٍ فكأنهم رزقوا وما رزقوا

(٣٢) الابداع

الإبداع : هو أن يكون الكلام مشتملا على عِدَّة أنواع من البديع كقول الشاعر

فضحتْ الحيا والبحرَ جُوداً فقد بكى الـ ـحيا من حياه منك والْتطمَ البحرُ[(١)]

---

(١) فان فيه حسن التعليل فى قوله (بكى الحيا من الحياء منك) . وفيه التقسيم : فى قوله (فضحت الحيا والبحر) حيث ارجع مالكل إليه على التعيين بقوله بكى الحيا ، والتطم البحر ، وفيه المبالغة فى جعله بكاء الحيا والتطام البحر حياء من الممدوح . وفيه الجمع فى قوله : فضحت الحيا والبحر . وفيه رد العجز على الصدر : فى ذكر البحر والبحر وفيه الجناس التام : بين الحيا الحياء — وللقرآن الكريم اليد البيضاء فى هذا النوع فقد وجد اثنان وعشرون نوعا فى قوله تعالى (وقيل ياأرض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين) مع كون الآية سبع عشرة لفظة - ولابد لى من ذكرها ، تبركا بها ، وإلجاما لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لايليق ذكره ، بالنسبة لكلام رب العالمين .

(١) ففيها (المناسبة التامة) بين ابلعى واقلعى .

(٢) الاستعارة فيهما

(٣) الطباق بين الأرض والسماء .

(٤) المجاز فى قوله (ياسماء) فان الحقيقة يامطر .

(٣٣) الأسلوب الحكيم

أُسلوب الحكيم : هو تلقِّى المخاطَب بغير ما يترقَّبُه

(١) إمَّا بترك سُؤاله : والإجابة عن سؤال لم يسأله

(٢) وإمَّا بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يَقصِدُ ويُريدُ ، تنبيهاً على أنه كان ينبغى له أن يسأل هذا السؤال ، أو يقصد هذا المعنى

= (٥) الإشارة : فى « وغيض الماء » فانه عبر به عن معان كثيرة ، فان الماء لايغيض حتى يقلع مطر السماء ، وتبلع الأرض مايخرج منها من عيون الماء

(٦) الأرداف : فى قوله « واستوت على الجودى » فانه عبر عن استقرارها فى المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى .

(٧) التمثيل فى قوله « وقضى الأمر » فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع .

(٨) التعليل ـ فان غيض الماء علة الاستواء

(٩) التقسيم : فانه استوفى اقسام الماء حال نقصه

(١٠) الاحتراس : فى قوله « وقيل بعداً للقوم الظالمين » إذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك ، احتراساً من ضعيف يتوهم أن الغرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق .

(١١) الانسجام ، فان الآية منسجمة كالماء الجارى فى سلاسته .

(١٢) حسن التنسيق ، فانه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب .

(١٣) ائتلاف اللفظ مع المعنى ، لأن كل لفظة لايصلح لمعناها غيرها .

(١٤) الايجاز فانه سبحانه وتعالى — أمر فيها ونهى وأخبر ونادى . ونعت وسمى . وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى — وقص من الأنباء مالوشرح لجفت الأقلام .

(١٥) التسهيم : إذ أول الآية يدل على آخرها .

(١٦) التهذيب : لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن ، لأن كل لفظة سهلة مخارج الحروف . عليها رونق الفصاحة ، سليمة من التنافر ، بعيدة عن عقادة التراكيب . =

فمثال الأول : ما فعى القَبعثَرِى بالحجّاج(١) ، إذ قال له الحجّاج مُتوعّداً (لأحملنّكَ على الأدهمِ)

يُريدالحجّاج : القيد الحديد الأسود : فقال القَبعثرِى «مثلُ الأمير يحمل على الأدهم والأشهب » يعنى الفرس الأسود ، والفرس الأبيض ، فقال له الحجّاج : أردت (الحديد) فقال القَبْعثَرِى : لأَنّ يكون حديداً خيرٌ من أن يكون بايداً ، ومُرادُه تخطِئة الحجّاج بأنّ الأليق به الوعد (لا الوعيد(٢))

ومثال الثانى : قوله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ

---

(١٧) حسن البيان : لأن السامع لايشكل عليه فى فهم معانيها شىء .

(١٨) الاعتراض : وهو قوله (وغيض الماء واستوت على الجودى) (١٩) الكناية فانه لم يصرح بمن أغاض الماء . ولا بمن قضى الأمر — وسوى السفينة — ولا بمن قال وقيل بعداً . كما لم يصرح بقائل (ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى) فى صدر الآية سلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الكناية (٢٠) التعريض : فانه تعالى عرض بسالكى مسالكهم فى تكذيب الرسل ظلما — وأن الطوفان وتلك الصورة الهائلة ماكانت إلا بظلمهم (٢١) التمكين لأن الفاصلة قارة متمكنة فى موضعها (٢٢) الابداع الذى نحن بصدد الاستشهاد له ، وفيها غير ذلك — وقد أفردت هذه الآية الشريفة بتآليف عديدة لما اشتملت عليه من البلاغة ، حتى عد بعضهم فيها مائة وخمسين نوعا ، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الاتيان بمثلها .

(١) هو الحجاج بن يوسف الثقفى ، كان عاملا على العراق وخراسان : لعبد الملك ابن مروان . ثم للوليد من بعده ، وكان شديد البطش قاسيا ، حتى ضرب المثل بجوره وظلمه توفى سنة ٩٥ هـ .

(٢) سبب ذلك : أن الحجاج بلغه أن القبعثرى لما ذكر الحجاج بينه وبين أصحابه فى بستان ، قال : اللهم سود وجهه ، واقطع عنقه ، واسقنى من دمه ـ فوشى به إلى الحجاج فلما مثل بين يديه ، وسأله عن ذلك . قال : إنما أردت (العنب) فقال له الحجاج ما ذكر ومثل ذلك قول الشاعر .

ولقد أتيت لصاحبي وسألته ... فى قرض دينار لأمر كانا

خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)

سألوا النبيّ عليه الصلاة والسلام عن حقيقة ما يُنفقون مما لهم ، فأجيبوا ببيان طُرُق إنفاق المال : تنبيهاً على أن هذا هو الأولى والأجدر بالسؤال عنه

وقال تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ(١)

وقال ابن حجّاج البغدادى

قُلْتُ : ثَقَّلْتُ ، إذْ أتيتُ مِراراً قال : ثَقَّلْتَ كاهِلى بالأَيادى

قُلْتُ : طَوَّلْتُ ، قال : أوليتَ طَوْلاً قُلْتُ : أبرمتُ ، قال : حبل وِدادِى(٢)

فصاحبُ ابن حجّاج ، يقول له : قد ثقّلت عليك بكثرة زياراتى ، فيصرفه عن رأيه فى أدب وظَرْفٍ ، وينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر —

= فأجابنى والله دارى ما حوت عيناً فقلت له ولا انسانا

وسئل تاجر ؟ ؟ كم رأس مالك . فقال : إنى أمين ، وثقة الناس بى عظيمة

وقال الشاعر :

طلبت منه درهماً يوماً فأظهر العجب

وقال ذا من فضة يصنع لا من الذهب

وسئل أحد العمال ؟ ؟ ماذا ادخرت من المال . فقال : لاشىء يعادل الصحة

(١) بيان ذلك : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الأهلة ؟؟ لم تبدو صغيرة ، ثم تزداد حتى يتكامل نورها . ثم تتضاءل حتى لا ترى (وهذه مسألة دقيقة من علم الفلك) تحتاج إلى فلسفة عالية وثقافة عامة . فصرفهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت فى المعاملات ، والعبادات ، إشارة إلى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا .

(٢) فقد وقع لفظ « ثقلت » فى كلام المتكلم بمعنى « حملتك المؤونة » فحمله المخاطب على الاكثار من المنن والأيادى « وأبرمت » وقع فى كلامه بمعنى « أمللت » فحمله المخاطب على ابرام حبل الوداد وإحكامه ، وليس فى طولت الأولى التى هى من طول الاقامة ، وتطولت من التطول وهو التفضل : شاهد

وكقول الشاعر :

ولمَّا نَعى النَّاعى سألنــاه خَشْيَةً ... وللعين خوفُ البَيْنِ تَسْكابُ أمطارِ

أجابَ قَضَى : قُلنا قضى حاجة العلا ... فقال : مَضَى قلنا : بكلِّ فَخـارِ

ويحكى : أنه لما توجَّه (خالد بن الوليد) لفتح الحيرة ، أتى إليه مِنْ قِبلِ أهلها رجلٌ ذُو تجربة : فقال له (خالد) فيمَ أنتَ ؟ قال فى ثيابى . فقال عَلاَمَ أنت ؟ فأجاب على الأرض ـ فقال كم سنك ؟ قال اثنتان وثلاثون ـ فقال : أسألك عَنْ شىء ، وتجيبنى بغيره ، فقال : إنَّما أجبتك عمَّا سألت .

(٣٤) تشابه الأطراف

تَشابُه الأطراف : قسمان ـ معنوى ولفظى

فالمعنوى : هو أن يَختم المتكلم كلامه بما يناسب ابتداءه فى المعنى كقوله :

ألذّ من السِّحر الحــلال حديثُهُ ... وأعذب من ماء الغَمامة ريقُهُ

فالريق : يناسب اللَّذَّة فى أول البيت .

واللفظى نوعان :

الأوَّل ـ أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت فى آخر المِصراع الأول أو الجملة ، فيبدأُ بها المِصراع الثانى ، أو الجملة التَّالية ، كقوله تعالى : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ) وكقول أبى تمام :

هوًى كان خِلْساً إنَّ من أبرد الهوى ... هوًى جُلْتُ فى أفيائه وهو خاملُ

الثَّانى ـ أن يعيد الناظم : لفظة القافية من كل بيت فى أول البيت الذى يليه ، كقوله :

رَمَتْنى وسِترُ الله بينى وبينها ... عَشِيَّةَ آرام الكِناس رَميمُ

رميمُ التى قالتْ لجيران بيتها ... ضَمنتُ لكم ألاَّ يزال يَهيمُ

وكقوله :

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة　　تتبعّ أقصى دائها فشفاها

شفاها من الدّاء العُضال الذى بها　　غلامٌ إذا هزّ القناة سقاها

سقاها فروّاها بشرب سِجالها　　دماء رجالٍ حيث مال حشاها

(٣٥) العكس

العكسُ : هو أن تقدّم فى الكلام جزءاً ثم تعكِسُ ، بأن تُقدّم ما أخّرْتَ ، وتؤخّر ما قدّمتَ ، ويأتى على أنواع :

ا ـ أن يقعَ العكس بين أحد طرفى جملة ، وما أُضيف إليه ذلك الطرف ، نحو : كلام الملوك ملوك الكلام — وكقول المتنبى :

إذا أمطرت منهم ومنك سحابة　　فوابلُهم طلٌّ وطَلُّكَ وابلُ

ب — أن يقعَ العكس بين متعلّقى فعلين فى جملتين . كقوله تعالى : « يُخرج الحىّ من الميت ويُخرج الميت من الحى »

ج — أن يقعَ العكس بين لفظين فى طرفى الجملتين . كقوله تعالى : (لاَ هُنَّ حِلٌّ لهمْ ، وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لهنّ)

د — أن يقع العكس بين طرفى الجملتين . كقول الشاعر :

طَويتُ بإحراز الفنون ونيلها　　رداء شباب والجنون فُنونُ

فحين تعاطيت الفنون وحظّها　　تبيّنَ لى أن الفنون جنونُ

ه — أن يكون العكس بترديد مِصراع البيت معكوساً . كقول الشاعر :

إنّ للوجد فى فؤادى تراكُمْ　　ليتَ عينى قبل الممات تراكمْ

فى هواكمْ ياسادتى مِتّ وَجْداً　　مِتْ وَجْداً ياسادتى فى هواكمْ

(٣٦) تجاهل العارف

تجاهلُ العارف : هو سؤال المتكلم عمّا يعلمه حقيقة ، تجاهلاً منه لنُكتة ، كالتّوبيخ ، فى قوله .

أيا شجر الخابور مالك مورقاً　　كأنك لم تجزع على ابن طريف

أو المُبالغة فى المدح ، كقول البُحتُرى

أَلمعُ برقٍ سرى أم ضوءُ مصباح ؟؟ أم ابتِسامتُها بالمَنْظَرِ الضَّاحِي

أو المبالغة فى الذّم ، كقول زُهير

وما أدرِى وسوف إخالُ أدرِى أقومٌ آلُ حِصنٍ أم نِساء

أو التعجّب ، نحو : (أفسِحرٌ هذا أم أنتم لا تُبصرون)

إلى غير ذلك من الأغراض البديعيّة التى لا تحصَى

تمرين

بيِّن الأنواع البديعية فيما يلى :

(١) قال بعضهم فى وصف إبل

صلبُ العَصا بالضَّرْبِ قد أدماها تودُّ أنَّ الله قدْ أفْنَاها

(٢) وقيل فى وصف إبلٍ هزيلة

كالقِسِىِّ المُعطفاتِ بلِ الأسهُمِ مبرِيَّةً بلِ الأوْتار

(٣) وللغزالةِ شىء من تلَفُّتِهِ ونورُهامنْ ضيا خدَّيْهِ مُكْتَسَب

(٤) أفنى جيُوشَ العِدا غزْواً فلستَ ترَى سِوى قَتيلٍ ومَأسُورٍ ومُنهَزم

(٥) ولا عيبَ فيهم غير أنَّ ذوى النّدى خِساسٌ إذا قيسوا بهم ولِئامُ

---

(١) الضرب : لفظ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب الذى لم يقصد — والسير فى الأرض ، وهو المعنى البعيد المقصود والمراد بالتورية .

(٢) فيه مراعاة النظير إذ وصف البحترى الابل بالنحول ، فشبهها بأشياء متناسبة وهى : القسى . والأسهم المبرية . والأوتار

(٣) فيه استخدام ، إذ أراد بالغزالة الحيوان المعروف — وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس .

(٤) فيه تقسيم : إذ هو قد استوفى جميع أقسام جيش العدو ، بحصرها فى الأقسام الثلاثة

(٥) فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم ، فانه استثنى من صفة ذم منفية . صفة مدح

(٦) على رأس عبدٍ تاجُ عزٍ يزينُهُ ... وفى رجل حُرٍّ قيدُ ذُلٍّ يشينُه
(٧) إذا لم تفِض عينى العقيقَ فلا رأتْ ... منازله بالقُرْب تبهى وتبهرُ

تمرين آخر

(١) فلا الجودُ يفنى المالَ والجدُّ مُقبلٌ ... ولا البُخل يُبقى المالَ والجدُّ مُدبر
(٢) رحِمَ اللهُ مَن تَصدَّق مِنْ فضلٍ ... أو آسى من كفاف،أو آثر من قُوتٍ
(٣) رأى العقيقَ فأجرى ذاك ناظرُهُ ... متيمٌ لجَّ فى الأشواق خاطرُه
(٤) آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... فى الحادثات إذا دجَوْن نُجُومُ
(٥) ما زُلزِلَتْ مصر من كيدٍ ألم بها ... لكنها رقصتْ مِن عدلكم طربا
(٦) أراعِي النَّجمَ فى سَيرى إليكم ... وَيرْعاه مِنَ البيدا جوادى

جاءنِى ابنىَ يوماً وكنتُ أراه ... لىَ ريْحانَةً وَمصدرَ أُنسِ
قال ما الرُّوح؟ قلت إنكَ رُوحى ... قال ما النَّفْسُ؟ قلتُ إنكَ نفسى

تطبيق عام على البديع المعنوى

يا سيدا حاز لطفا ... له البرايا عبيدُ

(٦) فيه مقابلة بين ستة وستة : فقد قابل بين على وفى . رأس ورجل . حر وعبد تاج وقيد . عز وذل . يزين ويشين .
(٧) فيه استخدام : إذ العقيق هنا الدم الشبيه بالعقيق فى الحمرة — والضمير فى (منازله) يعود إليه باعتباره الوادى المعروف بظاهر المدينة ببلاد الحجاز .
(١) فيه مقابلة : بين الجود والبخل . يفنى ويبقى . مقبل ومدبر
(٢) فيه تقسيم : باستيفاء أقسام الشىء ، لأن طبقات الناس هذه الثلاثة ليس غير
(٣) فيه استخدام ، فالعقيق أولا معناه المكان المعلوم فى بلاد الحجاز — والضمير يعود اليه بمعنى الحجر المعروف ، وقد شبه دموعه به
(٤) فيه الجمع : فقد جمع بين ثلاثة أشياء فى حكم واحد
(٥) فيه حسن التعليل : فقد جعل علة زلزال مصر طربا من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها ـ وهى لاشك غير العلة التى يتعارفها الناس فيما بينهم
(٦) فيه استخدام : اذ النجم الأول الكوكب . وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذى لا ساق له

أنت الحسين ولكن جفاك فينا يزيدُ

فى هذا الكلام تورية ، مهيّأة بلفظ قبلها . فان ذكر « الحسين » لازم لكون « يزيد » اسما بعد احتمال الفعل المضارع المورى عنه .

حُماة فى بهجتها جنّةٌ وهى من الغمّ لنا جُنّة

لا تيأسوا من رحمة الله فقد رأيتم العاصىَ فى الجنة

فى هذا الكلام تورية مرشحة . فان ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصى المورى به الذى هو من العصيان . والمورى عنه النهر المعروف الذى عبر حماه .

فان ضيعتُ فيه جميع مالى فكم من لحية حلقت بموسى

فيه التورية المرشحة ، بذكر اللحية والحلق ، وهما يناسبان المورى به وهو « موسى الحديد » والمورى عنه الاسم المذكور .

يا عذولى فى مغنٍّ مطرب حرك الأوتار لما سفرا

لم تهز العطف منه طربا عند ما تسمع منه وترا

فيه تورية فى لفظ « وتراً » فانّ معناه البعيد المراد هو الرؤية . والقريب أحد الأوتار — ولفظ « تسمع » هيأ قوله « وترا » للتورية بالرّؤية .

سألته عن قومه فانثنى يعجب من افراط دمعى السّخى

وأبصر المسك وبدر الدُّجى فقال ذا خالى وهذا أخى

فيه تورية فى لفظ « خالى » فمعناه البعيد المراد ، النقطة السوداء فى الخد . والقريب أخ الأم . ولفظة «أخى» هى التى هيأت خالى للتورية - وهى بعيدة .

وساقية تدور على الندامى وتنهرهم لسرعة شرب خمر

سنشكر يوم لهو قد تقضّى بساقية تقابلنا بنهر

« الساقية » امرأة تسقى الراح ، وهذا المعنى القريب — أو ساقية الماء وهو المعنى البعيد . وكل منهما مذكور للتورية فى صاحبه ، ومُهيِّء لها فيه .

الباب الثاني

في المحسنات اللفظية

(١) الجنس[1]

الجِنَاسُ: هو تَشَابُهُ لفظين فى النُّطق، واختلافُهما فى المعنى

وهو ينقسم إلى نوعين: لَفظيّ — ومنعويّ

أنواع الجناس اللفظى

(١) منها — الجناس التام: وهو ما اتّفق فيه اللفظان المُتجانِسان فى أربعة أشياء، نوع الحروف، وعددها، وهيئآتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى

فإن كان اللفظان المتجانسان من نوع واحد: كاسمين، أو فعلين، أو حرفين

---

(١) ويقال له التجنيس. التجانس، والمجانسة. ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى، ووازى مصنوعه مطبوعه، مع مراعاة النظير، وتمكن القرائن، فينبغى أن ترسل المعانى على سجيتها لتكتسى من الألفاظ ما يزينها. حتى لا يكون التكلف فى الجناس مع مراعاة الالتئام. ووقعا صاحبه فى قول من قال

طبع المجنس فيه نوع قيادة   أو ما ترى تأليفه للاحرف

وبملاحظة ما قدمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والاصغاء اليه، لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه، ويأخذها نوع من الاستغراب

وتلخيص القول فى الجناس: أنه نوعن. تام. وغير تام - فالتام، هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان فى أمور أربعة، نوع الحروف. وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات. وعددها. وترتيبها

=

سمّى : الجناس (مُماثلاً[1] ومُستوفياً) — نحو : (ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة ، وبالساعة الثانية المُدّة من الزّمان ، ونحو : رَحبَةَ رَحْبَة

فَرحبة الأولى : فِناء الدّار ، ورَحْبَة الثانية : بمعنى واسعة

وإن كانا من نوعين : كفعل واسم ، سُمّىَ : الجناس مستوفياً

نحو إرْعَ الجارَ ولو جارَ — وكقول الشاعر

ما مات من كرم الزّمان فإنّه   يحيا لدَى يحيَى بنِ عبدِ اللهِ

فيحيَا الأول فعل مضارع ، ويحيى الثانى اسم الممدوح . ونحو :

إذا رماكَ الدّهر فى مَعشر   قد أجمعَ الناسُ على بغْضهم

= وغير التام . وهو مااختلف فيه اللفظان فى واحد من الأمور الأربعة المتقدمة كقول الله تعالى (والتفت الساق بالساق إلى بك يومئذ المساق) وكقول الشاعر

وسميته يحي ليحيا فلم يكن   إلى رد أمر الله فيه سبيل

وكقولة : أشكو وأشكر فعله   فاعجب لشاك منه شاكر

طرفى وطرف النجم فيه   كلاهما ساه وساهر

وكقول ابن الفارض :

هلا نهاك عن لوم امرىء   لم يلف غير منعم بشقاء

وكقوله : لوزار ناطيف ذات الخيال أحيانا   ونحن فى حفر الأجداث أحيانا

وقو الخنساء : —

ان البكاء هو الشفا   ء من الجوى بين الجوانح

وقول المعرى :

لم نلق غيرك انسانا يلاذ به   فلا برحت لعين الدهر إنسانا

وقول الحريرى :

لا أعطى زمانى من يخفر ذمامى   ولا أغرس الأيادى فى أرض الأعادى

(١) اعلم أن العبرة فى المماثلة تكون بالنطق لا بالكتابة

فدارهم ما دُمتَ فى دارهم وأرضهم ما دمتَ فى أرضهم

والجناس التام : مِمّا لا يَتفِق للبليغ إلا على ندُورٍ وقِلّة ، فهو لا يقع مَوقِعه من الحُسن حتى يكون المعنى هو الذى استَدعاهُ وساقهُ ، وحتى تكون كلمته مِمّا لا يَبْتغى الكاتبُ منها بدَلاً ، ولا يجدُ عنها حِولاً .

ومنها الجناس غير التام : وهو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد أو أكثر من الأربعة السابقة)(ويجب ألا يكون بأكثر من حرف) واختلافهما : يكون إمّا بزيادة حرف

(فى الأوّل) نحو : دوام الحال من المحال .

أو (فى الوسط) نحو : جدّى جهْدى

أو (فى الآخر) نحو : الهوَى مطية الهوان

والأول يُسمّى « مرْدُوفاً »

والثانى يُسمّى « مُكتَنِفاً »

والثالث « مُطرّفاً » كقوله تعالى (ذلكُمْ بما كنتمْ تفرحُونَ فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحُون) — وكقول الشاعر

فان حَلّوا فليس لهمْ مَقرٌ وإن رَحلُوا فليس لهم مَقرّ

وكقوله عليه السلام (الخيلُ معقودٌ فى نواصِيها الخير إلى يوم القيامة)

ومن اختلاف أعدادها ، قولك : هذا بناءٌ ناء

ومن اختلاف ترتيب الحروف ، قوله (فى حُسامِهِ فَتحٌ لأوليائه ، وحَتفٌ لأعدائه) — ومن هذا : قول الأحنف

حُسامُكَ فيه للأحباب فتحٌ ورُمحكَ فيه للأعداء حتفٌ

ومن اختلاف الهيئة ، قول الشاعر

الجِدّ فى الجَدّ والحِرمان فى الكسل فانصبْ تُصِبْ عن قريب غاية الأملِ

(٢) ومنها الجناس المطلق ـ وهو توافق رُكنيه فى الحروف وترتيبها بدون أن يجمعَهُمَا اشتقاقٌ ، كقوله صلى الله عليه وسلم ـ « أَسلم » سَالمها الله « وَغفارٌ » غفر الله لها ، « وعُصيَّة » عصَتِ الله ورسُوله

فان جمعهما اشتقاق — نحو « لاَ أعْبُدُ مَا تعبُدُونَ ولاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد » فقيل : يُسَمَّى جناس الاشتقاق(١)

(٣) ومنها — « الجناس المُذيَّل » — « والجناس المُطَرَّف »

فالأول : يكون الاختلاف بأكثر من حرفين فى آخره .

والثانى : يكون الاختلاف بزيادة حرفين فى أوله .

---

(١) كقوله ـ فيا دمع انجـــدنى على ســاكنى نجـــد

وكقوله ـ وإذا مارياح جودك هبت صار قول العذول فيه هباء

وقول النابغه : فيالك من حزم وعزطواها جديدالردى بين الصفاوالصفائح

وقول البحترى: نسيم الروض فى ريح شمال وصوب المزن فى راح شمول

وكقوله : أراك فيمتلى قلبي سروراً وأخشى أن تشط بك الديار

فجر واهجر. وصل ولاتلصنى رضيت بأن تجوز وأنت جار

وكقوله : من بحر جودك أغترف وبفضل علمك أعـــترف

وكقولهم (خلف الوعد خلق الوغد)

وكقول الحريرى: لهم فى السير جرى السيل وإلى الخـير جرى الخيل

وكقول البشتى: بسيف الدولة اتسقت أمور رأيناها مبـــددة النظام

وكقول الشبكى :

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى حتى تعود لى الحيـاة وأنت هى

وكقوله : خليلى إن قالت بثينة ماله أتانا بلا وعد فقولا لها ، لها

أتى وهو مشغول لعظم الذى به ومن بات طو الليل يرعى السها ، سها

بثينة تزرى بالغزلة فى الضحى إذا برزت لم تبق يوما بها ، بها

وكقوله : سما وحمى بنى سام وحام فليس كمثله سـام حام

وقول أبى نواس: عباس عباس لذا احتدم الوغى والفضل فضل والربيع ربيع

فالجناس المُذَيَّل — كقول أبى تمام

يَمُدُّونَ من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تَصُولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضِبِ

والجناس المُطَرَّف — كقول الشيخ عبد القاهر

وكم سبقَتْ منــه إلىَّ عوارفٌ ثنائى على تلك العوارِفِ وارِفُ

وكم غُرَرٍ من برِّهِ ولطــائفٍ لشُكرِى على تلك اللطائف طائفٌ

ومنها — « الجناس المضارع » — « والجناس اللاحق » .

فالجناس المضارع ، يكون باختلاف رُكنيه فى حرفين ، لم يتباعدا مَخرجاً

إمّا فى الأول — نحو : ليلٌ دامسٌ ، وطريق طامسٌ .

وإماً فى الوسط — نحو : (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) .

وإماً فى الآخر — نحو قوله صلى الله عليه وسلم (الخيلُ معقودٌ فى نواصيها الخير يوم القيامة) .

والجناس اللاحق : يكون فى مُتباعدين

إمّا فى الأول — نحو : (هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) .

وإمّا فى الوسَطِ — نحو : (إنهُ على ذَلكَ لشَهِيدٌ ، وإنه لِحُبِّ الخيرِ لَشَدِيدٌ) .

وإمّا فى الآخر — نحو قوله تعالى : (وَإذا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ » .

(٥) ومنها — « الجناس اللّفظى » — وهو ما تماثل ركناه لفظاً ، واختلفَ أحد (رُكنيه) عن الآخر خطّاً — إمّا الاختلاف فى الكتابة (بالنّون والتّنوين) .

وإمّا الاختلاف فى الكتابة (بالضّاد والظّاء — أو الهاء والتّاء) .

فالأول — (وهو ما تماثَلَ رُكناه لفظاً ، واختلف أحدُ رُكنيه عن

الآخر خطأً فى الكتابة بالنون والتنوين) قوله :

أعذبُ خَلق الله نُطقاً (وفماً) إن لم يكن أحقّ بالحسن (فمَنْ)
مثل الغزال نَظرةً ولفتةً مَن ذا رآه مُقبلا ولا افتتَنْ

والثانى — (وهو اختلاف أحد (رُكنيه) فى الضاد والظاء ، نحو قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ (نَاضِرَةٌ) إِلَى رَبِّهَا (نَاظِرَةٌ) ـ وكقول أبى فراس :

ما كنتَ تصبرُ فى القديـ ـم فلمْ صبرتَ الآن عنا
ولقد ظننْتُ بك الظنو نَ لأنه من (ضنَّ ظنَّا)

والثالث (وهو اختلاف أحد رُكنيه فى الهاء ـ والتاء) ـ كقوله :

إذا جلستَ إلى قوم لِتُؤنِسَهم بما تُحدّثُ من ماضٍ ومن آتِ
فلا تُعيدَنْ حديثاً إنّ طبعهمو مُوكَّلٌ (بمُعادَاة المُعادَاتِ)

(٦) ومنها ـ الجناس المُحرّف ـ و « الجناس المُصحف »

فالأوّل ـ ما اختلف رُكناه فى هيآت الحروف الحاصلة من حركاتها وسكناتها ، نحو : جُبةُ البُرد جُنّةُ البَردِ .

والثانى ـ ما تماثل رُكناه وضعاً ، واختلفا نقطاً ، بحيث لو زال إعجام أحدهما لم يتميّز عن الآخر ـ كقول بعضهم : غَرّكَ عِزُّك ، فصار قُصارَى ذَلك ذُلّكَ ، فاخشَ فاحِشَ فعلك ، فعلّكَ بهذا تهتدِى .

ونحو : إذا زلّ العلِم ، زلّ بِزلّتِه العالِم ـ وكقول أبى فِراس

مِنْ بحرِ شِعركِ أغترف وبفضل عِلمك أعترف

(٧) ومنها ـ الجناس المركّب ـ « والجناس المُلفّق »

فالأول ـ ما اختلف (رُكناه) إفراداً وتركيباً

فان كان من كلمة وبعض أخرى ، سُمّى « مَرفُوًّا » — كقول الحريرى

ولا تلْهُ عن تذكار ذَنبك وابكِهِ بدمعٍ يُضاهى المُزنَ حالَ « مُصابه »
ومثّل لعينيكَ الحِمامَ ووَقعه وروْعةَ مُلقاهُ ومطعمَ « صابه »

وإن كان من كلمتين ـ فان اتّفق الرّكنان خطّاً سمّى (مقرونا) ـ كقوله

إذا مَلِكٌ لم يكن « ذَاهِبَهْ » فدعــهُ فدولتهُ « ذاهِبَهْ »

وإلا سمّى (مفروقا) ـ كقوله

لا تعرضَنّ على الرُّواة قَصِيدةً مالم تكن بالغتَ فى « تهذيبها »

فاذا عَرضتَ الشِّعر غيرَ مُهذَّب عدّوه منك وساوساً « تهذى بها »

والثانى — وهو الجناس المُلفّق : يكون بتركيب الركنين جميعاً — كقوله

وليتَ الُحكمِ خمساً وهى خَمْس لعمرى والصِّبَا فى العُنفوانِ

فلم تضع الأعادِى قدرَ «شانى» ولا قالوا فلان قد « رَشانِى »

(٨) ومنها — (جناس القلب) وهو ما اختلف فيه اللفظان فى ترتيب الحروف ، نحو : حُسامه فتحٌ لأوليائه ، وحَتفٌ لأعدائه

« ويُسمّى قلبَ كلٍّ » لانعكاس الترتيب .

ونحو : اللّهمّ استُرْ عَوراتِنَا ، وآمِنْ رَوْعَاتِنَا ، ويسمى (قلب بعض)

ونحو : رحم الله امرأ ، أمسك ما بين فكَّيه ، وأطلق ما بين كفّيه وإذا وقع أحد المتجانسين فى أول البيت ، والآخر فى آخره ، سُمّى (مقلوباً مُجنّحاً) كأنه ذو جناحين ـ كقوله :

« لاح » أنوارُ الهُــدى من كفّه فى كل « حال »

وإذا وَلِىَ أحد المتجانسين الآخر قيل له « المزدوج »

وإن كان التركيب بحيث لو عكس حصل بعينه (فالمستوى) وهو أخصّ من (المقلوب المُجنّح) ويسمّى أيضاً « ما لا يستحيل بالانعكاس » نحو (كلٌّ فى فلَكٍ) ونحو (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)

وبعدُ : فلا يخفى على الأديب ، ما فى الجناس من الاستدعاء لميل السّامع ، لأن النّفس ترى حُسن الإفادة ، والصّورةَ صُورة تكرار وإعادة ومن ثم

تأخذها الدّهشة والاستغراب ، ولأمرٍ ما ، عُدّ الجناس من حُلى الشعر .

أنواع الجناس المعنوى

الجناس المعنوىُّ نوعان : جناس إضمار — وجناس إشارة

(ا) « فجناس الإضمار » أن يأتىَ بلفظ يُحْضِرُ فى ذهنك لفظاً آخرَ وذلك اللفظ المحضَر يُراد به غيرُ معناه ، بدلالة السّياق — كقوله :

« مُنعّم » الجسم تَحْكى الماء رِقّته ... وقلبــه « قسوة » يحكى أبا أوْس

(وأوس) شاعر مشهور من شعراء العرب ، واسم أبيه حجر ، فلفظ أبي « أوس » يُحضِر فى الذّهن اسمه ، وهو (حجر) ؛ وهو غير مراد ؛ وإنما المراد : الحجر المعلوم — وكان هذا النوع فى مَبدئِه مُستنكراً ، ولكنّ المتأخرين ولعُوا به ، وقالوا منه كثيراً . فمن ذلك قول البَهاء زُهير :

وجاهل طال به عَنائى ... لازَمنى وذاك من شقائى

أبغضُ للعين من الأقذَاء ... أثقل من شماتة الأعداء

فهو إذا رأته عين الرائى ... أبو معاذ أو أخو الخَنْسَاء

(ب) « وجناس الإشارة » هو ما ذكر فيه أحد الرّكنين ، واشير للآخر بما يَدُلّ عليه — وذلك إذا لم يساعد الشعرُ عَلى التّصريح به - نحو

يا « حَمزةُ » اسمح بوصلٍ ... وامْنُنْ علينا بقُرْبِ

فى ثغرِك اسمك أضْحَى ... مُصَحّفــاً وبقلبى

فقد ذكر الشاعر أحد المُتجانسين : وهو (حمزة) . وأشار إلى الجناس فيه ، بأنّ مصحّفَه ، فى ثغره ، أى (خمرة) وفى قلبه ، أى (جمرة)

وبعدُ : فاعلم أنه لا يُسْتحسن الجناس ، ولا يُعَدّ من أسباب الحُسْن ، إلاّ إذا جاء عفواً ، وسمح به الطّبعُ من غير تكلُّف ، حتى لا يكون من أسباب ضعف القول وانحطاطه ، وتعرّض قائله للسّخرية والاستهزاء .

(٢) التصحيف

التَّصْحِيفُ : هو التّشابُه فى الخطّ بين كلمتين فأكثر : بحيث لو أزيل أو غيِّرَت نقط كلمة ، كانت عين الثانية ، نحو التَّخلّى ، ثم التّحلّى ، ثم التّجلّى

(٣) الازدواج

الإِزْدِوَاج : هو تجانُس اللفظين المُجاورين ، نحو : مَنْ جَدَّ وَجَدَ ، ومن لَجَّ وَلَج .

(٤) السجع

السَّجْعُ : هو توافُق الفاصلتين [١] فى الحرف الأخير من (النثر)

وأفضلُهُ : ما تَساوَتْ فقرُهُ — وهو ثلاثة أقسام

أولها — (السجع المُطَرَّف) وهو مااختلفتْ فاصِلتاه فى الوزن ،واتّفقتا فى التّقفية ، نحو قوله تعالى (ما لَكُم لا ترْجُونَ لِلهِ وَقارًا وَقدْ خلقكم أطْوارًا) ونحو قوله تعالى « ألَمْ نجْعَلْ الأَرْضَ مِهادًا وَالْجِبالَ أَوْتادًا »

ثانيها — (السجع المُرَصَّع) : وهو ما اتّفقت فيه ألفاظُ إحدى الفقرتين أو أكثرها فى الوزن والتقفية ، كقول الحريرى ، هو يَطبَع الأسجاعَ بجواهر لفظِه ، ويقرعُ الأسماعَ بزَواجر وعظِه [٢] وكقول الهمذانى : إنَّ بعد الكدر صَفواً ، وبعدَ المطر صحواً .

ثالثها — (السجع المُتوازِى) : وهو ما اتّفقت فيه الفقرْتانِ فى الوزن والتّقفِية نحو قوله تعالى : (فِيهَا سُرُرٌ مَرفُوعَةٌ وَأكْوابٌ مَوضُوعَة)

---

(١) « الفاصلة » فى النثر « كالقافية » فى الشعر ـ والسجع خاص بالنثر .

(٢) ولو أبدلت الاسماع بالآذان كان مثالا للأكثر : وسمى السجع سجعا تشبيها له بسجع الحمام . وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز ، موقوفا عليها ، لأن الغرض أن يزاوج بينها ، ولايتم ذلك إلا بالوقف .

لاختلاف سُرُر ، وأكواب ، وزناً وتقفية ، ونحو قوله تعالى (والمُرْسَلاتِ عُرْفاً فالعَاصِفَاتِ عصْفاً) لاختلاف المرسلات ، والعاصفات وزناً فقط ونحو : حسَدَ النَّاطِقُ والصَّامت ، وهلكَ الحاسدُ والشَّامت — لاختلاف ما عدا الصَّامت ، والشَّامت : تقفية فقط .

والأسجاع مَبنية على سُكون أواخرها ، وأحسنُ السجْع ما تساوت فقرُهُ ، نحو قوله تعالى (في سِدْرٍ مَخْضودٍ ، وَطَلْحٍ منْضُودٍ ، وَظِلٍّ ممْدُودٍ)

ثم ما طالت فقرتُه الثانية ، نحو قوله تعالى (وَالنَّجمِ إذا هوى مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ ومَا غوَى) ثم ماطالت ثالثتُه ، نحوقوله تعالى (النَّارِ ذَاتِالوَقُودِ إذْ هُمْ عَلَيهاَ قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بالْمُؤْمنينَ شُهُودٌ) ولا يحسُن عكسه ، لأن السَّامع يَنْتظر إلى مِقدار الأول ، فاذا انقطع دونه ، أشْبه العِثار[1] ، ولا يحسُن السَّجع إلا إذا كانت المُفردات رشيقةً ، والألفاظ خدم المعانى ، ودلَّت كل من القرينتين على معنى غير ما دلَّت عليه الأخرى ، وحينئذ يكون حليةً ظاهرة فى الكلام .

والسجع : موطنه النثر .

وقد يجيء فى الشعر نادراً ، كقوله:

فنحنُ فى جَزَلٍ والرومُ فى وَجَل والبرُّ فى شُغُلٍ والبحرفى خَجَل

ولايستحسن السجع أيضاً إلا إذاجاء عفواً ، خالياًمن التكلُّف والتَّصنُّع ، ومن ثمَّ لا تجدُ لبليغ كلاماً يخلو منه ، كما لا تخلو منه سورة وإن قُصرت .

(٥) الموازنة

المُوازَنَةُ : هى تَساوى الفاصلتين فى الوزن دُون التَّقفية ، نحو قوله

(١) يعنى أنه لايحسن أن يؤتى فى السجع بفقرة أقصر مما قبلها كثيراً ، لأن السجع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها ، ثم جاءت الثانية أقصر منها ، يكون كالشيء المبتور .

تعالى : (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَة وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَة) فان مصفوفة ومبثوثة متفقتان في الوزن ، دُون التقفية ، ونحو قول الشاعر :

أفادَ فسادَ وقادَ فزادَ   وسادَ فجادَ وعادَ فأفضَل

(٦) الترصيع

التَّرصيعُ : هو توازُن الألفاظ ، مع توافُق الأعجاز ، أو تقاربُها — مثال التّوافق: نحو قوله تعالى: « إنّ الأبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإنَّ الْفُجار لَفِي جَحِيمٍ » ومثال التّقاربُ : نحو قوله تعالى : « وَآتَيْنَاهُمَا الكتابَ الْمُسْتَبِين وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم »

(٧) التشريع

التّشريعُ : هو بِناء البيت على قافيين ، يصحّ المعنى عند الوقوف على كلٍّ منهما — كقول الشاعر :

ياخاطبَ الدُّنيا الدَّنيَّـــة إنَّها	شركُ الرَّدى وقرارةُ الأقذارِ
دارٌ متى ما أضحكت في يومها	أبكتْ غداً تبًّا لها من دارِ
وإذا أظلَّ سحابها لم ينتفع	منه صدًى لجهامه الغرّار
غاراتها لا تنقضي وأسيرُها	لا يُفتدى بجلائل الأخطار

فتكون هذه الأبيات من (بحر الكامل) ويصح أيضاً الوقوف على الرَّدى وغدا ، وصدَى ، ويفتدَى ، وتكون إذا من (مجزُوء الكامل) وتقرأ هكذا

ياخاطبَ الدُّنيا الدَّنـ	ـيَّة إنها شَركُ الرَّدى
دارٌ متى ما أضحكت	في يومها أبكتْ غدا
وإذا أظلَّ سحابُها	لم ينتفع منه صدَى
غاراتهـــا لا تنقضي	وأسيرُها لا يُفتـدَى

وكقوله : يا أيها الملك الذى عمَّ الورى ما فى الكِرام له نَظِـيرٌ يُنظرُ
لو كان مثلَك آخرٌ فى عصرنا ما كان فى الدنيا فقـير مُعسرُ
إذ يمكن أن يُقال أيضاً فى هذين البيتين .
يا أيهـا الملك الذى ما فى الكرام له نظيرُ
لو كان مثلَك آخرٌ ما كان فى الدنيـا فقيرُ

(٨) لزوم مالا يلزم

لزومُ ما لاَ يَلْزمُ : هو أن يجىء قبل حرف الرَّوِىّ ، أو ما فى معناه من الفاصلةِ ، بما ليس بلازم فى التقفية ، ويُلتزم فى بيتين أو أكثر من (النظم) أو فى فاصلتين أو أكثر من (النثر) نحو قوله تعالى (فأمَّا اليتيم فلا تقهر وأمَّا السائل فلا تنهرْ) وكقول الطُّغْرائى فى أول لاميته المشهورة
أصالةُ الرَّأى صانتْنِي عن الخَطَلِ وحِلية الفضلِ زانتنى لدى العَطَلِ
وكقوله . يا مُحرقاً بالنَّار وَجْهَ مُحِبِّه مهلاً فانَّ مَدامِعى تُطفيــهِ
احرق بها جَسَدى وكلَّ جوارحى واحرِصْ على قلبى فإنَّك فيــه
وقد يُلتَزمُ أكثرُ من حرف : كقوله
كُل واشرب النـاس على خِبرةٍ فهم يمرُّونَ ولا يعْذُبون
ولا تُصدِّقهم إذا حدَّثوا فإنَّهم من عهدهم يكذبون

(٩) رد العجز على الصدر

(ا) رَدُّ العَجزِ على الصَّدرِ : (فى النَّثر) هو أن يُجعلَ أحدُ اللفظـين المكرَّرين ، أو المُتجانسين ، أو المُلحقـين بهما « بأنْ جمعهما اشتقاق أو شبهُهُ » فى أول الفقرة ، ثم تُعادُ فى آخرها ، كقوله تعالى (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) وقولك : «سائلُ» اللئيم يَرجعُ ؟ ودَمعه « سائل »

فسائل الأول : من السؤال ؛ وسائل الثانى : من السيلان.

ومحو قوله تعالى (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إنهُ كانَ غفَّاراً)

واللذانِ يجمعهما شبه اشتقاق — نحو قوله تعالى (قالَ إنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ القالين)

(ب) رَدّ العجز على الصَّدر : (فى النظم) هو أن يكون أحدهما فى آخر البيت ، والآخر يكون .

إمّا — فى صدر المِصراع الأول ، أو فى حشوه ، أو فى آخره [١]

وإمّا — فى صدر المصراع الثانى — نحو قوله

سريعٌ إلى ابن العمّ يلطمُ وجهه   وليس إلى داعِي النَّدى بسريعِ

وقوله — تمتع من شميم عرار نجد   فما بعدَ العشيّة من عرار

وقوله — ذوائبُ سُودٍ كالمناقد أرسلتْ   فمنْ أجلها منَّا النفوسُ ذوائبُ

(١٠) مالا يستحيل بالانعكاس

مالاَ يستحيل بالانعكاس : هو كون اللفظ يُقرأ طرْداً — وعكساً نحو : كُن كما أمكنكَ — (وربَّكَ فكبِّر)

وكقوله — مودّته تدوم لكلِّ هَوْلٍ   وهــل كلٌّ مودّته تدوم

(١١) المــــوارية

الموارَبَة : هى أن يجعل المتكلّم كلامَه بحيث يمكنهُ أن يُغيِّر معناه بتحْريف ، أو تصحيف . أو غيرها ، ليَسْلَم من المؤاخذة — كقول أبى نواس

لقد ضَاعَ شعْرِى عَلَى بابِكم   كما ضَاعَ عِقْدٌ على خالصه

فلمّا أنكر عليه (الرشيد) ذلك ، قال (أبو نُواس) : لم أقل إلاّ

---

(١) كقوله : ومن كان بالبيض الكواعب مغرما   فما زلت بالبيض القواضب مغرما

لقد ضَاء شعرِى على بابكم كما ضاء عقدٌ على خالصِهِ

(١٢) ائتلاف اللفظ مع اللفظ

إئتِلَافُ اللّفظ مع اللّفظ : هو كونُ أَلفاظ العبارة من وَادٍ واحد في الغرَابة والتّأمّل – كقوله تعالى (تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ) لمّا أَتَى (بالتّاء) التى هى أغربُ حروف القسم ، أتى « بتَفتأ » التى هى أغربُ أفعال الاستمرار

(١٣) التسميط

التّسميط : هو أن يجْعَلَ الشّاعر بَيتَه على أربعة أقسام

ثلاثة منها على سَجع واحدٍ ، بخلاف قافية البيت — كقول جنوب الهُذَلِيّة

وَحربٍ وَرَدْتَ وثغرٍ سَدَدْتَ وعِلْج شَدَدت عليـــه الحِبَالا

وقوله : فى ثغره لَعَسٌ فى خَدّه قَبَسٌ فى قَدّه مَيَسٌ فى جسمه تَرَفُ

(١٤) الانسجام او السهولة

الانْسِجَام أو : السّهولة : هو سلامة الألفاظِ ، وسُهولة المعانى مع جزَالتهما وتناسُبهما — كقول الشاعر :

ماوهبَ الله لامرىء هبَةً أفضلَ مِن عقله ومن أدبه

هما كمالُ الفتَى فان فُقِدا ففقدُه للحياة أليقُ به

(١٥) الاكتفاء

الاكتِفَاء : هو أن يَحْذفَ الشّاعر من البيت شيئاً ، يُستغنَى عن ذكره ، بدلالة العقل عليه — كقول الشاعر

فإنّ المنيّة من يخشَهَا فسوفَ تُصادُمه أينما

أى أينما توجّه(١)

(١٦) التطريز

التَّطْرِيز : هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مُشتملا على ثلاثة أسماء مختلفة المعانى ، ويكون العجزُ صفةً مُتكرِّرة بلفظ واحد — كقول القائل :

وتَسقِينِى وتَشربُ من رحيقٍ خليقٍ أن يُلَقَّبَ بالخلُوقِ

كأنّ الكأسَ فى يدِها وفيهَا عَقيق فى عقيق فى عقيقِ

نموذج

بين ما فى الأبيات الآتية من المحسِّنات اللفظية

(١) عضّنا الدّهر بنابه ليت ما حلّ بنابه(٢)

---

(١) وكقوله : ماللنوى ذنب ومن أهوى معى إن غاب عن إنسان عينى فهو فى

وكقوله : يالائمى فى هواها أفرطت فى اللوم جهلا

ما يعلم الشوق إلا ولا الصبابة إلا

وكقوله : ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما

والله أكرمنى بالماء بعدهمو فقلت ياليت قومى يعلمون بما

وكقوله : الدمع قاض بافتضاحى فى هوى ظبى يغار الغصن منه إذا مشى

وغدا بوجدى شاهدو أوشى بما أخفى فيالله من قاض وشا

وكقوله : لا أنتهى لا أنثنى لا أرعوى ما دمت فى قيد الحياة ولا إذا

(٢) فيه جناس تام : بين (بنابه) الأولى ، أحد أنياب الأسنان (وبنابه) الثانية المركبة من (بنا) و (به) .

(٢) إلى حتفى سعى قدمى أرَى قدمى أراق دمى(١)

(٣) لئن أخطأتُ فى مدحـك ما أخطأتَ فى منعِى(٢)

لقد أنزلتُ حاجاتى بواد غير ذى زرع

(٤) وفى الحديث « اللّهم أعط مُنفقاً خلفاً ، وأعط مُمسكا تلفاً(٣) »

(٥) قد بُلينا فى عصرنا بأناس يظلمون الأنام ظلماً عمّا(٤)

يأكلون التراث أكلاً لمّا ويحبون المال حباً جمّا

(٦) وإن أقرّ على رَقٍّ أنامله أقر بالرق كُتّاب الأنام له(٥)

---

(١) فيه جناس تام : بين أرى قدمى ، أى أنظر قدمى ، وأراق دمى ، أى صب وأهدر دمى ، أى قتلنى بلا دية

(٢) فى الشطر الأخير من البيت الثانى ، اقتباس من الآية الكريمة (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم)

(٣) فيه سجع مرصع لأن احدى الفقرتين كالثانية فى الوزن والتقفية

(٤) فى البيت الثانى اقتباس من القرآن الكريم من سورة الفجر (وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما)

(٥) فيه جناس تام بين أنامله والانام له

خاتمة

فى السرقات الشعرية وما يتبعها

السَّرِقَةُ — هى أن يَأخذَ الشَّخصُ كلامَ الغير، ويَنسبه لنفسه وهى ثلاثة أنواع: نَسْخٌ، ومَسخٌ، وسَلخٌ

(١) النَّسخ، ويُسمَّى انتِحالاً أيضاً - هو أن يأخذ السَّارق اللفظ والمعنى معاً، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلّها، أو بعضها بمُرادفها، وهذا مذموم، وسرقة محضة - كما فعل عبد الله بن الزُّبير بقول مُعَنْ بن أوس[1]

إذا أنتَ لم تُنصف أخاك وَجدْتَه على طرَف الهِجران إن كان يعقل
ويركبُ حدَّ السَّيف من أن تُضيمَه إذا لم يكن عن شَفرة السَّيف مَزحل

وأمّا تبديل الألفاظ بمُرادفها — كما فُعِل بقول الحُطَيْئة

دَع المكارم لا ترْحل لبُغيتها واقعد فانك أنت الطَّاعم الكاسى

فقال الآخر:

ذَرِ المآثِر لا تذهب لمطلبها واجلس فانك أنتَ الآكل اللابس

وقريب منه: تبدّل الألفاظ بضدّها، مع رعاية النَّظم والتَّرتيب كما فُعِل بقول حسَّان رضى الله عنه

بِيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم شمُّ الأنوف من الطِّراز الأوَّلِ

---

(١) الزبير بفتح فكسر فى هذا — ويوجد اسم آخر بضم ففتح — ومعن بضم وفتح — ومعن بن زائدة بفتح فسكون

فقال غيره :

سُود الوجوه لئيمةٌ أحسابُهم فُطس الأنوف من الطّرَاز الآخر

(ب) والمسخ ـ أو الإغارة : هو أن يأخذ بعض اللّفظ ، أو يُغَيّر بعض النّظم ، فان امتاز الثانى بحسن السبك فممدوح ، نحو قول الآخر :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللّهج

مع قول غيره :

من راقب الناس مات همّاً وفاز باللّذات الجسور

فان الثانى أعذب وأخصر ، وإن امتاز الأول فقط فالثانى مذموم وإن تساويا فالثانى لا يذمّ ولا يمدح ، والفضل للسابق

(ج) والسّلخُ — ويُسمّى إلماماً ، وهو أن يأخذ السّارق المعنى وحده فان امتاز الثانى فهو أبلغ — نحو قول الشاعر :

هو الصّنع أن يعمل فخير وإن يرث فللرّيثُ فى بعض المواضع أنفع

مع قول غيره :

ومن الخير بُطء سَيبك عنّى أسرع السّحب فى المسير الجهام

وإن امتاز الأول : فالثانى مذموم ، وان تماثلا فهو أبعد عن الذم ـ كقوله

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

مع قول الآخر :

وليس بأوسعهم فى الغنى ولكن معروفه أوسع

ويتصّل بالسرقات الشعرية : ثمانية أمور ، الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحلّ ، والتّلميح ، والابتداء والتّخلّص ، والانتهاء

(١) الاقتباس ـ هو أن يُضمّن المتكلم منثوره ، أو منظومه ، شيئاً من القرآن ، أو الحديث ، على وجه لا يشعر بأنه منهما ، فمثاله من (النثر)

فلم يكن إلاّ كلمح البصر ، أو هو أقرب . حتى أنشد فأغرب ،

ونحو قول الحريري ، أنا أنبئكم بتأويله ، وأميّز صحيح القول من عليله ـ وكقول عبد المؤمن الأصفهاني ـ لا تغرّنّك من الظلمة كثرة الجيوش والأنصار «إنّما نؤخّرُهُم ليَوْمٍ تَشْخَصُ فيهِ الأبْصَارُ» ـ ومثاله من الشعر (الشعر) قوله[1]

وثغر تنضّد من لؤلؤ بألباب أهل الهوى يلعبُ

إذا ما ادلهمّت خطوب الهوى يكاد سنا برقه يذهبُ

وكقول الشاعر الآخر :

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جُرْمٍ فصبرٌ جميل

وإن تبدّلت بنا غيرنا فحسبنا اللهُ ونعم الوكيل

وكقول القائل الآخر :

لا تكن ظالماً ولا ترضَ بالظلم وأنكِرْ بكل ما يُستطاع

يوم يأتي الحساب ما لِظلوم من حميم ولا شفيع يُطاع

وكقول بعضهم:

إن كانت العشاق من أشواقهم جعلوا النّسيم إلى الحبيب رسولا

فأنا الذى أتلو لهم يا ليتني كنت اتّخذت مع الرسول سبيلا

---

(١) ولا بأس بتغيير يسير فى اللفظ المقتبس للوزن أو غيره ، نحو

قد كان ما خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

وفى القرآن (إنا لله وإنا اليه راجعون) ويكون الاقتباس مذموماً فى الهزل، كقوله

أوحى إلى عشاقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون

وردف ينطق من خلفه لمثل هذا فليعمل العاملون

وكقول الشاعر :

ارحلوا فلستُ مسائلا عن دارهم « أنا باخِعٌ نفسِى على آثارهم »

وكقول الآخر :

ولاح بحكمتى نور الهدى فى ليالٍ للضلالة مُدْلهمة

يريد الجاهلون ليطفئوه ويأبى الله إلاّ أنْ يتمهْ

ومثاله من الحديث فى (النثر) قول الحريرى : شاهت الوجوه ، وقبح اللكع ومن يرجوه — وكقول الحريرى أيضاً

وكتمان الفقر زهاده ، و « انتظار الفرج بالصبر » عباده

ومثاله من الحديث فى (الشعر) ، قول الشّاعر

قال لى إنّ رقيبى سيء الخُلُق فداره

قلت دعنى .وجهك« الجنة حفّت بالمكارهْ »

فلو كانت الأخلاق تحوَى وراثة ولو كانت الآراء لا تتشعّبُ

لأصبح كل الناس قد ضمّهم هوى كما أن كل الناس قد ضمّهم أبُ

ولكنها الأقدار « كلٌ ميُسّرٌ لِمَا هو مخلوق له » ومقرَّبُ

وكقول القائل :

لا تُعادِ النّاس فى أوطانهم قلما يرعى غريبُ الوطن

وإذا ما شِئتَ عيشا بينهم خالِقِ الناس بخُلُقٍ حَسَنٍ (١)

---

(١) وينقسم الاقتباس : إلى ضربين

الأول — ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلى إلى معنى آخر - كما تقدم

=

(٢) والتّضمين — هو أن يضمن الشاعر كلامه (شيئاً من مشهور شعر الغير) مع التّنبيه عليه (١) إن لم يكن مشهوراً لدى نقّاد الشّعر، وذوى اللُّسُن، وبذلك يزدادُ شعرهُ حُسناً - كقوله الصاحب بن عبّاد :

= الثانى - ما ينقل إلى معنى آخر، كقول ابن الرومى

لئن أخطأت فى مديحـــك ما أخطأت فى منعى
لقـد أنزلت حاجاتى بواد غير ذى زرع

فقد كنى بلفظ (واد)، عن رجل لا يرجى نفعه، ولا خير فيه، وهو فى الآية الكريمة : بمعنى (واد) لا ماء ولا نبات

وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير - كما سبق واعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام :

١ - مقبول : وهو ما كان فى الخطب والمواعظ

٢ - ومباح : وهو ما يكون فى الغزل والرسائل والقصص

٣ - ومردود : وهو ما كان فى الهزل - كما تقدم ذكره

(١) أما تضمينه بلا : تنبيه عليه لشهرته : فكقوله

أولى البرية طرا أن تواسيه عند السرور الذى واسك فى الحزن
(إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن)

وكقوله : قد قلت لما اطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره السارى العجول ترفقا ما فى وقوفك ساعة من باس

فالمصراع الأخير، مطلع قصيدة مشهورة لأبى تمام

ما فى وقوفك ساعة من باس تقضى حقوق الأربع الأدراس

وأحسن التضمين : أن يزيد المضمن فى كلامه نكتة لا توجد فى الأصل كالتورية والتشبيه، كما فى قول ابن أبى الاصبع : مضمنا

إذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها «تذكرت ما بين العذيب وبارق»
ويذكرنى من قدها ومدامعى «مجرى عوالينا ومجرى السوابق»

فالمصرعان الأخيران مطلع قصيدة لأبى الطيب المتنبى =

أشكو إليك زماناً ظلَّ يعرُكنى عَرْكَ الأديم ، ومَن يَعْدُو على الزمن
وصاحباً كنتُ مغبوطاً بصُحبته دهراً فغادرَنى فرداً بلا سَكن
وباعَ صفْوَ ودادٍ كنت أقصُره عليه مُجْتهداً فى السرِّ والعلَن
كأنّه كان مَطْوياً على إحَنٍ ولم يكن فى قديم الدهر أنشدنى
(إن الكِرامَ إذا ما أيسروا ذكروا مَن كان يألفُهم فى المنزل الخشنِ)

وكقوله :

إذا ضاق صَدرى وخفتُ العِدَا تمثّلتُ بيتاً بحالى يليقُ
فبالله أبلغ ما أرتجى وبالله أدفع ما لا أُطيق

وكقول الحريرى : يحكى ما قاله الغلام الذى عرضه (أبو زيد) للبيع :

على أنّى سأُنشِدُ عند بيعى أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا[1]

= تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرى عوالينا ومجرى السوابق

يريد المتنبى : أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين ، يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ، ويسابقون على الخيل ، أما الشاعر الآخر : فأراد بالعذيب تصغير العذب وعنى به شفة الحبيبة ، وأراد ببارق ثغرها الشبيه بالبرق ، وبما بينهما ريقها ، وهذه تورية بديعة نادرة فى بابها ، وشبه تبختر قدها بتمايل الرماح ، وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق .

(١) ولا بأس من التغيير اليسير . كقوله :

أقول لمعشر غلطوا وغضوا من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

وكقوله : طول حياة مالها طائل تغص عندى كل ما يشتهى
أصبحت مثل الطفل فى ضعفه تشابه المبدأ والمنتهى
فلم تلم سمعى إذا خاننى إن الثمانين وبلغتها

فالمصراع الأخير (للعرجى) وهو محبوس — وأصله

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحرى

(٣) والعقد — هو (نظم النثر) مطلقاً لا على وجه الاقتباس ، ومن شروطه أن يؤخذ (المنثور) بجملة لفظه ، أو بمعظمه ، فيزيد الناظم فيه وينقص ، ليدخل فى وزن الشعر — فعقد القرآن الكريم ، كقوله

أنلنى بالذى استقرضت خطا وأشهد معشراً قد شاهدوه
فإن الله خلاق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه
يقول « إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه »

وعقد الحديث الشريف ، كقوله

إن القلوب لأجناد مجندة بالإذن من ربها تهوى وتأتلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

وكقوله

واستعمل الحلم واحفظ قول بارئنا سبحانه خلق الإنسان من عجل

(٤) والحل — هو (نثر النظم) وإنما يقبل إذا كان جيد السبك ، حسن الموقع — كقوله

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق من يعتاده من توهم[1]

(٥) والتلميح — هو الإشارة إلى قصة معلومة ، أو شعر مشهور أو مثل سائر ، من غير ذكره ، فالأول : وهو الإشارة إلى قصة معلومة — نحو

---

(١) تقول فى نثر هذا البيت — لما قبحت فعلاته . وحنظلت نخلاته . لم يزل سوء يعتاده ، ويصدق توهمه الذى يعتاده .

يا بدر أهلك جاروا　　وعلموك التجرى　　وقبحوا لك وصلى

وحسنوا لك هجرى　　فليفعلوا ما أرادوا　　فإنهم أهل بدر

وكقوله تعالى (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل)

أشار (يعقوب) فى كلام هنا لأولاده، بالنسبة إلى خيانتهم السابقة فى أمر أخيهم (يوسف) - ونحو قول الشاعر:

فوالله ما أدرى أأحلام نائم　　ألمّتْ بنا أم كان فى الركب (يوشع[1])

والثانى - وهو الاشارة إلى شعر مشهور - نحو قول الشاعر

لعمرو مع الرّمضاء والنــار تلتظِي　　أرقُّ وأحفى منك فى ساعة الكرب

إشارة إلى قول الآخر:

المستجير بعمرو عند كربته　　كالمستجير من الرمضاء بالنــار

والثالث - وهو الاشارة إلى مثل سائر من غير ذكره - نحو قول الشاعر

من غاب عنكم نسيتموه　　وقلبه عندكم رهينة

أظنــكم فى الوفاء ممّن　　صُحبته صُحبة السّفينة

(٦) وحسن الابتداء. أو براعة المطلع: هو أن يُجعل أول الكلام رقيقاً سهلا، واضح المعانى، مُستقلا عمّا بعده؛ مُناسباً للمقام؛ بحيث يجذب السامع إلى الاصغاء بكلّيته؛ لأنه أول ما يقرع السمع؛ وبه يُعرف ممّا عنده

قال ابن رشيق: إن حسن الافتتاح داعية الانشراح؛ ومطيّة النجاح - وذلك كقول الشاعر:

---

(١) اشارة إلى استيقاف (يوشع) للشمس. يروى أنه عليه السلام: قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم، ويدخل يوم السبت، فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله، فأبقى له الشمس، حتى فرغ من قتالهم.

المجد عوفيَ إذ عُوفيتَ والكرم وزال عنك إلى أعدائك السّقم

وتزداد براعة المطلع حسناً ، إذا دلّت على المقصود بإشارة لطيفة

وتسمى براعة استهلال[1] وهى أن يأتى النّاظم ، أو الناثر : فى ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه ، بالإشارة ـ لا بالتصريح

كقول (أبى محمد الخازن) مهنّئاً (الصاحب ابن عباد) بمولود

بُشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجــد فى أفق العلا صعدا

وكقول غيره ، فى التهنئة ببناء قصر

قصر عليه تحيّــة وسلام خلعت عليه جمالها الأيام

وكقول المرحوم (أحمد شوقى بك) فى الرثاء

أجلٌ وإن طال الزمان موافى أخلى يديك من الخليــل الوافى

وكقول آخر فى الاعتذار

لنــار الهمّ فى قلبى لهيبُ فعفوا أيها الملك المهيبُ

وقد جاء فى الأخبار أنّ الشّعر قُفل ، وأوّله مفتاحه

(٧) والتّخلص ـ هو الخروج والانتقال مما ابتدىء به الكلام إلى الغرض المقصود ، برابطة تجعل المعانى آخذاً بعضها برقاب بعض ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب ، إلى مدح ، أو غيره ، لشــدّة الالتئام والانسجام ـــ كقوله

وإذا جلست إلى المدام وشُربها فاجعَلْ حديثك كله فى الكاسِ

---

(١) وبراعة الطلب هى أن يشير الطالب إلى مافى نفسه ، دون أن يصرح بالطلب ، نحو (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى) اشارة إلى طلب النجاة لابنه ، وكقوله

وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى بيان عنــدها وخطاب

وإذا نزعتَ عن الغواية فليكن (لله) ذاك النزع لا للنـــاس

وإذَا أردتَ مديح قومٍ لم تُلَمْ في مدحهم فامدح (بنى العباسِ)

وقوله: دعت النوى بفراقهم فتشتّتوا وقضى الزّمان ببينهم فتبدّدوا

وقد يُنتقل مما افتُتِحَ به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة، بدون رابطة بينهما، ويسمى ذلك (اقتضابا) — كقول أبي تمّام.

لو رأى الله أنّ في الشيب خيرا جاورته الأبرار في الخُلْدِ شيبا

كل يوم تُبدي صروف الليالي خُلقا من أبي سعيد غريبا

(٨) و « حسن الانتهاء » ويقال له « حسن الختام » هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه، عذب اللفظ، حسن السّبك، صحيح المعنى، مُشْعرا بالتمام حتى تتحققَ (براعة المقطع) بحسن الختام. إذ هو آخر ما يبقى منه فى الأسماع وربما حُفِظَ من بين سائر الكلام لقرب العهد به.

يعني. أن يكون آخر الكلام مُستعذباً حسناً، لتبقى لذّتُه فى الأسماع مُؤذنا بالانتهاء، بحيث لا يبقى تشوّقاً إلى ما وراءه كقول أبي نُوَاس

وإني جدير إذ بَلغْتك بالمنى وأنت بما أمَّلتُ فيك جدير

فان تُولني منك الجميل فأهله وإلاّ فاني عاذرٌ وشكورُ

وقول غيره

بقيتَ بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبريّة شامل

وقال ابن حجّة:

علَيْكَ سلام نشره كلّما بدى به يتغالى الطّيب والمسك يختمْ

وقول غيره

ما أسأل الله إلا أن يدوم لَنَا لا أن تزيد معاليه فقد كملت

أقوال أئمة العلماء الأعلام ، وآراء الأساتذة الكبار فى تقدير كتاب

جواهر البلاغة

كتب أستاذى المرحوم صاحب الفضيلة حسونة النواوى شيخ الجامع الأزهر

الحمد لله العلى القدير ، والصلاة والسلام على النبى البشير النذير ، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا طريقه المنير .

« أما بعد » فقد اطلعت على كتاب (جواهر البلاغة) الذى حاز كمال الصياغة لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل « السيد احمد الهاشمى » الحائز لكمال الفضائل ، فوجدته كتاباً نفيساً ، قد اشتمل على بيان بديع المعانى ، بأفصح عبارة ، وأبلغ اشارة ، وسلك فيه حضرة مؤلفه طريق التحقيق لصعاب الشوارد ، مع كثرة التمارين والأمثلة والشواهد ، فجاء فريداً فى بابه ، مرغوباً ونافعاً لطلابه ، أسأل الله تعالى أن يرزق مؤلفه الحسنى وزيادة ، ويمنحه السعادة فى الدارين والسيادة ، ويوفقه للتعلم والتعليم ، ويهديه إلى الصراط المستقيم ، انه على ما يشاء قدير ، وبالاجابة جدير .

وكتب المغفور له سماحة السيد على الببلاوى شيخ الجامع الأزهر

أحمد من رصع تاج اللغة العربية « بجواهر البلاغة » فشرفها على سائر اللغات بكمال الصياغة ، وأصلى وأسلم على أفصح ناطق بالضاد ، وأجل داع إلى الله وهاد سيدنا محمد القائل (إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة) وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أرواحهم فى صون كتاب الله الكريم ، ونشر دينه القويم

هذا : وقد تصفحت جملة من كتاب (جواهر البلاغة) الذى أحكم صنعه وأبدع تصنيفه ووضعه ، حضرة الفاضل ، المجد الكامل ، الأستاذ « السيد احمد الهاشمى » فرأيته جمع فرائد فوائد الفنون الأدبية على طرف الثمام ، بحيث لا يكلف طالبها أكثر من الاطلاع على كتابه ، حتى يعود مسرور الفؤاد ، قرير العين ، بما وجده فيه من ضالته المنشودة ، التى طالما أبعدته عنها صعوبة المؤلفات السابقة ، فى

مثل فنون البلاغة وطولها بدون طائل ـ فجزى الله حضرة هذا الاستاذ الجليل عن طالبى الاستفادة خير الجزاء، ووفقه لما فيه من الخير والنفع، إنه سميع الدعاء

وكتب المرحوم أستاذنا الحكيم الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية

اطلعت على كتاب (جواهر البلاغة) فى علوم المعانى والبيان البديع والسرقات الشعرية، فوجدته كتابا عظيما، وأسلوبا حكيما، يشهد لحضرة مؤلفه الفاضل، بملاك الذوق السليم، والعقل الحكيم، هداه الله إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين ؟

وكتب أخونا الأستاذ الشيخ احمد الكنانى المدرس فى المدرسة التوفيقية سابقا

الحمد لله البديع صنعه، الحكيم وضعه، الواهب من شاء ما شاء من نعمه المفيض عل من اصطفاهم من عباده وابل فضله وكرمه، نشكره هدانا بفضله الصراط المستقيم، صراط الذين حازوا أفضل العلم والتعليم، ونصلى ونسلم على أبى ابراهيم المبعوث بملة أبيه ابراهيم، سيدنا محمد ذى المقام الاسمى الذى أنزل عليه فى محكم كتابه (وقل رَب زِدنى علما) وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين اجتمعت قلوبهم وقوالبهم على حبه واتباعه.

«أما بعد» فان خير الكتب ما عم نفعه، وحسن لدى العقلاء وضعه، وكان متقن البيان، واضح الحجة، قوى البرهان، وإن كتاب(جواهر البلاغة) لمن خير الكتب وضعاً وأحسنها اختيارا وصنعا، لمؤلفه الفاضل الاستاذ «السيد احمد الهاشمى» فان لحضرته من التآليف العديدة، وَالتصانيف المفيدة ما تقر به أعين الناطقين بالضاد، ويفحم بمعجزاته كل مضاد، لاسيما هذا السفر الجليل، الذى جاء دليلا على اخلاصه فى النية لأبناء أمته، وبرهاناً ساطعاعلى وفائه وحسن طويته فقد جمع فيه ما تفرق، بعد أن حقق ودقق، فلاغرابة إذا احتاج إليه كل إنسان، لما فيه من مراعاة النظير وَحسن البيان ـ فالله أسأل أن ينفع بالمؤلف وَالمؤلف العباد وَيجعله بفضله كنزا وَذخرا إلى المعاد آمين.

محتويات كتاب جواهر البلاغة

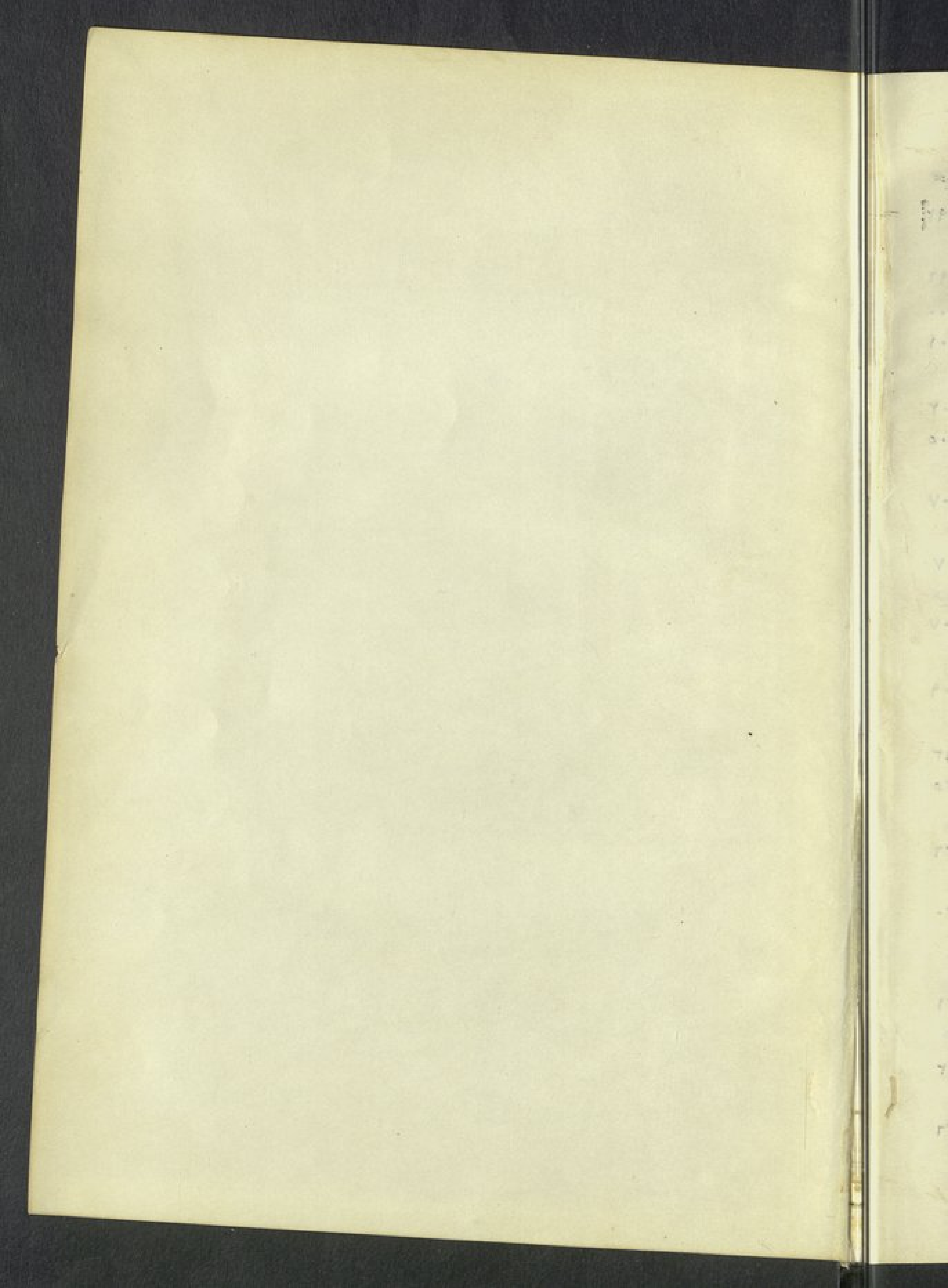
صحيفة

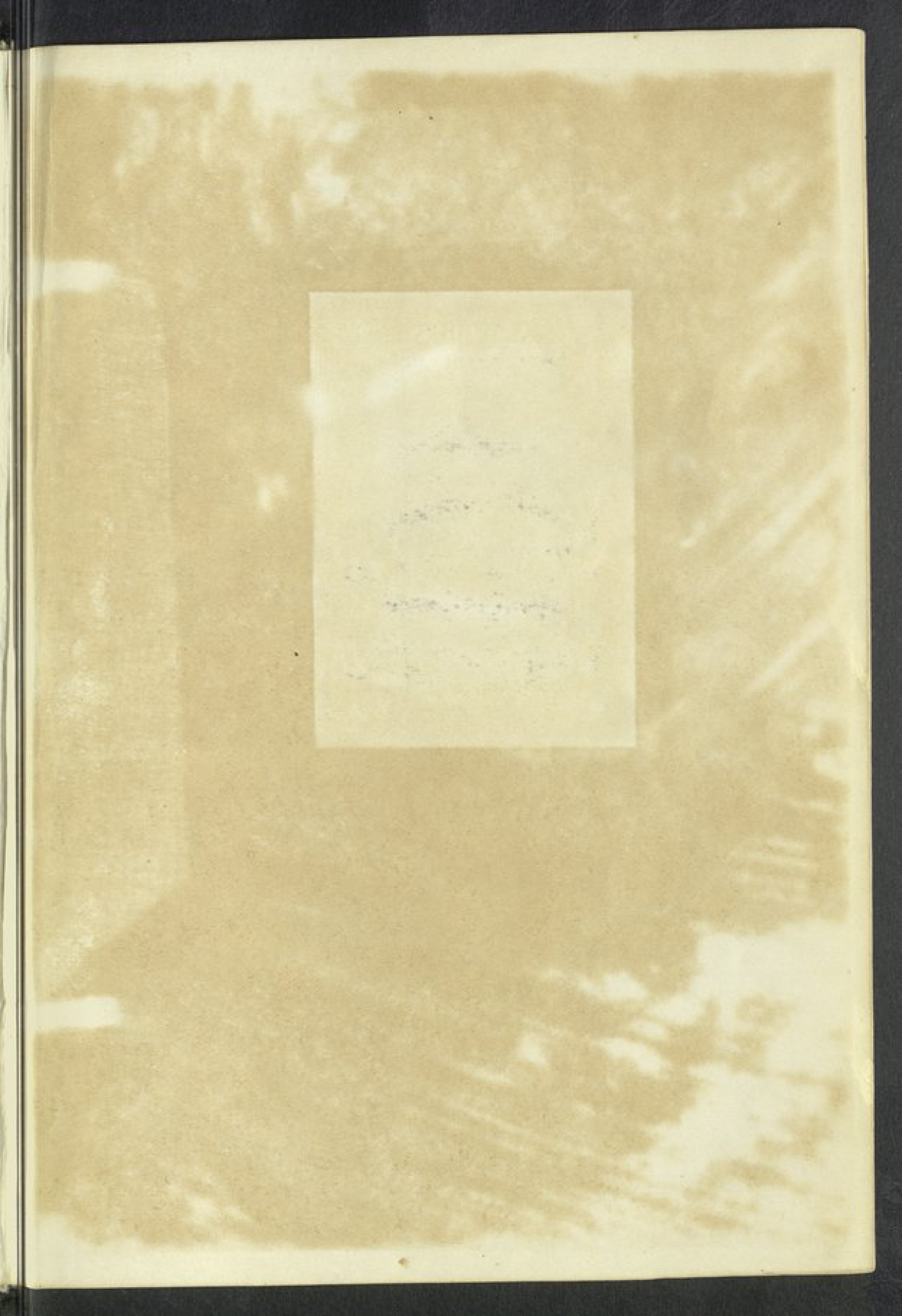
صحيفة

صحيفة

صحيفه

تم الفهرس






AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY

